المفاهيم القرآنية

رسالة في تفسير مفاهيم
القرآن الكريم

تأليف
أ. أحمد عبد الرزاق مربوش

التعريف بالمؤلف/

المحامي / احمد عبد الرزاق مربوش سلام العامري

تاريخ ومحل الميلاد / من مواليد ١٩٧٣م بمنطقة حرف الاعمور اعرواق حيفان محافظه تعز اليمن وبها درس الا بتدائيه بمدرسه الشهيد عبد الرحمن مهيوب انعم بالعرين اعرواق ثم درس فى مدينه القاعده مديريه ذى سفال ثم بمعهد مصعب بن عمير بالحديدة ثم درس بمعهد المعلمين العام(مدرسه سباء بمدينة القاعده) ثم التحق بكلية الشريعه والقانون وعمل فى مجال المحاماه

الاقامه / ذى سفال اب الجمهوريه اليمنيه

العمل الحالى / محام مهتم بالفكر الاسلامى ودراسه القران الكريم وعلومه

المؤهل / ليسانس شريعه وقانون

الحاله الاجتماعيه متزوج من ثلاث نساء وله سبعه اولاد ثلاثه ذكور واربع بنات

بسم الله الرحمن الرحيم
اهداء :'-
إلى كل قلب يبحث عن النور في زمن تراكمت فيه الظلمات..
إلى كل نفس تريد أن تحلق في سماء العفة والطهارة، بعيدًا عن أوحال الفاحشة وسوء الظن..
إلى كل باحث عن الحكمة في التفاصيل، يريد أن يرى بعين البصيرة لا بعين الرؤوس..

إليك هذا الكتاب:
رحلة في رحاب سورة النور،
حيث تجد:

· النور الرباني الذي يضيء لك طريق التزكية،
· الحدود التي ليست قسوة بل رحمة،
· آداب البيوت التي تحفظ الكرامة،
· وغض البصر الذي يصون الفطرة،
· ثم تشرق بك الشمس لتدرك أن الله نور السماوات والأرض، وأن من يبتغ النور من غير مصدره فهو كمن يسعى في ظلمات بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج..

إلى من أراد أن يبني نفسه باليقين،
ويبني بيته على التقوى،
ويبني مجتمعه على العدل والثقة،
ويبني دولته على طاعة الله ورسوله..

إليك هذا الكتاب،
لتعلم أن هذه السورة ليست مجرد آيات تُتلى، بل مشروع حياة،
وأن النور الذي تحمله يضيء لك الطريق حتى تلقى ربك،
فتكون من الفائزين.

هذا الكتاب إهداء إلى كل قارئ يريد أن يعيش النور لا أن يقرأ عنه.
المحامي احمد عبد الرزاق مربوش سلام

بسم الله الرحمن الرحيم
مذكرة تعريفية واستراتيجية لكتاب "المفاهيم من سورة النور"

.1براعة الاستهلال في شرح المقاصد والغاية والمرمى) الهداية(:

يتميز الكتاب في افتتاحيته بحنكة فائقة، إذ لا يبدأ بتفسير الآيات تفسيرًا تسلسليًا تقليديًا، بل يضع القارئ أمام صورة كبرى تجمع بين فاتحة السورة وخاتمتها .يُبرز الكتاب الربط البديع بين بداية السورة ب-"سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا" وبين ختامها بدعاء المؤمنين في سورة المؤمنون .هذا الاستهلال يخلق إطارًا متكاملا ً لفهم مقاصد السورة؛ حيث يُفهم منها أن النور التشريعي الإلهي) في سورة النور (هو نفسه الاستجابة لطلب الرحمة والمغفرة) في سورة المؤمنون .(هذا الأسلوب يُسقط فورية التنزيل على القارئ، ويجعله يشعر أن هذه السورة هي رحمة مُجسدة، وليست مجرد نصوص قانونية جافة.

.2أسلوب المؤلف وتميزه:

يمتاز أسلوب المؤلف بسمات فريدة تجعل من الكتاب تجربة تفاعلية وليست مجرد مادة علمية:

· الخطاب المباشر والاستفهامي: يخاطب المؤلف القارئ مباشرة ب-"تأمل معي"، "ألم تشعر أن...؟"، مما يحول القراءة من عملية تلقي سلبي إلى حوار فكري نشط واستبطان ذاتي.
· البناء التصاعدي) الهرمي(: ينتقل في تفسير الآيات من الدلالات اللغوية والبلاغية إلى الأبعاد التربوية والنفسية، ثم إلى أبعادها الاجتماعية والحضارية .هذا البناء يصعد بالقارئ من فهم النص إلى تطبيقه على حياته، ثم إلى تصور آثاره على المجتمع والدولة.
· التكامل بين الأدوات: يجمع المؤلف بين التفسير اللغوي) المفردات(، والتحليل البلاغي) اللمسات البيانية(، وعلوم التجويد) اللمسات التجويدية(، والاستنباط الفقهي، والتربية النفسية .هذا التكامل يجعل الكتاب موسوعة مصغرة في علوم القرآن.
· الواقعية والتطبيقية: لا يكتفي المؤلف بالسرد النظري، بل ينتقل باستمرار إلى التطبيق العملي، مستخدمًا عبارات مثل: "كيف نطبق هذا في حياتنا اليومية؟" و"ما دور هذه الآية في بناء المجتمع؟" مما يجعل المفاهيم مرتبطة بالواقع المعاصر.

.3الاستحقاق المعرفي والتميز:

· الشمولية: يتفرد الكتاب باستيعابه لجميع الأبعاد المتعلقة بالآية: الإيماني، التشريعي، التربوي، النفسي، الاجتماعي، والسياسي.
· الربط بين التفاصيل والكليات: يبرع المؤلف في ربط الأحكام التفصيلية) مثل آداب الاستئذان، أحكام الزنا والقذف (بالكليات الكبرى) مثل قاعدة: الله نور السماوات والأرض، والمرجعية العليا لله .(هذا الربط يمنع التشتت ويجعل القارئ يرى الصورة الكاملة.
· الإسقاط على الواقع المعاصر: يعالج المؤلف قضايا معاصرة بعمق من خلال النص القرآني، مثل: خطورة الشائعات في وسائل التواصل الاجتماعي، مغالاة المهور، أزمات الأسرة، وحاجة المجتمعات إلى التربية على النزاهة والشفافية.
· التركيز على بناء الإنسان: الهدف الأسمى الذي يركز عليه الكتاب هو بناء الإنسان المتوازن) عبدًا لله(، ثم المجتمع المستقر، ثم الحضارة الراقية .هو كتاب في "التنمية البشرية" برؤية قرآنية أصيلة.

.4جوهر المحتوى وهيكل المفاهيم:

ينقسم الكتاب إلى عدة مقاطع، تشكل كل منها وحدة موضوعية متكاملة:

· المقطع الأول: المنظومة التشريعية الوقائية: يتناول أحكام الحدود) الزنا، القذف، اللعان (لتطهير المجتمع من الفواحش وحماية الأعراض والأنساب .ويظهر هنا مفهوم "التشريع الزاجر" كرحمة.
· المقطع الثاني: المنظومة الأخلاقية والاجتماعية: يتناول آداب الدخول إلى البيوت، غض البصر، وستر الزينة .وهو بمثابة بناء "المناعة الذاتية" للفرد والأسرة ضد الفتن والانتهاكات.
· المقطع الثالث: المنظومة التنظيمية للأمة: يتناول أحكام الزواج) وألا تنكحوا المشركات(، والاستعفاف، والمكاتبة) تحرير العبيد .(وهو يعالج قضايا اجتماعية معقدة بتشريعات تحقق العدل والكرامة.
· المقطع الرابع: آيات النور والظلمات: هو المقطع الوجودي والإيماني، الذي يرتقي بالرؤية من التشريعات التفصيلية إلى حقائق كونية كبرى) آية النور، ظلمات البحر اللجي، تسخير الكون .(وهو يقدم "خارطة طريق" لبناء الإنسان العارف بالله.

· المقطع الخامس: التأسيس للتمكين الحضاري: يتناول سنة الله في تمكين المؤمنين الصادقين، والفرق بين المنافقين والمؤمنين، ووعد الله بالاستخلاف في الأرض .وهو يضع الأسس النظرية والعملية لقيام دولة ومنهج حياة.

.5الجمهور المستهدف والمنهج المعتمد:

· الجمهور المستهدف:
· طالب العلم: يجد فيه مادة غنية في التفسير الموضوعي، والبلاغة، والتفسير الإشاري.
· المربي والداعية: يجد فيه منهجية عملية في تربية النفس وتزكيتها، وأساليب مؤثرة في خطاب الناس.
· المفكر والباحث: يجد فيه رؤية متكاملة لبناء الحضارة الإسلامية وتفكيك أسباب انهيار المجتمعات.
· القارئ العام: يجد فيه تأملات عميقة تلامس قلبه وتغير نظرته للحياة وتعامله مع الناس.
· المنهج المعتمد:
· منهج تفسيري موضوعي: يركز على الوحدة الموضوعية للسورة، ويربط الآيات بعضها ببعض لتكوين صورة متكاملة للمفاهيم.
· منهج تحليلي تكاملي: يجمع بين التحليل اللغوي، والبلاغي، والفقهي، والتربوي، والنفسي.
· منهج خطابي تفاعلي: يعتمد على مخاطبة القارئ واستثارته للتفكير، مع استخدام أساليب طرح ا لأسئلة، والتأمل، والتصور الذهني) التخيل.(

.6ثمار هذا الكتاب) ماذا ستتعلم منه(:

· في بناء الشخصية:
· العزة والطهر: ستتعلم كيف تتعامل مع الفاحشة، وكيف ترتقي بنفسك عن القذف وسوء الظن.
· الانضباط والوعي: ستتعلم آداب الاستئذان وغض البصر، لتصبح إنسانًا واعيًا بحدود الخصوصية.
· المسؤولية: ستدرك أنك مسؤول عن كل كلمة وفعل، وأن جوارحك ستشهد عليك.
· التوازن: ستتعلم كيف تجمع بين عبادة الله والعمل لدنياه، وكيف تكون شجرة مباركة لا شرقية و لا غربية.
· في بناء الأسرة والمجتمع:
· فقه الحياة: ستتعلم كيف تحمي بيتك من الاختراق، وكيف تتعامل مع زلات أهلك بالستر والحكمة)قصة مسطح بن أثاثة.(
· الثقة المتبادلة: ستتعلم كيف تبني مجتمعًا قوامه الثقة وحسن الظن، وكيف تواجه الشائعات و التشهير.
· العدل والرحمة: ستفهم فلسفة الحدود كرحمه للمجتمع وليس فقط عقوبة، والفرق بين القسوة و الرحمة.
· في بناء الفكر والرؤية:
· منهج التعامل مع الأزمات: ستتعلم من قصة الإفك كيف تحوّل المحنة إلى منحة وكيف تتخذ المواقف الحاسمة.
· فقه الاستخلاف: ستفهم شروط التمكين في الأرض) الإيمان والعمل الصالح (وكيف تتحقق العاقبة للمتقين.
· النور الحقيقي: ستدرك أن الله هو مصدر النور الحقيقي، وأن الظلمات التي نعيشها ناتجة عن بعدنا عنه، وستتعلم كيف تطلب النور من مصدره.

.7الكتاب كـ "مشروع بناء حضاري"

بعد الاطلاع على هذا الكتاب، يمكن تصنيفه كـ "وثيقة منهجية متكاملة" لبناء الحضارة الإسلامية من جذورها .لا يكتفي الكتاب بتقديم فهم نظري للآيات، بل يضع خطة عمل واضحة تتدرج من تزكية الفرد) بآداب الدخول وغض البصر(، إلى تنظيم الأسرة) بأحكام الزواج والستر(، إلى صيانة المجتمع)بحدود الزنا والقذف وآداب الاستئذان(، وصولا ً إلى تأسيس الدولة الرشيدة) بطاعة أولي الأمر، ووعد الاستخلاف، والمرجعية العليا لله .(إنه كتاب يقرأه القارئ وكأنه يستلم خارطة طريق لمشروع نهضوي، يبدأ من قلبه وينتهي بقيادة العالم بالبصيرة والنور.

بطاقة تعريفية لسورة النور
١/ عدد آيات السورة

٦٤آية) بالإجماع(

٢/ مكان نزول السورة

مدنية) باستثناء الآية١١ - ٢٦في قصة الإفك، فقد نزلت في المدينة أيضًا؛ فهي مدنية كلها(
٣/ ترتيب السورة
الترتيب الرقم
في المصحف الكريم السورة٢٤
في ترتيب النزول السورة) ١٠٢ نزلت بعد سورة الحشر، وقبل سورة الحج(

٤/ أسماء السورة وسبب التسمية
الاسم سبب التسمية
سورة النور لاشتمالها على آية النور العظيمة) الآية(٣٥ :} اللهُ نورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْض{، ولأن أحكامها وآدابها تمثل نورًا يضيء حياة الفرد والمجتمع.
سورة الحجاب لورود أحكام الحجاب وستر الزينة فيها.
سورة الحدود لاشتمالها على أحكام حد الزنا والقذف.
٥/ خصائص السورة
.1جامعة للأحكام التشريعية: جمعت بين العقائد، والأخلاق، وآداب السلوك، والأحكام الفقهية، وبناء الدولة.
.2آية النور: تحتوي على أعظم آية في وصف نور الله وهدايته) الآية.(٣٥
.3قصة الإفك: تفردت بسرد قصة الإفك كاملة، وتطهير أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.
.4منظومة متكاملة لحماية المجتمع: جمعت بين:
· حماية الأعراض) حدود الزنا والقذف واللعان.(
· حماية البيوت) آداب الاستئذان.(
· حماية الفضيلة) غض البصر والحجاب.(
· حماية المجتمع من الشائعات) آيات الإفك.(
.5الربط بين التزكية والتمكين: ختمت بوعد الله للمؤمنين الصادقين بالاستخلاف والتمكين في الأ رض.
٦/ المناسبة بين السورة وما قبلها
سورة المؤمنون ختمت سورة المؤمنون بدعاء المؤمنين:} رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرّاحِمِينَ{، وجاءت سورة النور لتكون استجابة إلهية لهذا الدعاء؛ فهي مليئة بأحكام المغفرة والرحمة) حدود رحيمة، وآداب ساترة، وتبصرة للمتقين.(

٧/ المناسبة بين مطلع السورة وخاتمها
مطلع السورة خاتم السورة
}سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} (١) {أَلَا إِنّ لِلّهِ مَا فِي السّمَاوَاتِ وَالأَرْض(٦٤) {
المناسبة:
بدأت السورة بتأكيد أن هذه التشريعات والآداب من عند الله) الشارع الحكيم(، وختمت بتأكيد أن ملكوت السموات والأرض لله وحده) المالك المتصرف(، فمن أين يأتي التردد في تطبيق أحكامه؟ هذا الربط يخلق يقينًا راسخًا في نفس المؤمن بأن أوامر الله ونواهيه حق يجب الامتثال له، وهو مفتاح التمكين والنور.

٨/ المواضيع الرئيسية للسورة
الموضوع الآيات بيان الموضوع
.١أحكام الحدود١ - ١٠حد الزنا، حد القذف، ووجوب التوبة.
.٢قصة الإفك١١ - ٢٦تبرئة أم المؤمنين عائشة، خطورة الشائعات، حسن الظن، أدب المؤمنين.
.٣آداب الدخول إلى البيوت٢٧ - ٢٩الاستئذان، الرد على من يرفض الإذن.
.٤أحكام غض البصر والحجاب٣٠ - ٣١غض البصر للرجال والنساء، حجاب المرأة، ضوابط الزينة.
.٥أحكام الزواج والاستعفاف٣٢ - ٣٣الحث على تزويج الأيامى، استعفاف من لا يجد النكاح، أحكام المكاتبة.
.٦آية النور العظمى ٣٥ تشبيه نور الله في قلب المؤمن بالمشكاة والزجاجة والكوكب الدري.
.٧سنن الله في الكون٣٦ - ٤٦تعظيم بيوت الله، تسبيح الكائنات لله، أحوال الكافرين) السراب و

الظلمات(، قدرة الله في الخلق.
.٨موقف المؤمنين والمنافقين٤٧ - ٥٧صفات المنافقين) الإعراض عن حكم الله(، صفات المؤمنين)السمع والطاعة(، وعد الله بالتمكين.
.٩آداب التعامل مع القيادة٦٢ - ٦٣الاستئذان عند الانصراف، عدم مساواة دعوة الرسول بدعوة غيره، التحذير من التخلف.
.١٠الخاتمة ٦٤ إثبات ملك الله للكون، وعلمه المحيط، والرجوع إليه يوم القيامة.
٩/ مقاصد السورة وأهدافها
المقصد بيانه
.١تطهير المجتمع تطهير المجتمع من الفواحش والرذائل عبر الحدود والآداب.
.٢حماية الأعراض والأنساب تشريع حدود الزنا والقذف واللعان لصيانة الأعراض والأحساب.
.٣حفظ البيوت والخصوصية وضع آداب الاستئذان وغض البصر والحجاب لتحصين البيوت.
.٤مواجهة الشائعات تربية الأمة على التثبت وحسن الظن، وعدم الترويج للفاحشة.
.٥بناء الأسرة المسلمة تيسير الزواج، الحث على العفة، تحريم الزواج بالزانيات، والاستعفاف.
.٦التمييز بين المؤمن والمنافق بيان صفات المؤمن) الانقياد لحكم الله (وصفات المنافق) الإعراض و التولي.(
.٧التأسيس لتمكين الأمة ربط الإيمان والعمل الصالح بوعد الله بالاستخلاف والتمكين في الأرض.
.٨تربية اليقين تربية القارئ على أن الله هو النور الحقيقي، وعلمه محيط، وملكه شامل، والمرجع إليه وحده.
لماذا سُميت بهذا الاسم تحديدًا؟
اختيار اسم "النور" لهذه السورة ليس اعتباطًا، بل هو تجسيد لجوهرها؛ فكل أحكام السورة وآدابها هي نور:
· حدودها نور يحمي المجتمع من الظلمات.
· آداب الاستئذان نور يحمي الخصوصية.
· الحجاب نور يحمي الفطرة.
· قصة الإفك نور تكشف حقيقة المنافقين وتطهر الصف.
· آية النور (٣٥) هي ذروة النور، تصل بالمسلم إلى أن الله هو مصدر كل هداية.
فالسورة كلها نور على نور، تنقل الإنسان من ظلمات الجهل والشهوات والشبهات إلى نور الإيمان و العفة واليقين.

بسم الله الرحمن الرحيم
المقطع الاول
المقدمة: في دلالة تسمية "سورة النور" وصلتها بخاتمة سورة المؤمنون
سميت هذه السورة العظيمة "سورة النور" لشرف ما أضيف إليها من النور الإلهي في قوله تعالى:} اللهُ نُورُ السّمَاوَاتِ وَالأَرْض] {النور: .[35 والنور هنا هو كتاب الله وهدايته وشرعه الذي يضيء للبشرية ظلمات الجهل والهوى والمعصية .فالاسم يحمل دلالة كبرى على أن هذه السورة تمثل مشعاع هداية ينير دروب الحياة الفردية والأسرية والمجتمعية.
وتأتي هذه السورة لتكون بمثابة الاستجابة الإلهية للدعاء الذي اختتمت به سورة المؤمنون:} وَقُل رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ] {المؤمنون: .[118 ففي نهاية سورة المؤمنون، يوجه الله نبيه و المؤمنين إلى طلب المغفرة والرحمة .ثم تأتي سورة النور لتجسد هذه المغفرة والرحمة في صورة تشريعات وأحكام عملية تحفظ المجتمع من الانزلاق في الظلمات التي تؤدي إلى غضب الله وعقابه .
فكأنما يقول الله للمؤمنين: طلبتم المغفرة والرحمة، فها أنا أنزل لكم شريعة كاملة، إن التزمتم بها، كانت لكم نوراً في الدنيا، وسبباً للمغفرة والرحمة في الآخرة .فرحمة الله بهم أن شرع لهم أحكاماً تحميهم من الفاحشة والبهتان، فتكون حياتهم نقية طاهرة يسودها النور والوضوح بدل ظلمات الشك والريبة والفساد .تجليات النور هنا هي تطبيق هذه الأحكام التي تجعل الفرد والمجتمع يرى الأشياء على حقيقتها، فيميز بين الحلال والحرام، وبين العفيف والخبيث.
القسم الاول

اولا:
(سورة انزلناها وفرضناها وانزلنا ايات بينات لعلكم تذكرون)

الامر الاول
دلالة قوله تعالى:} سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا{
.1دلالة التنكير في كلمة} سُورَةٌ) {ولم يقل: "هذه سورة"(
التنكير في اللغة العربية يأتي غالباً للتعظيم أو التفخيم .فقول الله تعالى:} سُورَةٌ {بصيغة النكرة، يُعظِم من شأن هذه السورة ويجعل الأذهان تتشوف لمعرفة ما فيها .إنه أسلوب يلفت الأنظار ويجذب القلوب، ويجعل السامع في حالة ترقب واهتمام بالغ لما سيلقى إليه .هذا الأسلوب القرآني البديع يغرس في النفس شعوراً بجلال ما سيُتلى وعظمته، ويهيئها لتلقيه بقوة وإصغاء تام، مما ينعكس على طريقة التلقي والتربية؛ فالمربي الناجح هو من يقدم الموضوعات المهمة بأسلوب يجذب الانتباه ويمهد لها قبل الخوض في تفاصيلها.
.2دلالة إسناد الفعل} أَنْزَلْنَاهَا {إلى الله تعالى) بصيغة العظمة(
مع أن المعلوم أن جميع السور منزلة من عند الله، إلا أن تخصيص هذا الفعل هنا بذكر الفاعل) نحن (له دلالات عميقة:
· تأكيد الأهمية والتعظيم: إسناد الإنزال إلى الذات الإلهية بصيغة الجمع للتعظيم، يؤكد أن هذه السورة ليست كغيرها في أهميتها وخطورة موضوعاتها .إنها سورة تمس صميم الحياة الاجتماعية، وتعالج قضايا الأسرة والمجتمع، وتضع الحدود والأحكام التي تحفظ الأعراض، فكان لزاماً توكيد مصدرها الإ لهي ليكون أوقع في النفوس وأعظم هيبة.
· استجابة الرحمة والوقاية: هذا الإنزال هو تجسيد لرحمة الله المستجابة لدعاء سورة المؤمنون .فقد أنزل الله هذه السورة لتكون سياجاً) من سور (يحمي المؤمنين من الأمراض الاجتماعية كالزنا والقذف والغيبة والنميمة .وكلمة "سورة" نفسها مشتقة من "السور" وهو الحائط المرتفع الذي يحيط بالمدينة ليحميها .فهذه السورة بمثابة سور منيع يحمى المجتمع المسلم من هجوم الفتن والشائعات والأخلاق الرديئة، ويضمن له حياة طاهرة عفيفة.
· استشعار الهيبة الإلهية: عندما يعلم المؤمن أن هذه السورة من عند الله الذي بيده مقاليد كل شيء، فإنه يتعامل مع أحكامها لا على أنها نصائح بشرية يمكن الأخذ بها أو رفضها، بل على أنها أوامر إلهية من خالق يعلم ما يصلح خلقه .هذا الاستشعار يغرس في النفس هيبة لله عند تنفيذ الأحكام، ويجعل المؤمن يعلم أنه ليس أمام كلام بشر ضعيف، بل أمام كلام من بيده نفوسهم ومقاديرهم، فلا مهرب من مؤاخذته في الدنيا ولا في الآخرة .إنه خطاب فيه من الجلال والعظمة ما يجعل القلب يخشع و العقل يذعن.
.3دلالة قوله تعالى:} وَفَرَضْنَاهَا) {تأكيد الفرض بعد الإنزال(
تأكيد الفرض بهذه الصورة) بعد ذكر الإنزال (يحمل معاني بالغة الأهمية:
· وجوب العمل والانتقال من النصائح إلى التشريعات: الآية تفيد أن ما تحتويه هذه السورة من أحكام ليس مجرد توجيهات أو نصائح أو آداب يمكن للمؤمن أن يخير في الأخذ بها، بل هي فرائض واجبة الإلزام سواء وافقت رغبات الأفراد أم لم توافق .هذا يرسخ مبدأ أن الدين ليس مجرد طقوس، بل هو نظام حياة كامل، والتشريعات فيه ملزمة لتحقيق مصالح العباد في الدنيا والآخرة .تنتقل الأمة من مرحلة التوصيات الأخلاقية إلى مرحلة التشريع الإلزامي الذي ينظم الحياة.

· استحضار الهيبة عند التنفيذ: تذكير المؤمن بأن هذه الأحكام "مفروضة" من الله، يزيده هيبة وخشية عند تطبيقها، خاصة في قضايا العفة التي تتعلق بغريزة قوية في النفس .هذا الاستشهاد بعظمة الفرض يعين الإنسان على ضبط نفسه والتزام الحدود.
· أهمية التدرج في التربية والتشريع: هذا الأسلوب القرآني) التنكير + التعظيم + الإسناد لله + توكيد الفرض (يمثل نموذجاً في التدرج في التربية والتشريع .فهو يبدأ بلفت الانتباه، ثم بيان المصدر الإلهي ، ثم تأكيد الإلزام .هذا التدرج ضروري لبناء الدول والمجتمعات، حيث تبدأ الأحكام بتهيئة النفوس ثم تتحول إلى قوانين ملزمة تضبط السلوك وتقوم عليه رقابتان: رقابة ذاتية من النفس) بسبب استحضار الهيبة(، ورقابة اجتماعية أو حكومية) بسبب كونها فرضاً على الجماعة والدولة.(
· التوحيد لا ينفصل عن الدولة: من هذه الآية نستنبط أن التوحيد ليس مجرد عقيدة في القلب، بل هو منهج حياة لا بد له من شعب يحكم به ودولة تطبقه .فالأحكام المفروضة لا يمكن تطبيقها بفاعلية دون وجود سلطة أو نظام يحكم بها ويضمن تنفيذها، مما يؤكد العلاقة الوثيقة بين الدين و الدولة في الإسلام.
· النجاة في الالتزام: النجاة المجتمعية والفردية تكمن في الالتزام الصارم والحازم بأحكام الستر و العفاف التي فرضها الله في هذه السورة .فالتساهل في هذه الحدود يؤدي إلى انهيار الأخلاق وانتشار الفاحشة، مما يهدد كيان المجتمع واستقراره .الحزم في التربية والحكم والقضاء ضرورة لضمان عدم الخروج عن هذه الأحكام حفظاً للفرد والمجتمع .الآية ترشدنا أن الدين ليس قراءة فقط، بل تطبيق في الحياة الشخصية والأسرية والدولية.

الامر الثانى

دلالة قوله تعالى:} وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ{
· معنى "آيات بينات": أي أدلة وعلامات واضحات جليات، لا لبس فيها ولا غموض .هذه الآيات هي الأ حكام والتشريعات التي تحتويها السورة، وهي واضحة في دلالتها على الخير والصلاح، واضحة في بيان الحلال والحرام.
· مفهوم تحويل الأحكام من نظريات إلى واقع حياة: هذا الوصف} بَيِّنَاتٍ {يحمل رسالة مهمة: هذه الأ حكام ليست معقدة ولا نظرية يصعب فهمها أو تطبيقها، بل هي واضحة في تفاصيلها وغايتها، مما يسهل تفعيلها وجعلها سلوكاً عملياً في حياة الفرد والمجتمع .إنها "آيات بينات في السلوك" لمن أراد الهدى.
· أهمية هذا الأسلوب في التربية والبناء: وضوح الأحكام يربي الإنسان على اليقين والبصيرة في دينه، ويبني حضارة قائمة على أسس واضحة من الأخلاق والعدل .كما أن هذا الوضوح هو خير وقاية من الفتن والشائعات والأفكار المنحرفة التي تثار حول العلاقات بين الجنسين .فحين يكون الحكم واضحاً، لا يبقى مجال للاجتهادات الفاسدة أو الأهواء المضللة.
· منهجية الوقاية والوضوح: الصورة كلها تربي فينا البحث عن الحلول الإلهية الواضحة لمشاكل العلا قات بين الجنسين، وتجعلنا نعرض عن الأفكار البشرية القاصرة .هذا الوضوح يحمي المجتمع من فوضى الفتن والشائعات التي تحدثت عنها السورة لاحقاً) حديث الإفك وغيره .(فبوجود الآيات البينات ، يصبح المجتمع على بينة من أمره، فلا تستطيعه الشائعات بسهولة.
· النجاة في الالتزام بهذا الوضوح: النجاة المجتمعية تكمن في الرجوع لهذه الآيات الواضحة وتطبيقها، خاصة في عصر انتشرت فيه الفتن والشهوات .تعليم هذه المبادئ للأبناء والبنات والرجال والنساء هو أهم واجب لتحصين الأسرة والمجتمع .إنها مدرسة الله التي تقدم حلولا ً واضحة لمشاكل العصر، ويجب علينا جعل هذه السورة نبراساً عملياً في حياتنا لمواجهة الفتن والشهوات.

الامر الثالث

دلالة قوله تعالى:} لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ{
· الغاية العظمى: الهدف من إنزال هذه السورة المفروضة ذات الآيات البينات هو أن يتذكر المؤمنون . والتذكر هنا أعمق من مجرد التعلم .الفرق بين التذكر والتعلم:
· التعلم: هو تحصيل المعلومة الجديدة لأول مرة.
· التذكر: هو استحضار معلومة موجودة أصلا ً في الفطرة والعقل، وتذكير النفس بها، وجعلها حاضرة في الذهن والسلوك.
· ماذا نتذكر في سورة النور؟
1. نتذكر توحيد الله: فالنور الحقيقي هو نور الله.
2. نتذكر منهجه في العفة والطهارة: هذه الأحكام تذكرنا بفطرتنا السليمة التي تميل إلى الستر و العفاف.
3. نتذكر مصير الفاسقين: عاقبة من يخالف هذه الأحكام في الدنيا قبل الآخرة.
· الفطرة تحتاج تذكيراً لا تغييراً: الفطرة البشرية السليمة تحب العفة والستر والطهارة، فهي مركوزة فيها .ولكن الهوى والشيطان يغطيان على هذه الفطرة .لذلك لم تأت الرسل لتغيير الفطرة، بل لتقويمها وتذكيرها بما فطرت عليه، وتكميلها بالشريعة المنزلة التي تحميها وتصونها.
· من التلاوة إلى العمل: قوله} لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {يحول التلاوة من مجرد ألفاظ تتردد على الألسن إلى وقود يحرك القلوب ويدفعها للعمل .عندما أتلو آيات النور وأتذكر أنها من عند الله، وأن الفطرة تشهد

بصحتها، وأن العاقبة للمتقين، فإن هذا التذكر يجعلني استحضر مراقبة الله في خلوتي وعلى مواقع التواصل الاجتماعي .أتذكر أن الله يراني، وأن نظراتي وكلماتي ستسأل عنها، فألتزم بغض البصر وحفظ اللسان.

· دور الأسرة في التذكير: قول النبي ﷺ:» علموا نساءكم سورة النور) «في بعض الآثار (يحمل رسالة عظيمة .فالمرأة هي محور الأسرة، وهي بحاجة لفهم هذه الأحكام التي تتعلق بها بشكل خاص) الا ستئذان، الحجاب، آداب الخروج .(...تعليم سورة النور في البيت يعني جعل هذه الأحكام نوراً للحياة ا لأسرية، فهي بمثابة دستور للمرأة والأسرة ضد الحرب المجتمعية التي تستهدف كرامتها وطهارتها . تخصيص وقت لتفسير هذه السورة مع الأسرة يغرس هذه القيم ويرسخها.

· تربية الروح والنفس: التذكر بسورة النور يربي الروح على معاني التوبة والطهارة والصبر والعفو) كما في قصة الإفك .(هذه القيم الأساسية تبني شخصية متوازنة تعيش بنور الله، فتسمو بنفسها عن صغائر الأمور وترفعها إلى معالي الأخلاق.

· الاعتماد على منهج التدبر: قوله} لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ {يدعونا إلى جعل التدبر منهجاً لنا في التربية . فحفظ القرآن لا يكفي، بل لا بد من التفكر في آياته وأحكامه وعظاته، ليكون القرآن هادياً للنفس ومهذباً للسلوك الفردي والاجتماعي.

· صيانة الأعراض والخصوصيات: الدعوة للتذكر تتطلب الالتزام العملي بآداب الاستئذان وغض البصر، مما يعزز خصوصية البيوت ويمنع انتهاك حرمات الناس .إنه تذكير عملي بأن حرمات الآخرين خط أحمر لا يمكن تخطيه.

دلالات بيانية وتجويدية تخدم المعاني:

· الوقف على "فرضناها": الوقف هنا مناسب، ليأخذ السامع فرصة لاستيعاب عظمة الأمر الإلهي قبل الا نتقال إلى تفصيل الأحكام .إنه توكيد بعد توكيد.

· تنكير "سورة" و "آيات" كما مر معنا، للتعظيم والتفخيم.

· التعبير بـ "أنزلنا" بصيغة الماضي: للدلالة على التحقق والثبوت، وأن هذا الأمر قد وقع وانتهى، ولم يبق للمؤمن إلا التسليم والانقياد.

· اسم الإشارة "فيها": يعود على السورة، مما يؤكد أن هذه الآيات البينات هي محتوى وجوهر هذه السورة، وأنها جزء لا يتجزأ من كيانها.

· التعبير بـ "لعل" التي تفيد الترجي: مع أن الله متيقن، إلا أنها تأتي في كلامه تعالى لبيان الغاية التي ينبغي أن يصل إليها العباد، وتحريك هممهم لتحقيقها.

الخلاصة الشاملة:

الآية الأولى من سورة النور هي مدخل عظيم لهذه السورة الكريمة .هي بمثابة مقدمة دستورية تحدد مصدر التشريع) الله(، وقوته) فرض وإلزام(، ووضوحه) آيات بينات(، وهدفه) التذكر والعمل .(إنها سورة أنزلها الله رحمة بعباده واستجابة لدعائهم، لتكون لهم حصناً منيعاً) سوراً (يحميهم من الفتن وا لانحرافات، وتنير حياتهم بالعفة والطهارة والوضوح، حتى يعيشوا في كنف الله، ويستحقوا مغفرته ورحمته التي دعوا بها في ختام سورة المؤمنون .هي دعوة للانتقال من ظلمات الشك والهوى و الشائعات إلى نور اليقين والشرع والوضوح، وبناء مجتمع قوي نظيف تسوده رقابة الله أولا ً، ثم رقابة النفس والمجتمع والدولة .وهي تذكير دائم للإنسان بفطرته النقية، وحث له على الرجوع إليها و التمسك بها، لينال السعادة في الدنيا والفلاح في الآخرة.

المبحث الثاني

هذه إضافة تكميلية وحيوية تربط الآية الأولى من سورة النور بالمشروع الحضاري المتكامل لبناء الإ نسان والمجتمع والدولة في الإسلام، وتفنيد دعوى فصل الدين عن السياسة، وبيان أن التوحيد هو نواة الحياة كلها.

الآية الأولى من سورة النور... دستور الدولة المدنية الراشدة

1. الآية الأولى: إعلان دستوري لولاية الله على الأمة

عندما نقرأ قوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، فإننا نقف أمام نص مؤسس لدولة لها مرجعيتها العليا. إنه ليس مجرد خبر عن إنزال سورة، بل هو إعلان عن مصدر السلطة التشريعية في المجتمع المسلم. إنه يقول بصريح العبارة: أيها الناس، هذه شريعتكم التي تنتظم بها حياتكم، ليست من صنع بشر، ولا من نتاج ثقافة أو عرف، بل هي من عند الله الذي خلق فسوى، والذي يعلم ما يصلح عباده.

هذا هو الفارق الجوهري بين التصور الإسلامي وغيره من التصورات الوضعية. نحن لا ننكر "الدولة" أو "المدنية"، بل نؤسس "للدولة المدنية ذات المرجعية الإلهية" أو "الدولة العقدية". فالمدنية هنا تعني قيام الدولة على أسس المواطنة والعدل والشورى، ولكن هذه الأسس مستمدة من وحي الله، مما يضمن لها الصلاحية والعدالة المطلقة التي لا تتأثر بالأهواء.

2. الرد على دعوى "فصل الدين عن الدولة"

أولئك الذين يدعون إلى فصل الدين عن الدولة يردون الدين إلى دائرة العبادات الشخصية والمواعظ القلبية فقط. ولكن الآية الأولى من سورة النور ترد عليهم من عدة وجوه:

· {وَفَرَضْنَاهَا} : الفرض يقتضي الإلزام، والإلزام لا يكون بلا سلطة تنفذه. فوجود أحكام مفروضة

على الجماعة يعني بالضرورة وجود كيان سياسي (دولة) هو الذي يتولى تطبيق هذه الفرائض، سواء في العبادات (كالجمع والجماعات) أو في الحدود والمعاملات. كيف يقام حد الزنا أو حد القذف أو تعزير من ينشر الفاحشة دون وجود سلطة ودولة تطبق ذلك؟
· {آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ} : الوضوح في الأحكام يعني أنها صالحة لأن تكون نصوصاً قانونية واضحة يفهمها القاضي والمحكوم ويحتكم إليها الجميع. إنها المادة الخام للتشريع المدني والقضائي.
· {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} : التذكر هنا ليس مجرد وعظ، بل هو تذكر لمنهج الله في الحكم والعدل والعلاقات، وتذكير للناس بأن طاعة الله في أحكامه هي السبيل لصلاح دنياهم قبل أخراهم.
إذاً، الآية تعلن أن هذا الدين ليس مجرد علاقة فردية بين العبد وربه، بل هو نظام كامل للحكم و التشريع والعلاقات الاجتماعية، والدولة هي الآلية التي تقوم بتفعيل هذا النظام على أرض الواقع.
3. التوحيد: المنهج الشامل لتنظيم الحياة
الآية تبرهن على أن التوحيد ليس مجرد شعار (لا إله إلا الله) يقال باللسان، بل هو تصور كامل للوجود. معناه ألا يكون هناك حاكم إلا الله، أي ألا يكون هناك مشرع سواه. وعليه، فإن التوحيد هو المسؤول الأول عن تنظيم شؤون حياة الإنسان في كل جوانبها:
· في الجانب السياسي: يحدد مصدر السلطة (الله)، وأهداف الحكم (العدل، الشورى، تطبيق الشريعة) ، وطبيعة العلاقة بين الحاكم والمحكوم (أمة واحدة، كلهم رعية لله).
· في الجانب الاقتصادي: يضع القواعد (كآيات الدين في السورة نفسها) التي تحرم الربا والغش وتضمن العدالة في التبادل التجاري، وتحث على الإنفاق في سبيل الله.
· في الجانب الشخصي والأسري: ينظم أدق التفاصيل من غض البصر إلى الاستئذان إلى الزواج و الطلاق، كما هو مفصل في السورة.
· في الجانب الثقافي: يبني ثقافة قائمة على الحياء والعفة والصدق والوضوح، ويحارب ثقافة الفحش والبهتان والشائعات.
· في العلاقات الدولية: يضع أسس التعامل مع غير المسلمين (البر والقسط مع من لم يقاتلوا في الدين)، ويحرم العدوان ويوجب الوفاء بالعهود.
سورة النور بأحكامها التفصيلية ما هي إلا ترجمة عملية لهذا التوحيد الشامل، فهي تبين كيف يعيش الفرد والمجتمع تحت سيادة الله في كل شاردة وواردة.
4. دور الآية في غرس ثقافة بناء الحضارة والدولة
هذه الآية، وهذا المنظور الشامل، يغرس في النفس المسلمة ثقافة راقية:
· ثقافة المسؤولية: يعلم المؤمن أن الله سيسأله عن تطبيق هذه الأحكام في نفسه وأهله ومجتمعه. ليس هو مسلوب الإرادة أمام واقع فاسد، بل هو مكلف بالسعي لتغييره.
· ثقافة العزة والكرامة: عندما يعلم المسلم أن شريعته من عند الله، وأن أحكامه هي خير الأحكام، يشعر بالعزة والكرامة، ولا يخضع للتشريعات الوضعية التي تذل الإنسان وتجرده من إنسانيته (مثل إباحة الشذوذ والفاحشة باسم الحرية).
· ثقافة البناء والعمران: الدين ليس طقوساً جامدة، بل هو مشروع بناء للإنسان (تربية جيل عفيف)، وللمجتمع (مجتمع متماسك خال من الأمراض الاجتماعية)، وللدولة (دولة القانون والعدل). هذه هي الحضارة الحقيقية.
· ثقافة وحدة الحياة: يغرس في النفس فكرة أن الحياة كلها لله، وأنه لا يوجد فصل بين مقدس ومدنس، بين دين ودنيا. كلها مجال للعبادة والعمل الصالح وفق منهج الله.
5. النجاة من المأزق الحضاري بالعودة إلى التوحيد الحاكم
إن المأزق الذي تعيشه الأمة الإسلامية اليوم – من تخلف وتفرق وهزائم أخلاقية وحضارية – ليس سببه نقصاً في التدين الشعائري فقط، بل سببه الأكبر هو الابتعاد عن توحيد الحاكمية. لقد فصلنا الدين عن الدولة، وجعلنا القرآن للتلاوة في المحاريب فقط، وتركنا قوانيننا وأنظمتنا الاقتصادية و السياسية للشرق والغرب، فكانت النتيجة أن نعيش في مجتمعات إسلامية ظاهرياً ولكنها تحكم بغير ما أنزل الله.
الخروج من هذا المأزق يكون بالعودة الصادقة إلى التوحيد بمعناه الشامل، أي تحكيم كتاب الله في شؤون حياتنا كلها، والبدء بتطبيق آياته البينات كما وردت في سورة النور وغيرها. العودة إلى أن تكون {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} هي دستورنا الفعلي، وليس مجرد نص نتلوه. العودة إلى أن نؤمن بأن النجاة الفردية والمجتمعية والدولية لا تكون إلا بالالتزام بمنهج الله، لأنه هو وحده الذي يعلم ما يصلح خلقه.
إن مشروع النهضة الحضارية المنشود لن يقوم على استيراد نظريات غربية أو شرقية، بل على إحياء هذا المفهوم العظيم: أن نحكم القرآن، لأن القرآن وحده هو النور الذي يخرجنا من الظلمات، وهو السياج (السور) الذي يحمينا من الانهيار والضياع.
المبحث الثالث
هذه إضافة تأصيلية تحليلية تركز على الجانب الحضاري والتاريخي والتربوي في الآية الأولى من سورة النور، وتبين كيف شكلت هذه الآية نقطة تحول جذرية في إعادة تشكيل العقلية العربية الجاهلية، وبناء شخصية الإنسان المسلم المنضبط، وتأسيس نظام الدولة والقانون.

كيف أعادت الآية {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} تشكيل العقلية العربية الجاهلية؟
أولا ً: وصف العقلية العربية قبل الإسلام (النموذج الجاهلي)
لفهم حجم التحول الذي أحدثته هذه الآية، لا بد من استحضار طبيعة العقلية العربية التي كانت سائدة في الجزيرة العربية قبل البعثة المحمدية. كانت هذه العقلية تقوم على أسس عدة:
.1الحرية المطلقة ورفض الخضوع: كان العربي الجاهلي يأبى الخضوع لأي سلطة مركزية أو دولة . كان ينظر إلى الخضوع للحاكم أو القانون على أنه ضرب من الذل والمهانة .عبارة "لا أبا لك" كانت تعبيراً عن رفض التبعية لأحد.
.2قانون القبيلة لا قانون الدولة: لم تكن هناك دولة بالمعنى السياسي الحديث .كان الولاء للقبيلة فقط، والقانون هو أعراف القبيلة وتقاليدها ."الثأر" و"العصبية" هما الضامنان للحماية، وليس القضاء المركزي .كان العربي يقول: "أنا أخو الحرب لا أخضع إلا لسيفي".
.3الفردية والأنانية: كانت النجاة للفرد ولقبيلته، وليس لمجتمع أوسع .مفهوم "المصلحة العامة" أو "الصالح المجتمعي" كان غائباً تقريباً.
.4التحاكم إلى الأهواء والعادات: لم تكن هناك مرجعية ثابتة يتحاكمون إليها سوى أعراف الآباء والأجداد، وهي أعراف كثيراً ما كانت جائرة وظالمة، خاصة تجاه الضعفاء والنساء.
هذه العقلية كانت تمثل حجر عثرة أمام أي مشروع نهضوي أو حضاري، وكانت تتناقض تماماً مع مفهوم الدولة المنظمة التي تقوم على القانون والنظام.
ثانياً: الآية الأولى من سورة النور... الإعلان الصارخ في وجه الجاهلية

جاءت الآية {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا} لتقتحم هذه العقلية الجاهلية من أوسع أبوابها، ولتعلن بدء عصر جديد مختلف جذرياً:
·} سُورَةٌ {: التنكير هنا للتعظيم، ولكنه أيضاً للتهويل .إنه يقول لهم: اسمعوا، هناك شيء عظيم قادم إليكم، ليس من تأليف بشر مثلكم، ولا من صنع ثقافتكم القبلية .إنه وافد من السماء، مما يعني أنكم ستخضعون لما فيه، ليس لأنه يوافق أهواءكم، بل لأنه من عند الله.
·} أَنْزَلْنَاهَا {: إسناد الفعل إلى الله تعالى بصيغة العظمة، يضرب في عمق العقلية الجاهلية التي كانت ترفض الخضوع .الآن هم مدعوون للخضوع ليس لبشر مثلهم، ولا لقبيلة تغلبهم، بل لخالقهم ومالك أمرهم .هذا الخضوع لم يكن ذلا ً، بل كان تشريفاً وتكريماً، لأنه خضوع لله وحده، وهو ما يحررهم من الخضوع لأي أحد سواه .لقد كانوا يأنفون أن يسجدوا لبشر، فجاء الإسلام ليسجدوا لله، فكانت عزة السجود لله.
·} وَفَرَضْنَاهَا {: هذه هي الكلمة الأعظم والأشد وقعاً على النفس الجاهلية ."الفرض" يعني الإلزام القاطع الذي لا خيار فيه .يعني أن هناك واجبات لا يمكن التهرب منها .يعني أن الحرية التي كانوا يفاخرون بها ليست مطلقة، بل هي حرية منضبطة بحدود الله .هذا المفهوم كان صادماً للعقلية التي لا تعرف التكليف الإلهي الملزم.
ثالثاً: دور الآية كأسلوب تربوي في إعادة تشكيل الذهنية

الآية لم تكتفِ بالخبر، بل كانت أسلوباً تربوياً متكاملا ً لغرس ثقافة الانضباط وإعادة بناء الشخصية:
.1توعية بأهمية النظام: جعلت الآية "الفرض" و"الإنزال الإلهي" مدخلا ً لفهم أن النظام ليس عبودية، بل هو رحمة .فوجود أحكام مفروضة تنظم العلاقات الزوجية) اللعان، الحجاب(، والاجتماعية) غض البصر، الاستئذان(، والاقتصادية) الزكاة، النفقة (هو الذي يضمن حياة مستقرة كريمة، ويمنع الفوضى التي كانوا يعيشون فيها.
.2إعادة تشكيل مفهوم الولاء: حولت الآية الولاء من القبيلة إلى الله ورسوله ودولة الإسلام .فأصبح المسلم يشعر بأنه جزء من أمة، وليس مجرد فرد في قبيلة .الالتزام بالأحكام هو عنوان الانتماء لهذه الأمة.
.3بناء الشخصية المتوازنة: الشخصية المسلمة التي تبنيها هذه الآية هي شخصية تعرف حقوقها وواجباتها .تعرف أن حريتها تنتهي عند حدود الله وحقوق الآخرين .إنها شخصية مهذبة منضبطة، تتحلى بالصفاء والنوايا الحسنة، وتتجنب الشائعات والفحش في القول والعمل.
رابعاً: الكشف عن التطور الشرعي والقانوني في دولة الإسلام

الآية تكشف عن مرحلة متقدمة من التطور في مسيرة الدولة الإسلامية في المدينة. لم يعد الأمر مقتصراً على النصائح والترغيب والترهيب كما في العهد المكي، بل انتقل إلى مرحلة التشريع الإلزامي الذي يحكمه القانون والدولة. سورة النور هي نموذج لهذا التشريع المتكامل الذي يغطي:
· المعاملات الاقتصادية:) آية الدين والدين.(
· المعاملات الاجتماعية:) الاستئذان، غض البصر، آداب المجالس.(
· السياسة الشرعية:) حدود الزنا والقذف، البيعة، طاعة أولي الأمر.(
· الشؤون الشخصية والأسرية:) اللعان، النكاح، الطلاق، الحضانة.(
· العلاقات الدولية:) البر بالمعاهدين.(

· الشؤون الإدارية:) تنظيم الدعوة، آداب الحديث مع الرسول ﷺ.(
كل هذه المعاملات توضع في إطار القيم الإسلامية الكبرى: العدل، الرحمة، الصدق، الأمانة، الحياء.
خامساً: نوعا الالتزام لضمان تحقيق القيم (التقوى والدولة)

لكي تضمن هذه القيم والمبادئ أن تتحول إلى واقع حي، كان لا بد من وجود نظام تكاملي للالتزام، وهو ما ترمز إليه الآية بصيغتها الجازمة (فرضناها). هذا النظام يقوم على ركيزتين أساسيتين:
.1الالتزام الأول: الالتزام الداخلي) الرقابة الذاتية – التقوى(:
· المصدر: قوله تعالى} أَنْزَلْنَاهَا.{
· الآلية: عندما يستشعر المؤمن أن هذا الكلام من الله، وأن الله يراه ويسمعه ويعلم سره ونجواه، فإن هذا الاستشعار يولد في قلبه التقوى، وهي الخوف من الله والحياء منه والمراقبة الدائمة له .هذا هو الضامن الأول للالتزام بالأحكام حتى في الخلوات، وحتى عندما لا يراه أحد.
· الثمرة: ضبط النفس من الداخل، وتزكيتها، وحملها على العفة والصدق، ليس خوفاً من العقوبة الدنيوية، بل طلباً لمرضاة الله وخوفاً من عقابه الأخروي.
.2الالتزام الثاني: الالتزام الخارجي) الرقابة المجتمعية والدولية – تطبيق الشريعة(:
· المصدر: قوله تعالى} وَفَرَضْنَاهَا.{
· الآلية: الفرض يستلزم وجود جهة تكلف بتنفيذه ومراقبته .هنا يأتي دور الدولة وأجهزتها) السلطة التنفيذية، السلطة القضائية .(عندما يضعف الوازع الداخلي) التقوى (لدى فرد أو جماعة، ويخرجون عن حدود الله، تتدخل الدولة لتطبق أحكام الشريعة) الحدود والتعزيرات (لتردعهم وتحمي المجتمع من شرورهم.
· الثمرة: حماية المجتمع من الفوضى والفساد، وتوفير البيئة الآمنة التي تسمح لأفراده الصالحين بـ العيش بكرامة وطمأنينة.
سادساً: الخلاصة... ضرورة الدولة لحماية القيم

من هنا ندرك أن الإسلام لم يترك القيم الأخلاقية فريسة لضعف البشر وهفواتهم. لقد أنشأ نظاماً متكاملا ً يبدأ من أعماق القلب (التقوى) ويمتد إلى ساحة المجتمع (الدولة). وجود هذه التشريعات التي تنظم أحوال المجتمع وتكافح الجريمة عند ضعف الوازع، هو ما يفسر ضرورة قيام الدولة الإسلا مية، ليس كخيار سياسي فحسب، بل كضرورة شرعية لتنفيذ ما فرضه الله. الدولة بما فيها من سلطات (تنفيذية وقضائية) هي الآلية التي تضمن أن تبقى القيم الإسلامية هي السائدة في المجتمع، وأن يُردع كل من تسول له نفسه الخروج عليها. وهكذا تكون الآية الأولى من سورة النور هي حجر ا لأساس في بناء هذه الرؤية المتكاملة، التي تجمع بين تزكية النفوس وإقامة الدولة، لتحقيق العزة و التمكين في الأرض.
ثانيا
تفسير الايه (الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَة
المبحث الأول
هذا تفسير متكامل للفقرة الأولى من الآية الثانية من سورة النور: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}،
تمهيد: الآية في سياقها

بعد أن افتتحت السورة الكريمة بقوله تعالى: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا}، لتقرر مبدأ السيادة لله و التشريع الإلهي الملزم، شرعت فوراً في تفصيل أهم الأحكام التي تحمي المجتمع من التفكك والا نهيار الأخلاقي. وكانت البداية مع أعظم جريمة تهدد كيان الأسرة والمجتمع، ألا وهي جريمة الزنا. ف الآية الأولى أعلنت الدستور، والآية الثانية شرعت أشد العقوبات لحماية هذا الدستور.

الامر الاول ً: شرح مفهوم الزنا وأسباب تحريمه
1. المفهوم اللغوي والشرعي للزنا

· لغة: الزنا في اللغة يعني الضيق . وسمي بذلك لأن الزاني ضيق على نفسه في الفعل، إذ لا يتصور في كل موضع، فلا بد من التماس خلوة وتحفظ، وضيق على نفسه فيما اكتسبه من إثم تلك الفعلة. وقيل لأن ماء الرجل يخرج في غير موضع خروجه المعتاد الذي أعد له شرعاً وقدراً، فضاق عليه المخرج الطبيعي .
· شرعاً: هو وطء الرجل المرأة في قبلها من غير نكاح ولا شبهة نكاح . وهذا التعريف دقيق، فهو يخرج بالوطء في الدبر (اللواط) الذي له حكم آخر، ويخرج ما دون الإيلاج من مقدمات كالقبلة و اللمس، فهي معاصي لها تعزيرها ولكنها لا توجب الحد.
2. علة تحريم الزنا (لماذا حرمه الله؟)
الزنا محرم لذاته، وليس تحريمه تعبدياً فقط، بل تقوم علته على كونه "فاحشة" و "ساء سبيلا ً" .

والفاحشة هي كل فعل بلغ الغاية في القبح والشناعة. والأسباب التي تجعله بهذه الصفة:
· فساد الأنساب وضياعها: الزنا يضيع الأنساب ويجعل الإنسان يجهل نسبه وأصله، وهذا يؤدي إلى تقطيع الصلات الأسرية التي هي أساس التكافل الاجتماعي. فإذا ضاع النسب، ضاعت الحقوق و الواجبات بين الآباء والأبناء.
· انهيار كيان الأسرة: الأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع، والزنا يهدم هذه اللبنة من أساسها. فهو يزرع عدم الثقة بين الزوجين، ويجلب العار والفضيحة للأبناء والأسرة بأكملها .
· نشر الأمراض والأوبئة: الزنا هو السبب الرئيسي لانتشار الأمراض الجنسية الخطيرة كالزهري والسيـ لان والإيدز، التي تفتك بالأبدان وتنتقل بالوراثة إلى الأبناء .
· إشاعة الحقد والعداوة: الزنا يجر إلى جرائم أخرى كالقتل والغدر، بسبب الغيرة والثأر للعرض. فكم من جريمة قتل وقعت بسبب علاقة محرمة .
· استحلال الفطرة: هو اعتداء على ملكية الغير، وانتهاك لحرمات الناس وأعراضهم، وسبب مباشر لتفكك العلاقات الاجتماعية.
3. نظرة تاريخية: قبح الزنا في الجاهلية والإسلام
من المهم فهم أن الإسلام لم يأتِ ليحلل الزنا ثم يحرمه، بل جاء ليؤكد قبحه الذي استقر في الفطرة السليمة والعقول الراجحة.
· في الجاهلية: كان الزنا قبيحاً عند العرب، ولم يكن يرتكبه إلا سفاسف الناس وأراذلهم من الإماء والعبيد. ودليل ذلك ما قالته هند بنت عتبة رضي الله عنها عندما بايعت النبي ﷺ على "ألا يزنين"، فقالت مستنكرة: "أوتزني الحرة؟!" . حتى أن بعض الحيوانات كانت تنكر هذه الفعلة، فقد رُوي أن قرداً زنى بقردة فاجتمعت عليهما القرود فرجمتهما حتى ماتا .
· في الإسلام: شدد الإسلام في تحريمه، وجعله قرين الشرك وقتل النفس بغير حق في قوله تعالى: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا} [الفرقان:68] .
الامر الثانى
تدرج عقوبة الزنا في التشريع الإسلامي
لم تفرض عقوبة الجلد مائة جلدة ابتداءً، بل كان هناك تدرج حكيم في تشريع العقوبة، وليس في أصل التحريم :
1. مرحلة الإيذاء والتوبيخ: في بداية الإسلام، كانت عقوبة من يقع في هذه الفاحشة هي الإيذاء بـ القول والفعل والتعنيف، كما في قوله تعالى: {وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا} [النساء:16] .
2. مرحلة الحبس في البيوت: ثم تدرج الحكم إلى عقوبة أشد، وهي حبس النساء في البيوت حتى الموت، كما في قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا} [النساء:15] .
3. مرحلة الاستقرار على العقوبة النهائية: ثم جاءت سورة النور لتنسخ هاتين المرحلتين (الحبس وا لإيذاء) وتستقر على العقوبة النهائية التي جعلها الله "سبيلا ً" للمجتمع، وهي الجلد للبكر (غير المحصن) والرجم للثيب (المحصن) .
فائدة هذا التدرج:

هذا التدرج لم يكن بسبب تدرج في التحريم، فالتحريم كان مقطوعاً به من أول يوم، بل كان لتدرج المجتمع في تقبل الأحكام و لتربية النفوس على الانضباط، وليأخذ الناس هذا التشريع الجديد بسهولة ويسر، فلا يكون في انتقالهم الفجائي من حرية مطلقة إلى عقوبة شديدة ما يشق عليهم .
الامر الثالث
دلالة تقديم {الزَّانِيَةُ} على {الزَّانِي}
تقديم المرأة على الرجل في الذكر هنا له دلالات عميقة تتعلق بطبيعة الفتنة والمسؤولية المجتمعية والتربوية.
1. البدء بالأهم عند العقاب
تقدم الزانية لأنها الأصل في قيام الفتنة غالباً، فهي التي تظهر مفاتنها وتتبرج وتثير الغريزة، كما قـ ال بعض المفسرين: إنها التي أظهرت محاسنها ودعت إلى الفاحشة، كما فعلت امرأة العزيز حين قـ الت: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ} [يوسف:23] . هذا التقديم:
· يركز على الوقاية: يوجه رسالة إلى المجتمع أن حماية المرأة وتنشئتها على العفة والحياء وعدم التبرج هي خط الدفاع الأول. فمنع البنت من التبرج وتربيتها على الستر ليس خياراً شخصياً، بل هو مفهوم ضروري اجتماعياً لحماية المجتمع كله من الفتنة.
· يغرس الوعي الاجتماعي: يبني في الأمة وعياً بأن المرأة هي صانعة الرجال ومربية الأجيال، وهي محور الأسرة، فإذا فسدت فسد المجتمع، ولذلك كان الاهتمام بها في العقوبة ليكون أبلغ في الردع وأقوى في الزجر.
2. المساواة في المسؤولية والعقاب
رغم تقديمها في الذكر، إلا أن العقوبة موجهة للطرفين معاً: {فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا} .

· هذا يؤكد مبدأ المساواة المشتركة في المسؤولية والعقاب، فلا يمكن لأي طرف أن يلقي باللوم كله على الآخر. فالرجل مسؤول عن نفسه وغضه لبصره، والمرأة مسؤولة عن حشمتها وسترها. هذا المبدأ يحقق العدل الذي هو أساس الحكم والدولة، ويمنع أي خلل في تطبيق القانون.
· في بناء الدولة والمؤسسات، هذا يعني أن القانون لا يحابي أحداً على حساب أحد، وأن الجميع سواسية أمام أحكام الله، رجالاً ونساءً.
3. الدلالة التربوية: كيف نربي أنفسنا وأبناءنا على العفة؟
· مفهوم تقديم الطهارة: الآية تدفعنا لتربية أنفسنا وأبناءنا على أن الطهارة والعفة هما الأصل. نربي البنت على الحياء والستر، ونربي الابن على غض البصر والعفة وطلب الزواج المبكر.
· اختيار الزوجة الصالحة: لأن المرأة هي مربية الأجيال، كانت وصية النبي ﷺ: "فاظفر بذات الدين تربت يداك". الآية تدفعنا لننظر إلى المرأة باعتبارها أساس بناء العفة في المجتمع المسلم، فإذا كانت عفيفة، نشأ الأبناء على العفة، وكان المجتمع قائماً على الحشمة والستر.
· الوقاية قبل العلاج: الآية توجهنا إلى أن العقوبة هي آخر الدواء، وأما أول الدواء فهو الوقاية بسد الذرائع. لذلك شرعت الأحكام الوقائية قبل العقوبة: غض البصر، الحجاب، الاستئذان، تحريم الخلوة، تحريم إبداء الزينة. كلها إجراءات صارمة لحماية المجتمع من الفاحشة.
4. خطورة التبرج
الآية وإن لم تذكر التبرج صراحة، إلا أنها تعالجه من خلال تقديم المرأة، لأن التبرج هو أول الطريق إلى الفاحشة. فتبرج المرأة وخروجها متعطرة متزينة هو دعوة صامتة إلى النظر المحرم، وهو ما يؤدي إلى الفتنة. الآية تؤكد أن المسؤولية الفردية تحتم على كل امرأة أن تلتزم بالحجاب والستر حتى لا تكون سبباً في إفساد المجتمع.
الامر الرابع
دلالة {فَاجْلِدُوا كلّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ}
هذا هو نص العقوبة، وهو نص محكم دقيق يحمل حكماً بالغة.
1. لماذا مائة جلدة تحديداً؟
هذا التحديد الإلهي الدقيق لا يمكن للعقل البشري أن يدرك كامل حكمته، ولكن يمكن استنباط بعض المعاني:
· التوازن بين الردع والرحمة: المائة جلدة ليست قليلة فتصبح غير رادعة، وليست كثيرة فتميت أو تقطع، بل هي حد وسط يحقق الردع مع إبقاء فرصة الحياة والتوبة بعد انتهاء العقوبة .
· تطهير للمجرم: سميت عقوبة الحد "كفارة" للذنب، وفي الحديث: "أَقِيمُوا الحُدُودَ عَلَى مَا مَلَكتْ أَيْمَانُكُمْ". فالجلد تطهير للزاني من دنس خطيئته في الدنيا قبل الآخرة.
2. دقة العقوبة وعدم قابلية التفويض
قوله تعالى {مِائَةَ جَلْدَةٍ} يلزم القاضي والحاكم بتنفيذ هذا الرقم الدقيق، لا ينقص منه ولا يزيد عليه . وهذا يغرس مفاهيم:
· الالتزام بالنص الشرعي: ليس للقاضي أن يجتهد في تغيير العقوبة أو تخفيفها أو استبدالها بغرامة أو سجن، لأنها "حد" من حدود الله. هذا هو الضبط القانوني الذي يضمن تحقيق العدالة الإلهية.
· الردع العام: معرفة الناس بأن العقوبة ثابتة لا تتغير، تخلق رادعاً نفسياً قوياً في النفوس، فالمجرم يعلم جزاءه مسبقاً.
3. الحكمة من كون العقوبة "بدنية مؤلمة"
العقوبة في الإسلام ليست انتقاماً، بل هي رحمة بالمجتمع:
· ردع النفس الأمّارة بالسوء: الألم الجسدي يذكر المجرم بقبح فعله، ويكسر شهوته التي دفعته للجريمة. هذا الألم يبقى في ذاكرته فيمنعه من العودة .
· عدم تعطيل مصلحة المجتمع: العقوبات البدنية سريعة، ينتهي تنفيذها في وقت قصير، ثم يعود المجرم إلى المجتمع وقد تطهر من ذنبه. أما السجن الطويل فيعطل المجرم عن العمل ويُحمّل الدولة أعباءً كبيرة، وغالباً ما يزيده فساداً وتمرساً على الإجرام.
· تشهير بالمجرم: حضور طائفة من المؤمنين يضيف عنصر الخزي والعار النفسي إلى العقوبة البدنية، مما يضاعف الردع ويمنع الآخرين من الاقتراب من هذه الجريمة .
4. طريقة الجلد (كيف يجلد؟)
الفقهاء وضعوا ضوابط دقيقة لتنفيذ الجلد بحيث يكون متوسطاً لا شديداً فيقتل ولا ضعيفاً فلا يؤلم :
· لا يضرب على الرأس والوجه والفرج.
· يكون السوط وسطاً (لا جديداً فيجرح ولا خلقاً فلا يؤلم).
· لا يرفع الضارب يده رفعاً شديداً.
· لا يُجرد الزاني من ثيابه إلا ما كان سميكاً جداً (كالفرو).
· الغرض تأديبه وتطهيره، لا قتله .
5. حكم من مات أثناء إقامة الحد

إذا مات المحكوم عليه أثناء إقامة الحد بسبب جلد شرعي متوسط (كما وصفه الفقهاء) ولم يتعمد الجلاد قتله، فإنه يضمن؟ جمهور الفقهاء على أنه لا ضمان على الجلادين ولا دية على الدولة، لأنهم فعلوا ما أمرهم الله به ورسوله، ودمه هدر بجريمته. وهذا مما يزيد هيبة الحدود في النفوس.
6. حد الزاني المحصن
الآية تتحدث عن الزاني غير المحصن (البكر). أما الزاني المحصن (وهو من سبق له الزواج و الدخول) فعقوبته الرجم حتى الموت، ثابتة بالسنة النبوية القولية والفعلية، وقد كان القرآن أنزلها ثم نسخ تلاوتها وبقي حكمها .
7. عقوبة الإماء والعبيد
عقوبة الإماء والعبيد إذا زنوا هي نصف عقوبة الحرائر، لقوله تعالى: {فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} [النساء:25]. فهن يجلدن خمسين جلدة.
الامر الخامس
: تطبيق الحد: دور الدولة وليس الأفراد
الآية تخاطب جماعة المؤمنين ممثلة في ولي الأمر أو الحاكم أو القاضي: {فَاجْلِدُوا} .
· الاحتكار الحكومي للعقوبة: هذا يعني أن تطبيق الحد هو من صلاحيات الدولة وحدها، فلا يجوز لأفراد أو جماعات أن يأخذوا القانون بأيديهم ويقيموا الحدود بأنفسهم، لأن ذلك يؤدي إلى الفوضى وانهيار الأمن. مهمة الأفراد هي الستر على أنفسهم وعلى غيرهم إذا وقعوا في معصية، والتوبة إلى الله .
· عدم جواز استبدال العقوبة: الحزم في التطبيق مطلوب، والآية تنهى عن أن تأخذ القاضي رأفة بـ المجرم فتخفف عنه العقوبة: {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ} [النور:2] . هذه الرأفة الممنوعة هي التي تدفع القاضي لتعطيل حد الله. أما الرأفة به كإنسان فمكانها بعد تنفيذ العقوبة، باستقباله في المجتمع ومساعدته على العودة للحياة الطيبة.
الامر السادس
مقارنة مع القوانين الوضعية (لماذا فشلت؟)
القوانين الوضعية في الغالب لا تعتبر الزنا بالتراضي بين بالغين جريمة أصلية، أو تعاقب عليه بـ الحبس الذي لا يتناسب مع جسامة الجريمة . هذا التساهل أدى إلى:
1. تفشي الجريمة: لأن المجرم يعلم أن العقوبة هينة، فيقدم على الجريمة بكل سهولة .
2. هتك الأعراض: ضعف العقوبة شجع على اغتصاب آلاف النساء والفتيات، لأن الخطر على المعتدي محدود .
3. انهيار القيم: تحولت الفاحشة في المجتمعات الغربية إلى "حرية شخصية" و"حق من الحقوق"، مما أدى إلى انهيار الأسرة وانتشار الأمراض والشذوذ.
الخلاصة: عقوبة الجلد في سورة النور هي تجسيد عملي لرحمة الله بالمجتمع، فهي تحمي الأعراض، وتحفظ الأنساب، وتصون الفضيلة، وتضمن للفرد حياة كريمة في مجتمع نظيف. إنها رسالة إلى البشرية كلها أن الطريق الوحيد لاستقرار المجتمعات هو العودة إلى شرع الله، وأن النجاة من الفوضى الخلقية لا تكون إلا بتحكيم هذه الحدود التي شرعها الحكيم الخبير
المبحث الثانى.
هذا تفسير موسع للفقرة الثانية من الآية الثانية من سورة النور: {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}، مستوعباً جميع المحاور والمفاهيم والتوجيهات والدروس و الرسائل فى الايه مع اللمسات البيانية والتربوية والنفسية العميقة التي تحملها هذه الآية العظيمة.
تمهيد: الآية في سياقها
بعد أن أمر الله تعالى بإقامة حد الجلد على الزاني والزانية، جاء هذا التحذير الإلهي الشديد لضمان تنفيذ هذا الحد بالشكل الذي يحقق مقصود الشرع منه. فالآية السابقة حددت العقوبة (مائة جلدة)، وهذه الآية تحدد الروح التي يجب أن ينفذ بها الحاكم والمجتمع هذه العقوبة. إنها آية تضع الضوابط النفسية والأخلاقية لتنفيذ أحكام الله، وتحولها من مجرد عقوبات جامدة إلى عبادة يتقرب بها المؤمن إلى الله، وتطهير للمجتمع من الأمراض الخلقية.
الامر الاول
: دلالة {وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ}
1. حقيقة الرأفة كما تعرفها الآية

· الرأفة لغة: هي شدة الرحمة ورقتها . وهي أبلغ من الرحمة وأخص منها، فهي رحمة متصلة بوجيب القلب وانفعاله .
· الرأفة شرعاً ومقصداً: الآية لم تذم مطلق الرأفة، فالرأفة صفة محمودة في مواضعها، والله تعالى رؤوف بعباده، والنبي ﷺ كان بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً. ولكن الآية ذمت نوعاً واحداً من الرأفة، وهو "الرأفة في دين الله".
· الرأفة الممدوحة: هي الرأفة التي تكون في الأمور الدنيوية المباحة، ورحمة الخلق بعضهم

ببعض، والعطف على الفقراء والمساكين والضعفاء. هذه رأفة مطلوبة، وقد قال النبي ﷺ: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» .
· الرأفة المذمومة: هي التي تحمل الإنسان على تعطيل حد من حدود الله، أو التخفيف فيه، أو التأثر العاطفي بالمجرم حتى يترك إقامة الحد أو يخفض صوته أو يضعف في تنفيذه. هذه هي "الرأفة في دين الله" التي نهى عنها القرآن.
2. الحزم في الحق وعلاقته بالرأفة المذمومة
الآية تضع مبدأ عظيماً: الحزم في الحق مقدم على العاطفة الشخصية. عندما يتعلق الأمر بدين الله وحدوده، لا مكان للعواطف الجياشة التي قد تعطل أمر الله. إنها تربية للأمة على أن طاعة الله فوق كل اعتبار.
هذا المفهوم التربوي والتشريعي يعني:
· الموازنة بين الرأفة الممدوحة والمذمومة: المسلم يجمع بين الأمرين. هو رحيم بالخلق، عطوف على الفقراء، لين الجانب مع المؤمنين. ولكن عندما يصل الأمر إلى انتهاك حرمات الله، تتحول رأفته إلى قوة وحزم في تنفيذ أمر الله. هذه هي الشخصية المتوازنة التي يربيها الإسلام.
· مواجهة المواقف بالحزم: تعلمنا الآية أن هناك مواقف في الحياة (خاصة في التربية والقضاء والإدارة) يجب أن نكون فيها حازمين، لا تلين لنا قناة، ولا تثنينا عن الحق عواطف. هذا هو عين العدل، وهو من أعظم صور الرحمة بالمجتمع.
3. أهمية تطبيق القانون بصرامة لردع الفساد
الآية ترسخ مبدأ أن العدالة الصارمة هي رحمة بالمجتمع.
· القضاء على الجريمة: عندما يعلم المجرم أن القانون سيطبق بكل حزم، وأن لا عاطفة تشفع له، فإن ذلك يردعه عن التفكير في الجريمة. أما إذا علم أن هناك مجالاً للشفاعة أو التأثر العاطفي، فإن ذلك يشجعه على الاستمرار.
· خطورة الرأفة المعطلة للحق: الرأفة المذمومة تؤدي إلى:
· تعطيل حدود الله: وهذا معصية كبيرة.
· انتشار الفساد: لأن العقوبة إذا لم تكن رادعة، استشرى الإجرام.
· ظلم المجتمع: لأن الرأفة بالمجرم هي قسوة على المجتمع كله، إذ تتركه فريسة للمجرمين.
4. الردع الاجتماعي والانضباط كمفهوم تربوي
الآية تغرس في المجتمع مفهوم الجدية في التعامل مع المخالفات الأخلاقية:
· لا تهاون مع المخالفات الشرعية: تعلمنا ألا نتعامل مع الفواحش باستخفاف، وألا نمررها تحت مسمى "حرية شخصية" أو "غلطة شباب". هذا التهاون هو بداية انهيار القيم.
· الردع الاجتماعي: حضور طائفة من المؤمنين تنفيذ الحد (كما في الآية التالية) يخلق وعياً جمعياً بقبح هذه الجريمة، ويجعل المجتمع كله شاهداً على أن العقوبة هي نتيجة حتمية للانحراف.
· بناء مجتمع صالح: بالحزم في تطبيق الأحكام، وبالردع العام، ينشأ مجتمع يعرف أن للقيم ثمناً، وأن من يتعدى حدود الله سيلقى جزاءه. هذا يخلق بيئة صالحة للتربية والنشأة.
5. دور هذا المفهوم في تربية قوة العاطفة في الفرد المسلم
الآية لا تلغي العاطفة، بل تهذبها وتوجهها.
· الشيطان يستغل باب المحبة والشهوة: الشيطان يعلم أن في قلب الإنسان عواطف جياشة (محبة، رأفة، شفقة). فيأتي للإنسان ويزين له أن يتعاطف مع المذنب، وأن يرحمه، وأن يشعر بأن العقوبة قاسية، حتى يترك تنفيذها. هذا هو مدخله لزرع الدياثة في النفوس.
· الدياثة: هي غياب الغيرة على المحارم والأعراض. والديوث هو الذي يقر الخبث في أهله و لا يغار . الشيطان يبدأ بالرأفة المذمومة بالمجرم، فيضعف غيرة الإنسان على دين الله، ثم ينتقل به إلى ضعف غيرته على عرضه وأهله. فالآية هنا تحمي المسلم من الوقوع في هذا المرض الخطير.
· الغيرة في الإسلام: هي أن يغار المسلم لله، ولحرماته، ولمحارمه. والغيرة صفة محمودة، بل هي من صفات الله تعالى، كما في الحديث: "إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم عليه" . الآية توقظ هذه الغيرة في نفس المؤمن، فلا يسمح لأي عاطفة أن تعطل أمر الله.
الامر الثانى
ثانياً: دلالة {فِي دِينِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ}
هذا القيد الإلهي العظيم يربط تنفيذ الحدود بجوهر الإيمان نفسه. إنه اختبار لصدق الإيمان في قلوب المؤمنين.
1. الإيمان بالله واليوم الآخر: الضمان لتنفيذ الحدود
· إن كنتم تؤمنون بالله: أي إن كنتم تعتقدون أن الله هو الخالق الرازق المالك المدبر، الذي شرع هذه الأحكام لحكمته، والذي أمركم بتنفيذها، وأنه سيسألكم عن طاعته. فالمؤمن الحقيقي يقدم أمر الله على كل أمر، ويرضى بحكمه، وينفذه ولو خالف هواه.
· واليوم الآخر: الإيمان باليوم الآخر هو الرادع الأعظم. من يؤمن بأنه سيقف بين يدي الله للحساب، وأنه سيجازى على أعماله، يحرص على تنفيذ أوامره خوفاً من عقابه. كما أن من يؤمن باليوم الآخر

يعلم أن رحمته بالمجرم بتعطيل الحد لن تنفعه أمام عدل الله، بل ستكون وبالا ً عليه لأنه ضيع أمانة تنفيذ شرع الله.

2. غرس قوة النفور من الشهوات غير المشروعة

الآية تعالج مرضاً خطيراً في القلوب، وهو حب الفواحش أو التعلق بها.

· من يشاهد الرذيلة: إذا كان الله ينهانا عن أن تأخذنا رأفة بالزانين فنعطل حدهما، فكيف بمن يستمتع بالنظر إلى الزنا والمشاهد المحرمة؟ هذا أعظم إثماً. فالنهي عن التعاطف مع المجرم هو نهي غير مباشر عن التعاطف مع الفعل نفسه.

· المريض والمشتهي: من يشاهد الرذيلة ويستمتع بها هو مريض القلب، والمريض إذا اشتهى ما يضره، وجب علاجه لا مداهمته بما يشتهي. التعاطف معه بالسماح له بمشاهدة المحرمات ليس رحمة، بل هو إغراق له في المرض. والعلاج هو الحزم مع النفس أولا ً، ثم مع من وقع في الفاحشة ثانياً.

· دور القرآن في التربية النفسية: القرآن يربي في المسلم أن يكون مبغضاً للفواحش، كاره لأهلها، غضوباً عند انتهاك حرمات الله. هذا هو عين الصحة النفسية. أما من لا يبغض الفواحش، ولا يغضب عند رؤيتها، فقد أصابه مرض الدياثة، وقد قال النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة ديوث» . أي من لا يغار على عرضه.

3. علاج مرض القلب: الرأفة بالمجرم قسوة عليه

الآية تقدم مفهوماً ثورياً: القسوة الظاهرية هي رحمة باطنة.

· التعاطف مع المجرم بتعطيل حده يتركه غارقاً في إثمه، غير مطهر من ذنبه، فيلقى الله به. بينما إقامة الحد عليه هي رحمة به في الحقيقة، لأنها تطهره في الدنيا، وتكون كفارة له، وتردعه عن العودة، وتشفيه من مرضه.

· إذاً، منهج الله وعقوباته هي الدواء النافع الذي يصلح به مرضى القلوب، وهي تجسيد لرحمة الله التي وعد بها المؤمنين في دعاء سورة المؤمنون: {رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ} . فالحدود هي جزء من هذه الرحمة، لأنها تحمي المجتمع من الفساد، وتطهر المجرم من الذنب.

4. محبة الله ورسوله فوق كل عاطفة

الآية تذكرنا بأن دين الله وطاعة الله ورسوله يجب أن تكون على محبة، وأن تكون هذه المحبة هي المهيمنة على كل عاطفة أخرى.

· تقديم محبة الله: يجب أن يكون الله ورسوله أحب إلينا مما سواهما. فإذا تعارضت محبة قريب أو صديق وقع في الفاحشة مع محبة الله، قدمنا محبة الله بطاعته وإقامة حده، وإن آل ذلك إلى حزن القريب. هذه هي التربية الإيمانية الحقيقية.

· الرأفة والرحمة يحبهما الله: الله يحب من عباده أن يكونوا رحماء فيما بينهم. ولكن هذه الرحمة لا تعني إضاعة دين الله. نحن نرحم المذنب بأن ننصحه، ونستره قبل أن يصل إلى المحكمة، ونساعده على التوبة. ولكن بعد أن يصل إلى المحكمة ويثبت عليه الحد، تصبح رحمته في تنفيذ الحد لا في تعطيله.

5. مفهوم الإسراف في الدين (الغلو والتفريط)

هنا تبرز قاعدة عظيمة: الشيطان يستغل أمران:

· إذا رأى الإنسان مائلا ً للرأفة والرحمة: زين له الرأفة حتى لا يبغض ما أبغضه الله، ولا يغار مما يغار الله منه. فيصبح متساهلا ً مع الفواحش، مداهناً لأهلها، تاركاً لحدود الله.

· وإذا رآه مائلا ً للشدة والحزم: زين له الشدة في غير موضعها، حتى يترك البر والإحسان واللين والصلة والرحمة التي أمر الله بها، فيتعدى في الشدة، ويزداد في الغلظة والبغض والعقاب على من لا يستحقه، أو على ما يسامح فيه الشرع.

هذا هو الإسراف في الدين، وهو الانحراف عن الوسطية التي هي صفة هذه الأمة. فالآية تدعونا للوسطية: حزم في الحق دون قسوة، ورحمة بالخلق دون مداهنة في دين الله. وهذا هو التطبيق السليم للآية: تنفيذ العقوبة دون زيادة ولا نقصان.

6. {إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ} اختبار الإيمان

الآية تجعل تنفيذ الحدود علامة على صدق الإيمان:

· المؤمن بالله واليوم الآخر يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويفعل ما أمر الله به، ويترك ما نهى عنه. هو لا تتلاعب به العواطف، لأنه يعلم أن مرجع الأمر كله لله.

· من لم يؤمن باليوم الآخر تتلاعب به الأهواء: فتارة تغلب عليه الرأفة فيعطل الحد، وتارة تغلب عليه الشدة فيظلم ويتجاوز. هو بلا ميزان ثابت.

الحديث النبوي: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» يفسر لنا العلاقة بين الإيمان والمعصية. فا لإيمان يضعف عند ارتكاب الكبيرة، ولكن لا يزول بالكلية. والذي يأخذه الرأفة في دين الله، قد ضعف إيمانه، وغلبت عليه عاطفته البشرية على أمر الله. والذي يفرط في الشدة، قد ضعف إيمانه أيضاً، وغلبت عليه غلظته على رحمة الله. والمطلوب هو إيمان قوي يوزن الأمور بميزان الشرع لا بميزان الهوى والعاطفة.

الامر الثالث
خلاصة وتطبيقات معاصرة
1. في التربية: علم أبناءنا أن الرحمة بالمجرم قسوة على الضحية والمجتمع. وأن الحزم مع المخالف ليس قسوة قلب، بل هو حرص على مصلحته ومصلحة الجميع. علمهم الفرق بين الرأفة في موضعها والرأفة المذمومة.
2. في القضاء والإدارة: الآية تنادي بضرورة أن يتحلى القاضي والمسؤول بالثبات على الحق، وعدم التأثر بالضغوط العاطفية أو الاجتماعية أو السياسية التي قد تدفعه للتساهل في تطبيق الأحكام. تطبيق القانون بصرامة هو عين العدل.
3. في مواجهة الفتن: في عصرنا هذا، حيث تباح الفواحش تحت مسميات الحرية، وتنتشر المواد الإ باحية في كل مكان، تأتي هذه الآية لتذكرنا بضرورة الغيرة على دين الله، وعدم التعاطف مع هذه المظاهر، بل مقاطعتها ومحاربتها، وغض البصر عنها، وتربية الأبناء على النفور منها.
4. في العلاقات الأسرية: تعلمنا الآية ألا نجعل محبتنا لأهلنا أو أصدقائنا تدفعنا إلى موافقتهم على باطل، أو التغاضي عن منكر يفعلونه. محبتنا لهم الحقيقية تكون في أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر، وإقامة حدود الله في حقهم إذا لزم الأمر، فهذا هو خير لهم في الدنيا والآخرة.
5. في بناء المجتمع العفيف: الآية تؤكد أن المجتمع العفيف لا يُبنى بالعواطف الجياشة، بل بـ التشريعات الحازمة التي تطبق بصرامة، وبالغيرة على الأعراض التي تسكن قلوب المؤمنين. هي دعوة لاستئصال جذور الفساد بالقوة والحزم، مع بقاء الرحمة في القلوب لمواضعها الصحيحة.
المبحث الثالث
هذا تفسير موسع للفقرة الثالثة من الآية الثانية من سورة النور: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} ، مستوعباً جميع المحاور والمفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات التى تتحدث عنها الا يه مع ربطها بالدلالات البيانية والبلاغية والتربوية والحضارية.
تمهيد: الآية في سياقها
بعد أن أمر الله تعالى بجلد الزاني والزانية مائة جلدة، وحذر من أن تمنعهم رأفة عاطفية من تنفيذ هذا الحد، يأتي هذا التوجيه الإلهي الثالث في نفس الآية: {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} . إنه انتقال من بيان كيفية العقوبة (الجلد) وروح تنفيذها (الحزم بلا رأفة) إلى بيان السياق الا جتماعي لهذه العقوبة. فالآية تخرج العقوبة من دائرة العلاقة الخاصة بين الجاني والقاضي إلى دائرة العلاقة العامة بين الجاني والمجتمع كله. إنها تحول مشهد تنفيذ الحد إلى حدث اجتماعي بامتياز، له أهدافه التربوية والردعية والإصلاحية الكبرى.
الامر الاول
ً: دلالة {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ}
1. معاني الكلمات ودلالاتها البيانية
· {وَلْيَشْهَدْ} : فعل أمر يفيد الوجوب عند بعض الفقهاء، والندب عند آخرين . صيغة الأمر هنا تحمل معنى الإلزام المعنوي للأمة بأن تكون حاضرة، وأن تتحمل مسؤوليتها الاجتماعية. والفعل "يشهد" لا يعني مجرد الحضور البصري، بل يحمل معاني الحضور القلبي والوجداني، والحضور كشهود على واقعة تطبيق شرع الله.
· {عَذَابَهُمَا} : وصف الجلد بالعذاب، مع أن الحد في اللغة قد يسمى عقوبة أو أدباً. تسميته عذاباً فيه تغليظ للأمر، وتأكيد على ألميته، ليكون أبلغ في الزجر والردع .
· {طَائِفَةٌ} : الطائفة في اللغة هي الجماعة من الناس، وتطلق على الواحد فما فوق . وهي هنا تدل على العدد الذي يحصل به المقصود، وأقل ما قيل في عددها ثلاثة أو أربعة، وقيل واحد فما فوق . التنكير في "طائفة" للتعميم، أي ليحضره عدد ولو قليل، ولكن الأكمل أن يكون عدداً يحصل به الغرض من الردع والشهادة .
· {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} : هذا الوصف يحمل دلالة عميقة. المقصود ليس أي حضور عادي، بل حضور من اتصف بالإيمان، لأن المؤمن هو من يعرف قدر حدود الله، ويشهدها بخشوع وهيبة، ويتعظ بها، ويعين على إقامتها. حضور غير المؤمنين قد يتحول إلى لهو أو سخرية أو شفقة عاطفية لا تليق بمقام الحد.
2. لماذا يشترط حضور طائفة؟ الأهداف والمقاصد
الأمر بإشهاد طائفة من المؤمنين على تنفيذ الحد يحقق جملة من المقاصد العظيمة:
أولا ً: تحقيق الردع العام (الزجر والموعظة)
· الهدف الأكبر: هو أن يكون المشهد عبرة للآخرين، فيرتدعوا عن الإقدام على مثل هذه الجريمة. فا لإنسان إذا رأى بعينه جلد الزاني أمام الملأ، وخزته هيبة الموقف وألم العقوبة، كان ذلك أبلغ في ردعه من مجرد سماعه بالعقوبة أو قراءته لها في كتاب.
· الردع النفسي: المشهد يخلق حاجزاً نفسياً قوياً في النفوس، ويزرع الخوف من عاقبة الفاحشة، ويذكر الجميع بأن القانون ليس حبراً على ورق، بل هو واقع ينفذ على من يخالفه.
ثانياً: تطهير المجتمع وتأكيد براءته من الفاحشة

· إعلان الرفض المجتمعي: حضور المؤمنين للعقوبة هو بمثابة إعلان صريح بأن هذا المجتمع يرفض هذه الفعلة الشنعاء، ويتبرأ منها ومن فاعلها. إنه يشبه صيحة جماعية: "هذا جزاء من يخالف شرع الله، ونحن مع شرع الله ضد هذه الجريمة".
· تطهير الجو العام: العقوبة العلنية تطهر المجتمع من وصمة وجود هذه الجريمة فيه، وتعيد إليه توازنه النفسي والأخلاقي، بأن يرى أن العدالة قد أقيمت وأن الحق قد انتصر.
ثالثاً: تحويل العقوبة إلى درس تربوي جماعي
· المشهد مدرسة: المكان الذي ينفذ فيه الحد يتحول إلى فصل دراسي مفتوح، يتعلم فيه الحاضرون دروساً عظيمة: عظمة شرع الله، عدالة الله، عاقبة المعصية، أهمية العفة، خطورة الفاحشة. إنه تعليم بالحدث الحي، وهو أعمق أثراً من التعليم بالكلام المجرد.
· تأكيد مبدأ السببية: يرى الناس أن لكل فعل ردة فعل، وأن من يخالف القانون سيلقى عقابه لا محالة، وهذا يغرس فيهم احترام القانون والنظام.
رابعاً: إشباع حس العدالة لدى المجتمع
· العدالة مرئية: عندما يرى المجتمع أن المجرم لم يفلت من العقاب، وأن العدالة قد ثفذت على مرأى ومسمع منه، فإن ذلك يشبع لديه حس العدالة الفطرية، ويزيد من ثقته في النظام القضائي و الدولة.
· منع الفوضى والثأر: في المجتمعات التي تغيب فيها العقوبة العلنية، قد يلجأ أهل المجني عليه أو ذوو الضحية إلى أخذ الثأر بأنفسهم، مما يؤدي إلى الفوضى. وجود العقوبة العلنية من قبل الدولة يقطع الطريق على هذه الفوضى، ويؤمن المجتمع.
الامر الثانى
دور العلانية في محاربة الجريمة والقضاء عليها (مبدأ الردع والزجر)
الآية ترسخ قاعدة ذهبية في علم الإجرام والعقاب: أن العقوبة إذا كانت سرية أو غير معلنة، فإن أثرها الردعي يضعف أو يعدم. أما إذا كانت علنية ومشهودة، فإن قوتها تتضاعف.
1. كيف تعمل العلانية كرادع؟
· الرادع الأول: الألم الجسدي والنفسي الذي سيلقاه المجرم.
· الرادع الأكبر: العار الاجتماعي والفضيحة. الإنسان بطبعه يكره أن يرى الناس عورته أو خطأه. الجلد العلني معناه أن الجاني سيخرج من هذا المشهد وقد علقت به وصمة الفضيحة، مما يجعله يفكر ألف مرة قبل العودة إلى الجريمة، ويجعل غيره يخاف من هذه الفضيحة.
· الرادع المستمر: ذكرى المشهد تبقى عالقة في أذهان الحاضرين، ويتناقلونها في مجالسهم، مما يخلق ثقافة مجتمعية رافضة للجريمة.
2. دور العلانية في القضاء على الجريمة
العلانية لا تمنع الجريمة فقط، بل تساهم في القضاء على بذورها من خلال:
· كسر دائرة الصمت: عندما تكون العقوبة علنية، لا يستطيع أحد التغاضي عنها أو التكتم عليها. المجتمع كله يعلم أن هذه الجريمة لها ثمن باهظ.
· تجفيف منابع التساهل: العلانية تمنع ظهور ثقافة التساهل مع الفواحش، أو اعتبارها "حقاً شخصياً" ، لأن المجتمع يرى بنفسه أن القانون لا يتساهل معها.
· دعم القيم الإيجابية: المشهد العلني يقوي في نفوس المؤمنين قيم الغيرة على الأعراض، وكره الفواحش، والتمسك بالعفة، لأنهم يرون الثمن الباهظ لانتهاك هذه القيم.
الامر الثالث
مفهوم التكاتف الاجتماعي ضد الفاحشة
الآية تحول مكافحة الفاحشة من مهمة فردية أو حكومية إلى مشروع مجتمعي جماعي.
1. ماذا يعني التكاتف الاجتماعي ضد الفاحشة؟
هو أن المجتمع بأكمله يقف صفاً واحداً في مواجهة هذه الجريمة، ليس فقط بالتنفيذ، بل بالتأييد المعنوي والنفسي للعقوبة، وبإدانة الفعل، وبعدم التعاطف مع المجرم على حساب شرع الله.
2. علاقة الآية بهذا التكاتف
· حضور الطائفة هو صورة من صور هذا التكاتف. إنه ليس حضوراً سلبياً، بل هو مشاركة رمزية في إقامة حد الله، وتأييد لشرعه، وإعلان للانتماء إلى صف المؤمنين الرافضين للفاحشة.
· هذا الحضور يرسل رسالة واضحة للمجرم: أنت وحدك، والمجتمع كله مع القانون ضدك. هذه العزلة الاجتماعية التي يشعر بها المجرم رادع إضافي لا يقل عن رادع الجلد.
3. دوره في القضاء على الجريمة وتحصين الأسرة
عندما يتكاتف المجتمع ضد الفاحشة، يصبح الفاسق في عزلة اجتماعية، فلا يجد من يؤيده أو يشجعه أو يبرر له. هذا يقلل من فرص تكرار الجريمة ويحد من انتشارها. كما أن هذا التكاتف يحصن الأسرة، لأن الأبناء ينشؤون في بيئة مجتمعية واضحة في رفضها للفاحشة، فلا تتشتت قيمهم بين ما يرونه في الشارع أو الإعلام وما يسمعونه في البيت.
الامر الرابع

مفهوم الحق العام (السبق الحضاري للإسلام)
هذه الآية تمثل تأصيلا ً لمفهوم "الحق العام" الذي يعتبر من أعظم النظم القانونية في العصر الحديث، وقد سبق الإسلام إليه بأربعة عشر قرناً.
1. ما هو الحق العام؟
الحق العام هو حق المجتمع بأسره في أن تقام العدالة، وأن تردع الجرائم، وأن تعاقب المخالفين، حتى لو لم يكن هناك مدع خاص. في جريمة الزنا، قد يكون الطرفان راضين، ولا يوجد مدع يشكو ، ومع ذلك تقام العقوبة إذا ثبتت بالبينة الشرعية، لأن الجريمة ليست خاصة، بل هي اعتداء على النظام الاجتماعي والأخلاقي كله.
2. كيف تجسد الآية هذا المفهوم؟
قوله {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} يعني أن المجتمع هو صاحب المصلحة في تنفيذ هذه العقوبة، ولذلك فهو مدعو لحضورها. إنه ليس مجرد متفرج، بل هو طرف أصيل في القضية، لأن الجريمة التي وقعت اعتدت على قيمه وأخلاقه وأمنه، فلابد أن يشارك في استعادة هذا الأمن برؤية العدالة تنفذ.
3. الفرق بين الحق الخاص والحق العام
· الحق الخاص: مثل حق المسروق منه في استعادة ماله أو العفو عن السارق. هذا حق للفرد، له أن يتنازل عنه.
· الحق العام: في جرائم الحدود كالزنا والسرقة التي بلغت النصاب، ليس للفرد حق التنازل، لأن الجريمة لم تعتدِ على فرد فقط، بل على المجتمع كله. لذلك، إذا ثبتت الجريمة بحكم قضائي، وجب تنفيذ العقوبة ولو تنازل المجني عليه (في بعض الحدود) أو عفا، لأن المجتمع لم يعفُ.
هذا المفهوم يثبت عظمة النظام القانوني الإسلامي، وحرصه على حماية المنظومة الأخلاقية للمجتمع، وعدم تركها عرضة للأهواء الفردية.
الامر الخامس
حماية المنظومة الأخلاقية مسؤولية جماعية
الآية تعلمنا أن النور الرباني الذي نزل في هذه السورة ليضيء حياة الناس بالعفة والطهارة، لا يمكن أن يبقى مشتعلا ً بدون جهد جماعي لصيانته. صيانة هذا النور تكون بـ:
1. التطبيق العملي للأحكام: ليس مجرد الإيمان النظري، بل التنفيذ على أرض الواقع.
2. المشاركة المجتمعية: حضور الطائفة للحد هو مشاركة رمزية في هذه الصيانة. إنه يقول للمجتمع: أنت حارس على قيمك، وأنت مسؤول عن بقاء هذا النور.
3. عدم التستر على المجرمين: التستر على من انتهك حرمات الله هو مشاركة في إطفاء النور. الآ ية تشجع على كشف الجرائم بالطرق الشرعية (البينة)، وإقامة الحدود علناً، ليبقى المجتمع نقياً طاهراً.
الامر السادس
: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية
الآية تحمل إعجازاً بيانياً وتجويدياً يخدم هذه المعاني العظيمة:
1. التقديم والتأخير: قدم الجلد والعذاب على الإشهاد (فاجلدوا... وليشهد). هذا التقديم يدل على أن أصل العقوبة هو الجلد، والإشهاد أمر زائد عليه لتحقيق الردع والعبرة.
2. التعبير بـ "عذاب": اختيار هذه الكلمة دون "حد" أو "جلد" فيه تغليظ وتفظيع للمشهد، ليكون أبلغ في الزجر.
3. كلمة "طائفة": نكرة للتعميم، فهي تشمل كل من يصلح للشهادة والاعتبار. لم يحدد عدداً معيناً ليبقى الأمر مرناً مع ظروف كل مجتمع، ولكن القصد حصول العدد الذي يتحقق به المقصود.
4. وصفهم بـ "المؤمنين": لأن غير المؤمن لا يرجى منه الاتعاظ ولا إجلال الحدود. هذا الوصف يجعل من حضور الحد علامة على الإيمان، ويحول المشهد إلى عبادة جماعية.
5. الوقف والابتداء: الوقف على {مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} مناسب، ليستقر المعنى في النفس، ثم ينتقل القارئ إلى ما بعدها من آيات. قراءة {وَلْيَشْهَدْ} بالرفع عطفاً على {فَاجْلِدُوا} يؤكد أن الإشهاد أمر مقصود لذاته، وليس مجرد تابع للجلد.
الامر السابع
تطبيقات معاصرة ومفاهيم حياتية
1. في الإعلام اليوم: لو طبقنا مفهوم الإشهاد العلني اليوم، لكان معناه أن تعلن وسائل الإعلام عن تنفيذ الحدود (بصورة محترمة لا تخدش الحياء) ليكون ذلك رادعاً للملايين، وليس مجرد حبس خلف الجدران لا يعلم به أحد.
2. في التربية: تعليم الأبناء أن العقوبات في الإسلام ليست سرية، بل هي عبرة للجميع. حضور مجالس العلم التي تذكر بالحدود وأحكامها يغني عن حضور المشهد الفعلي، ويحقق نفس الغرض التربوي.
3. في النظام القضائي: يجب أن تكون الأحكام والقرارات القضائية علنية، لأن في ذلك تحقيقاً

للردع العام وضماناً للشفافية. القضاء المغلق أو السري يخلق شبهات ويضعف الثقة.
4. في مواجهة الجريمة: المجتمع الذي يتكاتف خلف قوانينه ويؤيد تنفيذها بحزم هو مجتمع آمن. أما المجتمع الذي يظهر التعاطف مع المجرمين، ويشكك في عدالة القضاء، فهو مجتمع ينهش من داخله.
5. في الحفاظ على القيم: حماية المنظومة الأخلاقية ليست مهمة الحكومة وحدها، بل هي مسؤولية كل فرد. عندما نرى منكراً، يجب أن نغيره. عندما نرى جرائم أخلاقية في الإعلام أو الواقع، يجب أن نعارضها. هذا هو الإشهاد المعنوي على قبح الفاحشة.
الخلاصة الشاملة
الآية {وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} تمثل نقلة نوعية في فلسفة العقاب. إنها تحول العقوبة من مجرد رد فعل فردي تجاه جريمة فردية إلى مشروع مجتمعي متكامل لتحقيق:
· الردع العام (بمشاهدة العذاب).
· التطهير المجتمعي (بإعلان البراءة من الفاحشة).
· التربية الجماعية (بتحويل المشهد إلى درس).
· تأكيد الحق العام (بأن الجريمة اعتداء على المجتمع كله).
· صيانة النور الإلهي (بالمشاركة الشعبية في حماية القيم).
إنها صورة مشرقة من صور العدالة الإسلامية التي تجمع بين الرحمة (في تطهير المجرم) والقسوة (في ردع غيره) والحكمة (في إشراك المجتمع)، لتظل هذه الأمة منورة بشرع الله، مصونة من الفواحش والفتن..
ثالثا
هذا تفسير موسع للآية الثالثة من سورة النور: {الزَّانِي لَا يَنكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ۚ وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ} ، مستوعباً جميع المحاور والمفاهيم التي تتحدث عنها الايه مع ربطها بالدلالات البيانية والبلاغية والمقاصد التربوية والحضارية في بناء الفرد والمجتمع والدولة.
تمهيد: الآية في سياقها وأسباب نزولها
بعد أن بيّنت الآيتان السابقتان عقوبة الزنا (الجلد) وكيفية تنفيذها (بالحزم وإشهاد المؤمنين)، جاءت هذه الآية لتغلق الباب تماماً أمام أي محاولة للتساهل مع هذه الجريمة أو إضفاء الشرعية عليها. إنها آية التطهير الاجتماعي والقطيعة الأخلاقية مع أهل الفواحش، وتأصيل قاعدة المناسبة في الزواج والاقتران.
أسباب النزول:
نزلت هذه الآية في حوادث متعددة تؤكد الحاجة الماسة لهذا التشريع:
1. حادثة مرثد بن أبي مرثد: كان رجلا ً من الصحابة يحمل الأسرى من مكة إلى المدينة، وكانت له صديقة في الجاهلية بغي تدعى "عناق". عرضت عليه الفجور فرفض قائلا ً: "حرم الله الزنا". ثم أراد الزواج منها بعد إسلامها، فسأل النبي ﷺ فنزلت الآية تحرم ذلك .
2. فقراء المهاجرين: لما هاجر فقراء المهاجرين إلى المدينة، وجدوا فيها نساء بغايا موسرات، فرغب بعضهم في الزواج منهن طمعاً في أموالهن، فنزلت الآية تحرم ذلك صيانة للمؤمنين .
3. امرأة يقال لها أم مهزول: كانت تسافح وتشترط على من يتزوجها أن تنفق عليه، فأراد رجل من الصحابة أن يتزوجها فنزلت الآية .
الامر الاول
أ: دلالة تقديم {الزَّانِي} على {الزَّانِيَةِ} في هذه الآية
لاحظنا أن الآية الثانية قدمت {الزَّانِيَةُ} على {الزَّانِي}، بينما هنا في الآية الثالثة يُقدّم {الزَّانِي} على {الزَّانِيَةِ}. هذا الاختلاف له دلالة بلاغية عميقة:
في آية العقاب (الآية ٢) : قدمت الزانية لأنها الأصل في إظهار الفتنة والتبرج، ولأن العقوبة جاءت لتحصين المجتمع من فتنة النساء، فكان البدء بهن في الذكر تأكيداً على أهمية وقايتهن وحمايتهن [راجع تفسيرنا السابق].
· في آية النكاح (الآية ٣) : قدم الزاني هنا لأن الحديث عن النكاح، والرجل هو الذي يطلب ويتولى عقد الزواج، وهو الأصل في الخطبة والطلب. فبدأ به لأن الكلام عن طالِب النكاح .
هذا التحول البلاغي الدقيق يعلمنا درساً في مراعاة السياق والمقام، وأن لكل مقام مقالا ً.
المفاهيم المستنبطة من هذا التقديم:
١. تحري العفة في الزواج: رسالة للشاب والفتاة
تقديم الزاني في سياق النكاح يعني أن المسؤولية الأولى في اختيار الشريك تقع على الرجل. الآية ترسل رسالة واضحة للشاب: أنت من يبدأ، وأنت من يبحث، فابحث عن العفيفة.
· للشاب: معيار اختيارك للزوجة يجب أن يكون العفة والصلاح، لا الجمال ولا المال. فالزانية قد تكون جميلة وغنية، لكن الآية تقول إنها لا تصلح لك أيها المؤمن. قال النبي ﷺ: «تُنكحُ المرأةُ لأربعٍ: لمالِها ولحسبِها وجمالِها ولدينِها، فاظفَرْ بذاتِ الدِّينِ تربَتْ يداكَ» .

· للفتاة: وإن كانت مطلوبة لا طالبة، إلا أن الآية تلفت نظرها وأهلها إلى أن يتفهموا أن الشاب الزاني غير مناسب لها. هي مرغوبة ومطلوبة، فلتُعطَ لمن يستحقها من العفيفين الأطهار.
٢. معيار الاختيار: قاعدة تربوية في صيانة البيت المسلم
الآية ترسي قاعدة ذهبية: لا كفاءة مع الفجور. فالمؤمن العفيف لا يكافئ المؤمنة العفيفة، ومن يرضى بزوجة زانية فإن دينه محل شك. هذا المعيار يحمي البيوت المسلمة من أن تُبنى على أسس فاسدة. فالزواج ليس مجرد اقتران جسدي، بل هو مشروع عمر بأكمله، والأولاد الذين سينجبونهم سيحملون جينات وتنشئة هذين الزوجين. كما قال النبي ﷺ: «تخيّروا لنُطَفكم، فإن العرق دسّاس» .
الامر الثانى
دلالة اقتران الزاني بالمشرك {زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً}
هذا الاقتران العجيب بين "الزاني" و"المشرك" يحمل من الدلالات ما يستحق الوقوف طويلا ً.
١. غرس قيمة العفة في نفوس الأبناء
جعل الزاني في مقام المشرك يرفع من قيمة العفة في نفوس الأبناء. يتعلم الابن أن فقدان العفة ليس كباقي الذنوب، إنه ذنب يدنس العرض والشرف، ويضع صاحبه في مرتبة من لا يؤمن بالله. هذا يغرس في النفس استعلاء عن الفاحشة، ونفوراً منها.
٢. محاصرة المجاهرة بالمعصية والعزل الاجتماعي للمفسدين
الآية تخلق حالة من النفور المجتمعي من الزناة والمجاهرين بالفسق. فهم لا يصلحون للمؤمنين، ولا يصلحون إلا لأهل الريب والشرك. هذه هندسة اجتماعية لتقليص الظواهر المرضية، عبر خلق جدار عازل بين المجتمع الطاهر وأهل الرذيلة. من يمارس الفاحشة يشعر أنه في عزلة اجتماعية، لا يرتاح له المؤمنون، ولا يقبلونه زوجاً ولا صهراً. هذا العزل الاجتماعي هو أقوى أنواع الردع المعنوي.
٣. محاربة أشعة الفاحشة وتغيير الأنماط الجاهلية
الآية تعيد تشكيل العقلية الجاهلية التي كانت تتساهل مع الفاحشة، وتجعل العلاقات قائمة على الشهوة والمنفعة. إنها تؤكد أن المجتمع المسلم يجب أن يسوده العفاف لا الاختلاط البهيمي. هي تقطع الطريق على أي محاولة لتطبيع العلاقات غير الشرعية، أو تقبلها كأمر واقع.
٤. وضع الإيمان والعفة كمعيار أساسي
بتقديم الزانية والمشركة في سياق النفي (لا ينكح إلا...)، تبرز الآية أن معيار الاختيار هو الإيمان و العفة. الجمال والمال قد يكونان موجودين في الزانية، لكنهما لا ينفعان. إنها تعيد ترتيب الأولويات في نفس الشاب والفتاة.
٥. حقيقة النفوس: الخبيث يستريح للخبيث والطيب للطيب
هذه الآية تنسجم تماماً مع قوله تعالى في نفس السورة: {الْخَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ} [النور:26] . الآية تكشف عن سنة كونية في التآلف و التنافر: النفوس الخبيثة (الزناة) لا تجد راحتها وسكينتها إلا مع أمثالها من الزناة أو المشركين الذين لا يرون للفاحشة حرمة. أما النفوس الطيبة (المؤمنون العفيفون) فلا تطيق الاقتران بالخبيثين. إنها قاعدة "الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف"
٦. قاعدة الجزاء من جنس العمل
الجزاء هنا من جنس العمل: من استمتع بالحرام وعاش في الرذيلة، حُرم من متعة الحلال الطيبة مع الزوج العفيف. الزاني الذي لم يتب، سيكون جزاؤه أن لا يجد في حياته الزوجية إلا زانية أو مشركة، لأنه هو من أهّل نفسه لذلك. هذه من أشد العقوبات النفسية والاجتماعية.
٧. تهويل ذنب الزنا بمعادلة الشرك
وصف الزناة بأنهم لا يصلحون إلا للمشركين هو تهويل عظيم لذنب الزنا. إنه يوازي الشرك في أثر على القلب والمجتمع. هذا التهويل يربي في المجتمع رادعاً نفسياً هائلا ً، ويحاصر الرذيلة من جذورها. فالذي يفكر في الزنا، عليه أن يفكر في أنه سيُحشر مع المشركين، ويُعزل عن المؤمنين.
الامر الثالث
دلالة {وَحُرِّمَ ذَٰلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ}
هذا هو ختام الآية، وهو القاعدة الكلية والمانعة.
١. معنى الحرمة هنا (التحريم الشرعي والأخلاقي)
· التحريم الشرعي: الآية تُحرّم على المؤمنين أن ينكحوا زانية (أي يعقدوا عليها) أو يزوجوا مؤمنة من زان. هذا هو رأي الإمام أحمد ومن وافقه، بناءً على أن الآية في النكاح . وبناءً على ذلك، أي عقد على زانية لم تتب فهو عقد باطل.
· القاعدة النبوية (الحرام لا يحرم الحلال) : قد يقول قائل: ماذا لو زنى رجل بامرأة ثم أراد الزواج بها بعد توبتهما؟ هنا تأتي القاعدة النبوية: "لا يَحرُمُ الحرامُ الحلالَ" . فإذا تاب الزانيان توبة نصوحاً، وظهرت علامات الصلاح عليهما، جاز زواجهما. التحريم يتعلق بالحالة التي لم يتبا فيها .
· التحريم الأخلاقي والمعنوي: حتى عند الجمهور الذين يرون جواز العقد (بتأويل الآية على أنها خبر عن واقع حال لا تحريم) ، يبقى للمسلم العفيف أن يمتنع عن ذلك ترفعاً وصيانة لنفسه. هذا هو التحريم الأخلاقي الذي تستنكفه النفس المؤمنة.

٢. المؤمن لا يقبل بالزانية: طيبة النفس وعزتها
المؤمن الحق، الذي يطلب الطيبات من القول والعمل والنساء، لا يمكن أن يقبل بزوجة زانية. نفسه الطيبة تأبى ذلك. دينه يمنعه، وغيرته ترده، وعزته بالإسلام تعلو به عن ذلك. الآية تقول: من رضي بذلك، فإيمانه محل شك. كما قال النبي ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» .
٣. دور الآية في بناء المجتمع المؤمن والأسرة المؤمنة
هذه الآية هي بمثابة سور عازل يحمي المجتمع الطاهر من تسرب أمراض الفاحشة. إنها:
· تبني سمعة المجتمع وأمنه الاجتماعي: حين يعلم الناس أن الزناة معزولون اجتماعياً، وأنهم لا يندمجون في نسيج المجتمع الطاهر، فإن ذلك يخلق أمناً اجتماعياً، ويحفظ السمعة الجماعية للأمة.
· تبني مجتمعاً طاهراً: هذه الآية، مع سابقاتها، تخلق مجتمعاً لا يألف الفاحشة ولا يألف أهلها. مجتمعاً يغار على عرضه، ويصون بيته، ويختار لأبنائه وبناته الأطهار من الناس.
خاتمة: الآية ودورها في بناء الحضارة الإسلامية
هذه الآية القرآنية لم تكن مجرد نص قانوني، بل كانت وسيلة بناء للأمة على عدة مستويات:
1. بناء الفرد: غرست في نفس المؤمن عزة الطهر، ونفوراً من الرذيلة، ومعايير صحيحة لاختيار شريك حياته.
2. بناء المجتمع: خلقت نسيجاً اجتماعياً متماسكاً، قائماً على القطيعة مع الفساق، والتكاتف حول الفضيلة.
3. بناء الدولة: أرست مبدأ أن الدولة مسؤولة عن حماية هذا النسيج، عبر تشريعات تحرم الزواج بـ الزناة (عند من يقول بذلك)، وعبر منع إضفاء الشرعية على العلاقات غير الشرعية.
4. بناء الحضارة: الحضارة الإسلامية قامت على أسرة طاهرة، تلد أجيالا ً طاهرة، في مجتمع طاهر. هذه الآية كانت أحد اللبنات الأساسية في ذلك البناء الحضاري العظيم، الذي جعل من العفة قيمة عليا، ومن الفاحشة وصمة لا تغتفر.
رابعا :-
القذف وعقوبه القاذف
هذا تفسير موسع للآيتين الرابعة والخامسة من سورة النور: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (4) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (5)}، مستوعباً جميع المحاور التي طلبت بيانها، مع ربطها بالدلالات البيانية والبلاغية والمقاصد التربوية والحضارية في بناء الفرد والمجتمع والدولة.
تمهيد: الآيتان في سياقهما وأهميتهما
بعد أن فرضت الآيات السابقة عقوبة الزنا (الجلد)، وحذرت من الرأفة في تنفيذها، وأمرت بإشهاد المؤمنين عليها، وجاءت آية تحريم الزواج بالزناة صيانة للبيوت المسلمة، جاءت هاتان الآيتان لتكملا بناء المنظومة الأخلاقية المتكاملة، ولكن من الجانب الآخر: جريمة القذف، أي اتهام الأبرياء بالزنا دون بينة. إنهما بمثابة "الإعلان العالمي لحماية الأعراض" في الإسلام، و"دستور الثقة الاجتماعية" الذي يضمن للمجتمع أن يعيش آمناً مطمئناً على أعراض أفراده وسمعتهم.
الامر الاول
: ماذا يعني القذف؟ (التعريف والمقصود)
1. التعريف اللغوي والشرعي

· لغة: القذف يعني الرمي بقوة وبعد . ومنه قذف الحجارة، أي رميها بقوة.
· شرعاً: هو رمي الإنسان بالزنا أو اللواط، في معرض التعبير والذم . سمي بذلك لأن صاحبه يرمي المقذوف بأشنع التهم وأبشعها، ويرمي عرضه في عرضة للهلاك.

2. أنواع القذف (صريح وكناية وتعريض)

· الصريح: الألفاظ التي لا تحتمل غير الزنا، مثل: "يا زاني" أو "زنيت" . وهذا يوجب الحد بمجرد النطق به.
· الكناية: ألفاظ تحتمل الزنا وغيره، مثل: "يا فاجر، يا خبيث، يا ابن الحرام" . فهذه لا توجب الحد إلا إذا نوى بها القذف، فإن نوى بها القذف وجب الحد، وإن نوى بها الشتم فقط، فعليه التعزير .
· التعريض: مثل أن يقول: "أنا لست بزان" أو "ما أمي بزانية"، فيعرض بغيره . جمهور العلماء (الشافعي وأبو حنيفة) لا يوجبون الحد بالتعريض، ويرون فيه التعزير، خلافاً لمالك وأحمد في رواية . وهذا يدل على دقة المنهج الإسلامي في التفرقة بين ما يوجب الحد وما يوجب التعزير.

الامر الثانى
بناء نظام اجتماعي آمن يحترم الخصوصية (المقصد الأكبر)

الآيات تضع أسس مجتمع تسوده الثقة والاحترام المتبادل:

1. احترام الإسلام لخصوصية الإنسان وكرامته
جاءت الآية لتعلن أن العرض خط أحمر. كما أن الدم محرم، فالعرض محرم. بل إن النبي ﷺ جعل قذف المحصنات من السبع الموبقات (المهلكات) . هذا يعني أن أمن المجتمع لا يتحقق فقط بحماية الأموال والأرواح، بل بحماية السمعة أيضاً.

2. دلالة تخصيص {المُحْصَنَاتِ} (المحصنات) بالذكر
الآية بدأت بـ {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ} ولم تقل "المحصنات والمحصنين". فلماذا خص النساء بـ الذكر مع أن قذف الرجال محرم أيضاً؟
· السبب الأول: شرف المنزلة: المحصنات هن العفائف الطاهرات. قذفهن أشنع وأقبح، لأن العفة في المرأة أبرز وأظهر، والطعن فيها أشد إيلاماً للمجتمع والأسرة.
· السبب الثاني: شرف العفة: تخصيص النساء هنا فيه إشارة إلى أن المرأة العفيفة هي درة المجتمع المكنونة، والمساس بها كالمساس بدرة التاج. حمايتها أولوية، ولذلك شدد في عقوبة من يتهمها.
· السبب الثالث: العلاقة بالآية السابقة: الآية الثالثة تحدثت عن "الزانية لا ينكحها إلا زان"، وهنا تتحدث عن "رمي المحصنات". فكأنه يقول: الزانية التي لا تؤمن، لا يليق بها إلا زان. أما المحصنات العفيفات، فمن رماهن بكذب، فعليه هذا الجزاء الشديد.

3. غرس خطورة اتهام النساء العفيفات (تطبيق معاصر)
في عصر وسائل التواصل الاجتماعي اليوم، تتكرر حملات التشهير والاتهامات العابرة للحدود. هذه الآ ية توقفني أمام مسئوليتي:
· عندما أرى اتهاماً لامرأة عفيفة: أتذكر أن الله توعد القاذفين باللعن والعذاب العظيم في آية لاحقة: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ المُحْصَنَاتِ الغَافِلَاتِ المُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور:23].
· كيف نطبق هذا؟:
· ضبط اللسان: لا أتحدث عن عرض أحد بسوء.
· عدم مشاركة الشائعات: أي منشور أو خبر يتهم امرأة بالفاحشة دون دليل، مشاركته تعني أنني شريك في الإثم.
· الدفاع عن الأعراض: إذا سمعت من يطعن في عرض مسلمة، يجب أن أرد عنه، كما قال النبي ﷺ: «من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة».

الامر الثالث

مفهوم التثبت والتحري (المنهج العقلي الإسلامي)
الآية تقول: {ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ}. هذا شرط صارم يربي الأمة على مبدأ "اليقين قبل الاتهام".
1. منهجية التثبت: قطع الطريق على الظنون والأوهام
الإسلام يرفض أن تبنى الأحكام على الظن والشك. لا يكفي أن "أنا متأكد" أو "الناس تتكلم". بل لا بد من دليل ملموس (أربعة شهود). هذا يقطع الطريق على:
· الروايات الكاذبة.
· الأوهام والتخرصات.
· الأحقاد الشخصية التي تدفع الناس لاتهام بعضهم.

2. الفرق بين المنهج الإسلامي وغيره من الحضارات
· في الحضارات القديمة: كانت الاتهامات تثبت بـ"المبارزة" أو "المحنة" أو "القسم" أو "العرافة و الكهانة". هذه وسائل غير موضوعية، ولا تضبطها معايير دقيقة.
· في الرؤى الفلسفية: قد تكتفي ب "اليقين العقلي" أو "الحدس".
· في الإسلام: قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات:6]. وقال: {وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ} [الإسراء:36]. الإسلام أسس منهجاً يقوم على:
· العلم: وليس الظن.
· البينة: وليس الدعوى.
· العدالة: وليس الهوى.

3. أثر هذا المنهج في التاريخ الإسلامي (علم الجرح والتعديل)
هذه المنهجية هي التي أنشأت علم الجرح والتعديل في الحديث النبوي. لم يقبلوا حديث أي راوٍ حتى يختبروا:
· عدالته (هل هو عفيف؟).
· ضبطه (هل ذاكرته قوية؟).
· لقاءه بشيخه (هل التقى به؟).
نتيجة ذلك: وصلت إلينا السنة النبوية محفوظة بدقة متناهية، لأن الأمة تربت على مبدأ "التثبت"

الذي تغرسه هذه الآية.

4. تربية الإنسان السوي
هذه الآية تربي في الإنسان شعوراً بالمسؤولية تجاه الكلمة:
· لا أتكلم إلا بعلم.
· لا أنقل خبراً إلا بعد التأكد.
· أعلم أن كلمتي سأسأل عنها أمام الله، وقد تدخلني في دائرة "الفاسقين" إذا قذفت بريئاً.

الامر الرابع

لماذا أربعة شهود تحديداً؟ (فلسفة العدد ودلالاته)

1. صعوبة توفر أربعة شهود: ستر وليس تعنتاً
اشتراط أربعة شهود ليس تعجيزاً، بل هو رحمة وستر على الناس . لأنه من المستحيل عملياً أن يتفق أربعة رجال عدول على رؤية واقعة زنا في نفس اللحظة والمكان، إلا إذا كانت الجريمة علنية ومكشوفة. وبالتالي، الحدود لا تقام إلا في حالات نادرة جداً، وهذا يغلق باب الاتهامات الكيدية.

2. مقارنة مع الجرائم الأخرى
· في القتل والسرقة: يكفي شاهدان.
· في الزنا: يشترط أربعة.
هذا التفاوت يدل على عظمة جريمة الزنا من جهة، وعلى شدة الحرص على صيانة الأعراض من جهة أخرى . فلو كان الشاهدان كافيين، لسهل على أي اثنين أن يتفقا على الكذب ويهدما سمعة إنسان.

3. شهادة أربعة: تغليظ في الشهادة
الإمام الماوردي يقول: "الشهادات تتغلظ بتغليظ المشهود فيه، فلما كان الزنا من أغلظ الفواحش، كانت الشهادة فيه أغلظ" . أي أن الشهود أنفسهم يجب أن يكونوا على درجة عالية من العدالة و الدقة، وأن يصفوا الواقعة بدقة متناهية (كدخول المرود في المكحلة) .

4. ماذا نتعلم من هذا؟
· صيانة المجتمع من الإشاعات: هذا الشرط يخلق جداراً منيعاً أمام أي محاولة لنشر الشائعات.
· احترام خصوصيات الناس: لا يمكن لأحد أن يتجسس أو يتتبع عورات الناس، لأن الشريعة لا تعترف بمثل هذه الأدلة.

الامر الخامس

شروط القذف (شروط القاذف والمقذوف)

1. شروط القاذف
· التكليف: بالغ عاقل.
· الاختيار: غير مكره.
· العلم بالتحريم.
· أن لا يكون أباً للمقذوف: جمهور الفقهاء يقولون: الأب إذا قذف ابنه لا يُحد، تغليباً لجانب البر و الصلة، ودرءاً للفضيحة، ولكن يعزر .

2. شروط المقذوف (المحصن)
· العفة: أن يكون عفيفاً عن الزنا.
· الحرية (عند الجمهور).
· الإسلام (عند الجمهور).
· البلوغ والعقل (عند الجمهور).
إذا اختل شرط من هذه، فالقاذف لا يُحد حد القذف (80 جلدة)، ولكن قد يُعزر لأنه آذى مسلماً.

الامر السادس

عقوبات القذف الثلاث (فاجلدوهم... ولا تقبلوا... وأولئك هم الفاسقون)

الآية رتبت على القذف ثلاث عقوبات متتابعة، كل منها تخدم غرضاً معيناً :

1. العقوبة البدنية: {فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً}
· العدد 80: أقل من حد الزنا (100) وأكثر من التعزير العادي. فيه من الألم والردع ما يكفي لزجر القاذف.
· العلانية: تفهم من سياق الآية السابقة (وليشهد عذابهما طائفة) أنها علنية أيضاً، ليكون عبرة للآ خرين.

2. العقوبة الاجتماعية: {وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا}
· المعنى: القاذف تسقط عدالته، فلا تقبل له شهادة في أي قضية مستقبلية.
· الحكمة: لأنه ثبت كذبه بقوله، فلم يعد أهلا ً للشهادة. هذه عقوبة رادعة، لأن من يفقد شهادته

يفقد مكانته الاجتماعية.
3. العقوبة المعنوية: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}
· الوصف بالفسق: هو إخراج له من زمرة العدول. الفاسق لا تثق الأمة في دينه. هذه وصمة عار تلاحقه في المجتمع.
· الأثر: هذا يخلق عزلة اجتماعية عن القاذف، لأنه أصبح متهم في دينه وصدقه.

الامر السابع

استثناء التوبة (إلا الذين تابوا) - رحمة الله الواسعة
1. شروط التوبة من القذف
الآية تقيد التوبة بشرطين: {مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوا}:
· {مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ}: دلالة على أن باب التوبة لا يغلق أبداً، مهما عظم الذنب. حتى بعد أن يجلد ويصبح فاسقاً، الطريق إلى الله مفتوح.
· {وَأَصْلَحُوا}: شرط الإصلاح يعني:
  · الإقلاع عن الذنب.
  · الندم على ما فات.
  · العزم على عدم العودة.
· الإصلاح العملي: وهو هنا خاص بالقذف: إكذاب النفس . أي يجب على القاذف أن يكذب نفسه أمام من سمعوا قذفه، ويقول: "كنت كاذباً في اتهامي لفلانة". هذا هو الإصلاح الحقيقي، لأنه يمحو أثر الجريمة (العار) الذي ألحقه بالمقذوفة.
2. هل يغفر الله دون إكذاب النفس؟
إذا كان القذف قد بلغ المقذوف، فلا بد من إكذاب النفس، لأنه حق آدمي. أما إذا لم يبلغه، أو كان في إخباره مفسدة أكبر، فيكفي أن يستغفر الله ويكثر من الحسنات .
3. حقيقة {غَفُورٌ رَّحِيمٌ}
الله يغفر للتائب، ويعيد له اعتباره. فبعد التوبة والإصلاح:
· ترفع عنه صفة الفسق.
· تقبل شهادته (عند جمهور العلماء) .
· يعود إلى المجتمع عضواً نافعاً صالحاً.
4. الدروس المستفادة من شرط الإصلاح
· الندم وحده لا يكفي: لا بد من عمل يمحو أثر الخطأ. من كسر شيئاً عليه أن يصلحه.
· الفرصة الثانية: الله يعطي الإنسان فرصة للنمو الروحي والأخلاقي، حتى بعد أكبر الكبائر.
· التعامل مع زلات الآخرين: إذا تاب المذنب وأصلح، يجب أن نقبل توبته وننسى الماضي، ونعامله برحمة.

الامر الثامن

خلاصة: بناء المجتمع الطاهر والحضارة الإسلامية بهذه الآيات
هاتان الآيتان كانتا لبنة أساسية في بناء الحضارة الإسلامية:
1. بناء الفرد: ربت في المسلم عزة ألا يتكلم إلا بحق، وألا يخوض في الأعراض، وأن يتثبت قبل أن ينقل خبراً. جعلت منه إنساناً مسؤولاً عن كلمته.
2. بناء المجتمع: خلقت مجتمعاً نظيفاً من الإشاعات والغيبة والنميمة. مجتمعاً تسوده الثقة، لأن الناس تعلم أن من يتكلم في عرض غيره سيواجه عقوبة رادعة في الدنيا قبل الآخرة.
3. بناء الدولة: أرست قاعدة أن الدولة مسؤولة عن حماية الأعراض، وأن القضاء هو صاحب الكلمة الفصل في ذلك. الدولة لا تترك الناس فريسة للشائعات والتشهير.
4. بناء الحضارة: حضارة لا تحمي الأعراض هي حضارة همجية. الحضارة الإسلامية تميزت بأنها جعلت من "السمعة" قيمة مقدسة، ووضعت لها من التشريعات ما يحميها من العابثين. هذه الآيات هي التي جعلت المجتمع المسلم مجتمعاً متحاباً متماسكاً، بعيداً عن الفوضى الأخلاقية التي تعصف بـ المجتمعات الأخرى.

خامسا

اللعان وأحكامه

هذا تفسير موسع وتحليل متكامل للآيات ٦-٩ من سورة النور:
{وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ (6) وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ (7) وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ۙ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (8) وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِن كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ (9)}

مستوعباً المفاهيم والرسائل والتوجيهات الربانيه مع ربطها بالدلالات البيانية والبلاغية والمقاصد التربوية والحضارية في بناء الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.

تمهيد: الآيات في سياقها وأسباب نزولها
بعد أن وضعت الآيات السابقة (٤-٥) القاعدة العامة في جريمة القذف (اتهام المحصنات بالزنا) وعاقبت القاذف بثمانين جلدة ورد شهادته ووصفه بالفسق، جاءت هذه الآيات لتستثني حالة خاصة جداً ودقيقة وحساسة، وهي حالة قذف الرجل لزوجته دون وجود شهود. فكيف نتعامل مع هذه الحالة التي لا تتوفر فيها البينة (أربعة شهود) والتي إن طبقنا عليها حكم القذف العادي لجلدنا الزوج وفسقناه، مما قد يظلمه إن كان صادقاً، ويؤدي إلى ضياع حقه وضياع نسب ولده. وفي المقابل، إن تركنا الزوج دون عقاب وهو كاذب، ظلمنا الزوجة البريئة وهتكنا عرضها.
هنا تدخلت هذه الآيات لتقدم "نظام اللعان" كحل إلهي فريد، يوازن بين حق الزوج في دفع التهمة عن نفسه (إن كان صادقاً) وحق الزوجة في دفع العقوبة عن نفسها (إن كانت صادقة). إنه نظام دقيق يعالج قضية تاهت فيها أعظم القوانين الوضعية.
أسباب النزول:
نزلت هذه الآيات في واقعة هلال بن أمية وقذفه لزوجته بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: «البينة أو حد في ظهرك». فقال هلال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا رجلا ً على امرأته أيلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: «البينة أو حد في ظهرك». فنزلت آيات اللعان . وكذلك في قصة عويمر العجلاني الذي جاء إلى النبي ﷺ وقال: أرأيت رجلا ً وجد مع امرأته رجلا ً، إن تكلم جلدتموه، وإن سكت سكت على غيظ، فأنزل الله آيات اللعان .
الامر الاول
: لماذا بدأ بقوله {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ} ولم يقل "الزوج الذي يقذف"؟
هذا الافتتاح يحمل دلالات بلاغية عميقة:
1. دقة التعبير بـ "يرمون"
الفعل "يرمي" أشد من "يقذف"، فالرمي هو القذف بقوة وبُعد، وفيه إشارة إلى أن هذه التهمة تسدد كالسهم إلى قلب الزوجة وعرضها وسمعتها. كما أن الرمي يوحي بالحرب والعداوة، وكأن الزوج بإتهامه لزوجته يعلن حرباً على بيت الزوجية. هذا التعبير ينبه إلى خطورة هذا الفعل وعظم وقعته.
2. دقة اللفظ "أزواجهم"
تخصيص الأزواج هنا له دلالة:
· إنها أشد أنواع القذف ألماً، لأنها تأتي من أقرب الناس وأعزهم.
· إنها القضية الوحيدة التي قد لا تتوفر فيها الشهود (فالزوج لا يدعو أحداً ليراه على فراشه)، فكان لا بد من استثنائها.
· إنها القضية التي تمس النسب والذرية، فكان لابد من علاج خاص.
3. مفهوم رحمة الله وعدله

هذه الآيات تجسد رحمة الله وعدله:
· العدل: أعطى الزوج فرصة لإثبات دعواه (إن كان صادقاً) باللعان، وأعطى الزوجة فرصة لدفع العقوبة عنها (إن كانت صادقة).
· الرحمة: أنقذ الأسرة من الضياع بين خيارين أحلاهما مرّ: إما أن يجلد الزوج الصادق، وإما أن تترك الزوجة البريئة دون نصير.
4. مفهوم حماية الأسرة وكرامتها

الإسلام يحرص على حماية الأسرة، لذلك:
· وفر حلا ً شرعياً يضمن احترام حقوق الزوجين في أضيق الحدود.
· صان سمعة المرأة (بأن جعل لها حق الدفاع عن نفسها).
· صان غيرة الرجل (بأن جعل له طريقاً شرعياً لدفع العار عن نفسه وعن نسبه).
الامر الثانى
الحكمة من طلب {شُهَدَاءَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ}
1. لماذا قبلت شهادة الرجل وحده في هذه الحالة؟
لأن الزنا الذي يطلع عليه الزوج في بيته لا يمكن أن يكون له شهود، فمن المعقول أن الزوج لا يدعو أحداً ليشاهده وهو يرى رجلا ً على زوجته. فلو اشترطنا أربعة شهود هنا لضاع حق الزوج الصادق ولانسد باب إثبات الحقيقة. فكان هذا استثناءً ورحمة.
2. ما الذي يستشعره الزوج عندما يطلب الله منه أربع شهادات بالله؟

عندما يقف الزوج أمام القاضي ويشهد أربع شهادات بالله، يستشعر:
· عظمة الموقف: إنه يقسم بالله العظيم أربع مرات.
· مسؤولية الشهادة: إنها شهادة عظيمة، فإن كذب تكون اللعنة عليه.
· جدية الدعوى: لا يمكن لأحد أن يتلاعب بهذا الإجراء العظيم.

· مراقبة الله: في كل شهادة يتذكر أن الله يراه ويعلم حقيقة ما يقول.
3. مفهوم الملاعنة (التعريف والضوابط والنتائج)
ما هي الملاعنة؟
هي عملية التخاصم بين الزوجين باللعان، بأن يقسم الزوج أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين في قذفه، ثم يقول الخامسة: إن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين. ثم تحلف الزوجة أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين، ثم تقول الخامسة: إن غضب الله عليها إن كان من الصادقين .
متى يلجأ إليها؟

· عندما يقذف الرجل زوجته بالزنا (أو ينفي ولدها منه) ولا يوجد له شهود إلا نفسه.
· بعد أن يأبى التكذيب والتصديق، ويرفض الاعتراف بكذبه.
ضوابطها:

· أن يكون القذف بالزنا أو نفي الولد .
· أن تتم أمام القاضي (الحاكم) .
· أن يصر الزوج على دعواه .
· أن تطلب الزوجة الدرء (الدفع عن نفسها) أو يطلب الزوج اللعان لنفي الولد .
نتائجها (بعد الفراغ من اللعان):

· الفرقة المؤبدة بين الزوجين (لا تحل له أبداً بعد ذلك) .
· سقوط حد القذف عن الزوج (لأنه أدى ما عليه).
· سقوط حد الزنا عن الزوجة (لأنها درأت عن نفسها باللعان).
· نفي نسب الولد عن الزوج (إن كان اللعان لنفي الولد) ويلحق الولد بأمه .
· الحدود الشرعية الأخرى (كلا الزوجين لا يحل لهما الزواج بعد ذلك دون إجراءات محددة).
4. كيف ساعد هذا النظام في تأسيس مجتمع طاهر؟
منع القذف العشوائي: جعل طريقاً واحداً لإثبات الزنا بين الزوجين، وهو طريق صعب وشاق، مما يردع الكثيرين عن القذف جزافاً.
· حماية الأعراض: ضمن حق الزوج في الدفاع عن شرفه، وحق الزوجة في الدفاع عن عرضها.
· قطع الطريق على الشائعات: أي كلام خارج نطاق هذا النظام يعتبر قذفاً يوجب الحد.
· بناء العدالة: جعل الحكم على أساس البينة، وليس على الشك والظن.
5. دور القرآن في تربية النزاهة وحماية الخصوصية
هذه الآيات تربي في المسلم سلوكاً رفيعاً:
· لا أنقل كلمة أو اتهاماً في عرض أحد دون دليل.
· لا أشيع أخباراً عن بيوت الناس وخصوصياتهم.
· إذا سمعت اتهاماً، تذكرت أن الله شرع لعقوبة عظيمة لمن يتهم بلا بينة.
· أعلم أن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

الامر الثالث

عظمة اللعان في إبراز الصدق وأهميته
1. الصدق هو أساس استقرار البيوت
الآية تقول عن الزوج الصادق: {إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ}. جعلت الصدق هو الركيزة الأولى. فالبيوت لا تبنى إلا على الصدق. فإذا كان الزوج صادقاً في دعواه، قبلت شهادته. وإذا كان صادقاً في حياته، استقر بيته. وإذا كان صادقاً مع الله، سعد في الدنيا والآخرة.
2. الإسلام ربى المؤمنين على الصدق كحالة خلقية طبيعية
المسلم الحق:
· الصدق عادته، حتى لو كان في الكذب منجاة.
· يتحرى الصدق في كل شؤونه، لأنه يعلم أن الصدق يهدي إلى البر.
· يحذر من الكذب، لأنه يهدي إلى الفجور.
3. تجليات عظمة الإسلام في هذه الآيات
هذه الآيات تظهر تفوق النظام الإسلامي على القوانين الوضعية:
· في القانون الوضعي: قد تاه القضاء في قضايا الزنا بين الزوجين، وضاعت حقوق الأب والطفل.
· في الإسلام: نظام اللعان دقيق جداً، يوازن بين جميع الحقوق، ولا يظلم أحداً، ويراعي الحالات النفسية للزوجين (الغيرة، الخوف على النسب، كرامة المرأة).
4. إظهار عدالة الله بالموازنة بين الحقين
الآيات تبرز العدل الإلهي العجيب:
· لا يضيع حق الزوج الصادق (إن كان صادقاً، قبلت شهادته).

· لا تضيع حق الزوجة البريئة (إن كانت صادقة، قبلت شهادتها).
· لا يضيع حق المجتمع (بعدم ترك الزناة دون عقاب).
· لا يضيع حق الولد (بنسبه إلى أمه إن نفي).
هذا هو التفوق الإلهي على القانون الوضعي الذي يقف عاجزاً أمام هذه المعضلات.

الامر الرابع

دلالة التوكيد باللعنة والغضب في الخامسة

1. لماذا التوكيد بالخامسة (اللعنة والغضب)؟

العدد أربعة في الشهادات فيه تغليظ وتوكيد، والخامسة هي "القسم الزائد" الذي يحسم الأمر:
· لعنة الله على الزوج إن كان كاذباً: اللعنة هي الطرد من رحمة الله. وهي أشد عقوبة معنوية، تدل على عظم جريمة الكذب في قذف الزوجة البريئة. هذا التهديد يمنع الزوج من الإقدام على اللعان إن كان كاذباً.
· غضب الله على الزوجة إن كانت كاذبة: الغضب هنا أشد من اللعنة؟ أو مساوٍ لها في الشدة. الغضب يدل على أن الزوجة إذا ادعت الكذب على زوجها الصادق، فقد استحقت غضب الله. التعبير بـ"الغضب" مناسب لحال المرأة، لأنه أشد وقعاً على نفسيتها.

2. ما معنى اللعنة والغضب؟

· اللعنة: البعد من الله والطرد من رحمته. من يلعنه الله فقد هلك.
· الغضب: سخط الله وعقابه. من يغضب الله عليه فقد خسر الدنيا والآخرة.

3. الضوابط الفاصلة في اللعان

اللعان ليس مجرد كلمات، بل هو إجراء دقيق:
· يتم أمام القضاء (ولي الأمر).
· يحذر القاضي الزوجين من عواقب الكذب قبل البدء.
· يبدأ الزوج بالشهادات الأربع ثم الخامسة.
· تليها الزوجة بنفس العدد (شهادات الأربع ثم الخامسة).
· بعد الانتهاء، يفرق بينهما ولا تحل له أبداً.

4. المفاهيم المستفادة

· تحريم القذف والتشهير: جعل الإسلام عقوبة عظيمة لمن يتهم الناس بلا بينة.
· وجوب التثبت والتوثيق: لا يؤخذ الناس بالظن والشائعات، لا بد من شهود أو لعان.
· خطر شهادة الزور: جعل الإسلام شهادة الزور من أكبر الكبائر، وقارنها بالشرك بالله .
· بناء النظم القانونية: هذه الآيات وضعت الأساس لأعقد القضايا القضائية (قضايا الأسرة والطلاق ونفي النسب).

الامر الخامس

الصدق أساس البيوت والطعن في الأعراض من كبائر الذنوب

1. تجسيد الآيات لعظمة ميثاق الزواج

الزواج في الإسلام ميثاق غليظ، كما قال تعالى: {وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا} [النساء:٢١]. واللعان يظهر هذه العظمة، حيث أن الزوجين يتعاملان معاً تحت مظلة هذا الميثاق، وإذا انتهك أحدهما هذا الميثاق بالكذب، استحق اللعنة أو الغضب.

2. تميز الإسلام على غيره من الأمم

· في الجاهلية: كان الرجل إذا اتهم زوجته، لا طريق له إلا القتل أو الصمت المذل.
· في اليهودية: كانت عقوبة الزنا الرجم، لكن لا نظام واضح للاتهامات.
· في النصرانية: لا نظام محكم لمثل هذه القضايا.
· في الإسلام: نظام اللعان نظام دقيق عادل، يوازن بين كل الحقوق.

3. تربية الإسلام للمسلمين على الصدق

الإسلام يربي في المسلم:
· النزاهة الشديدة: حتى في أضيق الظروف.
· الحرص على الطهارة في التعاملات.
· تحري الصدق والبعد عن الكذب، ولو كان في الكذب تبرئة للنفس.

الامر السادس

دلالة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب

هذا التخصيص يراعي الخصوصيات النفسية والاجتماعية:
· الرجل: جعل عقوبته "اللعنة" لأن الرجل هو المسؤول الأول عن الإنفاق والقيام على الأسرة، فإذا كذب في اتهامه، فقد انقلبت عليه اللعنة التي تليق بمن خان الأمانة.
· المرأة: جعل عقوبتها "الغضب" لأن المرأة أرق عاطفة، والغضب عليها أشد تأثيراً في نفسها، خاصة إذا كانت تعلم أن زوجها صادق وهي الكاذبة.

مفهوم "ويدرأ عنها العذاب"

"يدرأ" يعني يدفع. تدفع الزوجة عن نفسها حد الزنا (الرجم أو الجلد) بأن تحلف هذه الأيمان. هذا دفع للعذاب الدنيوي (الحد) لا الأخروي. وهي فرصة عظيمة أعطاها الله للمرأة لتدفع عن نفسها العقوبة إن كانت صادقة.

الامر السابع مفاهيم بناء الإنسان والمجتمع والحضارة في هذه الآيات

1. بناء الإنسان (التنمية البشرية)

· تربية الضمير: الأيمان الأربع والخامسة تربي ضمير الإنسان، وتجعله يحاسب نفسه قبل أن يقذف أحداً.

· تحمل المسؤولية الفردية: كل إنسان مسؤول عن قوله، ولا مفر من العقاب إن كان كاذباً.

· الارتقاء بالأخلاق: تجعل الإنسان يترفع عن قذف الناس والتشهير بهم.

2. بناء المجتمع

· مجتمع طاهر: لا يشيع فيه الفاحشة، ولا تُنتهك فيه الأعراض.

· مجتمع واعٍ: يعلم أن الشائعات مدمرة، وأن الاتهام لا بد له من دليل.

· مجتمع متماسك: الأسرة فيه مستقرة، لأن لها نظاماً يحميها من التفكك.

3. بناء الدولة ومؤسساتها القضائية

· قضاء عادل: أسس لأعقد القضايا (قضايا الأسرة) نظاماً دقيقاً لا يظلم أحداً.

· توثيق الأحكام: جعل الأحكام مبنية على البينات والإجراءات الرسمية (اللعان أمام القاضي).

· حماية النسب: من أرقى ما عرفته البشرية، حفظ النسب ومنع اختلاطه.

4. بناء الحضارة

هذه الآيات كانت لبنة أساسية في بناء حضارة إسلامية:

· قائمة على الأخلاق: الصدق، العدل، النزاهة.

· محترمة للخصوصية: لا تتجسس على الناس.

· عادلة في أحكامها: تعطي كل ذي حق حقه.

· متطورة في نظمها: تسبق جميع القوانين الوضعية في معالجة قضايا الأسرة.

لمسات بيانية وتجويدية في الآيات

1. {يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ}: الرمي أبلغ من القذف، وفيه تصوير لشدة الاتهام.
2. {شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ}: استثناء يدل على الوحدة، فهو الوحيد الذي يشهد.
3. {أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ}: التكرار أربعاً للتوكيد، وتقديم الجار والمجرور "بالله" للاهتمام.
4. {لَعْنَتَ اللَّهِ} و {غَضَبَ اللَّهِ}: التنويع بين اللعنة والغضب يراعي خصوصية كل من الزوجين.
5. {وَيَدْرَأُ}: فعل مضارع يدل على الاستمرار، أي أن هذا الحكم مستمر لكل امرأة ترمى.
6. الوقف في القراءة: الوقف على {الكَاذِبِينَ} في الآية (٦) و {الصَّادِقِينَ} في الآية (٨) مناسب، ثم البدء بالآية التالية التي تحدد الخامسة.

خلاصة شاملة

الآيات ٦-٩ من سورة النور تقدم نظام اللعان كنظام إلهي فريد لحماية الأسرة من التفكك، وصيانة ا لأعراض من الاتهامات، وتحقيق العدالة بين الزوجين. إنها تربي الإنسان على الصدق والمسؤولية، وتبني مجتمعاً طاهراً واعياً، وتؤسس لدولة قضائها عادل ونظمها متطورة، وتضع لبنة في صرح حضارة إسلامية قائمة على الأخلاق والعدل والرحمة.

المبحث الثانى

هذه إضافة تكميلية مركزة تبين الدلالة التربوية العميقة لترتيب الشهادات في اللعان (أربعاً ثم الخامسة)، وكيف جعل الإسلام للمرأة حق الملاعنة لدفع العذاب عنها، وصيانة كرامتها من مجرد اتهام الزوج، وإظهار الإعجاز التشريعي في هذه الآيات.

أولا ً: الدلالة التربوية لترتيب الشهادات (أربعاً ثم الخامسة)

.1التدرج في التوكيد: بناء الضمير قبل تطبيق العقوبة

ترتيب الشهادات على هذا النحو (أربع شهادات بالله ثم الخامسة باللعنة أو الغضب) يحمل رسالة تربوية عظيمة للمجتمع:

· الأربع الأولى) شهادات بالله(: هي بمثابة استنفار للضمير وتذكير بعظمة الله .عندما يقف الزوج ويقسم بالله أربع مرات متتالية، فإن كل قسم يعيد إليه وعيه بمراقبة الله له .هذا التكرار ليس عبثياً، بل هو صدمات متتالية للروح كي تستيقظ من غفلتها، وكي يتأكد القاضي والمجتمع أن الرجل جاد في دعواه، وأنه يستحضر الله في كل مرة.

· الخامسة) لعنة الله أو غضبه(: هي القمة والحسم .بعد أربع شهادات، يأتي القسم الخامس ليضيف عنصر اللعنة) للرجل (أو الغضب) للمرأة .(هذا ليس مجرد تكرار، بل هو توكيد بنوع جديد من العقوبة المعنوية، وهي الطرد من رحمة الله .هذا الخامس هو الذي يجعل الإنسان يتوقف ألف مرة قبل أن يكذب، لأن الكذب هنا لا يجرّ عليه حداً دنيوياً فقط، بل لعنة الله في الآخرة.

.2تربية المجتمع على تحمل المسؤولية

هذا الترتيب يربي المجتمع على أن الكلمة العظيمة تحتاج إلى توكيد عظيم. فالاتهام بالزنا ليس كلاماً عابراً، بل هو قذف يحتاج إلى وقفة جادة أمام الله. المجتمع يتعلم أن:

· القسَم ليس هيناً، وأن التلفظ باسم الله أربع مرات متتالية أمر جلل.
· اللعنة والغضب هما مصير من يتلاعب بحدود الله.
3.خلق حالة من الرهبة في النفوس
التكرار المقترن باللعن والغضب يخلق في نفس الزوجين (وفي نفوس المجتمع) حالة من الرهبة والإجـ لال. لا يمكن لأحد أن يقدم على اللعان بسهولة، لأن قلبه يرتجف من تبعات الخامسة. هذه الرهبة هي التي تحمي الأعراض، وتمنع العبث بهذا الإجراء العظيم.
ثانياً: المرأة وحقها في الملاعنة (صيانة الكرامة والعدل)
1.المرأة ليست مجرد متهمة
أعظم ما في هذه الآيات أنها تعطي المرأة حقاً مستقلا ً في الدفاع عن نفسها. هي ليست مجرد متهمة صامتة يقرر القاضي مصيرها، بل هي خصم له كلمته وحقه. يقول تعالى: {وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ}. هذا "الدرء" (الدفع) هو حق أصيل للمرأة.
2.لماذا جعل الله للمرأة هذا الحق؟
· لأنها الأضعف في المجتمع عادة، وقد يتجرأ الزوج على اتهامها ظلماً.
· لأن الاتهام يمس عرضها، وهو أغلى ما تملك.
· لأن صمتها يعني قبولها بالعقوبة) الرجم أو الجلد(، وهذا ظلم لو كانت بريئة.
3.الملاعنة: درع حماية المرأة
الملاعنة ليست مجرد إجراء شكلي، بل هي:
· درع يحميها من عقوبة الزنا) الرجم أو الجلد.(
· فرصة لإثبات براءتها أمام الله والمجتمع.
· إعلان أنها لا تقبل الظلم، وأن لها كرامة مصونة.
4.المرأة لا تؤخذ بمجرد اتهام الزوج
هذا هو عين العدل الإلهي. ففي بعض القوانين الوضعية، قد يكفي اتهام الزوج لتشويه سمعة المرأة أو حتى معاقبتها. أما في الإسلام، فاتهام الزوج هو مجرد بداية إجراءات، والمرأة لها حق الرد و الدفاع بنفس القوة (أربع شهادات). إنها موازنة دقيقة بين حق الزوج في الشك وحق الزوجة في البراءة.
ثالثاً: إعجاز القرآن في تشريع اللعان
هذه الآيات تمثل قمة الإعجاز التشريعي في القرآن من عدة وجوه:
1.الإعجاز في معالجة أزمة مستعصية
قضية اتهام الزوج لزوجته بالزنا كانت من أعقد القضايا التي عرفتها البشرية. القوانين الوضعية حارت فيها:
· القوانين الغربية: بعضها أهمل القضية تماماً، واعتبر أن ما يحدث بين الزوجين لا يعنيه، مما أضاع حق الزوج الصادق وشجع على الفاحشة.
· القوانين الأخرى: جعلت العقوبة على الزوج إن لم يثبت، فظلمت الصادق، أو جعلت العقوبة على الزوجة إن صدق الزوج، فظلمت البريئة.
· الإسلام: جاء بنظام الملاعنة الذي وازن بين جميع الأطراف، وأعطى كلا ً من الزوجين حق الدفاع عن نفسه بنفس القوة، وجعل الفصل النهائي في الآخرة) باللعنة والغضب.(
2.الإعجاز في مراعاة الحالة النفسية للزوجين
القرآن راعى:
· غيرة الرجل: أعطاه طريقاً لدفع العار عن نفسه دون أن يضطر للقتل أو الصمت.
· كرامة المرأة: أعطاها حق الدفاع عن عرضها دون أن تكون ضحية لاتهامات زوجها.
· مشاعر المجتمع: جعل العقوبات معنوية) اللعنة والغضب (لتتناسب مع عظم الجريمة.
3.الإعجاز في استخدام الألفاظ
·} يَرْمُونَ{: تصوير دقيق لشدة الاتهام.
·} أَزْوَاجَهُمْ{: تخصيص يبين خصوصية العلاقة.
·} لَعْنَتَ اللَّهِ {و} غَضَبَ اللَّهِ{: التفرقة بين اللعنة) للرجل (والغضب) للمرأة (تراعي طبيعة كل منهما، فـ الرجل يُطرد من رحمة الله بلعنة، والمرأة يُسلط عليها غضبه، وهما عقوبتان متكاملتان.
4.الإعجاز في حماية النسب
الملاعنة هي الآلية الوحيدة التي تمكن الرجل من نفي ولد زوجته إذا كان متأكداً من عدم نسبه إليه. هذا الحكم يحمي الأنساب من الاختلاط، ويضمن نقاوة الدماء، وهو من أعظم ما عني به الإسلام.
5.الإعجاز في جعل الحل متكاملا ً
نظام اللعان ليس مجرد عقوبة، بل هو نظام متكامل:
· قضائي: يتم أمام القاضي.
· اجتماعي: يشهده المجتمع) عادة بحضور طائفة.(
· نفسي: يراعي الحالة النفسية للزوجين.
· عقدي: يربط الحكم بالله واليوم الآخر.

· أسري: يحمي الأسرة من التفكك) أو يؤسس لتفكك نظيف إن لزم.(
رابعاً: الآيات ودورها في بناء المجتمع والدولة
.1بناء المجتمع الراقي
هذه الآيات تربي مجتمعاً:
· يحترم الخصوصيات: لا يتدخل في شؤون الأسر.
· يحترم المرأة: لا يصدق الاتهامات ضدها بسهولة.
· يقدس الصدق: يعرف أن الكذب له عواقب دنيوية وأخروية.
· يخاف الله: لأن اللعنة والغضب الإلهيان حاضرتان في الذهنية.
.2بناء الدولة ومؤسساتها القضائية
· تأسيس قضاء أسري متخصص: الحاجة إلى قاضٍ يفقه في هذه القضايا.
· توثيق الأحكام: ضرورة توثيق إجراءات اللعان رسمياً.
· حماية النسب: إنشاء سجلات للأحوال الشخصية تحفظ الأنساب.
.3بناء الإنسان) التنمية البشرية(
· الإنسان الصادق: يتحرى الصدق في كل أقواله.
· الإنسان العادل: لا يظلم حتى من يظن أنه مخطئ.
· الإنسان المسؤول: يعلم أن كلمته ستسأل عنها
خلاصة
الآيات ٦-٩ من سورة النور تقدم نظام اللعان كنموذج فريد للعدالة الإلهية، التي:
· تربي الضمير بتكرار الشهادات والتوكيد باللعنة والغضب.
· تصون كرامة المرأة بمنحها حق الدفاع عن نفسها بنفس قوة الرجل.
· تحمي الأنساب من الاختلاط.
· تبني مجتمعاً راقياً قائماً على الصدق والعدل.
· تؤسس لدولة قضاؤها عادل ونظمها متطورة.
إنه إعجاز تشريعي لا يمكن أن يأتي إلا من خالق يعلم دقائق النفوس وتعقيدات العلاقات الإنسانية. {فَإِنَّ اللهَ كانَ عَفُوًّا قَدِيرًا} .
سادسا
هذا تفسير موسع للآية العاشرة من سورة النور: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}، مستوعباً المفاهيم والدروس والرسائل والتوجيهات الربانيه في الايه مع ربطها بالدلالات البيانية والبلاغية والمقاصد التربوية والحضارية في بناء الفرد والأسرة والمجتمع والدولة.
تمهيد: الآية في سياقها ومناسبتها
هذه الآية تأتي ختاماً لمقطع اللعان (الآيات ٦-٩) الذي سبق أن فصّلنا القول فيه. بعد أن بيّن الله تعالى حكم قذف الأزواج لزوجاتهم، وشرع نظام الملاعنة كحل إلهي فريد لهذه المعضلة، تأتي هذه ا لآية لتكون بمثابة تذييل وتعقيب يبيّن عظمة هذا التشريع، ويُذكّر الأمة كلها بنعمة الله العظيمة عليها بهذا الحكم . إنها آية الامتنان الإلهي بعد آيات التكليف، وتذكير بأن كل هذا التشريع ما هو إ لا فضل من الله ورحمة.
الآية تربط بين ما سبقها من أحكام و ما سيأتي بعدها من آيات الإفك (الآيات ١١-٢٠)، فهي تشير إلى أن ما سيُذكر من حادثة الإفك وبراءة السيدة عائشة هو أيضاً من فضل الله ورحمته بهذه الأ مة .
الامر الاول
دلالة حذف جواب {وَلَوْلَا} وبلاغة الحذف
الجملة الشرطية {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ...} افتُتحت بأداة الشرط "لولا" التي تفيد امتناع الجواب لوجود الشرط. أي أن وجود "فضل الله ورحمته" هو الذي منع حدوث أمر عظيم. ولكن ما هذا الأمر العظيم الذي منع حدوثه؟ هنا يكمن الإعجاز البلاغي: حُذف جواب "لولا" عمداً .
لم يذكر الله تعالى: "لكان كذا وكذا"، بل ترك الجواب محذوفاً. وهذا الحذف له دلالات عميقة:
1. للتهويل والتعظيم: حذف الجواب يُشعر السامع بأن الأمر الذي مُنع حدوثه هو أمر عظيم لا يمكن التعبير عنه بكلمات، ولا يُحيط به وصف. إنه أمر مهول لو وقع لفسدت به السماوات والأ رض . وقد قال العلماء: "رب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به" . فترك الجواب مبهماً يترك العقل يتخيل أهوالا ً لو حدثت لكانت كارثة على الأمة.
2. ليشمل كل محذور: الحذف يجعل المعنى عاماً وشاملا ً لكل ما يمكن أن يقع من شر. فبدلا ً من حصر الجواب في أمر واحد (كفضيحة الزوجين أو وقوع الحد باطلا ً)، يكون المعنى: لولا فضل الله ورحمته لحدثت أمور عظيمة من الفساد والفتن والفضائح والمشكلات المستعصية التي لا تُعد ولا تُحصى .
3. لإثارة الذهن والتفكر: الحذف يدعو المؤمن إلى التفكر والتأمل في نعم الله التي لا تُعد، والتي منها هذا التشريع الحكيم، فيزداد شكراً لله وتعلقاً به.
وقد ذكر المفسرون تقديرات محتملة لهذا الجواب المحذوف، منها :

· لولا فضل الله ورحمته لفضحتم في الدنيا والآخرة.
· لولا ذلك لحلّ بالكاذب من المتلاعنين ما دعا به على نفسه من اللعنة والغضب عاجلا ً.
· لولا ذلك لضاقت عليكم الأمور ولوقعتم في الحرج والعنت.
· لولا ذلك لتبين الكاذب منكما من أول مرة دون حاجة إلى هذا الإجراء .

الامر الثانى

معنى الفضل والرحمة في الآية

الآية تجمع بين وصفين عظيمين لله: الفضل والرحمة، ولكل منهما مدلوله .

1. فضل الله: هو الزيادة والعطاء الذي لا يستحقه العبد. فالله تفضل على هذه الأمة بأن شرع لها نظام اللعان، وهذا تفضل محض منه، لم يكن العبد أهلا ً له ولا مستحقاً له بعمله. هو فضل في التشريع، فضل في الهداية، فضل في البيان .

2. رحمة الله: هي صفته التي تقتضي العناية بالخلق وإرادة الخير لهم. فرحمته بهذه الأمة اقتضت أن لا يتركهم في حيرتهم (كيف يتصرف الزوج الغيور؟) بل فتح لهم باباً للخلاص. رحمته اقتضت أن يدفع عن الزوجين العقوبة التي قد تقع ظلماً .

كيف نستشعر هذه النعمة في حياتنا العملية؟

· استشعار العجز: أن نعلم أننا لولا توفيق الله وفضله لكنا في ضلال مبين.
· الشكر العملي: أن نشكر الله على نعمة الإسلام وعلى تشريعاته التي تحمينا.
· التعامل بها: عندما نرى أسرة توشك على الانهيار بسبب الشكوك، نتذكر أن الله شرع اللعان ليحل هذه المشكلة، فنحمد الله على هذه الرحمة.

الستر الإلهي قبل العقوبة

الآية تشير إلى أن من مظاهر فضل الله ورحمته أنه يستر عباده ولا يفضحهم بذنوبهم. ففي قصة اللعان، لو لم يشرع الله هذا الحكم، لكان مصير الزوج الصادق أن يُحد (يُجلد) وهو صادق، ومصير الزوجة الكاذبة أن تفتضح وترجم. فستر الله عليهم بهذا التشريع، فلم يفتضح كاذب، ولم يُعاقب صادق. هذا الستر هو فضل ورحمة .

الامر الثالث

مفهوم التخفيف في تشريع الملاعنة

الآية تشير ضمنياً إلى أن تشريع اللعان هو تخفيف وتيسير من الله بالأمة .

ما هو التخفيف المقصود؟

التخفيف هنا هو رفع الحرج والمشقة التي كانت ستلحق بالزوجين وبالمجتمع لو تُرك الأمر دون تشريع.

· تخفيف عن الزوج: أعطاه مخرجاً شرعياً غير القتل أو الصمت المذل.
· تخفيف عن الزوجة: أعطاها حق الدفاع عن نفسها بدرء العذاب عنها.
· تخفيف عن المجتمع: حماه من الفوضى والفتن التي كانت ستنتج عن هذه القضايا.

كيف كان اللعان ستراً وفضلا ً؟

اللعان ستر:

· للكاذب: فمن كان كاذباً من الزوجين، استر بستره حتى لا يفتضح في الدنيا، مع بقاء عقوبة الآ خرة (اللعنة أو الغضب) عليه إن لم يتب.
· للصادق: لم يُفضح أمره بمعاقبته ظلماً.

الامر الرابع

مناسبة الختام بـ {توّابٌ حَكِيمٌ} دون "رحيم"

لاحظنا أن الآية خُتمت باسمين من أسماء الله الحسنى: {توّابٌ حَكِيمٌ}، ولم تختم بـ {غفور رحيم} مثلا ً. وهذا له دلالة عميقة .

1. لماذا {توّابٌ}؟

· التوبة بعد الذنب: بعد أن يقع الإنسان في ذنب (كقذف الزوجة أو الزنا)، يفتح الله له باب التوبة. والتواب صيغة مبالغة تدل على كثرة قبوله للتوبة، وأنه لا يمل من قبول توبة عباده مهما تكررت ذنوبهم .
· التوبة من القذف: في سياق اللعان، التوبة تعني أن يعود الإنسان إلى الله، ويكذب نفسه إذا كان كاذباً، ويصلح من حاله. فمناسب ذكر "التواب" هنا لأن الآيات السابقة قد تورط فيها أناس (كالزوج الكاذب أو الزوجة الكاذبة) فباب التوبة مفتوح لهم.
· عودة الفضل والرحمة: التوبة تعيد للعبد ما فقده من فضل الله ورحمته.

2. لماذا {حَكِيمٌ} ولم يقل "رحيم"؟

هذا هو السر البلاغي العظيم:

· الحكمة في التشريع: الله حكيم يضع كل شيء في موضعه. شرع اللعان بحكمة بالغة، فوازن بين حقوق الزوجين، ووضع حداً للصراع، وحافظ على الأنساب، ودفع الحدود بالشبهات. كل هذا يحتاج

إلى حكمة إلهية بالغة، لا مجرد رحمة .
· الموازنة بين الرحمة والشدة: لو قال "رحيم" لفهم أن الأمر كله رحمة ومغفرة، ولكن في أحكام اللعان شدة (اللعنة والغضب) أيضاً. فذكر "الحكيم" يشير إلى أن كل ما شرعه الله، سواء كان رحمة أو شدة، هو بحكمة بالغة، وأن الشدة موضوعة في موضعها الصحيح .
· تربية المؤمن على التوازن: المؤمن مطالب بأن يكون "تواباً" (أي كثير الرجوع إلى الله) وفي نفس الوقت "حكيماً" في تعامله مع محيطه، فلا يفرط في الرحمة فتتحول إلى ضعف، ولا يفرط في الشدة فتتحول إلى قسوة. هذا هو منهج الإسلام الوسطي .
3. التلازم بين التواب والحكيم
جمع الله بين الاسمين ليبين أن توبته سبحانه هي بحكمة. فهو يقبل التوبة ممن يشاء متى شاء بحسب حكمته البالغة. كما أن التوبة التي يقبلها ليست مجرد كلمات، بل هي توبة تتطلب إصلاحاً وعملا ً، وهذا هو عين الحكمة .
الامر الخامس
دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة
هذه الآية القصيرة تحمل برنامجاً متكاملا ً لبناء الفرد والمجتمع:
1. بناء الإنسان (التنمية البشرية)
· استشعار النعمة: تربي في الإنسان فضيلة الشكر، واستشعار أن كل خير فيه هو من فضل الله.
· عدم اليأس من رحمة الله: مهما عظم الذنب (كالبهتان والقذف)، فباب التوبة مفتوح .
· الموازنة بين الرجاء والخوف: الإنسان يعيش بين رجاء فضل الله ورحمته، وخوف أن يكون من الكاذبين الذين عليهم اللعنة أو الغضب.
· الترفع عن الشائعات: من استشعر أن الله قد يستر عليه إذا أذنب، فإنه يستر على الآخرين ولا يخوض في أعراضهم.
2. بناء المجتمع
· مجتمع التماسك: عندما يعلم الناس أن الله شرع لهم أحكاماً تحل مشاكلهم العويصة (كاللعان)، يزداد تماسكهم وثقتهم بربهم أولا ً وبقادتهم ثانياً.
· مجتمع التآخي: الآية تذكر المجتمع بأن بقاءه واستقراره إنما هو بفضل الله ورحمته، وهذا يخلق حالة من التواضع الجماعي، ويمنع الغرور.
· مجتمع صيانة الأعراض: الآية تذكير دائم بأن الله تولى بنفسه حماية أعراض المؤمنين بهذا التشريع الحكيم، فمن يعبث بالأعراض فهو يعبث بفضل الله ورحمته.
3. بناء الدولة والنظام
· التشريع الحكيم أساس الدولة: الدولة التي تبنى على تشريعات الله الحكيمة (كما في اللعان) هي دولة راسخة، لأنها تعالج المشاكل من جذورها بحكمة.
· العدالة بين الزوجين: النظام القضائي في الدولة الإسلامية يجب أن يراعي هذه الموازين الدقيقة، ولا يظلم أحداً.
· الاستفادة من باب التوبة: الدولة تشجع على التوبة والإصلاح، فلا تغلق الأبواب في وجه المذنبين التائبين، بل تعيد لهم اعتبارهم بعد التوبة الصادقة .
لمسات بيانية وتجويدية في الآية
1. الالتفات: الآية انتقلت من أسلوب الغيبة (في الحديث عن الزوجين) إلى أسلوب الخطاب المباشر {عليكم}، وهذا الالتفات للعناية والاهتمام، وكأن الله يوجه الخطاب إلى كل فرد في الأمة ليشعر أن هذا الفضل والرحمة شامل له .
2. حذف الجواب: كما فصّلنا، أعظم لمسة بلاغية.
3. المصدر المؤول {وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ}: عطف المصدر المؤول (أن الله تواب) على المصدر الصريح (فضل الله) يفيد أن هذه الصفات (التوابية والحكمة) هي أيضاً من أسباب دفع الشر عن الأ مة .
4. التناسب اللفظي: كلمة {تَوَّابٌ} تتناسب مع ما قبلها من ذكر التوبة في قصة الإفك (الآيات القادمة)، وكلمة {حَكِيمٌ} تتناسب مع ما قبلها من أحكام محكمة دقيقة .
الخلاصة الشاملة
الآية العاشرة من سورة النور هي بمثابة تاج أحكام اللعان. إنها تذكر الأمة كلها بأن ما نعيشه من أمن واستقرار في أعراضنا وأسرنا إنما هو بفضل من الله ورحمة. تحذف الجواب لتهول في نفس المؤمن ما كان سيحدث لولا هذا الفضل، وتختم باسمي {تَوَّابٌ حَكِيمٌ} لتربي فينا ألا نيأس من التوبة، وألا ننسى الحكمة في كل شيء.
المبحث الثانى
هذه إضافة تكميلية تبين كيف ترسخ الآية العاشرة من سورة النور {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ} منهجاً متكاملا ً للحياة يقوم على أربع ركائز أساسية: اليقظة الضميرية، ستر العيوب، الثقة برحمة الله، والالتزام بحدود المجتمع. إنها آية تعيد تشكيل الوعي الفردي والجمعي

ليعيش المؤمن في نور الله مستشعراً فضله، ملتزماً بشرعه، رحيماً بخلقه.
أولا ً: كيف نعيش بضمير يقظ؟ (استشعار الفضل والرحمة)
الآية توقظ الضمير الإنساني من خلال تذكيره الدائم بـ "فضل الله" و "رحمته". العيش بضمير يقظ يعني:
.1محاسبة النفس الدائمة: عندما يوقن المؤمن أن بقاءه واستقراره وستره إنما هو بفضل الله لا بعمله، فإنه يصبح أكثر وعياً بأفعاله .يسأل نفسه قبل كل كلمة: هل هذا الكلام يرضي الله الذي يسترني؟ قبل كل نظرة: هل هذه النظرة تليق بمن أنا غارق في نعمته؟
.2استشعار المراقبة الإلهية: معرفة أن "الله تواب" تعني أنه يراقب عودة عبده إليه، فيستحيي المؤمن أن يراه الله حيث نهاه .واستشعار أنه "حكيم" يجعله يثق بأن كل تكليف شرعي له حكمة بـ الغة، فينقاد له بوعي وإدراك.
.3اليقظة قبل الزلة: الضمير اليقظ هو الذي يعمل كجهاز إنذار مبكر .قبل أن يهم المسلم بمعصية) ك النميمة أو الغيبة أو اتهام بريء(، يتذكر أن لولا فضل الله عليه لكان مكان هذا المذنب .هذا التذكر يردعه عن الانزلاق.
ثانياً: كيف نستر العيوب؟ (التخلق بخلق الستر الإلهي)

الآية تشير ضمناً إلى أن الله قد ستر على المتلاعنين (الكاذب منهما) ولم يفضحهم في الدنيا. هذا الستر الإلهي يعلّمنا:
.1الستر على المذنب: من يتذوق حلاوة ستر الله عليه، يجتهد في ستر عيوب الآخرين .قال النبي ﷺ:» وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ . «فالآية تربي فينا خلق الستر، فلا نتبع عورات الناس، ولا نفضح من وقع في معصية، ما لم يصل الأمر إلى حد الجريمة التي تستوجب العقوبة لحماية المجتمع.
.2عدم التجسس: من مقتضيات الستر ألا نبحث عن عيوب الآخرين .فالآية التي تسبقها شرعت اللعان في حالة الشك، ولم تشرع التجسس .المجتمع الذي يستر عيوبه هو مجتمع متماسك، بعكس المجتمع الذي يشيع فيه الفسق والفجور بالبحث عن الفضائح.
.3الستر مع النصيحة: الستر لا يعني السكوت عن المنكر، بل يعني أن ننصح المخطئ سراً، ونستره على الناس، ولا نفضحه أمام الملأ.
ثالثاً: كيف نثق برحمة الله؟ (بين الخوف والرجاء)

الآية تجمع بين {فَضْلُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ} و{تَوّابٌ حَكِيمٌ} لتغرس فينا ثقة متوازنة بـالله:
.1الثقة مع عدم اليأس: مهما عظم الذنب) كالبهتان والقذف(، فباب التوبة مفتوح} .تَوّابٌ {تعني أن الله ينتظر عودة عبده ليقبل توبته .هذه الثقة تمنع الإنسان من الانزلاق إلى هاوية اليأس والقنوط.
.2الثقة مع عدم التواكل: الثقة برحمة الله لا تعني التكاسل عن العمل، بل تعني أننا نبذل الأسباب ونتوب ثم نثق بقبوله} .حَكِيمٌ {تذكرنا أن قبوله للتوبة ليس عشوائياً، بل بحكمة، وأن من شروطها الإخ لاص والصدق.
.3الثقة في الشدائد: عندما تواجه الأسرة أزمة كاتهام الزوج لزوجته، يذكرها الله أن هناك حلا ً)اللعان (هو فضل ورحمة، فلا تيأسوا من رحمتي .هذه الثقة تمنح الأسرة قوة لمواجهة المحن.
رابعاً: كيف نلتزم بحدود المجتمع؟ (الحكمة في التشريع والالتزام)

الآية تختم بـ {حَكِيمٌ} لتؤكد أن الأحكام الشرعية (ومنها حدود الزنا والقذف واللعان) ليست تعجيزاً، بل هي حدود مرسومة بحكمة لصيانة المجتمع.
.1الالتزام الواعي: نلتزم بحدود الله ليس خوفاً فقط، بل إيماناً بأنها حكيمة، وأن تطبيقها يحقق مصلحة الفرد والمجتمع .نلتزم بحد الزنا) الجلد (لأنه يحمي الأعراض، ونلتزم بحد القذف) ثمانين جلدة (لأنه يصون السمعة، ونلتزم بأحكام اللعان لأنها تحل أعقد المشاكل الأسرية.
.2الحدود صيانة للحريات: النظرة الصحيحة للحدود أنها تحرر الإنسان من الفوضى والفساد .المجتمع الذي لا حدود له هو مجتمع يعمه الظلم والاعتداء على الأعراض .الحدود الإلهية هي التي تضمن للجميع حياة كريمة آمنة.
.3التوازن بين الحقوق: الآية تذكرنا أن المجتمع المتوازن هو الذي يحفظ حق الزوج في غيرته وحق الزوجة في كرامتها، ويوازن بينهما بحكمة إلهية .هذا التوازن هو أساس الاستقرار المجتمعي.
خامساً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة

.1بناء الإنسان) الضمير الحي(:
- يخرج المؤمن من هذه الآية وقد تشكل وجدانه على المراقبة الذاتية.
- يصبح إنساناً ستّاراً لا فضولياً.
- يعيش بين الخوف والرجاء، فلا ييأس ولا يأمن.
- يصبح ملتزماً بالحدود عن قناعة لا عن إكراه.

.2بناء المجتمع) المجتمع الراقي(:
· مجتمع الستر: لا تتحول فيه البيوت إلى فضائح على الملأ.
· مجتمع الثقة: يسود فيه الاحترام المتبادل، والثقة بأن الأعراض مصانة.
· مجتمع التوازن: لا يميل إلى القسوة الفارغة ولا إلى التسيب المفسد.
· مجتمع التماسك: الأسر فيه مستقرة لأن فيها نظاماً يحميها (اللعان) ورحمة تسترها.
.3بناء الدولة) الدولة الحكيمة(:
· الدولة الحكيمة هي التي تضع حدود الله نصب أعينها في تشريعاتها، وتطبقها بحكمة وعدل.
· الدولة الستّارة هي التي تحمي خصوصية المواطنين ولا تتجسس عليهم، ولكنها لا تتهاون في إقامة الحدود إذا وصلت إليها القضية بالطرق الشرعية.
· الدولة التوّابة هي التي تفتح باب الإصلاح لكل مذنب، ولا تقفل الأبواب في وجه التائبين، وتعطيهم فرصة ثانية للمشاركة في بناء المجتمع.
خلاصة تطبيقية: كيف نعيش بهذه الآية؟

.1في حياتنا الشخصية: كل صباح، أستشعر أنني لولا فضل الله لكنت في حال أسوأ، فأشكره وأستقبل يومي بضمير يقظ.
.2في تعاملاتنا الأسرية: إذا رأيت زلة من أحد أفراد أسرتي، أستره وأنصحه سراً، وأذكره برحمة الله الواسعة.
.3في علاقاتنا الاجتماعية: لا أشارك في نشر الشائعات، ولا أصدق كل ما يقال عن أعراض الناس، بل أذكر نفسي والآخرين بقوله تعالى:} لَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ.{
.4في التزامنا بالدين: أؤمن بأن حدود الله ليست قيوداً، بل هي حماية لي وللمجتمع، وأن الحكمة الإلهية وراءها عظيمة وإن لم أدركها كلها.
القسم الثانى
اولا
تفسير الآية 11 من سورة النور (آية الإفك)
هذه الآية الكريمة هي مفتاح قصة الإفك، وأساس البراءة الإلهية لأم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. قال تعالى:
{إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ۚ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [سورة النور: 11].
الامر الاول
مفهوم "الإفك" وسبب التسمية
مفهوم الإفك: "الإفك" في اللغة العربية هو أشد الكذب وأقبحه وأفظعه . إنه الكذب الذي يقلب الحقائق رأساً على عقب، فيجعل البريء متهماً، والطاهر نجساً. وقد خصّه الله بهذا الاسم لشناعته وعظمته.
لماذا سماه الله بهذا الاسم؟
سماه الله إفكاً لأنه قلب للحقائق وتقوّل على بيت النبوة والطهارة بما هو مناقض لشأنهم. السيدة عائشة رضي الله عنها كانت زوج النبي في الدنيا والآخرة، فاتهامها بهذا الأمر هو أشنع الكذب وأبشعه .
الامر الثانى
الابتلاء النبوي ودروس الصبر والحكم
لقد تعرض النبي ﷺ لأذى نفسي شديد؛ فقد طُعن في عرضه وأهله، وهو القائد والداعية. ومع ذلك، صبر ولم يتخذ إجراءات عقابية ضد المتهمين فوراً.
1. دلالة ابتلاء الرسول وانقطاع الوحي
تخيل أن القائد الأعلى للدولة يتعرض لإشاعة تمس شرفه وشرف بيته، ويمكث شهراً كاملا ً لا يوحى إليه في هذا الشأن . لم يتحرك النبي ﷺ بعقوبة رادعة إلا بعد نزول الوحي، رغم أنه كان يستطيع ذلك بصفته القائد.
الرساله والتوجيه: هذا الموقف يجسد مبدأ عظيماً: احترام الشرع وعدم تقديم الأهواء عليه. فالحاكم في الإسلام ليس فوق القانون، بل هو أول من يلتزم به وينتظر حكم الله. النبي ﷺ علم أن الأمر لا يُحل باجتهاده الشخصي أو بسلطته، بل بشرع الله. إنه درس للأمة جمعاء: الحكام والمواطنين مطالبون بالتحاكم إلى شرع الله وانتظار حكمه في النوازل.
2. تحويل المحنة إلى منحة
الابتلاء الذي تتعرض له في حياتك له غاية حميدة. من كان يظن أن هذه المحنة ستصبح نوراً يتلى إلى يوم القيامة؟ لقد حولها الله إلى:
· تبرئة لأم المؤمنين من السماء.
· تشريع لأحكام القذف وحفظ الأعراض .
· تكفير للسيئات ورفع للدرجات .

· تمحيص للمؤمنين وتمييز للمنافقين.
3. قيمة الصدق مع الله
صدقت السيدة عائشة مع الله، فلم تكذب ولم تداهن، بل سلمت أمرها لله وقالت لأبويها: "والله لا أرجع إلى أهلي أبداً، إني لأعلم أنكم سمعتم بهذا حتى صدقتموه به، وإن قلت لكم إني بريئة لا تصدقوني..." . جزاء هذا الصدق أن برأها الله من فوق سبع سماوات، وخلّدَ اسمها في القرآن، فكلما قرأ مسلم هذه السورة تذكر براءتها وفضلها.

الامر الثالث

تحليل دلالات الآية ومفاهيمها
1. {إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ}
معنى "عصبة منكم": أي جماعة منتسبة إليكم أيها المؤمنون . لم يكونوا غرباء عن المجتمع، بل من داخل الصف المسلم، منهم المؤمنون المخدوعون ومنهم المنافقون .
اللمسة البيانية: استخدام "عصبة" (جماعة من 3 إلى 10) فيه إشارة إلى أن الشائعات لا ينشرها فرد واحد بل مجموعة متعاونة على الباطل.
الدروس والتوجيهات:
الدرس الاول
الحذر من الفتنة الداخلية: أخطر الفتن تأتي من داخل الصف، لأن العدو الخارجي مكشوف، أما المنافق وضعيف الإيمان فيعمل من الداخل
الدرس الثاني .
· خطورة الشائعات من الأقارب: لم يقل الله "من المنافقين" فقط، بل "منكم" ليشعر المؤمنين أن الخطر قد يكون من أقرب الناس إليهم، مثل مسطح بن أثاثة وهو ابن خالة أبي بكر . هذا يوجب الحذر والتبين.
الدرس الثالث
· التكاتف الاجتماعي: كون العصابة "منكم" تعني أن المؤمنين جسد واحد، فإذا أصيب عضو منهم بـ الطعن، وجب على باقي الأعضاء الدفاع عنه، كما يدافع الإنسان عن نفسه.
2. {لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ}
اللمسة البلاغية: نهي عن ظن السوء، وإبدال الظن بيقين الخير. إنه قلب للمفاهيم الإنسانية: ما ترونه نقمة هو في علم الله نعمة.
ما هو الخير من هذه المحنة؟
· تبرئة عائشة: أصبحت براءتها آية تتلى، فزادها الله رفعة وشرفاً.
· تمحيص المؤمنين: ظهر معدن الصحابة، من دافع ومن تردد.
· فضح المنافقين: انكشف أمر عبد الله بن أبي وأعوانه.
· تشريع الأحكام: وضعت القواعد الشرعية لحماية الأعراض (حد القذف، البينة، ...) .
الدروس المستفادة:
· قلب المحنة إلى منحة: المؤمن لا ييأس، بل يعلم أن مع العسر يسراً.
· التسليم بقضاء الله: قد نكره شيئاً وهو خير لنا.
· عدم استعجال الحكم: لا تجزم أن ما يحدث هو شر مطلق، فربما يكون خفي عنك.
3. {لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ}
الدروس والمفاهيم:
· المسؤولية الفردية: كل إنسان سيحاسب على ما قال وفعل، لا يحمل أحد وزر أحد .
· خطورة الشائعات: الذين خاضوا في الإفك تحمل كل منهم إثمه الخاص، وهذا يشمل من نقل ومن صدق ومن روج.
· مسؤولية الكلمة: على المسلم أن يشعر بمسؤوليته عن كل كلمة ينطق بها، خاصة في عصر وسائل التواصل حيث تنتشر الكلمة كالنار في الهشيم.
· الرقابة الذاتية: هذا المفهوم يربي في النفس رقيباً داخلياً (المراقبة)، فيمتنع عن الخوض في الأ عراض حتى لو كان المضمون "مشوقاً".
4. {وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ}
من هو؟
هو رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول، الذي تولى معظم الإفك وقاد الحملة ونشرها .
الدروس:
· أساليب المنافقين: المنافق يدفع بغيره للخوض في الباطل، بينما يبقى هو في الظل ليتملص من العقوبة في الدنيا، ولكن الله عليم بمن بدأ وتولى الكبر، فيجازيه بالعذاب العظيم.
· محاربة التكتلات الباطلة: الآية تشير إلى أن هناك من يتزعم الباطل، ويجب كشف هذه القيادة ومحاربتها.
اللمسات البيانية والبلاغية في الآية

1. التعبير بـ (جاءوا): فيه إشارة إلى أنهم حملوا هذا الإفك وأتوا به عمداً، وكأنه شيء محسوس جلبوه للمجتمع.
2. التعريف بـ (الإفك) بأل: (بِالإِفْكِ) تعريف العهد، أي الإفك المعروف المشهور في شناعته.
3. وصفهم بـ (عُصْبَةٌ): إشارة إلى أنهم متعاونون متآمرون، لا مجرد أفراد عابثين.
4. الالتفات من الخطاب إلى الغيبة: قال (مِّنكُمْ) ثم قال (لَا تَحْسَبُوهُ) ثم (لَكُم) ، وهذا الالتفات يحقق معنى المواجهة المباشرة للمؤمنين وتنبيههم.
5. المقابلة: بين (شَرًّا) و(خَيْرٌ) لإبراز التضاد وبيان قدرة الله في تحويل الأقدار.
6. التدرج: بدأ بتطهير المجتمع من الظن السيء (لا تحسبوه)، ثم أكد الخير (بل هو خير)، ثم فصل العقوبات (لكل امرئ... والذي تولى كبره).

الامر الرابع

أثر الواقعة في بناء المجتمع المسلم

هذه الواقعة أنارت الطريق للمسلمين وكشفت لهم مخططات الأعداء:

1. بناء الوعي: علمت المسلمين أن العدو لا يهاجم بالسلاح فقط، بل بالشائعات والنيل من الأخلاق والأعراض.
2. المناعة النفسية: صار المسلم يعلم أن اتهامه بالباطل قد يكون رفعة له وبراءة من السماء.
3. البناء الاجتماعي: وضعت قواعد التثبت (لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء) وعدم الخوض بما لا علم به.
4. البناء العقلي: حثت على التفكير وعدم الانقياد وراء العواطف والحمية الجاهلية (كما كاد يحدث بين الأوس والخزرج) .
5. البناء الأخلاقي: ربت في المؤمن خلق حسن الظن بإخوانه (لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون و المؤمنات بأنفسهم خيراً).

الخلاصة:

آية الإفك ليست مجرد خبر تاريخي، بل هي دستور أخلاقي واجتماعي للأمة. فيها دروس الصبر، و المسؤولية، والصدق مع الله، وحسن الظن، وخطورة الشائعات، ومحاربة المنافقين، وأن العاقبة للمتقين. إنها تربية ربانية للمجتمع المسلم في كيفية التعامل مع الأزمات، وتحويل المحن إلى منح، والثقة بأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً

ثانيا

توجيه المؤمنين بكيفية التعامل مع مثل هذه المواقف فقال تعالى

{لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}

مقدمة: دلالة الانتقال من الآية السابقة

بعد أن كشف الله سبحانه وتعالى في الآية السابقة (الآية 11) عن طبيعة الجماعة التي جاءت بالإفك (عُصبة)، وبيّن أن هذا الحادث في ظاهره شر وفي باطنه خير للمؤمنين، وأن كل واحد منهم سيجري عليه حكم الله بعدله، يأتي هنا الانتقال من بيان طبيعة الجريمة إلى تربية الأمة على الموقف الصحيح منها .

إنه انتقال من مرحلة الخبر إلى مرحلة التأديب والتوجيه. فالله لم يكتفِ بإخبارنا بمصير أهل الإفك، بل شرع يربّي الأمة جمعاء كيف تتعامل مع مثل هذه النوازل العظيمة. إنه منهج وقائي وعلاجي في آن واحد، يهدف إلى بناء مجتمع متماسك لا تتزعزع وحدته أمام أي إشاعة أو فتنة .

أهداف ومقاصد الآية

1. تأديب المؤمنين وتوبيخهم بلطف: توجيه اللوم والعتاب للمؤمنين الذين لم يقفوا الموقف الصحيح عند سماعهم الإفك، وحثهم على ما كان ينبغي أن يفعلوه .
2. غرس قاعدة "حسن الظن": تأصيل مبدأ عظيم من مبادئ العلاقات الاجتماعية في الإسلام، وهو حمل أمر المسلم على الخير والسلامة ما لم يثبت العكس .
3. تعزيز مفهوم الوحدة العضوية للمؤمنين: جعل المجتمع المسلم كالجسد الواحد، أو كالنفس الواحدة، بحيث يكون الدفاع عن أخيك دفاعاً عن نفسك .
4. بيان المنهج العملي لمواجهة الشائعات: وضع خطوات عملية واضحة: ظنّ خير، ثم نطق بالإنكار والتكذيب .

الأفكار الرئيسية في الآية

1. وجوب إساءة الظن بالشائعة لا بالمُتَّهَم.
2. قاعدة قياس الغير على النفس.
3. الانتقال من الظن القلبي إلى الموقف العلني (القول).
4. اليقين بأن هذا الاتهام باطل من أساسه (إفك مبين).

الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها

الامر الاول : دلالة {لَّوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ...}

"لولا" هنا حرف تحضيض بمعنى "هلا"، وهو توبيخ وعتاب من الله للمؤمنين الذين خاضوا في الإ

إفك أو سمعوه فلم ينكروه. معناه: هلا ً حين سمعتم هذا الكلام العظيم كان موقفكم كذا وكذا .
هذا العتاب الإلهي يحمل في طياته درساً عظيماً في التربية القرآنية من خلال النوازل؛ فالله يربّي الأمة بأحداثها، ويصحح المسار، ويعلمهم كيف يكون رد الفعل الأمثل.
الامر الثانى قصة أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه (النموذج التطبيقي للآية)
ارتبط اسم الصحابي الجليل أبي أيوب الأنصاري وامرأته أم أيوب بسبب نزول هذه الآية، فقد كانا النموذج الحي للموقف الذي يريده الله .
تذهب الرواية أن أم أيوب قالت لزوجها: "يا أبا أيوب، أما تسمع ما يقول الناس في عائشة؟" فقال أبو أيوب: "نعم، وذلك الكذب، أكنتِ يا أم أيوب فاعلة ذلك؟" قالت: "لا والله ما كنت لأفعله". قال: "فعائشة والله خير منك" .
وفي رواية أخرى: قالت أم أيوب: "لو كنت أنا بدل عائشة، ولو كنت أنت بدل صفوان، أكنت تظن بي السوء؟" قال: "لا". قالت: "فعائشة خير مني، وصفوان خير منك" .
هذا الموقف الرائع يجسّد جوهر الآية: قياس الأمر على النفس. فإذا كان المؤمن يعلم من نفسه البراءة والعفة، فليعلم أن غيره من المؤمنين أولى بهذه البراءة.
الامر الثالث : {ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا}
هذه العبارة تحمل أسمى معاني الوحدة الإيمانية. قال المفسرون: معنى "بأنفسهم" أي بإخوانهم، لأن المؤمنين كنفس واحدة . وقد جاءت عدة إشارات قرآنية بهذا المعنى كقوله تعالى: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ} [النساء:29]، {ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ} [البقرة:85].
اللمسة البيانية: عبّر عن المؤمنين بـ"الذين آمنوا" في صيغة الغائب بعد خطاب سابق (فيه التفات)، وهذا للدلالة على أن صفة الإيمان ذاتها هي التي تقتضي هذا الظن الحسن، وكأن الله يقول: حق ا لإيمان يوجب عليكم هذا .
الرساله التربويه: تعني أن المؤمن إذا عرض له خبر سوء عن أخيه، فعليه أن يعرض هذا الخبر على قلبه وضميره، ويتخيل نفسه مكان المتهم. فإن كان الأمر مستبعداً في حقه، ففي حق أخيه أولى.
الامر الرابع
{وَقَالُوا هَٰذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ}
الآية لا تكتفي بالظن القلبي، بل تنتقل إلى الموقف العملي الملموس: القول باللسان. إنها تربية على ا لإيجابية، فالمسلم لا يكتم الحق في قلبه، بل يجب أن يفصح بلسانه، فيعلن رفضه القاطع للشائعة ويصفها بأنها "إفك مبين" أي كذب واضح بين لا يخفى على أحد .
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. تربية الضمير الحي (تجربة "بأنفسهم")
الآية تعلمنا كيف نربي ضميرنا: عندما تسمع اتهاماً لأخيك، ضع نفسك وأسرتك في مكانه. اسأل نفسك: هل كنت لتفعل هذا؟ فإن كنت لن تفعله، فكيف تظنه بأخيك المسلم؟ هذه القاعدة من أعظم القواعد التربوية لبناء مجتمع فاضل، حيث يتربى الإنسان على محبة الخير للناس كما يحبه لنفسه .
٢. منهجية الإسلام في التعامل مع الشائعات
الآية تؤسس لمنهجية واضحة:
· الخطوة الأولى (قلبية): ظن الخير.
· الخطوة الثانية (لسانية): التكذيب الصريح.
· الخطوة الثالثة (عقلية): إدراك أن هذا الكلام (إفك مبين) لا يستند إلى دليل.
ثم تأتي الآيات بعدها لتكمل المنهجية بمطالبة القاذف بالبينة (أربعة شهداء) .
٣. التربية على الستر والعفاف
من طعن في عرض مسلم فكأنما طعن في كل فرد من أفراد المجتمع المسلم. ثقافة الستر تعني أن نكون جميعاً حُراساً لأعراض بعضنا، لا نسمح لأحد بأن ينتهكها .
٤. إصلاح المجتمع وتقليص الغيبة والنميمة
حين يصبح حسن الظن هو الأصل، تضيق مساحة الغيبة والنميمة، وتقل النزاعات الاجتماعية، ويستقر المجتمع على أساس من الثقة المتبادلة .
٥. الإيجابية في مواجهة الأحداث
المؤمن لا يكفيه أن لا يشارك في نشر الشائعة، بل يجب أن يكون إيجابياً في مواجهتها، فيرفضها وينكرها بلسانه وقلبه. هذه الإيجابية هي التي تصنع التغيير وتبني المجتمع المتماسك.
٦. الترفع عن "القيل والقال"
الآية تدعو المسلم إلى الترفع عن الخوض في أعراض الناس، وأن يكون من الذين لا يلهيهم "القيل والقال" عن الجد والعمل البناء.
٧. تنمية الوعي بآثار الكلمات
تعلمنا الآية أن الكلمات ليست مجرد أصوات، بل قد تكون سبباً في فتن عظيمة تزعزع المجتمع، كما كادت قصة الإفك أن تمزق وحدة المدينة بين الأوس والخزرج .
٨. الظن السيء وتفكيك العلاقات

الظن السيء هو بداية الطريق إلى الفاحشة، لأنه يؤدي إلى التجسس، ثم إلى الغيبة، ثم إلى القطيعة. بينما الظن الحسن يبني الثقة التي هي أساس أي علاقة اجتماعية ناجحة .
٩. الاستنكار القلبي واللفظي للباطل
رد الفعل الفوري للمؤمن عند سماع الباطل يجب أن يكون الرفض والاستنكار، والتعجب من هذا الا فتراء. هذا يربي الوجدان على محبة ما يحبه الله وبغض ما يبغضه الله.
١٠. التماس العذر وتجنب سوء الظن
تربية النفس والابناء على تفسير أفعال الآخرين على أحسن المحامل ما أمكن. إنها مدرسة العذر الشرعي.
١١. التربية الإعلامية (لا تكن ناقلا ً إلا للخير)
المؤمن الصادق ليس مجرد ناقل للأخبار، بل هو محرر دقيق، يميز بين الخير والشر، ولا ينقل إلا ما ينفع أو يبني.
١٢. شرف الانتماء (كل مؤمن أنا)
عندما أعتبر كل مؤمن ومؤمنة "نفسي"، فلن أسمع فيهم سوءاً ولن أصدق عليهم شائعة.
١٣. الشجاعة الأخلاقية
الآية تربي فينا شجاعة رفض الباطل وقول "هذا كذب" بمجرد سماع القصة الكاذبة. إنها شجاعة الأ نبياء في قول كلمة الحق.
١٤. تغيير مفهوم الظن
{ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا} غيرت طريقة تعاملنا مع أعراض المسلمين. لم نعد ننتظر الدليل لنكذب، بل نكذب بمجرد سماع الاتهام، لأن الأصل هو البراءة.
دور الآية في البناء والتنمية
المجال ودور الآية في البناء والتنمية
١/البناء النفسي :تربي النفس على الطمأنينة وعدم الانجراف وراء العواطف والهلع عند سماع الشائعات.
٢/البناء الاجتماعي :تخلق تماسكاً أسرياً واجتماعياً بجعل المجتمع كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضاً.
٣/البناء العقلي :تعلم التفكير المنطقي (قياس الغائب على الشاهد) وعدم الانقياد وراء العاطفة.
٤/البناء الأخلاقي :تغرس قيماً عليا كالستر، والعفة، والصدق، والمسؤولية عن الكلمة.
٥/البناء الحضاري : مجتمع هذه قواعده وأخلاقه هو مجتمع قادر على البناء والعطاء لأنه مجتمع آمن ومستقر.
الخلاصة: آية الإفك الثانية (12) هي بمثابة دستور أخلاقي لمواجهة الفتن الإعلامية والاجتماعية، فهي تبني في المؤمن مناعة ذاتية ضد الشائعات، وتجعل منه حارساً لأعراض الناس، وعنصراً فاعلا ً في استقرار المجتمع وتماسكه..
ثالثا :- الدليل المنطقى
تفسير الآية 13 من سورة النور
{لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَٰئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيتين السابقتين
بعد أن بيّن الله سبحانه في الآية السابقة (الآية 12) الموقف القلبي واللساني الذي كان ينبغي على المؤمنين أن يقفوه عند سماعهم الإفك، وهو حسن الظن والتكذيب الفوري، ينتقل بنا في هذه الآية (ا لآية 13) إلى التأصيل الشرعي والقانوني لهذا الموقف .
إنه انتقال من التربية الوجدانية إلى التشريع العملي. فالتربية وحدها قد لا تكفي لردع المجرمين وضعاف النفوس، فلا بد من قانون رادع يحمي أعراض الناس ويضع حداً للعبث بكرامتهم. وهكذا يبني الإسلام المجتمعات: بالتربية الناعمة تارة، وبالحدود الصارمة تارة أخرى .
أهداف ومقاصد الآية
.1وضع القاعدة الذهبية لإثبات جرائم الأعراض: تأصيل مبدأ أن البينة على من ادعى، وأن الاتهام بدون دليل جريمة بحد ذاتها.
.2تصحيح مفهوم "حرية الرأي": فليس كل ما يخطر على البال يقال، وليس كل ما يقال ينشر، خاصة إذا تعلق بأعراض الناس.
.3ردع الكاذبين والمتجرئين على الأعراض: ببيان عقوبة الدنيا) الجلد (وعقوبة الآخرة) الوصف بالكذب عند الله. (
.4حماية المجتمع من الانهيار الأخلاقي: فالحدود الإلهية هي صيانة للمجتمع من الفوضى و الفواحش.
.5تربية الضمير الفردي والجماعي: على أهمية التثبت والتحري قبل إطلاق الأحكام.
الأفكار الرئيسية في الآية
.1المطالبة بالدليل القاطع) أربعة شهود (كشرط لصحة الاتهام.
.2إعلان فشل القاذفين في الإتيان بالدليل) فإذ لم يأتوا.(

.3الحكم الإلهي عليهم بالكذب المطلق) أولئك عند الله هم الكاذبون.(
الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها
الامر الاول : دلالة التعبير ب- {لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ}
"لولا" هنا حرف تحضيض بمعنى "هلا"، وهو توبيخ وعتاب إلهي للذين رموا السيدة عائشة رضي الله عنها .معناه: هلا أتوا على هذا الإفك الذي افتروه بأربعة شهود عدول يشهدون على ما رأوا وسمعوا.
اللمسة التربوية: إنها الخطوة الثانية في منهج الإسلام لمواجهة الشائعات. بعد أن علم الله المؤمنين أن يقولوا "هذا إفك مبين" لمجرد سماعه، يعلمهم الآن أن من يتجرأ ويتهم فعليه أن يأتي بدليل قاطع. إنه تحميل للمتهم مسؤولية إثبات دعواه، لا تحميل للمتهم بالباطل مسؤولية إثبات براءته .
الامر الثاني
الحكمة من طلب أربعة شهود
لماذا أربعة شهود تحديداً؟ ولماذا هذا التشديد في جرائم الأعراض؟
.1صعوبة الإثبات تعادل صعوبة الجريمة: جريمة العرض من أشنع الجرائم، فكان من العدل أن يكون إثباتها في غاية الصعوبة، لئلا تنتهك الأعراض بكلمة سهلة.
.2الزجر عن الخوض في الأعراض: تشديد إجراءات الإثبات يزجر الناس عن الرمي بالزنا، لأنه يعلمون صعوبة الإتيان بأربعة شهود، فيكفون ألسنتهم.
.3الفرق بين الأموال والأعراض: في حقوق المال يكفي شاهدان، لأن المال يمكن تعويضه .أما العرض فلا يمكن تعويضه، فكانت الحماية له مضاعفة.
.4مراعاة طبيعة الإنسان: الله يعلم أن هذه الجريمة تقع غالباً في الخفاء، فلا يمكن إثباتها عادةً . فاشتراط أربعة شهود هو إغلاق لباب القذف عملياً، إلا في حالات نادرة جداً.
الامر الثالث
{فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِندَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ}
اللمسة البيانية: بدأ الله ب- (فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا) وهي جملة شرطية تفيد التحقيق، لأن عدم إتيانهم بالشهود كان أمراً واقعاً محققاً. ثم أتى ب- (أُولَئِكَ) وهي اسم إشارة للبعيد، للدلالة على بعد منزلتهم في الكذب وقبح ما أتوا به .
"عند الله": هذه العبارة تحمل أعمق دلالة تربوية .فحتى لو نجا هؤلاء القاذفون من عقوبة الدنيا، أو حتى لو صدقهم الناس، فإنهم عند الله وفي ميزانه وحكمه كاذبون .وهذا يربي المؤمن على أن الله هو الحكم العدل، وأن مراقبته وخشيته هي الرقيب الأعلى.
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
.١قاعدة "البينة على من ادعى"
الآية تؤسس لهذه القاعدة الذهبية في الفقه الإسلامي. من يدعي على غيره جريمة، فعليه أن يثبتها بدليل قاطع، وإلا فهو كاذب عند الله ومستحق للعقوبة. هذه القاعدة تحمي الناس من الظلم والا تهامات الجزافية.
.٢دور الآية في بناء المجتمع المتأدب مع الأخبار
هذه الآية تربي المجتمع على أدب رفيع في التعامل مع الأخبار: لا تخض في عرض إنسان إلا بدليل. إنها تصنع مجتمعاً لا يلهث وراء الإشاعات، ولا يبني أحكامه على الظنون والأوهام.
.٣تربية الإنسان في عصر وسائل التواصل الاجتماعي
في زمن أصبح فيه كل شخص "صحفياً" و"ناشراً"، تذكرنا هذه الآية أن إطلاق التهم جزافاً دون دليل يوصف صاحبه عند الله بأنه كاذب، حتى لو كان القصد التسلية أو "المزاح". كم من منشور يقتل سمعة إنسان ويأكل لحمه حياً، وصاحبه يظن الأمر هيناً وهو عند الله عظيم!
.٤بناء مجتمع محصن لا تهزه الإشاعات
المجتمع الذي يطبق هذه القاعدة هو مجتمع منيع، لا تستطيع الشائعات أن تهز كيانه، ولا تنتهك فيه ا لأعراض بسهولة. فالكل يعلم أن من يتطاول على أعراض الناس سيواجه عقوبة رادعة في الدنيا والآ خرة.
.٥تحريم السبق الصحفي في الأعراض) دلالة "عند الله"(
الآية تضع حداً لـ"السبق الصحفي" عندما يتعلق بالأعراض. لا يجوز المسارعة بنشر خبر فاضح دون التثبت الكامل. فالسبق الحقيقي ليس في نقل الخبر أولاً ، بل في تحري الصدق والأمانة. "عند الله" تعني أن الذي ينشر الخبر الكاذب مسجل عند الله كاذباً، وهذا هو الفضيحة الحقيقية.
.٦عقوبة الترويج للاتهام الباطل
الآية هنا تشير إلى عقوبة معنوية عظيمة (الوصف بالكذب عند الله)، مع العلم أن آية أخرى (سورة النور: 4) تذكر العقوبة الدنيوية وهي الجلد ثمانين جلدة ورد الشهادة أبداً. هذا يربي المؤمن على أن جريمة اللسان قد تكون أعظم من جريمة اليد.
.٧جزء من منظومة تربوية إلهية
هذه الآية جزء من منظومة متكاملة في سورة النور لحماية المجتمع من التحلل الأخلاقي:
· آية11 : فضح مخطط المؤامرة.

· آية12 : تربية الضمير على حسن الظن.
· آية13 : التشريع والقانون الرادع.
· آية14 : التحذير من عواقب المشاركة في الإشاعة.
· آية15 : بيان خطورة نقل الكلام دون علم.
.٨تعزيز قيمة حسن الظن والتثبت
الآية تحول حسن الظن من قيمة أخلاقية إلى قاعدة قانونية. فالقانون لا يعاقب القاذف فقط، بل يؤصل أن الأصل في المسلم البراءة حتى يثبت العكس. وهذا هو عين العدل.
.٩التطبيق العملي في واقعنا
· قبل نشر أي خبر عن أحد: أسأل نفسي: هل لدي أربعة شهود؟ فإن لم يكن، فأنا متوعد بهذا الوعيد.
· عند سماع اتهام لأحد: أذكر نفسي والناس بهذه الآية، وأطالب المتهم بالدليل.
· في بيوتنا: نربي أبناءنا على أن الغيبة والنميمة ليست مجرد "كلام"، بل هي قذف محتمل لعقوبة الدنيا والآخرة.
.١٠حفظ خصوصية البيوت وتربية المجتمع على الطهر
الآية تربي المجتمع على احترام خصوصية البيوت، وعدم تتبع عورات الناس. فكما أن الله أمر بغض البصر عن النظر الحرام، أمر بغض اللسان عن النطق الحرام.
.١١مبدأ "المتهم بريء حتى تثبت إدانته"
هذا المبدأ الحضاري الذي تتباهى به القوانين الوضعية الحديثة، نجده متأصلا ً في القرآن قبل أربعة عشر قرناً. بل إن الإسلام تميز عليه، فجعل من يتهم شخصاً دون دليل مجرماً يعاقب، لا مجرد أن المتهم يبقى بريئاً. إنه مبدأ العدالة الفاعلة، لا السلبية.
.١٢محاربة إشاعة الفواحش
الآية تحارب إشاعة الفواحش في المجتمع. فالله لا يريد أن تكون الفاحشة حديث المجالس و المنتديات، بل يريد للمجتمع أن يكون نظيفاً طاهراً، لا يلهث وراء الفضائح والأخبار السيئة.
.١٣تربية المسلم على أن الله هو الحكم
تربية المسلم على أن هناك من يراه ويسمعه ويحصي عليه كلماته، وأنه سيقف بين يديه للحساب، هي أرقى درجات التربية الأخلاقية. من يعلم أن الله يراه ويسمعه، وأنه سيوصف عنده بأنه كاذب إن افترى، سيترفع عن الخوض في الأعراض.
.١٤ما تعلمنا إياه الآية في حياتنا
تعلمنا التوثيق: لا ترم أحداً بشيء إلا بوثيقة ثبوتية.
· تعلمنا العدل: الظالم ليس فقط من يضرب أو يسرق، بل من يقتل سمعة إنسان بكلمة.
· تعلمنا التقوى: أن نراقب الله في كل كلمة ننطق بها، وفي كل حرف نكتبه.
دور هذه المفاهيم في بناء الوعي والحضارة
المجال و الدور في البناء والتنمية
١/بناء الشخصية المسلمة: تنتج شخصية متزنة، لا تندفع وراء الشائعات، تعرف قيمة الكلمة، تخاف الله في أعراض الناس.
٢/بناء المجتمع المسلم: ينتج مجتمعاً نظيفاً، لا تعرف فيه الفاحشة طريقاً للانتشار، مجتمع الثقة المتبادلة والتعاون على البر والتقوى.
٣/بناء الحضارة الإسلامية :حضارة تقوم على العدل والمسؤولية الأخلاقية، لا على الفوضى والانفلات ا لإعلامي.
٤/الدولة الإسلامية:- دولة تصون كرامة جميع الرعايا، مسلمين وغير مسلمين، فلا يجرؤ أحد على النيل من عرض أي مواطن، لأن القانون الإلهي يحمي الجميع.
٥/التطور القانوني :سبق القرآن النظم القانونية الحديثة في تأصيل مبدأ "البينة على من ادعى"، وفي تجريم الاتهام دون دليل، وفي وضع عقوبات رادعة تردع المعتدي وتحمي المجتمع.
الخلاصة: الآية 13 من سورة النور هي حجر الزاوية في تشريع حماية الأعراض في الإسلام. إنها ليست مجرد حكم قانوني جاف، بل هي مدرسة تربوية متكاملة، تبني الفرد والمجتمع على قيم العدل والصدق والمسؤولية. وتظل هذه الآية نبراساً يضيء الطريق أمام البشرية في كيفية بناء مجتمع متماسك، يحترم كرامة الإنسان، ويصون عرضه، ويحمي خصوصيته، في زمن اختلطت فيه الحقائق وكثرت فيه الافتراءات.
رابعا
تفسير الآية 14 من سورة النور
}وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيات السابقة
بعد أن بيّن الله سبحانه في الآيات السابقة:
· الآية11 : حقيقة الجماعة التي جاءت بالإفك وأن العاقبة للمتقين.
· الآية12 : الموقف التربوي الذي كان ينبغي للمؤمنين أن يقفوه) حسن الظن والتكذيب الفوري.(
· الآية13 : القاعدة القانونية) البينة على من ادعى بأربعة شهود.(

تأتي الآية 14 لتكمل البناء التربوي بلمسة إيمانية عميقة، إنها آية الامتنان الإلهي والتذكير بفضل الله ورحمته . الانتقال هنا من التشريع والعتاب إلى التربية بالشكر والاستشعار، ليشعر المؤمن أن نجاته من العذاب ليست بسبب استحقاقه، بل هي فضل من الله ورحمة.

الامر الاول

: النبي ﷺ كتجربة عملية للتربية الإلهية

لقد جعل الله النبي ﷺ وأهل بيته نموذجاً حياً يتعلم منه الصحابة والأمة من بعدهم .هذه الواقعة لم تكن مجرد محنة، بل كانت مدرسة عملية لتربية الأمة على منهج الله في التعامل مع الأزمات.

الرسالة التربوية: أن الله يربي الأمة بأحداثها، ويجعل من التجارب المؤلمة منارات تضيء الطريق للأ جيال .فما مر به النبي ﷺ من أذى في عرضه وصبره الجميل حتى نزل الوحي، كان درساً عظيماً في الثقة بالله والتسليم لحكمه.

الامر الثانى

: استشعار فضل الله ورحمته) التربية على خطورة الخوض في الأعراض(

} .١وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ{

"لولا" هنا حرف امتناع لوجود، أي امتنع وقوع العذاب لوجود فضل الله ورحمته . إنه أسلوب تربوي عظيم يغرس في نفوس المؤمنين عدة معانٍ:

· استشعار النعمة: أن نجاتهم من العذاب ليست لأن فعلهم هين، بل لأن الله ستار رحيم.

· شعور بالخجل والندم: حين يعلم المؤمن أن العذاب كان سينزل به لولا فضل الله، فإنه يمتلئ ندماً على ما بدر منه، ويشكر الله على ستره.

· إدراك عظم الجريمة: فوصف العذاب ب-"العظيم" يدل على أن ما أفضوا فيه) الخوض في الإفك (كان يستحق عذاباً عظيماً.

اللمسة البيانية: تقديم "فضل الله" على "رحمته" لأن الفضل هو الأصل في الدنيا بالتوبة والقبول، و الرحمة تشمل الآخرة بالعفو والمغفرة.

} .٢فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ{

فضل الله ورحمته شملتهم في الدارين :

· في الدنيا: بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة، وفتح باب التوبة لهم.

· في الآخرة: بقبول توبتهم والعفو عنهم.

} .٣لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ{

"أفضتم" من الإفاضة، وهي التوسع في الكلام والاندفاع فيه بدون تريث أو تحقق، وكأنهم ملأوا الإناء حتى فاض.

التعبير ب-"لمسكم": اختيار هذه الكلمة دون "أصابكم" أو "نزل بكم" فيه لمسة بلاغية:

· الإشارة إلى العظمة: "لمس" تدل على أن مجرد اللمسة من ذلك العذاب كانت كافية لإهلاكهم، فكيف إذا مسهم بكامله؟

· التنبيه على أن العذاب كان قريباً: كأنه كان على مقربة منهم، لولا فضل الله لمسهم.

الامر الثالث

الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة

.١استشعار النجاة برحمة الله

الآية تربي المؤمن على أن أصل النجاة هو فضل الله لا عمل الإنسان .فالمؤمنون الذين تابوا) كمسطح وحسان وحمنة (لم ينجوا لأنهم تابوا فقط، بل لأن الله قبل توبتهم بفضله ورحمته.

.٢خطورة الإفاضة في الباطل

الآية تكشف أن الخوض في أعراض الناس ليس كلاماً عابراً، بل هو أمر يستحق عذاباً عظيماً .كلمة "أفضتم" توحي بالاندفاع والاسترسال، وهذا ما حذرت منه الآية.

.٣العتاب الإلهي أم الدرس التربوي؟

العتاب هنا ليس لمجرد التوبيخ، بل هو درس إلهي لتعظيم حرمات المؤمنين . الله يريد أن يربي الأ مة على:

· تعظيم حرمات المؤمنين.

· حفظ الأعراض.

· التحذير من إشاعة الفاحشة.

.٤الدعوة إلى ربط اللسان وحسن الظن

الآية تدعو إلى ضبط اللسان، لأن الكلمة قد تكون سبباً في عذاب عظيم لولا فضل الله.

.٥التأكيد على أن الله رؤوف رحيم

مع شدة التحذير، يبقى باب الرجاء مفتوحاً .الله يذكر فضله ورحمته ليؤنس القلوب الخائفة، ويدفعها للتوبة.

.٦دلالة التوعد بالعذاب في سياق الإفك

هذا التوعد الشديد جاء لأنه:

· تعلق بعرض النبي ﷺ وبيته الطاهر.

· كاد أن يزعزع الثقة في الجماعة المسلمة.
· استمر شهراً كاملا ً بلا يقين.
.٧ما تعنيه "لولا" في السياق القرآني
"لولا" هنا تذكير دائم للمؤمن أن كل لحظة يعيشها في سلامة هي بفضل الله .إنها تربي روح الشكر الدائم.
.٨قبول الله للتوبة في الدنيا
الآية تعكس أن باب التوبة مفتوح، وأن من أساء ثم تاب، فإن فضل الله ورحمته يدركانه.
.٩فضل الله على الصحابة والأمة
ظهر فضل الله في:
· تبرئة السيدة عائشة من السماء.
· تأديب المؤمنين دون تعذيبهم.
· تحويل المحنة إلى تشريع خالد.
· فتح باب التوبة للخائضين.
.١٠خطورة الكلمة
الكلمة ليست مجرد صوت، بل قد تكون سبباً في عذاب عظيم .الدرس التربوي: تأمل قبل أن تتكلم، فقد تكون كلمتك سبب هلاكك.
.١١التطبيق العملي للآية في حياتي
· كيف أستشعر فضل الله؟ عندما أتذكر كم مرة أخطأت فيها باللسان وسترني الله، ولم يفضحني، ولم يعاجلني بالعقوبة.
· ماذا يدفعني هذا الاستشعار؟ يدفعني للشكر لا للتمادي .فشكر النعمة يكون بطاعة المنعم، لا بمزيد من المعاصي.
· كيف يدفعني الإيمان؟ إيماني بأن الإفاضة في الباطل قد تجلب لي عذاباً عظيماً يجعلني أحجم عن الكلام في أعراض الناس، وأتذكر أن الله يراني ويسمعني.
.١٢آداب التثبت في الحياة المهنية والاجتماعية
· قبل أن أتحدث: أسأل نفسي: هل هذا الكلام يستحق أن أخوض فيه؟ هل لدي دليل؟
· قبل أن أكتب: أتذكر أن كل حرف سأكتبه سيسألني الله عنه، وأن الشائعة الإلكترونية لا تقل خطورة عن الشائعة المنطوقة.
· قبل أن أنشر: أتأكد من صحة الخبر، فإن كان عن مسلم، فالأصل البراءة حتى يثبت العكس.
الامر الرابع
دلالة هذه الآيات بعد حادثة الإفك ودورها في بناء المجتمع المسلم

هذه الآيات لم تكن مجرد حكم شرعية، بل كانت منهجاً تربوياً اجتماعياً ثقافياً شاملا ً لبناء مجتمع طاهر وواع.
.١دورها في بناء المجتمع المسلم
· بناء الوعي: علمت الأمة أن أعداءها قد يهاجمونها في أعراض قادتها ليضعفوا الثقة بهم.
· بناء المناعة النفسية: صار المسلم يعلم أن الابتلاء في العرض قد يكون رفعة وبراءة.
· بناء الضمير الاجتماعي: أصبح المجتمع كالجسد الواحد، يدافع كل فرد عن عرض الآخر.
.٢كيف نستعيد دور الأمة وفاعليتها من خلال هذه الآيات؟
· باعتبارها منهجاً تربوياً: نربي أنفسنا وأبناءنا على أن الكلمة مسؤولية، وأن أعراض الناس خط أحمر.
· باعتبارها منهجاً اجتماعياً: نصنع مجتمعاً لا يلهث وراء الشائعات، ولا يبني أحكامه على الظنون.
· باعتبارها منهجاً ثقافياً: ننشر ثقافة التثبت وحسن الظن والستر.
.٣تحويل قيم العفة والستر إلى سلوك عملي
· العفة: نترفع عن الخوض في أعراض الناس.
· الستر: إذا رأينا عيباً سترناه، وإذا سمعنا شائعة لم ننشرها.
· التثبت: لا نصدق كل ما نسمع، ولا ننشر كل ما نقرأ.
.٤خطورة قذف المحصنات والشائعات
الآية ترسم خطورة هذا الأمر، وتعلمنا:
· التزام الصمت عندما لا نملك دليلا ً.
· الستر على عيوب الآخرين.
· الاعتماد على رحمة الله بالتوبة النصوح إذا وقعنا في الخطأ.
.٥ضبط اللسان والقلم
الآية تربي فينا عادة ضبط اللسان، وعدم الخوض في خصوصيات الآخرين وشرفهم .إنها دعوة دائمة لتذكر أن الله هو الرقيب، وأن فضله ورحمته هما أصل النجاة.
خامساً: اللمسات البيانية والبلاغية
"*لولا حرف امتناع لوجود، تفيد أن العذاب كان محققاً لولا فضل الله.

*فضل الله ورحمته تقديم الفضل لأنه سبب الرحمة، وللدلالة على سعة العطاء الإلهي.
*في الدنيا والآخرة شمولية النعمة، ففضل الله ورحمته يلحقان المؤمن في كل نشأته.
*لمسكم تعبير يوحي بقرب العذاب وسهولة وقوعه، وأن مجرد لمسة منه عظيمة.
*أفضتم من الإفاضة، تدل على التوسع والاندفاع في الكلام دون تروّ.
*عذاب عظيم التنكير في "عذاب" للتعظيم، أي عذاب لا يقدر قدره إلا الله.
الامر الخامس
دور الآية في بناء الوعي والثقافة
1/في مجال التربية النفسية: تربي الشعور بالخجل من الله والندم على الخطأ، وتغرس استشعار فضل الله الدائم.
2/التربية الاجتماعية: تعلم المجتمع أن نجاته من الفتن هي بفضل الله أولا ً، مما يولد روح التواضع الجماعي.
3/التربية الإعلامية :تعلم أن الخوض في الأعراض دون تثبت يستحق عذاباً عظيماً، لولا فضل الله.
3/التربية الأخلاقية: تحول قيم الستر والعفة إلى سلوك عملي يمارسه الفرد في حياته اليومية.
4/التربية الإيمانية: تربط القلب بالله، فالمؤمن يعلم أن نجاتهمن الفتنة هي بفضل الله، فيلجأ إليه دائماً.
الخلاصة: الآية 14 من سورة النور هي آية الامتنان الإلهي، تذكر المؤمنين بأن كل لحظة سلامة يعيشونها هي بفضل الله ورحمته .إنها تربي فيهم الشعور بخطورة الكلمة، وتعظم في قلوبهم حرمات المؤمنين، وتفتح لهم باب الأمل في التوبة، وتجعلهم يعيشون بين الخوف والرجاء، خائفين من عذاب الله إن أساءوا، راجين فضله ورحمته إن تابوا .وهي بذلك تبني مجتمعاً طاهراً واعياً، يحفظ أعراض الناس، ويضبط ألسنتهم، ويستر عيوبهم، راجين من الله أن يسترهم في الدنيا والآخرة
خامسا
تفسير الآية 15 من سورة النور
{إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيات السابقة
بعد أن بيّن الله سبحانه في الآيات السابقة:
· الآية 11: حقيقة الجماعة التي جاءت بالإفك وأن العاقبة للمتقين.
· الآية 12: الموقف التربوي الذي كان ينبغي للمؤمنين أن يقفوه (حسن الظن والتكذيب الفوري).
· الآية 13: القاعدة القانونية (البينة على من ادعى بأربعة شهود).
· الآية 14: التذكير بفضل الله ورحمته الذي سترهم ولم يعاجلهم بالعذاب.
تأتي الآية 15 لتكشف كيفية تناقلهم لتلك الإفتراءات، وتصف آلية انتشار الشائعة بينهم. إنه الانتقال من بيان الجريمة وعقوبتها إلى تحليل آلية انتشارها وخطورتها، لتكون عبرة للأمة في كيفية وقوعها في الخطأ وكيفية تجنبه مستقبلا ً .
أهداف ومقاصد الآية
1. تصوير آلية انتشار الشائعات: بيان كيف تنتقل الإشاعة من فم إلى فم حتى تصبح خبراً متداولا ً.
2. بيان خطورة الاستهانة بالكلمة: تصحيح مفهوم الناس أن الكلمة "هينة" وأنها لا تساوي شيئاً .
3. تربية الضمير على مسؤولية النقل: التأكيد على أن كل كلمة منقولة مسؤول عنها صاحبها.
4. التحذير من الخوض فيما لا علم به: وضع قاعدة ذهبية: لا تقل ما لا تعلم .
5. ربط الظاهر بالغيب: بيان أن ما يستخف به الناس قد يكون عند الله عظيماً
الأفكار الرئيسية في الآية
1. التلقي والتناقل (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ).
2. القول بلا علم (وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ).
3. الاستخفاف بالذنب (وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا).
4. المفارقة العظيمة بين رؤية الناس ورؤية الله (وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ).
الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها
الامر الاول : {إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ}
"تلقونه" من التلقي، أي يأخذه بعضكم عن بعض ويتناقلونه . قال مجاهد: تَرْوُونه بعضُكم عن بعض . هذا تصوير دقيق لآلية انتشار الشائعة: تبدأ من فم ثم تنتقل إلى آخر، وهكذا حتى تصبح كالنار في الهشيم.
اللمسة البيانية: عبّر بالألسنة دون غيرها لأن اللسان هو أداة نقل الشائعة . وفي قراءة للسيدة عائشة رضي الله عنها: "إذ تلِقُونَه" من وَلَق الكذب، أي الاستمرار فيه والإسراع . وهذا يزيد الأمر خطورة: هم لم ينقلوا فقط، بل أسرعوا في النقل واستمروا فيه.
اللمسة التجويدية: في {تَلَقَّوْنَهُ} مد متصل (تلقونه) بمقدار 4-5 حركات، وفيه تفخيم للفظ للتنبيه على أهمية ما يتلقونه.
الامر الثانى

: {وَتَقولونَ بِأفْوَاهِكم مَا لَيْسَ لَكم بِهِ عِلمٌ}
هذا تأكيد على أنهم ينطقون بأفواههم بأمور لا يعلمون حقيقتها . ذكر الأفواه هنا للتأكيد على أن الكلام يخرج بالفم، ولكن العجيب أنهم يقولون ما لا يعلمون.
الرسالة التربوية: لا تقل إلا ما تعلم، وما لا تعلمه فالصمت أولى بك. هذه قاعدة ذهبية في التربية الإيمانية.

الامر الثالث

: {وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ اللهِ عَظِيمٌ}
هذا هو قلب الآية وخلاصتها. كانوا يظنون أن نقل الكلام ومجرد الترديد أمر هين لا يذكر، لكنه عند الله عظيم . عظيم لأنه:
· يتعلق بعرض النبي ﷺ وأم المؤمنين.
· يسبب أذى للنبي ﷺ.
· ينشر الفاحشة في المجتمع.
· يظلم الأبرياء.
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. الشائعات: تعريفها وأخطارها ودورها في تفكيك المجتمع
الشائعة هي خبر كاذب يبثه شخص أو عدة أشخاص وينتشر بسرعة في المجتمع، مما يشكل خطراً على كيانه .
أخطار الشائعات:
· تفكيك المجتمع: تهدم الثقة بين أفراده .
· أداة حرب: تستخدم في الحروب النفسية لتحطيم المعنويات .
· تدمير الدول: تاريخياً، سقطت دول بسبب شائعات هزت استقرارها .
دور كل فرد في مواجهة الشائعات:
· التثبت: لا تنقل حتى تتأكد .
· التجاهل: عدم ترديد المنشورات المجهولة .
· عدم تداول غير الموثق: الأخبار غير الموثقة يجب أن تقف عندك .
دور المؤسسات والإعلام:
· وضع القوانين الرادعة لمطلقي الشائعات .
· السرعة في الرد على الشائعات ونشر الحقائق .
· الشفافية في بث الأخبار الصحيحة .
· إنشاء صفحات تطوعية لتوعية الأفراد بخطورة الشائعة .
خطورة الشائعات في عصر وسائل التواصل الاجتماعي:
التكنولوجيا الحديثة ساهمت في سرعة انتشار الشائعات؛ لذا يجب مواجهتها بسرعة تضاهي سرعتها . هناك حسابات وهمية وراءها شخصيات متوارية تطلق الشائعات للإساءة للمجتمع .
٢. لماذا تركز الآية على اللسان وعظم الذنب اللساني؟
اللسان هو أخطر عضو إذا لم يتم ضبطه . الآية تركز عليه لأنه:
· أداة النقل: الشائعة لا تنتقل إلا بالألسنة.
· أداة الإيذاء: أذية اللسان قد تكون أشد من أذية اليد.
· أداة القذف: جريمة العرض ترتكب باللسان .
الرسالة التربوية: لا تتهاون بالكلمة؛ فرب كلمة لا يلقي لها بال تهوي به في النار سبعين خريفاً . ة ال ﷺ: "إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالا ً يهوي بها في جهنم" .
٣. تربية المسلمين على تعظيم الذنوب الصغيرة
الآية تعلمنا درساً عظيماً: لا تستصغر ذنباً . الصحابة حسبوا أن تناقل الكلام أمر هين، فبيّن الله أنه عظيم. قال ﷺ: "إياكم ومحقرات الذنوب، فإنما مثل محقرات الذنوب كمثل قوم نزلوا بطن وادٍ، فجاء ذا بعود، وجاء ذا بعود، حتى أنضجوا خبزتهم، وإن محقرات الذنوب متى يؤخذ بها صاحبها تهلكه" .
٤. أهمية التلقي الواعي ومنهج التربية عليه
التلقي الواعي هو أخذ الأخبار بعد تمحيصها وتمريرها على العقل والقلب والشرع قبل قبولها أو نقلها .
منهج التلقي الواعي الذي تربية الآية:

1. لا تتلقى الخبر بلسانك فتنقله: بل استقبله بعقلك فتفكر فيه.
2. لا تقل بفمك ما لا تعلم: تأكد ثم تكلم.
3. احسب للكلمة حسابها عند الله: لا تستهين بها.
4. مرر الخبر على ميزان الشرع: هل يليق بقدر الله وحرمات الناس؟

دور هذا المفهوم في بناء المجتمع: مجتمع يربي أبناءه على التلقي الواعي هو مجتمع لا يخترق

بسهولة، ولا تهزه الشائعات. في عصر المعلومات السريعة، نحتاج إلى هذا الفقه حتى لا نكون مرآة عاكسة لكل ما نسمع .
٥. الرسائل العملية التي يريدها المولى من الآية
· تأمل قبل النقل: لا تكن ناقلا ً لكل ما تسمع.
· تذكر عظمة الله: من يستهين بالكلمة ينسى أنه سيقف بين يدي الله.
· اشعر بالمسؤولية: كل كلمة مسؤول.
· تعلم الصمت: إذا لم تجد خيراً تقوله، فالصمت سلامة.
٦. اللسان أخطر عضو: قاعدة شرعية
اللسان هو أخطر عضو في الجسد إن لم يضبط . قال ﷺ لمعاذ: "أمسك عليك هذا" وأشار إلى لسانه، فقال معاذ: وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به؟ قال: "ثكلتك أمك يا معاذ، وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا حصائد ألسنتهم" .
كيف نضبط اللسان؟ بالتفكر قبل الكلام، وبذكر الرقيب (الملكان)، وبمراقبة الله.
٧. فقه التلقي في حياتنا المعاصرة
في زمن وسائل التواصل الاجتماعي، نرى كثيرين يكتبون كل ما يطرأ على ذهنهم دون تفحص . الآ ية تقدم لنا فقه التلقي:
· المنشورات: قبل أن تنشر، هل هذا الكلام صحيح؟ هل ينفع أم يضر؟
· الحالات على واتساب: هل هذا الخبر يستحق النشر؟ هل تثبتت منه؟
· التعليقات: هل كلمتك ستكون خيراً أم شراً؟
قال د. خضر البارون: عند الحديث في وسائل التواصل الاجتماعي يجب أن تكون اللغة والمفردات محترمة، وعلى المتلقين أن يدققوا فيما يتلقون من معلومات .
٨. دور الآية في بناء مجتمع واع يترفع عن الدنايا
الآية تبني مجتمعاً:
· يتقي الله في كلماته ومنشوراته.
· يترفع عن الخوض في أعراض الناس.
· يستشعر أن الكلمة أمانة .
لماذا نسب التلقي للألسنة؟
لأن الألسنة هي الأداة الظاهرة للنقل، وإن كان السمع هو الأداة الخفية للتلقي. نسب للألسنة لأن الذنب وقع بها .
حكم نقل الأخبار دون تثبت: هو محرم شرعاً، لأنه قول بلا علم، والله نهى عن ذلك .
٩. استشعار عظم الذنب عند الله
الآية تختم بـ "عظيم" لتبين أن هذا الذنب ليس صغيراً، بل هو في ميزان الله كبير. قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ} [النور:23]
.
على من يعود العتاب؟ على الذين تناقلوا الإفك ورددوه دون تثبت، وهم المؤمنون الذين كان ينبغي أن يكون موقفهم حسناً .
اللمسات البيانية والبلاغية في الآية
العنصر الدلالة
{تَلَقَّوْنَهُ} تصوير آلية التناقل، وكأنهم يتسلمونه من بعضهم .
{بِأَلْسِنَتِكُمْ} تخصيص الألسنة لأنها أداة الجريمة .
{بِأَفْوَاهِكُمْ} تأكيد على النطق الفعلي، وربما للإشارة إلى أن ما يخرج من الأفواه هو كلام غير معقول.
{مَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ} نكرة (علم) للتعميم، أي أي نوع من العلم، حتى الظني، فكيف باليقيني.
{هَيِّنًا} تصغير للذنب في أعينهم، مع أنه كبير.
{عَظِيمٌ} تكبير للذنب عند الله، مع أنه صغير في أعينهم.
المقابلة بين {هَيِّنًا} و{عَظِيمٌ} لإبراز الفرق بين رؤية البشر ورؤية الله.
اللمسة البلاغية الكبرى: خُصت الألسنة بالذكر في هذه الآية لأن المقام مقام الكلام، فكل آيات الإفك تتحدث عن الرمي والقذف والشهادة والقول، فكان من المناسب أن يُستنطق اللسان لأنه هو الفاعل .
دور المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع المسلم والحضارة الإسلامية
المجال والدور في البناء والتنمية
١/بناء الإنسان المسلم يتربى على مسؤولية الكلمة، فينشأ إنساناً دقيقاً في نقده، عميقاً في تفكيره، لا يندفع وراء العواطف.
٢/بناء المجتمع المسلم مجتمع متماسك لا تفتته الشائعات، أفراده حصون منيعة ضد الإشاعات، يتحلون بحسن الظن والتثبت.
٣/بناء الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على العلم لا على الظن، وعلى اليقين لا على الوهم، وعلى

الصدق لا على الكذب.
٤/بناء الإعلام الإسلامي إعلام مسؤول، يتثبت قبل النشر، يزن الكلمة بميزان الشرع، لا يلهث وراء "السبق" على حساب الصدق.
٥/التربية النفسية تربية النفس على عدم الاستهانة بالمعاصي، واستشعار عظمة الله في كل صغيرة وكبيرة.
٦/التربية الأخلاقية تربية الأخلاق الفاضلة: الصدق، الأمانة، الستر، العفة، حفظ اللسان.
الخلاصة: الآية 15 من سورة النور هي ميثاق أخلاقي للكلمة في الإسلام. إنها تفضح آلية انتشار الشائعات، وتكشف خطورة الاستهانة بالكلام، وتربي في المؤمنين الوعي الكامل بمسؤولية كل كلمة ينطقون بها. في زمن طغت فيه وسائل التواصل وأصبح الكلام سهلاً ً منشوراً، تبقى هذه الآية نبراساً يضيء الطريق، ويذكرنا بأن الكلمة ليست مجرد حروف، بل هي أمانة، وهي عند الله عظيمة، وسنلقاه ونسأل عن كل حرف كتبناه أو قلناه. فطوبى لمن حفظ لسانه، وويل لمن أطلقه بلا وعي و لا مسؤولية
سادسا
تفسير الآية 16 من سورة النور
{وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآية السابقة
بعد أن كشفت الآية السابقة (الآية 15) آلية انتشار الشائعة، وكيف يتلقاها الناس بألسنتهم ويقولون بأفواههم ما لا علم لهم به، ويحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم، تأتي هذه الآية (الآية 16) لتقدم النموذج الإيماني الراقي الذي كان ينبغي أن يكون عليه موقف المؤمنين عند سماعهم للإفك .
إنه الانتقال من التشخيص إلى الوصفة العلاجية، ومن بيان الخطأ إلى تعليم الصواب. الآية السابقة وصفت ما حدث (التلقي والقول والاستخفاف)، وهذه الآية تبين ما كان يجب أن يقال (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك، هذا بهتان عظيم). إنها المرآة التي يرى فيها المؤمن كيف كان ينبغي أن يكون رد فعله .
أهداف ومقاصد الآية
1. تأديب المؤمنين وتوجيههم: بيان الموقف الصحيح الذي كان ينبغي أن يتخذوه عند سماع الإ فك .
2. ترسيخ قاعدة الإنكار الفوري: وجوب المبادرة برد الشائعة وتكذيبها بمجرد سماعها .
3. تعظيم حرمات الله ورسوله والمؤمنين: جعل المؤمن يدرك أن الكلام في الأعراض ليس أمراً عادياً .
4. تربية الضمير الحي: استحضار مراقبة الله في كل كلمة (سبحانك) .
5. وضع معيار للتعامل مع الأخبار: الرفض القاطع لكل ما يمس أعراض الناس دون دليل .
الأفكار الرئيسية في الآية
1. الندم والعتاب (وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ).
2. الاستحالة الإيمانية (مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا).
3. تنزيه الله (سُبْحَٰنَكَ).
4. وصف الجريمة (هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ).
الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها
الامر الاول
: {وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم}
"لولا" هنا حرف تحضيض بمعنى "هلا"، وهو توبيخ وعتاب للمؤمنين الذين لم يقولوا هذا القول حين سمعوا الإفك . إنه عتاب على ترك الواجب، وهو الإنكار الفوري.
اللمسة البيانية: بدأ بـ"لولا" التي تفيد التخصيص والعتاب، ثم أتى بـ"إذ سمعتموه" لتحديد زمن العتاب (حين السماع)، ثم بـ"قلتم" لبيان الفعل المطلوب (القول). هذا الترتيب يؤكد أن المبادرة بـ القول هي المطلوبة، لا مجرد الظن القلبي .
الامر الثانى
ً: {مَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا}
هذا هو الموقف الإيماني الصحيح: رفض الحديث من أساسه. "ما يكون لنا" تعني الاستحالة الأدبية والشرعية، أي لا يليق بنا ولا يحق لنا كمسلمين أن نتكلم بهذا الكلام .
الرسالة التربوية: المؤمن الحق يستعظم الكلام في أعراض الناس، ويستبعده عن نفسه استبعاداً كلياً، وكأنه يقول: هذا الكلام ليس من شأننا، ولا يليق بنا .
الامر الثالث : {سُبْحَٰنَكَ}
هذا تنزيه لله عن كل سوء. ومعناه هنا: تنزيه الله أن يقع هذا الأمر على أهل بيت نبيه، أو تنزيه الله أن يرضى بهذا الكلام أو يأذن فيه . إنه اعتراف بأن الله منزه عن أن تقال هذه الفاحشة في حقه أو في حق رسوله وأهله.

اللمسة البلاغية: تقديم التسبيح قبل الحكم بالبهتان فيه فائدتان:
· تعظيم الله: بدأ بتنزيه الله قبل الحديث عن الجريمة.
· التعجب والاستنكار: التسبيح هنا بمعنى التعجب من عظم الكذب، كما يقول العرب: سبحان الله! إذا تعجبوا من شيء .

الامر الرابع

{هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ}

البهتان هو الكذب الذي يبهت سامعه، أي يدهشه ويحيره لشدته . والبهتان أشد من الإفك وأقبح . ووصفه بـ"عظيم" تأكيد على أن هذا الكذب ليس صغيراً، بل هو في قمة الكذب وشدة القبح .
اللمسة البيانية: اسم الإشارة (هذا) للقريب، مع أن الخبر بعيد عنهم، لكنهم يستحضرونه كأنه أمامهم لشدة إنكارهم له . وتنكير (بهتان) للتعظيم، أي بهتان لا يقادر قدره .
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. لماذا بدأ الله بـ (لولا) وما القواعد التي تتضمنها؟
سبب البدء بـ (لولا): هو تخصيص العتاب للمؤمنين الذين لم ينكروا الإفك فور سماعه. إنه تذكير بأن السكوت عن الشائعة مشاركة فيها، وأن الواجب الشرعي هو الإنكار الفوري .
القواعد التي تتضمنها المقدمة:
· قاعدة المسؤولية الجماعية: كل فرد مسؤول عن رد الشائعة.
· قاعدة المبادرة: لا تأجيل للإنكار.
· قاعدة القول بالفعل: الإنكار لا يكون بالقلب فقط، بل باللسان.
توجيه المؤمنين عند سماع التهمة: الآية ترسم الخطوات العملية:
1. الرفض القاطع: (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا).
2. تنزيه الله: (سبحانك).
3. التسمية الصريحة: (هذا بهتان عظيم).
٢. بشاعة تناقل الخبر دون تفكر وكيفية الرد على من يخوض في عرض الرسول ﷺ
الآية تظهر بشاعة أن يخوض المؤمنون في عرض النبي ﷺ دون أن يتدبروا ما يقولون. لو تفكروا لعلموا استحالة وقوع هذا الأمر على بيت النبوة. وهذا يدل على أن التفكر واجب قبل الكلام.
كيف نرد اليوم على من يخوض في عرض الرسول ﷺ:
· بالتكذيب الفوري: هذا كذب وافتراء.
· بالتعجب والاستنكار: سبحانك هذا بهتان عظيم.
· ببيان أن هذا لا يليق بمقام النبوة: ما يكون لنا أن نتكلم بهذا.
· بمقاطعته وعدم الإصغاء له.
· بالرد العلمي الموثق الذي يظهر كذبه.
الرسائل العملية لنا:
· لا تترك مجالاً للشائعة أن تنمو بصمتك.
· كن جريئاً في رد الباطل.
· استحضر أن الدفاع عن النبي ﷺ واجب شرعي.
٣. وجوب المبادرة الفورية بالرفض وعدم التساهل
الآية تؤكد أن التردد أو التساهل في التحقق ليس مقبولاً. المطلوب رفض فوري لأن الأمر يتعلق بحرمات المؤمنين. قال بعض المفسرين: كان ينبغي أن تقولوا بمجرد السماع: هذا لا يصح، هذا لا يليق بنا، هذا بهتان .
أهمية هذه القاعدة في حياة المجتمع:
· تمنع انتشار الشائعة في مهدها.
· تحفظ كرامة الأفراد.
· ترسيخ ثقافة الرفض للباطل.
٤. تربية المؤمنين على أن يكونوا صمام أمان لمجتمعهم
الآية تجعل المؤمنين حراساً لأعراض إخوانهم، بوازع من إيمانهم. فهم الذين يحمون بلسانهم سمعة المؤمنين والمؤمنات. وهذا يتطلب:
· تقوى الله في السر والعلن.
· سرعة إنكار المنكر.
· تعظيم حرمات المسلمين.
٥. قاعدة: الصمت عن الشائعات مشاركة فيها
من خلال عتاب الله للمؤمنين الذين لم يقولوا هذا القول، نستنتج أن السكوت عن الشائعة مشاركة ضمنية فيها، لأن الساكت ساكت عن الحق، والسكوت عن الحق باطل . وهذا يوجب على كل مسلم:
· الإنكار الفوري.
· عدم التهاون في سماع القذف أو الكذب.

٦. دلالة (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا سبحانك هذا بهتان عظيم)
ما يكون لنا أن نتكلم بهذا: تعزز مبدأ تحصين المجتمع عبر سلامة اللسان، فالمؤمن لا يتكلم إلا بخير، ويستعظم الكلام في الأعراض .
سبحانك: تنزيه لله، وفيه استحضار للرقابة الإلهية، وأن الله يراقب كل كلمة.
هذا بهتان عظيم: وصف الجريمة باسمها القبيح، ليكون رادعاً للنفوس.
دور هذه العبارات في التربية:
· تربية اليقظة الإيمانية.
· تعظيم الحرمات.
· رفض الباطل باسمه.
كيف أطبق هذا في واقعي:
· عندما أسمع شائعة، أقول فوراً: هذا لا يصح، هذا كذب.
· إذا كان الخبر عن مسلم، أقول: سبحان الله، ما كان لمثله أن يفعل هذا.
· أذكر نفسي والآخرين بأن هذا بهتان عظيم عند الله.
أهمية استحضار التسبيح والتعجب:
التسبيح (سبحانك) يوقظ في النفس استعظام الكذب، لأن تنزيه الله يستلزم تنزيه رسوله وأوليائه .
دلالة وصف البهتان بالعظيم:
تأكيد على أن هذا الذنب ليس هيناً، بل هو من الكبائر العظيمة .
دور الآية في بناء المجتمع المثالي والحضارة الإسلامية
المجال الدور في البناء والتنمية
١/بناء المجتمع المثالي مجتمع يقوم على الرفض القاطع للشائعات، وأفراده حصن منيع ضد الإ شاعات.
٢/تأهيل المسلم لقيادة العالم المسلم القائد لا يندفع وراء كل ناعق، بل يتثبت وينكر الباطل بجرأة.
٣/بناء الثقافة الإسلامية ثقافة تقوم على تعظيم الحرمات، واحترام الأعراض، وضبط اللسان.
٤/الأبعاد الحضارية والإنسانية تقدم نموذجاً إنسانياً راقياً في التعامل مع الأخبار، يضمن كرامة الإ نسان.
٥/بناء المجتمعات الإسلامية الراقية مجتمع لا يلهث وراء الفضائح، بل يستر ويتقي الله.
الخلاصة: الآية 16 من سورة النور هي القمة التربوية في قصة الإفك. إنها تضع المعيار الذهبي للتعامل مع الشائعات: رفض فوري، واستعظام للكذب، وتنزيه لله، وتسمية للأشياء بمسمياتها. وهي بذلك تبني مجتمعاً واعياً، يدرك مسؤوليته، ويحمي أعراض إخوانه، ويترفع عن الدنايا. إنها دعوة لكل مؤمن أن يكون صمام أمان لمجتمعه، وحارساً لأعراض الناس، ومناراً للحق في زمن كثر فيه الباطل...
سابعا
تفسير الآية 17 من سورة النور
{يَعِظُكُمُ اللهُ أن تعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إن كنتُم مُؤْمِنِينَ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيات السابقة
بعد أن استكملت الآيات السابقة بيان موقف المؤمنين الخاطئ من حادثة الإفك:
· الآية 15: كشفت آلية التناقل الخاطئ (تلقونه بألسنتكم).
· الآية 16: بيّنت الموقف الصحيح الذي كان ينبغي أن يكون (ما يكون لنا أن نتكلم بهذا).
تأتي الآية 17 لتكون خاتمة العتاب الإلهي، ولتحوّل هذا التوجيه إلى مبدأ شرعي دائم، وإلى موعظة إلهية ترسخ في النفوس قواعد حماية الأعراض إلى الأبد . إنه الانتقال من تصحيح الخطأ إلى الوقاية منه، ومن معالجة الحادثة إلى تأصيل القاعدة.
أهداف ومقاصد الآية
1. تثبيت القواعد الشرعية في النفوس: تحويل التوجيه العابر إلى مبدأ راسخ .
2. التربية على الوقاية: قطع الطريق على تكرار مثل هذه الجرائم .
3. ربط الامتثال بالإيمان: جعل الاستجابة لهذا الوعظ دليلا ً على صدق الإيمان .
4. إظهار الرحمة الإلهية: الوعظ هنا ليس توبيخاً فقط، بل هو رحمة ولطف بالعباد .
الأفكار الرئيسية في الآية
1. مصدر الوعظ (يَعِظُكُمُ اللهُ).
2. مضمون الوعظ (أن تعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا).
3. شرط القبول (إن كنتُم مُؤْمِنِينَ).
الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها
الامر الاول ً: {يَعِظُكُمُ اللهُ}
الوعظ لغة وشرعاً: الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب، مع تخويف وزجر . قال الخليل: "هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب" . فالوعظ يجمع بين:

· التذكير: استحضار المعاني الإيمانية.
· الترقيق: التأثير في القلوب.
· التخويف: التحذير من العواقب.
اللمسة البيانية الكبرى: عندما يضيف الله الوعظ إلى نفسه (يَعِظُكُمُ اللهُ)، فإن ذلك يمنح الموعظة قوة وقداسة لا تضاهى. إنه ليس وعظ بشر يخطئ ويصيب، بل وعظ الخالق العليم بحال عباده .
وقد وردت كلمة "يعظكم" في القرآن أربع مرات، كلها في سياق التعظيم والتشريف .
اللمسة التربوية: وصف الوعظ بأنه من الله يوجب على النفس:
· القبول التام: لأنه كلام رب العالمين.
· التسليم الشامل: لأنه لا يأمر إلا بخير.
· الشكر الدائم: لأنه هداية وتوجيه من المنعم.
الامر الثانى
: {أَن تعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا}
"أن تعودوا": النهي عن العودة، وفيه إشارة إلى أن ما حدث كان ذنباً يجب عدم تكراره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: "يحرم الله عليكم" . وقال مجاهد: "ينهاكم الله" .
"لمثله": أي لنظيره من رمي المؤمنين بالفجور والطعن في أعراضهم . لم يقل الله "لمثل الإفك" فقط، بل قال "لمثله" ليشمل كل ما يشبهه من أقوال وأفعال تمس حرمات الناس.
"أبدًا": تأكيد على دوام النهي واستمراره إلى الأبد . إنه ليس نهياً مؤقتاً، بل هو تشريع خالد يحمي المجتمع المسلم عبر العصور.
اللمسة البلاغية: الجمع بين "لمثله" و"أبدًا" يؤكد قطعية النهي وعمومه، فلا عودة لمثل هذه الجرائم لا قريباً ولا بعيداً، ولا في صورة مشابهة ولا مقاربة.
الامر الثالث
{إِن كنتُم مُّؤْمِنِينَ}
الربط بين الإيمان والامتثال: هذا الشرط ليس للشك في إيمانهم، بل هو تهييج وتحفيز . معناه: إن كانت حقيقة الإيمان موجودة في قلوبكم، فستستجيبون لهذا الوعظ وتمتثلون له. قال السعدي رحمه الله: "دل ذلك على أن الإيمان الصادق، يمنع صاحبه من الإقدام على المحرمات" .
الإيمان حارس: الآية تؤكد أن الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، بل هو حارس يمنع اللسان من الوقوع في أعراض الناس. فمن آمن حقاً، استعظم الكلام في الأعراض.
اللمسات البيانية والبلاغية
العنصر الدلالة
١/{يَعِظُكُمُ اللهُ} إضافة الوعظ إلى الله تفيد التعظيم والتشريف، وتوجب القبول والتسليم .
تقديم الفعل على الفاعل (يَعِظُكُمُ اللهُ) قدم المفعول للاهتمام بالمخاطبين، وكأنه يقول: أنتم محل وعظي ورعايتي.
٢/{أَن تعُودُوا} استخدام المصدر الصريح (تعودوا) للإشارة إلى أن العودة ممنوعة بكل صورها.
٣/{لِمِثْلِهِ} تنكير "مثل" للتعميم، أي كل ما يشابهه في القبح والشدة .
٤/{أَبَدًا} ظرف زمان يفيد التأبيد والاستمرار، لقطع أي احتمال للعودة .
٥/{إِن كنتُم مُّؤْمِنِينَ} شرط للتحفيز والتهييج، وليس للشك .
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. لماذا استخدمت الآية لفظ "يعظكم" وما أثر وصف الوعظ بأنه من الله؟
استخدمت الآية لفظ "يعظكم" لأنه يجمع بين:
· التذكير بالخير: استحضار فضل الله ورحمته.
· الترقيق والتأثير: مخاطبة القلوب بلطف.
· التحذير والتخويف: زجر النفوس عن المعصية .
أثر وصف الوعظ بأنه من الله:
· يوجب القبول التام: لأن كلام الله هو الحق.
· يستدعي التسليم الشامل: لا اعتراض على حكمه.
· يستحق الشكر الدائم: لأنه هداية ورحمة.
٢. دور الآية في تثبيت القواعد الشرعية في النفوس
هذه الآية تمثل اللمسة الأخيرة في تثبيت قواعد حماية الأعراض:
· الآية 11: كشفت المؤامرة.
· الآية 12: علمت حسن الظن.
· الآية 13: أصلت القاعدة القانونية.
· الآية 14: ذكرت بفضل الله.
· الآية 15: حذّرت من التناقل.
· الآية 16: علمت الرفض الفوري.

· الآية 17: ختمت بالوعظ الدائم.
هذا التدرج هو الإعجاز التربوي في بناء المجتمع المسلم .
٣. لمسة الرحمة واللطف في الوعظ الإلهي
الله يعظ عباده مع أنه الغني عنهم . هذا يدل على:
· رحمة الله بعباده: يريد لهم الخير والهداية.
· لطف الله بهم: لا يعاجلهم بالعقوبة، بل يوعظهم ويرشدهم.
٤. لماذا قال "يعظكم" ولم يقل "يأمركم"؟
"يأمركم" توحي بالتكليف المباشر، أما "يعظكم" فتوحي:
· بالرحمة واللطف: الوعظ أرق وألطف من الأمر.
· بالتأثير في القلوب: الوعظ يخاطب المشاعر قبل العقل.
· بالتربية المستمرة: الوعظ عملية متجددة، وليس أمراً منجزاً.
٥. كيف نشعر برحمة الله في تحذيره من الكبائر؟
تحذير الله لنا من الوقوع في الكبائر هو من أعظم مظاهر رحمته، لأنه:
· يحمينا من عذاب الدنيا والآخرة.
· يصون كرامتنا وحرماتنا.
· يحمي مجتمعاتنا من الفتن.
· يربينا على القيم الفاضلة.
٦. كيف نقابل مواعظ الله بالقبول والتسليم والشكر؟
· بالقبول: نستقبلها بصدق وإذعان.
· بالتسليم: لا نجادل ولا نعترض
· بالشكر: نحمده على هدايته وتوجيهه .
٧. تعلمنا الآية أسلوب الخطاب المؤثر
الآية تعلمنا كيف نخاطب الناس بما يضمن استجابتهم:
· باللطف والرحمة: وعظ لا تكليف جاف.
· بالتحفيز: "إن كنتم مؤمنين" توقظ الهمة.
· بالترقيق: مخاطبة القلوب قبل العقول.
٨. فهم أن الوعظ الإلهي رحمة وخوف من الله علينا
الله يعظنا لأنه يخاف علينا من عذابه، وهذا من تمام رحمته. إنه كالأب الحنون يحذر ابنه من المهالك.
٩. ربط المواعظ بالإيمان
الآية تربط الاستجابة للوعظ بالإيمان: {إن كنتُم مُؤْمِنِينَ} . هذا يعني:
· الإيمان ليس مجرد شعور، بل هو سلوك والتزام.
· الإيمان حارس يمنع اللسان من الوقوع في الأعراض.
· من آمن حقاً استعظم الكلام في أعراض الناس.
١٠. كيف تساهم الآية في حماية المجتمع وصيانته؟
· تربي الأفراد على حساسية عالية تجاه حرمات الآخرين.
· تخلق وعياً جماعياً بخطورة الخوض في الأعراض.
· تبني جداراً منيعاً ضد الشائعات والإشاعات.
١١. دلالة {أن تعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا}
· "أن تعودوا": تدل على أن ما حدث كان ذنباً يجب عدم تكراره.
· "لمثله": تشمل كل ما يشابهه من أقوال وأفعال.
· "أبدًا": تحسم الأمر نهائياً، فلا مجال للعودة .
١٢. ربط الامتثال بالإيمان {إن كنتُم مُؤْمِنِينَ}
هذا الربط يعلمنا أن الإيمان الصادق يظهر في السلوك . فمن كان مؤمناً حقاً، سيمتنع عن الخوض في أعراض الناس. الإيمان ليس مجرد كلمة، بل هو حارس أمن اجتماعي.
١٣. المفاهيم العملية للتطبيق في عصر وسائل التواصل
كيف نطبق هذه الآية في حياتنا اليومية؟
· في التعامل مع الشائعات: نستحضر أن الله يعظنا ألا نعود لمثلها أبداً.
· عند استخدام وسائل التواصل: نتذكر أن كل كلمة سنحاسب عليها، وأن الإيمان يمنعنا من الطعن في الناس.
· في التربية: نربي أبناءنا على أن الإيمان ليس صلاة وصوماً فقط، بل هو أيضاً حفظ للألسنة وصيانة للأعراض.
كيف نترجم الإيمان عملياً؟
· بالامتناع الفوري عن ترديد أي إشاعة.

· بالإنكار العلني على من ينشر الشائعات.
· بالتربية الأسرية على حرمة أعراض الناس.
· باستحضار الرقابة الإلهية في كل كلمة نكتبها أو ننشرها.
دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
المجال الدور في البناء والتنمية
١/بناء الإنسان الفرد يتربى على حساسية عالية تجاه حرمات الآخرين، فلا يستهين بالكلمة، ويشعر بمسؤولية كل حرف ينطق به.
٢/بناء المجتمع المسلم مجتمع متماسك لا تفتته الشائعات، أفراده حصن منيع ضد الإشاعات، يتحلون بحسن الظن والتثبت.
٣/بناء الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على احترام الكرامة الإنسانية، وصيانة الأعراض، وضبط الألسنة.
٤/التربية على اليقظة والوقاية تربية الفرد على "حساسية التعامل مع كرامات الآخرين" تعني أن يشعر بألم الأذى قبل أن يحدث، فيمتنع عن الكلمة الجارحة.
٥/ضبط المجتمع بالوقاية قبل العلاج الآية تركز على الوقاية: لا تعودوا. هذا أرحم وأسهل من العلاج بعد الفتنة.
٦/تربية الأبناء نعلمهم أن الإيمان الحقيقي يظهر في حفظ اللسان، وأن من آمن بالله استحال أن يخوض في عرض مسلم.
الخلاصة: الآية 17 من سورة النور هي خاتمة الموعظة الإلهية في قصة الإفك، وهي ميثاق أبدي يحرم على المؤمنين العودة لمثل هذه الجرائم. إنها تربي فينا الشعور بأن الإيمان ليس مجرد كلمة، بل هو حارس أمين يمنعنا من انتهاك حرمات الناس. وهي بذلك تبني مجتمعاً واعياً، يحمي أعراض إخوانه، ويصون كرامتهم، ويضبط ألسنتهم، امتثالا ً لوعظ الله ورجاء في رحمته
ثامنا
تفسير الآية 18 من سورة النور
{وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ ۚ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيات السابقة
بعد هذه الرحلة التربوية الطويلة في آيات الإفك، والتي تضمنت:
· الآية 11: كشف المؤامرة وحقيقة الجماعة التي جاءت بالإفك.
· الآية 12: تربية الضمير على حسن الظن والتكذيب الفوري.
· الآية 13: تأصيل القاعدة القانونية (البينة على من ادعى).
· الآية 14: التذكير بفضل الله ورحمته الذي سترهم ولم يعاجلهم بالعذاب.
· الآية 15: كشف آلية انتشار الشائعة وخطورة الاستخفاف بالكلمة.
· الآية 16: تعليم الموقف الإيماني الصحيح (الرفض الفوري والتسبيح).
· الآية 17: الوعظ الإلهي والنهي الأبدي عن العودة لمثل هذا الذنب.
تأتي الآية 18 لتكون خاتمة هذا المقطع العظيم، وتذييلا ً يربط كل هذه الأحكام بمصدرها الإلهي. إنها الانتقال من بيان الأحكام إلى تأكيد مصدرها وحكمتها، ومن التشريع إلى التربية على الثقة بـ الشارع .
هذه الآية بمثابة التوقيع الإلهي على وثيقة الإفك، تؤكد أن كل ما سبق هو بيان من الله، وأن هذا البيان صادر عن علمه المطلق وحكمته البالغة .
أهداف ومقاصد الآية
1. تأكيد مصدرية التشريع: بيان أن هذه الأحكام ليست من اجتهاد بشر، بل هي من عند الله .
2. الامتنان على الأمة: تذكير المؤمنين بنعمة البيان الإلهي الذي يكشف لهم الحقائق .
3. تربية الثقة بالله: زرع الطمأنينة في قلوب المؤمنين بأن ما شرعه الله هو الأصلح .
4. ربط العلم بالحكمة: التأكيد على أن تشريعات الله تجمع بين العلم الكامل والحكمة البالغة .
5. دعوة للتفكر: حث المؤمنين على التأمل في آيات الله وفهم مقاصدها
الأفكار الرئيسية في الآية
1. فعل البيان الإلهي (وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ).
2. المتلقي للبيان (لَكُمْ) خطاب للمؤمنين.
3. المصدر المؤسس للبيان (وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ).
الشرح التفصيلي للآية ودلالاتها
أولا ً: {وَيُبَيِّنُ اللهُ لَكُمُ الآيَاتِ}
البيان لغة وشرعاً: البيان هو الكشف والإيضاح وإخراج الشيء من حيز الخفاء إلى حيز الظهور . و الله سبحانه يبين لعباده آياته، أي يوضحها ويكشفها لهم حتى لا يبقى لديهم شك أو التباس .
اللمسة البيانية في الفعل (يبين):
· الفعل مضارع (يبين) يدل على التجدد والاستمرار، أي أن الله مستمر في بيان آياته ورحمته لعباده، وليس بياناً لمرة واحدة .

· تقديم المتعلق (لكم) على الآيات: (يبين الله لكم الآيات) فيه اهتمام بالمخاطبين، وكأنه يقول: أنتم محل عنايتي وبياني .
دلالة الآيات هنا: الآيات تشمل كل ما سبق من أحكام وتوجيهات في قصة الإفك، وتشمل أيضاً سائر آيات القرآن. إنه تعميم بعد تخصيص .
الامر الثانى
{وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}
عليم: صيغة مبالغة تدل على كمال العلم، فهو سبحانه يعلم كل شيء: يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم ما يصلح عباده وما يفسدهم .
حكيم: صيغة مبالغة تدل على كمال الحكمة، فهو سبحانه يضع كل شيء في موضعه، ويشرع ما فيه صلاح العباد في الدنيا والآخرة .
الجمع بين الاسمين:
· عليم يشير إلى أن تشريعاته مبنية على علم كامل بواقع البشر ومستقبلهم.
· حكيم يشير إلى أن هذه التشريعات تهدف إلى تحقيق المصالح ودفع المفاسد.
· الجمع بينهما يعني: هو العليم بما يصلحكم، الحكيم في شرعه لكم .
اللمسة البيانية: ختم الآية بهذين الاسمين بعد سلسلة من الأحكام له دلالة عميقة: كل حكم من هذه الأحكام صادر عن علم الله بما كان وما سيكون، وعن حكمته في وضع الحدود والموازين .
الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. أهمية الامتثال للتوجيهات الإلهية والحذر من العودة للمعاصي
الآية تذكرنا بأن الله قد بيّن لنا الآيات وأوضح لنا الحق، فلم يعد لنا عذر بعد البيان . هذا يوجب علينا:
· الامتثال الكامل لما جاء في هذه الآيات.
· الحذر الشديد من العودة لمثل تلك المعاصي.
· استشعار المسؤولية بعد وضوح الحجة .
٢. التمسك بأمر الله هو السبيل الوحيد للأمن والصفاء الاجتماعي
مفهوم الأمن الاجتماعي: هو الحالة التي يسودها الثقة والطمأنينة بين أفراد المجتمع، وتصان فيها الأ عراض والحرمات .
الآية تأتي بعد سلسلة من الأحكام التي تحقق هذا الأمن:
· حسن الظن يمنع الشكوك.
· البينة تمنع الاتهامات الباطلة.
· الحدود تردع المعتدين.
· الوعظ يربي الضمائر.
دلالة ختم الآيات: ختم هذه الأحكام بقوله {وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} يؤكد أن هذه التشريعات هي الأصلح لتحقيق الأمن الاجتماعي، لأنها من عند العليم الحكيم .
٣. بيان الله للأحكام رحمة ووقاية
مفهوم الرحمة في البيان: أن الله لم يتركنا في حيرة من أمرنا، بل بيّن لنا طريق الحق ووضحه. هذا من أعظم مظاهر رحمته .
مفهوم الوقاية في البيان: هذه الأحكام ليست مجرد تشريعات نظرية، بل هي وقاية للمجتمع من الا نهيار والتفكك. فحد القذف يحمي الأعراض، وحسن الظن يحمي العلاقات، والتثبت يحمي من الشائعات.
كيف نستشعر عظمة نعمة البيان؟
· بتخيل الحياة بدون هذه التوجيهات: فوضى أخلاقية، أعراض منتهكة، شائعات مدمرة.
· بمقارنة المجتمعات التي تخلو من هذه القيم مع المجتمعات المسلمة.
· باستشعار أن هذه الأحكام تحمينا نحن وأسرنا.
ربط السياق بالمنة: الله كشف لنا خطط المنافقين ومؤامراتهم التي كانت تهدف للنيل من مكانة المسلمين الأخلاقية، وبيّن لنا وسائل مواجهة هذه المكائد مستقبلا ً . هذه نعمة عظيمة تستوجب الشكر.
٤. شرع الله هو الأصلح للمجتمع لأنه من عند العليم الحكيم
مفهوم الأصلح: الله العليم يعلم ما يصلح عباده، والحكيم يضع كل شيء في موضعه. إذاً، شرعه هو الأصلح لهم في كل زمان ومكان .
دور هذا المفهوم في بناء الثقة: عندما يوقن المؤمن أن ما شرعه الله هو الأصلح له، فإنه:
· يستجيب لله بثقة ويقين.
· لا ينظر للتشريعات كقيود، بل كحماية ورعاية.
· يطمئن قلبه إلى عدالة الله وحكمته.
٥. كيف تحمي الآية المجتمع من الظن السيء؟

الآية تحمي المجتمع من الظن السيء عن طريق:
· البيان الشافي: حين يعلم الناس الحق، لا يبقى مجال للظنون.
· التأصيل الشرعي: عندما تؤصل الآيات أن الأصل في المسلم البراءة، يقل الظن السيء.
· الردع المعنوي: من يعلم أن الله عليم حكيم، سيراقبه في ظنونه وأقواله.
المسؤولية الملقاة علينا بعد البيان:
· أداء الأمانة: العمل بما تعلمنا.
· التبليغ: نشر هذه القيم بين الناس.
· التمثيل: تطبيقها في حياتنا لتكون نموذجاً حياً.
أهمية التفكر في آيات الله:
التفكر في آيات الله المبيّنة للأحكام يزيدنا:
· إيماناً ويقيناً.
· فهماً للحكمة الإلهية.
· حرصاً على الامتثال.
٦. استشعار حكمة الله في تشريعاته والثقة بها
مفهوم استشعار الحكمة: أن ننظر إلى تشريعات الله لا كقيود تكبل حريتنا، بل كـ حواجز حماية تصوننا من السقوط.
كيف نستشعر ذلك؟
· عندما نرى المجتمعات التي تخلو من هذه القيم، ندرك نعمة التشريع.
· عندما نفكر في عواقب المعاصي، ندرك حكمة النهي.
· عندما نتأمل في مقاصد الشريعة، ندرك أنها كلها لتحقيق مصلحتنا.
دور هذا الشعور في الامتثال:
· الامتثال بحب ورغبة، لا بكره وثقل.
· القضاء على شهوات النفس وأهوائها، لأن المؤمن يوقن أن ما عند الله خير وأبقى.
· إثمار الطمأنينة النفسية، لأن القلب يثق بحكمة من يطيعه.
كيف تربي الآية على الوضوح وتقضي على الريبة؟
· عندما يبين الله الآيات، لا يبقى مجال للشك.
· المؤمن يتعامل على أساس منهج الله، فيحس بالأمن والاستقرار.
· الثقة بأن الله شرع لنا ما ينفعنا تزيل كل ريبة.
٧. مفهوم "الأمن الأخلاقي" المستنبط من الآية
تعريف الأمن الأخلاقي: هو الحالة التي يشعر فيها الفرد والمجتمع بالاطمئنان إلى سلامة الأخلاق و القيم، وحماية الأعراض، وصيانة الفضيلة .
دلالة مجيء الآية بعد آيات الحدود:
· الوقاية قبل العلاج: آيات الحدود (كالجلد للقاذف) هي علاج، ولكن الآية تؤكد على الوقاية من خ لال البيان والتوعية.
· خطوات استباقية: الإسلام يوجب على المسلم خطوات استباقية لحماية بنيته:
  · الزواج كطريق مشروع لإشباع الغريزة.
  · غض البصر كحماية من المثيرات.
  · الحزم في المبادئ مع الرحمة كمنهج تربوي.
دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع:
· بناء الإنسان: يتربى على قيم العفة والستر والوقاية.
· بناء المجتمع: يصبح مجتمعاً طاهراً، لا تعرف فيه الفاحشة طريقاً للانتشار.
· البيئة الإيمانية: تخلق بيئة مشجعة على الخير، دافعة للشر.
دور هذه الآيات في بناء المجتمع الإسلامي الأول واستعادة دور الأمة
١. الأساس الذي بني عليه المجتمع الإسلامي الأول
هذه الآيات (آيات الإفك) كانت جزءاً من المنهج التربوي الإلهي الذي ربى به الله الصحابة على يد رسول الله ﷺ . لقد كانت:
· مدرسة في الأخلاق.
· دستوراً في التعامل.
· منهجاً في مواجهة الفتن.
وبناءً على هذه التربية، انطلق الصحابة ليغيروا العالم ويقودوا البشرية.
٢. كيف نستعيد دور الأمة وفاعليتها؟

العبرة المستفادة: التغيير الحقيقي يبدأ من داخل الإنسان، ومن التزامه بمنهج الله. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ} [الرعد:11].

خطوات استعادة الدور:
1. العودة إلى القرآن: ليس قراءة فقط، بل تدبراً وتعلماً وتطبيقاً.
2. التربية بالقرآن: كما ربى النبي ﷺ أصحابه، نربي أنفسنا وأبناءنا بهذا القرآن.
3. إحياء القيم: نعيد إحياء قيم حسن الظن، والتثبت، والستر، والعفة.
4. بناء النماذج: نصنع نماذج حية تجسد هذه القيم، فتكون قدوة للعالم.
٣. التأهيل لقيادة العالم
قيادة العالم تحتاج إلى:
· أخلاق رفيعة: لا يقود الناس إلا من كان قدوة في أخلاقه.
· مجتمع متماسك: لا يقود العالم مجتمع مفكك تتنازعه الشائعات.
· منهج رباني: المنهج الذي يحقق التوازن والعدل.
وهذا كله نجده في هذه الآيات التي تربي الفرد والمجتمع على أسمى القيم.
دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان والمجتمع والبيئة الإيمانية
المجال الدور في البناء والتنمية
**بناء الإنسان المسلم يتربى على الثقة بالله، وحسن الظن، والتثبت، والمسؤولية عن الكلمة.
**بناء المجتمع المسلم يصبح مجتمعاً متماسكاً، لا تفتته الشائعات، ولا تنتهك فيه الأعراض.
**البيئة الإيمانية تخلق جواً من الطمأنينة والثقة المتبادلة، يشجع على الخير ويدفع الشر.
**التربية الأسرية نربي أبناءنا على أن الكلمة مسؤولية، وأن أعراض الناس خط أحمر.
**الإعلام الإسلامي يصبح إعلاماً مسؤولا ً، يتثبت قبل النشر، ويصون الأعراض.
**الدعوة إلى الله عندما نكون نموذجاً حياً لهذه القيم، تصبح دعوتنا مؤثرة وجاذبة.
الخلاصة: الآية 18 من سورة النور هي التذييل الإلهي الختامي لملحمة الإفك التربوية. إنها تذكرنا بأن كل ما سبق من توجيهات وأحكام هو بيان من الله العليم الحكيم. وهي تدعونا إلى:
· الثقة الكاملة في شرع الله.
· الامتثال المحب لتوجيهاته.
· استشعار النعمة في هذا البيان.
· العمل الجاد لبناء أنفسنا ومجتمعاتنا على هذه القيم، لنكون أهلا ً لقيادة العالم كما كان سلفنا الصالح.
إن عودة الأمة إلى دورها الريادي تبدأ من عودتها إلى القرآن، والتربية به، وتطبيق قيمه في واقع الحياة. وهذه الآيات تقدم لنا المنهج المتكامل لتحقيق هذه العودة المباركة..
القسم الثالث
اولا
تفسير الآية 19 من سورة النور
{إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}
مقدمة: دلالة الانتقال من الآيات السابقة
بعد هذه الرحلة التربوية الطويلة في آيات الإفك، والتي تناولت:
· الآيات 11-17: تفصيل حادثة الإفك من بدايتها إلى نهايتها، مع بيان موقف المؤمنين الخاطئ و الموقف الصحيح، والوعظ الإلهي بعدم العودة.
· الآية 18: التذييل الإلهي بأن هذا كله بيان من الله العليم الحكيم.
تأتي الآية 19 لتنتقل من معالجة حادثة معينة (حادثة الإفك) إلى تأصيل قاعدة شرعية أبدية، ومن تحريم الفعل الظاهر إلى تحريم النية الخفية . إنها الانتقال من الجراحم الظاهرة إلى أمراض القلوب ، لأن أصل الفساد ينبع من داخل الإنسان قبل أن يظهر على جوارحه .
أهداف ومقاصد الآية
1. تعميم الحكم: تحويل الوعيد من الذين أشاعوا الإفك فقط إلى كل من يحب شيوع الفاحشة في المؤمنين .
2. معالجة النوايا: ضبط بواطن القلوب ومحاسبة الإنسان على ما يضمره من حب للشر.
3. التحذير من التلذذ بالمعصية: بيان أن مجرد استلذاذ القلب بوقوع الفاحشة أو شيوعها هو جريمة تستحق العذاب .
4. تربية الضمير: جعل المؤمن رقيباً على قلبه قبل جوارحه.
5. حماية المجتمع: قطع الطريق على كل من يحاول نشر الفساد أو التلذذ بمشاهدة أعراض الناس تنتهك.
الأفكار الرئيسية في الآية
1. محبة القلب (يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ).
2. شيوع الفاحشة في المؤمنين (تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا).
3. العذاب المزدوج (لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ).

4. علم الله المطلق مقابل جهل الإنسان (وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ).

الامر الاول

ً: لماذا بدأ الوعيد بـ (يُحِبُّونَ) ولم يقل (يُشِيعُونَ)؟

١. دلالة البدء بالحب القلبي

هذا من أعمق المعاني التربوية في القرآن. الله سبحانه لم يكتفِ بمعاقبة من أشاع الفاحشة بلسانه أو فعله، بل توعد بالعذاب الأليم من أحب في قلبه أن تشيع الفاحشة ولو لم يفعل شيئاً . وهذا يدل على أن الإسلام يريد:

المستوى المطلوب شرعاً

اللسان لا تنقل الفاحشة

الجوارح لا تفعل الفاحشة

القلب لا تحب شيوع الفاححة ولا تتلذذ بسماعها

اللمسة البيانية: تقديم المحبة على الفعل يدل على أن النية السيئة عند الله كافية للعقاب، لأنها أصل الفعل ومنبعه.

٢. كيف يعالج الإسلام أمراض النفوس من الداخل؟

الإسلام لا يكتفي بمنع السلوك الظاهري، بل ينتزع حب المعصية من داخل القلب بحيث يصبح المؤمن إذا سمع بفاحشة أو معصية يشمئز منها وينفر، ولا يكون ناقلا ً لها لأنه ينظر إليها ببغض ونفور .

قال السعدي رحمه الله: "فإذا كان هذا الوعيد، لمجرد محبة أن تشيع الفاحشة، واستحلاء ذلك بالقلب ، فكيف بما هو أعظم من ذلك، من إظهاره، ونقله؟" .

٣. التطبيق المعاصر: حب مشاهدة الفواحش

في عصرنا، هناك من يتلذذ بمشاهدة الفواحش عبر مواقع الإنترنت ومقاطع الفيديو الفاضحة. هذه ا لآية توجّه إنذاراً شديداً لهؤلاء: مجرد حبك لمشاهدة هذه المحتويات ونشرها، أو تتبع أخبار الفضائح ، يجعلك داخلا ً في هذا الوعيد، حتى لو لم تفعل الفاحشة بنفسك .

الامر الثانى

تحليل المفاهيم القرآنية في الآية

١. {إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا}

معاني المفردات:

· يُحِبُّونَ: المحبة القلبية، أي يختارون ويرضون ويستمتعون بذلك .

· تشِيعَ: من الشيوع، أي تنتشر وتظهر وتتفرق في الناس .

· الْفَاحِشَةُ: الفعل القبيح المفرط القبح، وهو هنا القول السيئ والرمي بالزنا .

المراد بالآية: نزلت في المنافقين الذين أحبوا شيوع خبر الإفك عن عائشة رضي الله عنها . وهي عامة في كل من يحب انتشار الفاحشة في المؤمنين .

٢. {لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ}

العذاب في الدنيا: بالحدّ الذي يقام على القاذفين، أو بفضيحتهم وازدراء الناس لهم .

العذاب في الآخرة: عذاب النار إن ماتوا على ذلك غير تائبين .

٣. {وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}

دلالة الختم الإلهي:

· والله يعلم: يعلم كذبهم وبراءة المؤمنين، ويعلم مقدار عظم هذا الذنب، ويعلم ما تخفي الصدور من حب الفاحشة .

· وأنتم لا تعلمون: لا تعلمون الغيب ولا عواقب الأمور، ولا تعلمون ما في القلوب .

الرسالة التربوية: ردوا الأمور إلى الله، ولا تتكلموا بما لا تعلمون، ولا تحكموا على النوايا.

الامر الثالث: اللمسات البيانية والبلاغية (مدمجة مع المفاهيم)

١/البدء بـ (إِنَّ) (إِنَّ الَّذِينَ) أداة توكيد تفيد تحقيق الوعيد وثبوته، وكأن الله يؤكد أن هذا الحكم قطعي لا شك فيه.

٢/الموصول (الَّذِينَ) (الَّذِينَ يُحِبُّونَ) للعموم والشمول، فكل من اتصف بهذه الصفة يدخل في الوعيد، سواء كان منافقاً أو مسلماً.

٣/الفعل المضارع (يُحِبُّونَ) (يُحِبُّونَ) يدل على التجدد والاستمرار، أي أنهم مستمرون على هذه المحبة ، وليست مرة واحدة.

٤/المصدر (أَن تَشِيعَ) (أَن تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) يدل على أن مجرد حصول الشيوع وانتشاره هو المقصود، سواء كانوا هم الناشرين أم غيرهم.

٥/التنكير في (الْفَاحِشَةُ) (الْفَاحِشَةُ) معرفة بأل، وهي للعهد، أي الفاحشة المعروفة في قصة الإفك.

٦/التعبير بـ (أَلِيمٌ) (عَذَابٌ أَلِيمٌ) وصف العذاب بأنه مؤلم لزيادة الترهيب، وكأن الألم يصل إلى كل جزء من أجزاء الجسد.

٧/التوكيد بالظرفين (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) بيان شمولية العذاب، فلا نجاة منه في أي من النشأتين إلا

بالتوبة.
٨/المقابلة (وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) مقابلة بين علم الله المطلق وجهل الإنسان، لتذليل النفوس وتسليم الأمر لله.
الامر الرابع ً: اللمسات التجويدية (مدمجة مع المفاهيم)
*إظهار حلقي (إِنَّ الَّذِينَ) النون المشددة في (إِنَّ) تظهر عند اللام دلالة وضوح التوكيد: الإظهار هنا يعكس وضوح الوعيد وجلاءه، وكأن الصوت يخرج بقوة ليؤكد أن هؤلاء الذين يحبون شيوع الفاحشة مستحقون للعذاب بلا مواربة.
*إدغام بغنة (الَّذِينَ يُحِبُّونَ) النون الساكنة في (الَّذِينَ) دخلت على الياء في (يُحِبُّونَ) فأدغمت بغنة دلالة استمرارية المحبة: الغنة (الصوت الخارج من الأنف) تعطي امتداداً في النطق، وهذا الامتداد يرمز إلى أن محبتهم لشيوع الفاحشة مستمرة متصلة، ليست مجرد نزوة عابرة. كما أن الغنة تخفي الحرف قليلا ً، كما أن محبة الفاحشة تخفى في القلوب.
*مد طبيعي (يُحِبُّونَ) الواو في (يُحِبُّونَ) مد طبيعي حركتان دلالة الجمع والكثرة: المد في واو الجماعة يعكس أن هؤلاء المحبين ليسوا فرداً واحداً، بل جماعة متعددة، وكأن المد يمد الصوت ليشمل هذا العدد.
*إدغام بغنة (أَن تَشِيعَ) النون الساكنة في (أَن) دخلت على التاء في (تَشِيعَ) فأدغمت بغنة دلالة انتشار الفاحشة: الغنة هنا تعطي إحساساً بامتداد الصوت، وهذا الامتداد يرمز إلى انتشار الفاحشة وشيوعها في المجتمع. كلما طالت الغنة، شعرت بامتداد الفاحشة وتغلغلها في الناس.
*مد متصل (الْفَاحِشَةُ فِي) (الْفَاحِشَةُ) ليس فيها مد متصل، لكن (فِي) مد طبيعي.
*مد طبيعي (الَّذِينَ آمَنُوا) (الَّذِينَ) مد طبيعي، (آمَنُوا) مد طبيعي دلالة الثبات: المد الطبيعي يعطي استقراراً في النطق، وهذا يعكس استقرار المؤمنين في إيمانهم وثباتهم على الحق.
*إخفاء شفوي (لَهُمْ عَذَابٌ) الميم الساكنة في (لَهُمْ) دخلت على العين في (عَذَابٌ) فأخفت دلالة العذاب الخفي: الإخفاء (عدم وضوح الميم تماماً) يرمز إلى أن بعض العذاب قد يكون خفياً غير ظاهر، كالعذاب النفسي والمعنوي الذي يصيب محبي الفاحشة قبل العذاب الظاهري.
*إظهار حلقي (عَذَابٌ أَلِيمٌ) التنوين في (عَذَابٌ) دخل على همزة (أَلِيمٌ) فأظهر دلالة وضوح الألم: الإ ظهار يعكس وضوح الألم وظهوره، فلا خفاء في هذا العذاب ولا مواربة، بل هو أليم واضح شديد.
*إظلام لامي (فِي الدُّنْيَا) لام التعريف في (الدُّنْيَا) تظهر لأنها شمسية؟ بل هي قمرية لأن الدال حرف قمري.
*إظلام لامي (وَالْآخِرَةِ) لام التعريف في (الْآخِرَةِ) قمرية تظهر.
*مد عارض للسكون (الْآخِرَةِ ً) عند الوقف على (الْآخِرَةِ) يصير مداً عارضاً للسكون دلالة الترقب: المد العارض عند الوقف يعطي فرصة للتأمل في عذاب الآخرة، وكأن القارئ يترقب ما سيأتي بعد هذا العذاب.
*إظلام شمسي (وَاللهُ) لام الجلالة شمسية تظهر مع الواو، ثم تفخيم لفظ الجلالة دلالة عظمة الله: تفخيم لفظ الجلالة يعكس عظمة الله وجلاله، وأن علمه شامل لكل شيء.
*إدغام شفوي (يَعْلَمُ وَأَنتُمْ) الميم في (يَعْلَمُ) متحركة وليست ساكنة، فلا حكم.
*إخفاء حقيقي (وَأَنتُمْ لَا) النون الساكنة في (أَنتُمْ) أصلها النون في "أنتم"؟ لا، (أَنتُمْ) ليس فيها نون ساكنة، بل هي ميم أصلية.
*إدغام شفوي (وَأَنتُمْ لَا) الميم الساكنة في (أَنتُمْ) دخلت على اللام في (لَا) فأدغمت إدغاماً شفوياً دلالة اتصال الجهل بعدم العلم: الإدغام الشفوي (دمج الميم مع اللام) يرمز إلى أن جهل الإنسان ملا زم له، وكأن عدم العلم صفة لصيقة بالبشر.
*مد طبيعي (لَا تَعْلَمُونَ) (لَا) مد طبيعي، (تَعْلَمُونَ) مد طبيعي دلالة الاستمرار: المد الطبيعي في (تَعْلَمُونَ) يعكس استمرارية عدم علم الإنسان بالغيب، فهو لا يعلم أبداً ما في القلوب ولا عواقب الأ مور.

الامر الخامس

: الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة

١. خطورة حب شيوع الفاحشة في العصر الرقمي

في عصر وسائل التواصل الاجتماعي، أصبح من السهل أن يتحول الإنسان إلى ناقل للفاحشة دون أن يشعر. هذه الآية تحذر من عدة ممارسات معاصرة:

الممارسة المعاصرة الحكم المستفاد من الآية

إعادة نشر فضائح الناس إذا كنت تحب انتشار الخبر، فأنت في دائرة الوعيد

مشاهدة مقاطع الفاحشة مجرد التلذذ بالمشاهدة هو حب لشيوع الفاحشة

تتبع أخبار المشاهير السيئة هذا من حب شيوع الفاحشة

إرسال المنشورات الفاضحة للآخرين أنت تساهم في الشيوع المحرم

٢. دور الآية في تنقية المجتمع إعلامياً

الآية تضع ميثاقاً أخلاقياً وإعلامياً لحماية المجتمع:

· فحص نوايا القلب: عندما تسمع خبر فضيحة أو معصية لشخص، اسأل نفسك: ماذا تشعر؟ هل تفرح داخلياً؟ هل تتمنى انتشار الخبر؟ إذا كنت تشعر بالفرح، فاعلم أنك من الذين يحبون أن تشيع الفاحشة، فبادر إلى معالجة نفسك من هذا الداء الخطير .
· مسؤولية النشر: على كل من يعمل في الصحافة أو الإعلام أن يضع نفسه في ميزان هذه الآية. هل تتأكد من صحة الأخبار قبل نشرها؟ هل تكون سبباً في إشاعة الفاحشة؟ انظر لنفسك لتعرف أين موقعك من هذه الآية.
· تضخيم الذنوب: إذا كنت تساهم بنقل الأخبار السلبية التي تجعل المجتمع يرى المعصية أمراً عادياً مألوفاً، فاعلم أنك ممن توعّدهم الله بالعذاب الأليم، فعليك بالتوقف الفوري عن نشر أي محتوى يخدش الحياء أو يسيل أعراض المسلمين.
٣. لماذا يتساوى محب الفاحشة مع فاعلها في العذاب؟
لأن حب الشيء من الإيمان، وحب المعصية يدل على فساد القلب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "إن الله توعد بالعذاب على مجرد محبة أن تشيع الفاحشة بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة وهذه المحبة لا يقترن بها قول ولا فعل فكيف إذا اقترن بها قول أو فعل" .
٤. الموقف الشرعي والقلبي عند سماع الفاحشة
عند سماع قصة عن فاحشة أو معصية، يجب أن يكون موقفنا:
· الإنكار القلبي: نكره هذه المعصية ونبغضها.
· عدم التلذذ بسماعها: لا نستمتع بالتفاصيل.
· الستر على العاصي: نستر على المسلمين ولا نفضحهم.
· الدعاء لهم: ندعو الله أن يتوب عليهم ويهديهم.
٥. المقصود بـ (الفَاحِشَة) وإلى ماذا تدعو الآية؟
الفاحشة هنا تشمل كل قول أو فعل قبيح . الآية تدعو إلى:
· كراهية انتشار السوء بين المؤمنين.
· التربية على محبة الخير للمؤمنين .
· بناء مجتمع طاهر القلب سليم النفس.
٦. الدروس التوجيهية العملية في حياتنا
· لا تفرح بفضيحة أحد، فذلك من حب شيوع الفاحشة.
· لا تنشر أخباراً سيئة عن الناس، فأنت تساهم في الشيوع المحرم.
· لا تتتبع عورات المسلمين، فمن تتبع عورة أخيه تتبع الله عورته حتى يفضحه في بيته .
· لا تستمع للغيبة والنميمة، فالمستمع شريك الناقل.
· لا تجعل منصات التواصل وسيلة لنشر الفواحش، بل اجعلها وسيلة خير وهداية.
الامر السادس
دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
المجال الدور في البناء والتنمية
١/بناء الإنسان المسلم يتربى على سلامة القلب ونقاء السريرة، فيحب للناس ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه .
٢/بناء المجتمع المسلم مجتمع طاهر، لا تعرف فيه الفاحشة طريقاً للانتشار، أفراده يسترون على بعضهم ولا يفضحون.
٣/بناء الحضارة الإسلامية حضارة تقوم على العفة والطهر، وتصون الأعراض، وتحمي الخصوصيات.
٣/التربية النفسية تربية الضمير على مراقبة النوايا، وجعل الإنسان رقيباً على قلبه قبل جوارحه.
٤/التربية الإعلامية تأسيس ميثاق أخلاقي للإعلام يحرم نشر الفواحش أو الترويج لها.
٥/الوقاية من الانهيار الأخلاقي قطع الطريق على الفساد من منبعه، قبل أن يستشري في المجتمع.
الخلاصة: الآية 19 من سورة النور هي ميثاق القلب الطاهر في الإسلام. إنها تحذر من أخطر الأ مراض القلوب: حب شيوع الفاحشة. وتجعل مجرد هذه المحبة كافية لاستحقاق العذاب الأليم في الدنيا والآخرة. وهي بذلك تربي الأمة على:
· سلامة الصدر تجاه المؤمنين.
· كراهية انتشار السوء في المجتمع.
· الضبط الداخلي للنوايا قبل الضبط الخارجي للأفعال.
· المسؤولية الأخلاقية في التعامل مع الأخبار والمعلومات.
· بناء مجتمع طاهر، يحمي أعراض الناس، ويصون كرامتهم، ويستر عيوبهم، راجين من الله أن يسترهم في الدنيا والآخرة.
ثانيا
تفسير الآية 20 من سورة النور
{وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنّ اللهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}
مقدمة: دلالة هذا التعقيب الختامي في سياق آيات الإفك

بعد هذه الرحلة التربوية الطويلة في آيات الإفك (الآيات 11-19)، والتي تضمنت:
· كشف المؤامرة وحقيقة الجماعة التي جاءت بالإفك.
· تربية الضمير على حسن الظن والتكذيب الفوري.
· تأصيل القاعدة القانونية (البينة على من ادعى).
· التذكير بفضل الله ورحمته الذي سترهم ولم يعاجلهم بالعذاب (في الآية 14).
· كشف آلية انتشار الشائعة وخطورة الاستخفاف بالكلمة.
· تعليم الموقف الإيماني الصحيح (الرفض الفوري والتسبيح).
· الوعظ الإلهي والنهي الأبدي عن العودة لمثل هذا الذنب.
· التحذير من حب شيوع الفاحشة في المؤمنين.
تأتي الآية 20 لتكون الخاتمة الرحيمة لهذا المقطع العظيم، وك تذييل إلهي يذكر المؤمنين مرارا بفضل الله ورحمته . إنها إعادة لتذكير الآية 14 ولكن بصيغة مغايرة، لتؤكد أن الستر الإلهي هو الذي حمى المجتمع المسلم من الانهيار، وأن الرأفة والرحمة هما صفتا الله الدائمتان مع عباده .
اللمسة البيانية في التكرار: تكرر ذكر فضل الله ورحمته في الآية 14 والآية 20، وهذا التكرار له د لالة عميقة:
· الآية 14: جاءت بعد بيان خطورة ما أفضوا فيه، لتذكرهم أن لولا فضل الله لمسهم العذاب العظيم.
· الآية 20: جاءت في ختام المقطع، لتؤكد أن هذا الفضل والرحمة هما الأصل في معاملة الله للمؤمنين، وأنهما مستمران ودائمان.
أهداف ومقاصد الآية
1. تأكيد معنى الامتنان الإلهي: تذكير المؤمنين بأن كل ما هم فيه من سلامة وستر هو بفضل الله لا بأعمالهم .
2. غرس روح الرجاء: فتح باب الأمل أمام المذنبين ليتوبوا ويعودوا إلى الله .
3. تربية المجتمع على الرحمة: جعل صفة الرأفة والرحمة الإلهية نموذجاً يقتدي به المؤمنون في تعاملاتهم .
4. الحث على الشكر: استشعار نعمة الستر يدفع العبد لشكر المنعم .
5. الوقاية من اليأس: منع المؤمنين من القنوط بعد الوقوع في الذنب .
الأفكار الرئيسية في الآية
1. تذكير بفضل الله (وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ).
2. تذكير برحمته (وَرَحْمَتُهُ).
3. تأكيد صفتي الرأفة والرحمة (وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ).
أولا ً: تحليل المفاهيم القرآنية في الآية
١. {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ}
فضل الله: هو الزيادة والإحسان الذي يتفضل به على عباده من غير استحقاق . وفي هذا السياق، فضل الله يشمل:
· الستر على المؤمنين وعدم فضيحتهم.
· قبول التوبة ممن تاب منهم.
· الهداية بعد الضلال.
· التمكين في الأرض بعد المحنة .
رحمة الله: هي صفته التي وسعت كل شيء، وفي هذا السياق:
· رحمة الدنيا: بإمهالهم وعدم معاجلتهم بالعقوبة.
· رحمة الآخرة: بقبول توبتهم والعفو عنهم .
٢. {وَأَنَّ اللهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ}
رءوف: صيغة مبالغة من الرأفة، وهي أشد الرحمة وأرقها وألطفها . الرأفة تدل على:
· العناية الخاصة بالمؤمنين.
· اللطف في المعاملة.
· سرعة الاستجابة للتائبين .
رحيم: صيغة مبالغة من الرحمة، تدل على:
· سعة الرحمة وشمولها.
· دوامها واستمرارها.
· كمالها .
الجمع بين الصفتين:
· رءوف تدل على الرقة واللطف في المعاملة.
· رحيم تدل على سعة الرحمة وكمالها.
· الجمع بينهما يعني: هو شديد الرأفة بكم، واسع الرحمة لكم .

ثانياً: اللمسات التجويدية (مدمجة مع المفاهيم)
١/مد عارض للسكون (وَلَوْلَا) (وَلَوْلَا) عند الوصل مد طبيعي، وعند الوقف يصير مداً عارضاً دلالة الترقب والتأمل: المد العارض عند الوقف على (وَلَوْلَا) يعطي فرصة للتأمل في فضل الله ورحمته. كأن القارئ يقف ليتأمل: ماذا كان سيحدث لولا فضل الله؟ هذا المد يدعو للتفكر والتدبر.
٢/تفخيم لفظ الجلالة (اللهِ) في الموضع الأول (فضل الله) دلالة عظمة المنعم: تفخيم لفظ الجلالة يعكس عظمة الله وجلاله، وأن فضله ورحمته صادران عن عظيم متعال، مما يزيد القلب إجلالا ً وتعظيماً.
٣/إدغام شفوي (عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) الميم الساكنة في (عَلَيْكُمْ) دخلت على الواو في (وَرَحْمَتُهُ) فأدغمت إدغاماً شفوياً مع الغنة دلالة اتصال الفضل بالرحمة: الإدغام الشفوي (دمج الميم مع الواو) يرمز إلى أن فضل الله متصل برحمته، لا ينفصلان. كما أن الغنة تعطي إحساساً ببقاء أثر هذه الصفات واستمراريتها.
٤/ترقيق الراء (وَرَحْمَتُهُ) الراء في (وَرَحْمَتُهُ) مفخمة وليست مرققة دلالة السعة والامتلاء: تفخيم الراء يعكس سعة الرحمة وامتلاءها، وكأن الصوت يمتد ليصور هذه السعة الإلهية.
٥/مد منفصل (رَحْمَتُهُ وَأَنَّ) عند الوصل، (رَحْمَتُهُ) آخرها هاء، ثم (وَأَنَّ) يبدأ بهمزة، فيكون مداً منفصلا ً دلالة الاستقلال مع الاتصال: المد المنفصل يعطي كل جملة استقلالها مع ربطها بالتي تليها، كما أن صفة الرحمة مستقلة بذاتها ولكنها متصلة بصفة الرأفة.
٦/إظهار حلقي (وَأَنَّ اللهَ) النون المشددة في (أَنَّ) تظهر عند لفظ الجلالة دلالة وضوح التأكيد: الإظهار يعكس وضوح تأكيد أن الله رءوف رحيم، فلا غموض في هذه الحقيقة الإيمانية.
٧/تفخيم لفظ الجلالة (اللهَ) في الموضع الثاني (أن الله) دلالة استمرار العظمة: تكرار تفخيم لفظ الجلالة يؤكد أن عظمة الله ثابتة في كل أحواله، سواء تعلق الأمر بفضله أو رأفته أو رحمته.
٨/ترقيق الراء (رَءُوفٌ) الراء في (رَءُوفٌ) مفخمة دلالة القوة في الرأفة: تفخيم الراء في (رَءُوفٌ) يعطي إحساساً بقوة الرأفة وشدتها، فهي ليست رأفة ضعيفة بل رأفة قوية عظيمة.
٩/إدغام بغنة (رَءُوفٌ رَّحِيمٌ) التنوين في (رَءُوفٌ) دخل على الراء في (رَّحِيمٌ) فأدغم بغنة دلالة اتحاد الصفتين وكمالهما: الإدغام بغنة يرمز إلى أن صفتي الرأفة والرحمة متحدتان متكاملتان، لا انفصال بينهما. الغنة تعطي إحساساً بامتداد هذه الصفات واستمرارها، كما أن دمج الحرفين يدل على كمال الاتصال بين معنى الرأفة ومعنى الرحمة
ثالثاً: الدروس والمفاهيم والتوجيهات المستخلصة
١. أهمية الستر وعدم تتبع عورات الناس
مفهوم الستر: الستر هو إخفاء عيوب الناس وعدم التحدث بها أو تتبعها. وهو من أعظم القيم في ا لإسلام.
العلاقة بالآية: الآية تذكرنا بأن الله ستر على المؤمنين في قصة الإفك، ولم يفضحهم مع أنهم أخطأوا. هذا يعلمنا أن نستر على إخواننا كما ستر الله علينا.
دور الستر في تربية المجتمع:
· يمنع انتشار الفاحشة: عندما يستر الناس على بعضهم، لا تنتشر الفضائح.
· يحفظ الكرامات: لا تتهتك أعراض الناس.
· يخلق مجتمعاً متماسكاً: يسوده الثقة والاحترام.
خطورة تتبع العورات: قال ﷺ: "يا معشر من آمن بلسانه ولم يدخل الإيمان قلبه، لا تغتابوا المسلمين، ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته" .
كيف عالج الإسلام هذا الداء؟
· بالأمر بالستر: "من ستر مسلماً ستره الله في الدنيا والآخرة" .
· بالنهي عن التجسس: {وَلَا تَجَسَّسُوا} [الحجرات:12].
· بتحريم الغيبة: {وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا} [الحجرات:12].
· بالتذكير بفضل الله في الستر: كما في هذه الآية.
٢. أهمية تجديد التوبة والشكر لله
الآية تذكرنا بأن الله لم يأخذ المؤمنين بما فعلوا في حادثة الإفك، مع أنهم أخطأوا. هذا يعلمنا:
· أن باب التوبة مفتوح، فلا نيأس من رحمة الله.
· أن نستشعر نعمة الستر، فنشكر الله عليها.
· أن نعود إلى الحق متى أخطأنا، ولا نتمادى في الباطل.
٣. التعامل بالرحمة (التراحم بين الناس)
مفهوم التراحم: أن يرحم بعضنا بعضاً، ويغفر بعضنا لبعض، ويتعاملوا باللطف والرأفة.
الآية تعلمنا:
· الله رءوف رحيم بعباده، فينبغي أن نكون رؤوفاء رحماء ببعضنا.
· إذا كان الله يرحم المذنبين ويستر عليهم، فكيف لا نرحم نحن إخواننا؟

دور الآية في غرس التراحم:
· تذكر المؤمنين برحمة الله فيحاولون الاقتداء بها.
· تدفعهم للصفح عن زلات الآخرين.
· تجعلهم يتعاملون مع المخطئين بلطف وحنان.
٤. الاستقامة على أمر الله وعدم الاغترار بالعمل
الآية تذكرنا بأن الستر والنجاة ليسا بسبب عملنا، بل بفضل الله ورحمته. هذا يعلمنا:
· ألا نغتر بأعمالنا، فمهما عملنا من خير، فنحن محتاجون لفضل الله.
· أن نستمر في الاستقامة، ونحن نعلم أن توفيقنا للاستقامة هو فضل من الله.
· أن نخاف من سحب النعمة إذا لم نشكرها.
٥. فضل الله ورحمته المقصود في الآية ولماذا تكرر؟
الفضل والرحمة المقصودان هنا:
· الستر على المؤمنين في الدنيا.
· قبول التوبة ممن تاب.
· عدم معاجلتهم بالعقوبة.
· تعليمهم الأحكام والتوجيهات التي تصلح مجتمعهم.
لماذا تكرر ذكر الفضل والرحمة والرأفة؟
· للتأكيد على شدة عناية الله بالمؤمنين، فهو لا يتركهم بعد توبتهم بل يتابعهم بفضله.
· لربط بداية المقطع (الآية 14) بنهايته (الآية 20)، وكأن الله يقول: أنا الذي سترت عليكم في البداية، وأنا الذي سأستمر في رحمتي لكم في النهاية.
· لغرس الرجاء في قلوب المؤمنين، حتى لا ييأسوا من رحمة الله مهما عظم ذنبهم.
٦. تنمية الوعي بفضل الله
الآية تربي النفس على أن كل خير يصيبنا هو فضل من الله:
· الستر ليس بذكائنا، بل بفضل الله.
· الهداية ليست بعلمنا، بل بفضل الله.
· الرزق ليس بمهارتنا، بل بفضل الله.
· السلامة من الفتن ليست بقوتنا، بل بفضل الله.
كيف نربي أنفسنا على هذا؟
· باستحضار نعم الله علينا كل يوم.
· بتذكر أن غيرنا من الناس قد وقعوا في الفتن ونحن سلمنا بفضل الله.
· بالدعاء الدائم: "اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت وإليك النشور".
٧. تربية القلب على محبة الله
عندما يستشعر المؤمن أن الله رءوف رحيم به، يزداد حباً لله وشوقاً إليه. فالرأفة والرحمة تثير في القلب:
· الحب: لأن المحسن يحب.
· الأمل: لأن الرحيم يُرجى.
· الثقة: لأن الرؤوف لا يخذل من تاب إليه.
٨. كيف تنعكس هذه الآية على سلوك المؤمن مع الآخرين؟
· الستر: كما ستر الله عليك، استر على إخوانك.
· الرأفة: عامل الناس بلطف ورقة.
· الرحمة: ارحم الصغير والكبير، المذنب والمخطئ.
· الصفح: تجاوز عن زلات الآخرين.
· عدم التعجل بالعقوبة: كما أن الله لم يعاجلك بالعقوبة، فلا تعاجل الآخرين.
٩. دور الآية في دفع المسلم لستر نفسه والآخرين
الآية تدفع المسلم إلى:
· ستر نفسه: بعدم المجاهرة بالمعصية.
· ستر الآخرين: بعدم تتبع عوراتهم أو فضحهم.
· محاربة الأخبار الكاذبة: التي تهتك الأستار.
· الاعتراف الدائم بفضل الله: بأن كل ستر نعمله هو بتوفيق من الله.
١٠. كيف تزرع الآية الخوف والرجاء معاً؟
· الخوف المحمود: خوف أن يسلب الله نعمة الستر إن أسأنا.
· الرجاء العظيم: رجاء أن الله رءوف رحيم يقبل التوبة ويستر الذنوب.
هذا التوازن بين الخوف والرجاء هو أساس تزكية النفس.
رابعاً: المفاهيم العملية المستنبطة من الآية
المفهوم التطبيق العملي

الستر إذا رأيت زلة لأخيك، لا تفضحه، واستر عليه كما ستر الله عليك.
التوبة إذا أخطأت، بادر بالتوبة ولا تيأس، فإن الله رءوف رحيم.
الشكر استشعر نعمة الستر والسلامة، واحمد الله عليها كل يوم.
الرحمة عامل الناس بالرأفة والرحمة، وكن رحيماً بهم.
عدم الاغترار لا تثق بعملك، بل ثق بفضل الله ورحمته.
الاستقامة اثبت على طريق الحق، واعلم أن ثباتك بفضل الله.
التفكر تأمل في نعم الله عليك، وفي كيف سترك ولم يفضحك.
خامساً: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع
المجال الدور في البناء والتنمية
١/بناء الإنسان المسلم يتربى على استشعار فضل الله، فيكون متواضعاً شكوراً، رحيماً بالآخرين.
٢/بناء المجتمع المسلم مجتمع يسوده الستر والرحمة، لا تنتشر فيه الفضائح ولا تتبع العورات.
٣/التربية النفسية تربية النفس على التوازن بين الخوف والرجاء، وتنقية القلب من الكبر والغرور.
٤/التربية الأخلاقية غرس قيم الستر والرأفة والرحمة كسلوك يومي.
٥/الوقاية من الفتن من يستشعر فضل الله لا يتجرأ على المعاصي، ومن يرحم الناس لا يوقع بهم.
سادساً: الآية في سياقها التربوي الشامل
هذه الآية هي خاتمة مباركة لآيات الإفك، تذكرنا بأن:
1. الله هو الستار الذي يستر عباده.
2. الله هو الرؤوف الرحيم الذي لا يعاجل بالعقوبة.
3. فضل الله هو الأصل، وعملنا هو توفيق منه.
4. الرحمة الإلهية هي التي تحفظ المجتمعات من الانهيار.
الخلاصة: الآية 20 من سورة النور هي آية الامتنان الختامي، تذكر المؤمنين بأن كل ما مروا به من محنة الإفك، وكل ما تعلموه من دروس، وكل ما نالوه من ستر، كان بفضل الله ورحمته ورأفته.
وهي بذلك تربي الأمة على:
· استشعار نعمة الستر.
· اللجوء الدائم إلى الله.
· التعامل بالرحمة فيما بينهم.
· الشكر المستمر على نعم الله.
· التواضع وعدم الاغترار بالأعمال.
فيا له من إله كريم، يعلم ضعف عباده، فيسترهم برحمته، ويحذرهم بلطفه، ويربيهم بحكمته، ثم يختم لهم بفضله، ليخرجوا من المحنة وقد ازدادوا إيماناً ويقيناً وحباً له.
ثالثا
الآية الكريمة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ ۚ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [النور: 21].
قبل الخوض في التفاصيل، لا بد من وقفة مع اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية في الآية:
· اللمسة البيانية (اختيار اللفظ): اختيار كلمة "خُطُوات" (بضم الخاء جمع خطوة) دون كلمة "طريق" أو "سبيل" فيه إشارة دقيقة إلى أن المعصية نادراً ما تقع دفعة واحدة، بل هي مراحل متتالية، كل مرحلة منها تبدو صغيرة (خطوة) ولكنها توصل إلى الهاوية.
· اللمسة البلاغية (الإطناب والتكرار): ذكر الفعل "لا تتّبِعُوا" ثم تكرار الشرط والجزاء "وَمَن يَتَّبِعْ... فَإِنَّهُ يَأْمُرُ" للتأكيد والتهديد، ولبيان أن نتيجة الاتباع حتمية وهي الوقوع تحت إمرة الشيطان.
· اللمسة التجويدية: يمكن الوقوف عند كلمة "خُطُوَاتِ" بإظهار التاء المربوطة لأنها جاءت مكسورة، مما يعطي جرساً موسيقياً يحذر من الاستمرار. كذلك في قوله "فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ"، يمكن ترقيق الراء في "يأمر" تفخيماً خفيفاً مناسباً لمقام التحذير.
الآن نشرع في تحليل الآية:
أولاً: دلالات الانتقال في الخطاب وتسمية المعاصي "خطوات"
1. لماذا الانتقال إلى خطاب "يا أيها الذين آمنوا"؟
بدأت السورة بخطاب عام (سورة أنزلناها)، ثم انتقلت إلى خطاب خاص للمؤمنين في آية الإفك وما بعدها. هذا الانتقال له دلالة عظيمة:
· التكريم والاختيار: النداء بـ"يا أيها الذين آمنوا" فيه تشريف للمخاطبين وتذكير لهم بأنهم أهل للإيمان، وأن هذا الإيمان يقتضي منهم سلوكاً معيناً يختلف عن سلوك غيرهم.
· أخذ الحيطة: بعد أن قص الله قصة الإفك وبيّن خطر الخوض في أعراض الناس، جاء هذا النداء ليكون بمثابة دستور وقائي للمؤمنين، يحذرهم من المدخل الذي يدخل منه الشيطان إلى قلوبهم وأخلاقهم.
2. لماذا سمى الله المعاصي "خطوات"؟ وما علاقة ذلك بالتحذير؟

تسميتها خطوات فيه عدة دلالات:
· التدرج والتمهل: الشيطان لا يطلب من الإنسان الكفر أو الفاحشة الكبرى مباشرة (مثل الزنا أو القتل)، بل يطلب منه خطوة صغيرة تبدو تافهة أو مباحة: نظرة، كذبة صغيرة، غيبة، سماع أغنية. هذه الخطوة تهيئ النفس للخطوة التالية الأكبر.
· التحذير من الاستهانة: لو قال "لا تتبعوا الشيطان"، لربما شعر المؤمن أنه بعيد عن ذلك. لكن عندما قال "لا تتبعوا خطواته"، جعل المؤمن يحاسب نفسه على أصغر حركة يفعلها، حتى لا تكون تلك الحركة بداية سلسلة جهنم.
· العلاقة بالتدرب: هذه الخطوات هي بمثابة "تدريبات" للشيطان. هو يدرب الإنسان على كسر حاجز الخوف من المعصية، فإذا كسر الحاجز في الصغيرة، تهون عليه الكبيرة. هذه هي الاستهانة بالخطوة الأولى، وهي الخطر الأكبر لأنها تفتح الباب على مصراعيه.
3. لماذا أضافها إلى الشيطان (خطوات الشيطان) ولم يقل لا تتبعوا الشيطان؟
إضافة الخطوات إلى الشيطان فيها بيان أن الشيطان هو المصدر والمخطط لهذه الأفعال التافهة في الظاهر. فهو الذي يزينها ويحببها ويجعلها تبدو بريئة. والنهي عن اتباع خطواته أبلغ من النهي عن اتباعه، لأنه:
· تحذير من الوسائل والذرائع.
· بيان أن الشيطان له منهج وتكتيك، وليس مجرد عدو مجرد.
4. كيف يتدرج الشيطان بالانسان؟
يبدأ بتحسين الصغيرة، ثم يدفعه للاستمرار فيها، ثم يزين له ترك بعض الطاعات قياساً على تلك الصغيرة، ثم يزين له الكبيرة، ثم يصل به إلى اليأس من رحمة الله، أو إلى المجاهرة بالمعصية، أو إلى الكفر بالله.
ثانياً: الفرق بين آية النور وآية البقرة، ومآلات اتباع الشيطان
1. الفرق بين آية النور {يأمر بالفحشاء والمنكر} وآية البقرة {إنما يأمركم بالسوء والفحشاء}:
في سورة البقرة (الآية 169): {إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاءِ}.
الفرق بين التعبيرين:
· السوء (في البقرة): هو الذنب الذي يضر الإنسان شخصياً في نفسه وأهله، ويدخله في الحرج.
· الفحشاء والمنكر (في النور): الفحشاء: ما قبح جدا من الأفعال كالزنا واللواط. المنكر: ما تنكره العقول السليمة والفطر المستقيمة وتأباه.
· سبب الزيادة: في آية النور حذف كلمة "السوء" واكتفى بـ"الفحشاء والمنكر" لأن السياق هنا هو سياق الطهارة والعفاف (بعد حادثة الإفك). فالخوض في الأعراض هو منكر عظيم، والزنا هو فاحشة. الآية تحذر أن اتباع خطوات الشيطان تؤدي إلى هذه الكبائر المهلكة التي تمس الأعراض و الجماع والمجتمع.
2. الغاية النهائية للشيطان من هذه الخطوات:
الغاية النهائية هي أن يجعل الإنسان تابعاً له، عابداً له من دون الله بمعنى الطاعة والامتثال. يبدأ معه بالخطوة الصغيرة، فإذا أطاعه فيها صار تابعاً له، وانتهى به الأمر إلى أن يكون من جنده الذين يأتمرون بأمره في الفحشاء والمنكر.
3. نهاية الاستسلام لوساوس الشيطان:
تصورها الآية بقولها: {وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ}. أي أن النهاية هي أن يصبح الإنسان نفسه آلة لنشر الفاحشة، يأمر بها ويشجع عليها، بعد أن كان مجرد متبع. هذا هو الهلاك الأخلاقي والروحي، حيث تنعكس الأدوار ويصير الإنسان داعية إلى الشر.
ثالثاً: خطورة النزعات الشيطانية ووسائل التحصين
1. تصوير الآية للتدرج في الهلاك وفائدة ذلك:
تصور الآية أن الشيطان لا يطلب الكبيرة مباشرة (الكهروض - أي الصدمة الكبيرة) بل يمهد لها.
فائدة هذا التصوير:
· إثارة النفور: أن الله يربي في نفس المؤمن قوة غضب ونفور ليس فقط من الكبيرة، بل من مقدماتها وأسبابها. فيصبح المؤمن "نقوراً" من النظرة الحرام لأنه يعرف أنها خطوة، ومن الكلمة البذيئة لأنها خطوة.
· بناء الإنسان القوي: يجعل المؤمن حساساً تجاه الذنوب الصغيرة، وهذا هو عين القوة، لأنه يقطع الطريق على العدو قبل أن يصل إلى قلبه.
2. تجليات الفحشاء والمنكر (في اللسان والملبس والسلوك):
· في اللسان: النميمة، والغيبة، وقذف المحصنات (وهو السياق المباشر للآية)، والكذب، والسخرية.
· في الملبس: التبرج، واللباس الذي يصف أو يشف، أو لباس الشهرة الذي يقصد به الفتنة.
· في السلوك: المشية المتمايلة التي تثير الفتنة، والخلوة بالأجنبية، والمصافحة المحرمة.
3. الفرق بين نزعات الشيطان وخطواته:
· النزعات: هي الوساوس والخواطر السيئة التي يلقيها الشيطان في القلب (نزغاته). هي البداية

المجردة.
· الخطوات: هي ترجمة هذه الوساوس إلى أفعال عملية. هي الانتقال من الفكرة إلى التطبيق. النزعة قد تأتي بلا إرادة منك، أما الخطوة فهي فعلك أنت بإرادتك. التحصن يكون برد النزعة فوراً قبل أن تتحول إلى خطوة.
4. منهج التحصن العملي (وتطبيقه على السوشيال ميديا):
الآية تقدم منهجاً عملياً للوقاية من خلال الدمج بين العمل الإنساني والتوفيق الإلهي. لتطبيقه في الحياة العملية والسوشيال ميديا:
· في القلب (المشاعر): لا تبدأ بمتابعة الصفحات المشبوهة. راقب مشاعرك، إذا شعرت بميل لهوى في قلبك تجاه منشور محرم، أعلم أنها نزعة شيطانية، فاستعذ بالله فوراً (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم).
· في اللسان (الكلمات): لا تشارك في منشورات فيها غيبة أو نميمة أو سخريات حتى لو كانت "على سبيل المزاح". هذه خطوة.
· في البدن (الأفعال): إياك والنقر على الروابط المشبوهة، أو مشاهدة فيديو محرم ولو بدافع الفضول. الفضول هو أول خطوة.
خطورة الاستهانة بالذنوب:
الاستهانة بالذنب الصغير تجعله يتراكم حتى يصير جبلا ً يهلك صاحبه. مثل قوم كانوا ينزلون في وادٍ، فكل منهم ألقى عوداً صغيراً حتى امتلأ الواد وأصبح سداً منيعاً.
رابعاً: دور فضل الله ورحمته في التزكية والتحصين
1. تصوير الآية لضعف الإنسان وحاجته لله:
بعد أن حذرت الآية من اتباع خطوات الشيطان، قالت مباشرة: {وَلَوْلَا فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا}.
هذا يصور حقيقة أن الإنسان ضعيف، قادر على فعل المعصية، ولكن النجاة والتطهير (التزكية) ليست بقوته الذاتية، بل هي فضل من الله. الإنسان لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فهو محتاج إلى عون الله أن يثبته ويطهره.
2. تربية المسلم على منهج النجاة:
الآية تربينا على:
· الاعتراف لله بالفضل: إذا ابتعدت عن معصية، فاعلم أن الله هو من صرفها عنك، فاحمده.
· الاعتماد على الله: اجتهد في اتباع منهج الله، ولكن اعلم أن التوفيق بيد الله، فاسأله دائماً أن يزكي نفسك، فهي تميل إلى السوء إن لم يرحمها الله (وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء).
· الوعي الذاتي والمسؤولية الأخلاقية: المؤمن يعلم أنه مسئول عن نفسه، وعن كل خطوة يخطوها. هو يحاسب نفسه دائماً (يا أيتها النفس: لماذا فعلت هذا؟ لماذا نظرت هذا؟)، وفي نفس الوقت هو متعلق بالله أن يتجاوز عن هفواته ويثبته.
خامساً: التربية على العفو والتسامح وبناء المجتمع
1. دور الآية في التربية على العفو (ضمن السياق):
الآية (21) جاءت بعد آية العفو مباشرة (آية 22) التي تأمر ألا ينسى أولو الفضل العفو والصدقة. هذا الربط مهم:
الآية تحذر من اتباع خطوات الشيطان التي تؤدي للفحشاء (كقطع الأرحام والانتقام). ثم تأمر بـ العفو. إذا اتبع المؤمن خطوات الشيطان، سيدفعه ذلك للبخل والحقد والرغبة في الانتقام (كما هم الصحابة أن لا يعطوا مسطحاً). أما إذا ترك خطوات الشيطان، فسيسهل عليه العفو والصفح و التسامح الاجتماعي، لأن العفو طهارة قلب، ولا طهارة مع اتباع الشيطان.
2. المنظومة الوقائية للمجتمع:
الآية تخلق مناعة للمجتمع المسلم:
· مراقبة الله: الأمر "لا تتبعوا" يعني أن العين التي تراقبك هي عين الله، وليست عين الشرطة فقط. هذه اليقظة القلبية هي أقوى حارس.
· بناء الإنسان النقي: حين يتربى الفرد على حساسية "الخطوات"، يصبح مجتمعاً لا يقبل الفحشاء، لا في شوارعه ولا في إعلامه ولا في مؤسساته.
· بناء المؤسسات: في الدولة والمؤسسات، مفهوم "لا تتبعوا خطوات الشيطان" يعني تطبيق الحوكمة ومكافحة الفساد من جذوره (الرشوة تبدأ بهدية صغيرة، الكذب في التقرير يبدأ بتجميل بسيط للبيانات). من يتبع هذا المنهج يبني مؤسسات نزيهة، وهذا هو أساس التنمية والارتقاء، لأن المجتمعات الفاسدة لا تنهض.
أبرز خطوات الشيطان الست (باختصار) وكيفية الوقاية منها:
1. الكسل عن الطاعة: فيعالجه بالاستعاذة والعزيمة.
2. التسويف: فيعالجه بـ "افعل الخير الآن ولا تؤجله".
3. التزيين: يزين المعصية، فيعالج بذكر مساوئها والعواقب.

4. التشكيك: يشكك في الدين، فيعالج بطلب العلم.
5. التخويف: يخوف من الفقر أو العواقب، فيعالج بالتوكل على الله.
6. النسيان: ينسي العبد ذكر الله، فيعالج بالمداومة على الأذكار.

الخلاصة:

هذه الآية القرآنية هي دستور أخلاقي وقائي. إنها تبني جداراً منيعاً بين المؤمن والذنب منذ اللحظة الأولى (الخطوة الأولى). إنها تزرع في النفس يقظة دائمة، وتعلقاً بالله، وتذكراً دائم أن النجاة ليست مجرد جهد عضلي، بل هي فضل إلهي ورحمة يفيضها الله على من يشاء، فيحفظ المجتمعات من الانهيار الأخلاقي

رابعا

الآية الكريمة: {وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ} [النور: 22].

هذه الآية تمثل ذروة التربية القرآنية في مجال التعامل مع الإساءة الشخصية، وتحويل المشاعر السلبية إلى طاقة إيجابية من العطاء والتسامح. وهي رديفة الآية السابقة (21) التي حذرت من اتباع خطوات الشيطان؛ لتؤكد أن العفو والتسامح هو الطريق العملي لمقاومة تلك الخطوات.

أولا ً: السياق والدلالات الافتتاحية

1. سبب النزول وأهميته:

نزلت الآية في قصة الإفك حينما خاض بعض المسلمين (منهم مسطح بن أثاثة) في عرض السيدة عائشة أم المؤمنين. وكان مسطح قريباً فقيراً من المهاجرين، وكان أبو بكر الصديق رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته وفقره وهجرته. بعد حادثة الإفك، حلف أبو بكر ألا يعطي مسطحاً نفقة أبداً. فأنزل الله هذه الآية.

2. دلالة النداء "أولو الفضل منكم والسعة":

لم يقل الله "أيها الأغنياء" بل قال "أولو الفضل". هذه تسمية تحمل في طياتها تكريماً وتذكيراً:

· الفضل: يشير إلى السبق في الخير والعمل الصالح والمكانة الدينية (أبو بكر كان أفضل الأمة بعد نبيها).

· السعة: تشير إلى الغنى المادي.

فالله يخاطب في القوم أعلى صفتين: الشرف الديني (الفضل) والغنى المادي (السعة). وهذا أبلغ في الحجة، لأن من كان كذلك كان أولى بالكرم والعفو.

ثانيًا: القيم التربوية والمبادئ الكبرى في الآية

1. العفو والصفح وصلة الأرحام

الآية لا تدعو إلى مجرد ترك الانتقام، بل تدعو إلى العطاء الإيجابي (أن يؤتوا) لمن أساء إليهم.

· العفو والصفح:

· العفو: هو ترك المؤاخذة ومحو أثر الذنب، كأن لم يكن.

· الصفح: هو أبلغ من العفو، لأنه مع ترك المؤاخذة يكون معه طيب نفس وصفاء قلب وعدم تذكير بالإساءة. الصفح هو إزالة أثر الجريمة من القلب.

· صلة الأرحام: أمرت الآية بإيتاء (إعطاء) أولي القربى، حتى وإن كانوا هم أنفسهم المسيئين (كمسطح). هذا يربي المسلم على أن رابطة النسب (الرحم) مقدمة على زلات اللسان، وأن قطع الرحم بسبب المال أو الغضب ليس من خلق أولي الفضل.

2. الترفع والتأدب بأخلاق الله

ختمت الآية باسمي الله "غفور رحيم". هذا هو سر التوجيه.

· الترفع عن الانتقام: عندما يغضب الإنسان ويمتنع عن الإحسان، يكون قد جعل نفسه في موضع "المعاقب" و"المنتقم". الآية تدعوه إلى الترفع عن هذا المقام إلى مقام أشبه بمقام الربوبية مع عباده: الغفران والرحمة. فالله يغفر لعباده ويرحمهم رغم معاصيهم، فالمؤمن أولى أن يغفر لأخيه زلته الصغيرة في حقه الشخصي.

· التأدب بأدب الله: "تخلقوا بأخلاق الله" كما في الأثر. فالله لا يقطع رزقه عن العاصي، فكيف يقطع المؤمن ماله عن قريبه المسيء؟ هذا هو التأدب.

3. التوجيه الرباني بالاستفهام التقريري: "ألا تحبون أن يغفر الله لكم"

هذه الجملة هي قلب الآية النابض، وهي أعظم حافز نفسي وتربوي:

· الجزاء من جنس العمل: إذا أردت من الله أن يعفو عنك، فعف عن الناس. إذا أردت من الله أن يصفح عن زلاتك، فاصفح عن زلات إخوانك. إنه قانون إلهي ثابت. فالاستفهام هنا يوقظ في النفس حبها الذاتي لمغفرة الله، ويوجه هذا الحب ليكون سبباً في بذل العفو للخلق.

· تربية النفس على التسامح: يصور الله العفو وكأنه صفقة رابحة: أنت حين تعفو عن عبد الله، فكأنك تشتري بها عفو الله عنك. فأي تجارة أعظم من هذه؟ هذه الصياغة تكسر حاجز الكبر والأنانية في النفس.

ثالثاً: البعد الاجتماعي وبناء المجتمع المتماسك

1. لماذا اشتد التحريم على "أولي الفضل"؟
لأن المجتمع ينظر إليهم. إذا كان أهل الفضل والغنى هم أول من يقطع الأرحام بسبب الإساءة الشخصية، فسيقتدي بهم الناس، وتتحول الحياة الاجتماعية إلى قطيعة عامة وانتقامات متبادلة. أما إذا تسامحوا، فسيصبح العفو هو الثقافة السائدة.
2. القيمة الاجتماعية والتربوية (ترتيب الأولويات):
الآية رتبت أصناف المستحقين للنفقة (وإن كان قد حلف على قطعها):
· أولو القربى: (الرحم) وهذه القيمة العائلية هي نواة المجتمع.
· المساكين: (الفقراء) وهذه القيمة الإنسانية.
· المهاجرين في سبيل الله: (الإخوة في الدين والعقيدة) وهذه القيمة الجهادية والدينية.
هذا الترتيب يعلم المسلم أن دائرة عطائه يجب أن تبدأ بالأقرب (العائلة)، ثم المحتاج، ثم المجاهد في سبيل الله.
3. النهي عن استخدام القسم كوسيلة لقطع المعروف
قوله "ولا يأتل" أي لا يحلف. كان أبو بكر حلف ألا ينفق. نهاهم الله عن الإصرار على هذا القسم، لأنه لا ينبغي أن يكون اليمين بالله سبباً في قطع ما أمر الله به من صلة. فيه توجيه بأن الأيمان التي تعقد على قطع الخير أو المعروف، يجب حنثها والتكفير عنها، والعودة إلى ما هو أولى وأبر.
رابعاً: دروس عملية من الآية في حياتنا
1. كسر حاجز الكبر وتحويل الضغينة إلى مودة
تطبيق الآية يعني أن تواجه من أساء إليك ليس فقط بعدم الانتقام، بل بالعطاء. إذا كان قريبك أو زميلك قد أساء إليك، فأنت لا تكتفي بالصمت، بل تبدأ أنت بالخير نحوه (هدية، مساعدة، عيادة مريض). هذا هو الصفح العملي الذي يحول العداوة إلى ولاية.
2. أولويات العطاء في حياة المسلم
الآية تقدم نموذجاً لمن له أقارب فقراء، أو مهاجرين محتاجين. علمتنا أن نسارع إلى نصرتهم مادياً، وألا ندع الخلافات الشخصية (حتى الكبيرة كالقذف) تحول دون ذلك. نعم نغضب، ولكن غضبنا لا يوقف خيرنا.
3. كيف نستفيد منها في بناء الدولة والنظام
في مؤسسات الدولة:
· إذا أخطأ موظف بحق مسؤول، فليس من حق المسؤول أن يحرمه من حقه في الترقية أو المكافأة (قطعي الرحم الوظيفي) انتقاماً.
· قانونياً: تشجع الآية على الصلح والعفو في القضايا الشخصية، مما يقلل النزاعات في المحاكم ويوحد المجتمع.
خامساً: الآية وتربية الفرد على الرفض العاطفي وتغليفه بالإيمان
الآية تقدم العفو على الانتصار الشخصي. في قصة الإفك، كان الانتصار الشخصي لأبي بكر هو مقاطعة مسطح. لكن الآية قالت له: انتصارك الحقيقي ليس في مقاطعته، بل في عطائه. هذا تربية على رفض الذات ونصرتها بهوى النفس، وتغليف المشاعر بالعاطفة الإيمانية (ألا تحبون أن يغفر الله لكم).
سادساً: ختام الآية "والله غفور رحيم" ودلالاته
بعد أن أمرهم بالعفو، ذكرهم بأنه هو الغفور الرحيم. فيه رسالة:
· التطمين: لا تخافوا من ضعف موقفكم إن عفوتهم، فالله غفور رحيم بكم، وسيعوضكم.
· القدوة: كما أنه غفور رحيم بكم رغم ذنوبكم، فكونوا أنتم كذلك مع إخوانكم.
· الرجاء: لا تيأسوا من إصلاح ذات البين، فرحمة الله واسعة، وقد تؤلف بين القلوب بعد عداوة.
الخلاصة الشاملة:
هذه الآية هي دستور للتعايش الأسري والاجتماعي. إنها تقتلع جذور الحقد من النفوس، ليس بـ التسامح السلبي فقط، بل بالعطاء الإيجابي. إنها تعلن أن المجتمع المسلم لا يقوم على العدالة الباردة فقط (لك الحق وعليك الحق)، بل يقوم على التراحم والتجاوز الذي يغذي صلة الرحم. إنها تخلق إنساناً "عزيزاً" بتسامحه، قوياً بعفوه، غنياً بعطائه، يرى في أخيه المسيء فرصة ليكسب به مغفرة الله، لا فرصة ليظهر قسوته. وهذا هو عين بناء المجتمع المتماسك القادر على تجاوز الأزمات..
القسم الرابع
اولا
(ان الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات لعنوا فى الدنيا والآخرة ولهم عذاب..الخ
أنت أمام آية عظيمة من أعظم آيات القرآن في حفظ الأعراض وصيانة المجتمعات، إنها الآية 23 من سورة النور. لن تقرأها اليوم كمتلقٍ عابر، بل كمن يريد أن تجري هذه الآية في دمه، فتكون له نوراً يهدي به قلبه، ولسانه، وسلوكه مع إخوانه.
مقدمة عن الآية: السياق والمكانة
نزلت هذه الآية في سياق أشهر قضية رأي عام عرفها المجتمع الإسلامي الأول، ألا وهي حادثة الإ

إفك . حين تآمر المنافقون وعلى رأسهم عبد الله بن أبي بن سلول، ليطعنوا في عرض بيت النبوة، وفي أطهر النساء أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها. لم تكن مجرد إشاعة عابرة، بل كانت زلزالا ً هز أركان المجتمع، لتأتي هذه الآية لتضع حداً فاصلا ً بين منهج النفاق ومنهج الإيمان، ولترسم القانون الرباني لحماية المجتمع من أعظم ما يهدمه: الطعن في الأعراض.

أهداف الآية ومقاصدها العليا:

.1تجريم الطعن في الأعراض: تهدف لوضع خط أحمر لا يمكن تجاوزه، وهو حرمة عرض المؤمن و المؤمنة.

.2التمييز بين الصف الإيماني والصف المنافق: لتمييز الخبيث من الطيب، فمجتمع الإيمان مجتمع طاهر، لا مكان فيه لإشاعة الفاحشة.

.3تحذير الأمة من وباء اللسان: لتعلم أن الفتنة التي تبدأ بكلمة قد تنتهي بلعنة في الدنيا والآخرة.

.4تعزيز مكانة المرأة المسلمة: تهدف لرد الاعتبار للمرأة العفيفة، وجعل كرامتها خطاً أحمر.

الآن، لنغوص في بحر دلالاتها...

الامر الاول

دلالات (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ)

.1لماذا بدأ الله الآية بـ) إنّ(؟ حرف التوكيد وأهميته التربوية

تأمل معي هذه البداية الإلهية: {إنّ}. لم تبدأ بالفعل، بل بحرف توكيد يدخل على الجملة الاسمية ليثبت معناها في النفس كالجبل الراسخ. هذا الحرف الصغير يحمل أعظم معاني التربية للنفس البشرية:

· غرس عظم الجريمة: عندما تقرأ "إنّ"، فكأن الله يعقد لواءً خاصاً لهذه القضية .هو يقول لك: هذا الأ مر ليس عادياً، إنه عظيم لدرجة أني أؤكده لكم بحرف التوكيد . هذا الأسلوب يقتلع من قلبك فكرة أن "الكلام" شيء بسيط .الكلمة هنا أثقل من الجبال.

· جذب الانتباه: في علم التربية، لا بد من "مثير" ينبه المتلقي لأهمية الموضوع) .إن (هنا هي الجرس الذي يدق في أذن السامع ليصغي بكل جوارحه: احذر! المقبل عظيم.

· استشعار خطر الشائعات: هذا التوكيد يربيك على أنك إذا سمعت كلمة تطعن في عرض مسلم، يجب أن تتوقف وتقول: هذا الأمر كبير .لا تمرره كأنه شيء تافه .كم من بيوت خربت، وقلوب تحطمت، وع لاقات انقطعت بسبب "مجرد كلمة"! الآية تقول لك: لا، ليست مجرد كلمة.

· مسؤولية اللسان: أنت أمام منهج يربيك على أن "الرمي" فعل، وليس قولا ً .عندما تجعل الكلام "رمياً"، فأنت تحوله إلى سلاح .السلاح يقتل .لذلك، تخرج من هذه الآية وأنت موقن أن لسانك هو سيفك، إما أن تحمي به أو تقطع به أعناق الناس.

هذا الأسلوب القرآني هو توعية حقيقية للمسلم بأن مجرد اتهام الناس دون دليل، هو فعل منافٍ للإ يمان. لأن المؤمن الحق لا يهدم حياة إنسان بلا بينة.

.2لماذا وصف الله المحصنات ب)الغافلات(؟ رسائل ومفاهيم عظيمة

هنا تكمن اللمسة البيانية الفريدة. لماذا ذكرت صفة {الْغَافِلَاتِ} بعد المحصنات؟ .

· المعنى اللغوي والدقيق: "الغافلات" هنا لا تعني الساهيات عن ذكر الله، بل تعني الغافلات عن الفاحشة، وعن تفكير السوء، وعن طرق الشر .إنها المرأة التي لا يخطر ببالها أساساً أن يفكر فيها أحد بسوء، لأنها تعيش في برجها العاجي من العفة والطهارة.

· مفهوم تربوي عميق: تخيل معي منظراً: امرأة تسير في طريقها، لا تلتفت، لا تتبرج، لا تعطي أي انطباع أو إشارة .ثم يأتي من يرميها بأقبح التهم .الصفة هنا تصور بشاعة الجريمة .إنها كمن يرمي طفلا ً نائماً في الشارع بحجر! أليس هذا من أقبح الخسة؟.

· رسالة للمجتمع: هذه الصفة تربي في نفسك أن الأصل في المؤمنين والمؤمنات هو الغفلة عن السوء والطهارة .لذلك، يجب أن يكون حسن الظن هو الأصل في تعاملك ."الغافلات" تعلمك سلامة الصدر، وأن لا تتبع العورات، وأن لا تفتش عن الزلات .إنها ترسم لك صورة المجتمع المثالي: مجتمع طاهر القلوب، طاهر الأعراض.

دور الآية في تربية المسلم على العفة وحرمة الأعراض:

تأتي هذه الصفات الثلاث: {الْمُحْصَنَاتِ} (التي منعت نفسها)، {الْغَافِلَاتِ} (التي لا تفكر في السوء)، {الْمُؤْمِنَاتِ} (التي صانها إيمانها). كأنها تبني للإنسان حصناً منيعاً:

· قيمة العفة: تجعله يقدس الطهارة في نفسه وفي الآخرين.

· حرمة العرض: تغرس فيه أن عرض أخيه المسلم كعرض أمه وأخته، لا يمكن المساس به.

.3قاعدة تجريم القذف: قانون العقوبات الرباني

الآية تضعنا أمام قانون إلهي متكامل . عندما تجرم الرمي (القذف) بهذه الطريقة المطلقة، فإنك تبني مجتمعاً على أساس متين:

· الردع العام: يعلم الجميع أن هناك عقوبة رادعة لمن يتطاول على الأعراض .هذه القاعدة القانونية ليست جافة، بل هي مرتبطة بالإيمان والعقيدة، مما يجعل الرادع داخلياً قبل أن يكون خارجياً.

· البناء والارتقاء: هذا القانون يهدف للارتقاء بالإنسان، ليكون إنساناً لا يهدم حياة غيره بلسانه، ويكون المجتمع آمناً على أعراض أبنائه.

.4حماية السمعة والأعراض: التربية قبل العقوبة

هذه القواعد القانونية تتضمن جوانب تربوية عظيمة:
· تعلم أن سمعة المؤمن ليست ملكاً لك، إنها ملك للمجتمع كله .وأنت مطالب بحفظ هذه السمعة كما تحفظ مالك وأهلك.
· تغرس في نفسك التربية على العفة، بأن تبتعد عن كل ما يثير الشبهات، وعن كل ما يجعل الناس تظن السوء.
.5تعزيز حسن الظن وسلامة الصدر
صفة "الغافلات" تعيد تشكيل نظرتك للناس. أنت مطالب بأن تتعامل مع الناس على أنهم "غافلون" عن السوء. هذا المفهوم:
· يطهر صدرك من الحقد والضغينة.
· يجعلك سليم الصدر، لا تبحث عن عورات الناس.
· يربط بين الإيمان وسلامة القلب، فالمؤمن من سلم المسلمون من لسانه ويده.
.6تربية الأبناء على طهارة اللسان ونبل التعامل
هذه الآية منهج عظيم لتربية الأجيال. علم أبناءك أن:
· اللسان أمانة.
· نقل الكلام دون تثبت هو جريمة.
· حفظ العرض والدفاع عن الناس بالغيب هو خلق الأنبياء .علمهم كيف كان موقف النبي صلى الله عليه وسلم عندما اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه؟ لأن فيه من يحمي العرض.
.7غرس الحس الإيماني في النفوس
كيف يعمل هذا المفهوم في نفسي؟ عندما تسمع إشاعة عن مؤمنة أو مؤمن، يجب أن يتحرك في داخلك إنذار داخلي: "أنا الآن أمام فتنة، وموقفي منها سيحدد إيماني". السكوت عن نصرتهم أو مشاركة الإشاعة هو من صفات من في قلوبهم مرض. أما المؤمن فيدفع بالتي هي أحسن، أو يصمت، أو ينصر عرض أخيه. هذا هو الحس الإيماني الذي تصنعه الآية.
.8بناء الشخصية المتزنة
المسلم الذي يقرأ هذه الآية بتدبر، لا يمكن أن يكون لقمة سائغة في يد الأعداء. لن ينقل كل ما يسمع، لأنه يعلم أنه إن نقل فهو شريك في جريمة القذف. هذا المفهوم يبني شخصية واعية، حكيمة، لا تنجر خلف العواطف، وتزن الكلمة قبل أن تخرج.
.9استشعار حرمة المؤمنة وكرامتها
إن إيراد وصف {الْمُؤْمِنَاتِ} بعد المحصنات الغافلات، فيه تكريم عظيم للمرأة المسلمة. أنت عندما تطعن في مؤمنة، أنت لم تطعن في شخص عادي، بل في إنسانة غالية على الله، ربطها الله بالإيمان. الطعن فيها طعن في دينها وكرامتها. هذا يغرس في نفسك عظمة المرأة المؤمنة، ويحميها من أن تكون هدفاً سهلا ً للكلام البذيء أو الاتهامات الجاهزة.
الامر الثانى
دلالات (لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)
بعد أن صور الله الجريمة، يأتي الوعيد:
.1خطورة لعنة الله في الدنيا والآخرة
اللعنة هي الطرد من رحمة الله . تخيل أن يطردك الله من رحمته! أي خسارة أعظم من هذه؟
· في الدنيا: ليست مجرد عقوبة جسدية .العقوبة النفسية والاجتماعية أشد.
· العقوبة النفسية: يعيش القاذف في ضيق وقلق، لأنه يحس بأن المجتمع ينظر له نظرة ريبة، وكأن جريمته تلاحقه أينما ذهب.
· العقوبة الاجتماعية: يتحول إلى إنسان مطعون في عدالته، لا تقبل شهادته، يبتعد عنه الناس، ويصبح منبوذاً . هذه لعنة اجتماعية قد تكون أشد من الجلد.
.2قاعدة الجزاء من جنس العمل
هذه قاعدة إلهية عظيمة: {جَزَاءً وِفَاقًا}. هم رموا المحصنات بكلمة خبيثة سببت ضرراً نفسياً واجتماعياً عظيماً، فجوزوا بأن رماهم الله بلعنة تسبب لهم الضرر النفسي والاجتماعي. إنه عدل مطلق.
.3وصف العذاب بالعظيم
لماذا {عَذَابٌ عَظِيمٌ}؟ لأن الجريمة عظيمة. لأن من يهدم بيوتاً ويخرب أعراضاً ويشكك في طهارة المجتمع، لا يستحق إلا ما يناسب جرمه. هذا الوصف يربيك على استشعار هول الموقف يوم القيامة.
.4العبرة من التوكيد) باللام (في "لُعِنُوا"
التوكيد ب- "اللام" في قوله {لُعِنُوا} يؤكد أن هذا الأمر واقع لا محالة، سواء أقيم عليهم الحد في الدنيا أم لا . إنه يربط بين جريمة الدنيا وعقوبة الآخرة، فلا يظن ظان أن الحد في الدنيا يغني عن العذاب في الآخرة إن لم يتب.
.5تصوير الجريمة: الخسة والبشاعة
التعبير ب- "يرمون" مع صفات الضحايا "الغافلات" يرسم صورة بشعة. تخيل رامياً يصوب سهامه نحو قلب غابة مطمئنة لا تدري. هذا هو المنافق، هذا هو الخبيث. لذلك عاجلهم الله باللعنة، لأن جريمتهم فيها من الخسة ما يستحق ذلك.

.6إعلاء شأن العفة والأعراض المقدسة
هذا الوعيد يجعلك تعلم أن المجتمع الذي لا يحمي أعراض أبنائه هو مجتمع هش. الله جعل الأعراض مقدسة، وساوى بين اللعن في الدنيا والآخرة وبين جريمة قذف المحصنات، لتعلم أن هذا الذنب من الموبقات المهلكات التي تذهب بالدين وتفكك المجتمع. في الحديث: "اجتنبوا السبع الموبقات" وذكر منها "قذف المحصنات الغافلات المؤمنات" .
.7تعزيز صفة العفة في المرأة
الآية تدعو كل امرأة مسلمة أن تكون بهذا المستوى: محصنة (حصينة)، غافلة (عن السوء)، مؤمنة (بقلبها). هذا هو النموذج القرآني الذي يجب أن تتربى عليه الفتاة المسلمة، لتكون بعيدة عن مواطن الشبهات، وعن كل ما يسيء لسمعتها.
.8أهمية التوبة من أذى الناس
من أعمق المفاهيم المستنبطة هنا أن هذه الجريمة فيها حق لله (بالقذف) وحق للآدمي (بأذى العرض). لذلك، لا يكفي أن تتوب إلى الله، بل لا بد من المصارعة إلى التوبة وإصلاح ما أفسدت، حتى وإن كان بالاستغفار للمقذوف والثناء عليه في المجالس التي اغتبته فيها . هذا أدب عالٍ في التعامل مع أخطاء اللسان.
.9التأديب في التعامل الاجتماعي
الآية تعمل على أن يسود المجتمع روح الاحترام المتبادل، والابتعاد عن الغيبة والنميمة. مجتمع يخاف أفراده من لعنة الله لو أساءوا لبعضهم، لا بد أن يكون مجتمعاً نظيفاً، متماسكاً، قوياً.
الخلاصة: دور هذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة
هذه الآية ليست مجرد نص ديني يُتلى، إنها دستور أخلاقي واجتماعي لو طبقناه، لبُنيت حضارة إنسانية راقية.
.1بناء الشخصية المسلمة: تخرج من هذه الآية وأنت تعلم أنك محاسب على كل كلمة .تتعلم ضبط اللسان، وحفظ الأعراض، ونبل التعامل، وتقديس خصوصيات الناس .تتحول من إنسان "نقال" إلى إنسان "وزان" للكلمة بميزان الشرع.
.2بناء المجتمع المسلم: تسود قيم الثقة والطمأنينة .ينام الناس وفي بالهم أن أعراضهم مصونة، وأن أحداً لن ينال منها .يتحول المجتمع إلى كتلة واحدة متماسكة، لا تستطيع الشائعات أن تخترقه أو تفتت عضده.
.3إقامة مؤسسات الدولة: عندما تقرأ هذه الآية، تفهم لماذا شرع الله حد القذف . إنها دعوة للدولة و المجتمع والقضاء أن يقيموا هذه الحدود ليس كعقوبات جافة، ولكن كوسيلة لحماية القيم العليا للمجتمع.
.4التزامن بين القضاء والتربية: العقوبة وحدها لا تكفي .لا بد أن يصاحب تطبيق القاعدة الشرعية تربية داخلية في النفوس، تشعر الفرد بعظم ما اقترف .هذا ما فعلته الآية: لقد ربطت بين العقوبة البدنية) في آية الجلد (والعقوبة النفسية والروحية) اللعنة والعذاب العظيم(، وبين وصف الجريمة)بشاعتها (ووصف الضحايا) طهارتهم .(هذا المزيج هو الذي يغير النفوس، ويبني الإنسان الداعية، و الحاكم، والطالب، والمعلم، والعامل، والمهندس، المؤمن والمؤمنة.
ختاماً، عندما تقرأ هذه الآية، تخيل أن الله يخاطبك أنت الآن، في زمنك هذا، في كل كلمة تقولها عن الناس. اجعل من هذه الآية رقيباً على لسانك، وزماماً لقلبك، لتعيش آمناً في الدنيا، فائزاً برضوان الله في الآخرة.
ثانيا
نحن الآن أمام مشهد عظيم من مشاهد يوم القيامة، مشهد يرسمه القرآن لنا كأننا نراه بأعيننا، مشهد يهز الكيان ويزلزل الضمير. إنها الآية 24 من سورة النور، والتي تأتي بعد تحذير شديد لقاذفي المحصنات، لتكشف النقاب عن مصيرهم وتفضح أسرارهم. يقول الله تعالى: {يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [النور: 24].
هذه الآية ليست مجرد خبر عن المستقبل، إنها مرآة لحاضرك، ومقياس لسلوكك، ومحطة لتقويم حياتك. إنها تخاطبك أنت الآن، لتقول لك: انتبه، كل جارحة في جسدك لها صوت، وكل صوت سيسجل عليك.
مقدمة عن الآية: مشهد العدالة الإلهية المطلقة
بعد أن بين الله عز وجل جريمة قذف المحصنات وعقوبتها في الدنيا (الجلد) وفي الآخرة (اللعنة و العذاب العظيم)، تأتي هذه الآية لتصف تفاصيل ذلك العذاب وتلك الفضيحة يوم القيامة. إنها تفتح الستار عن مشهد كوني مذهل: أعضاء الإنسان تنطق! اللسان الذي كان يلهج بالكذب والافتراء، واليد التي كانت تشير بالبهتان، والرجل التي كانت تسعى بالنميمة، كلها ستتحول إلى شهود عدول لا يكذبون، لتنطق بما كان يعمل صاحبها.
أهداف الآية ومقاصدها العليا:
1. غرس الرقابة الذاتية: الهدف الأسمى هو أن يشعر الإنسان بمراقبة دائمة، ليس فقط من الله الغيب، بل من أعضائه التي بين جنبيه.
2. بيان عدالة الله المطلقة: حيث لا يمكن لأحد أن ينكر ذنبه، لأن جوارحه التي أنكر بها ستشهد

عليه.
3. ربط الدنيا بالآخرة: ليعلم الإنسان أن كل فعل في الدنيا له رد فعل في الآخرة، وأن السجلات مفتوحة.
4. تحويل الإيمان إلى سلوك: لئلا يكون الإيمان مجرد كلمات، بل ينعكس على حركات الجسد وسكناته.
الآن، لندخل في أعماق هذه الآية، ونتأمل دلالاتها العظيمة.
أولاً: مفهوم الرقابة الذاتية والمسؤولية الشخصية
1. ماذا تعني الرقابة الذاتية؟
الرقابة الذاتية هي ذلك الشعور الداخلي العميق الذي يجعلك تمتنع عن الخطأ، ليس خوفاً من أن يراك الناس أو يضبطك القانون، بل لأنك تعلم أن هناك من يراك ولا تخفيه عليه شيء. إنها الحارس الأمين الذي ينام والحراس من حولك، لكنه لا ينام أبداً.
الآية هنا تزرع في قلبك أعمق أنواع هذه الرقابة. عندما تقرأ {تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ} ، ينتابك شعور بأن جسدك ليس مجرد جماد، بل هو كائن حي ناطق، سيصبح شاهداً عليك يوماً ما. هذا الإدراك يحولك من إنسان يفعل ما يشاء في الخفاء، إلى إنسان يشعر بأن الخلوة فيها رقيب هو جسده نفسه.
2. المسؤولية الشخصية: كل تصرف محسوب ومسجل

الآية تقرر حقيقة دامغة: {بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} . كل عمل، صغُر أم كبر، دق أم جل، مسجل ومحفوظ. ليست النوايا فقط، بل الأفعال التي ترتكبها الجوارح. هذا يربيك على أنك مسؤول مسؤولية كاملة عن كل لحظة في حياتك.
· تربية على الدقة: تعلمك الآية أن لا تستهين بأي فعل. فاللسان الذي يطلق كلمة، واليد التي تمتد لشيء، والرجل التي تمشي إلى مكان، كلها ستسأل: فيمَ استعملتها؟
· شعور بالمسؤولية: عندما تدرك أنك ستواجه بشهادة جوارحك، تتحول حياتك إلى سلسلة من القرارات الواعية. تسأل نفسك قبل أن تتحرك: ماذا سيقول هذا العضو عني يوم القيامة؟
3. تقليل الجرائم والذنوب في الخفاء
المجتمعات التي تعتمد فقط على الرقابة الخارجية (الشرطة، الكاميرات، القوانين) تظل الجرائم فيها ممكنة في الظلام. لكن المجتمع الذي يزرع في أفراده عقيدة المراقبة الذاتية، يصبح المجتمع كله نوراً. الظلام لا وجود له، لأن المؤمن يستشعر نور الله في كل مكان.
الآية تقول لك: حتى لو كنت في غرفة مظلمة مغلقة، وحدك لا يراك بشر، فإن جلدك، يدك، لسانك يرونك! إنهم يسجلون عليك. هذا الإيمان هو الذي يمنع المؤمن من فعل الفاحشة في الخفاء، لأنه يعلم أن جسده سيفضحه.
ثانياً: أهمية التأمل في عواقب الأعمال ودوره في تربية الضمير
1. التأمل حافز لتربية الضمير
الضمير الإنساني يحتاج إلى تغذية مستمرة كي لا يموت. وتأمل عواقب الأعمال هو أعظم غذاء له. عندما تتأمل هذه الآية وتتصور ذلك اليوم الرهيب الذي تتكلم فيه أعضاؤك، تشعر بخشية تغمر قلبك.
الآية تترجم هذا المفهوم إلى مشهد حي. إنها لا تقول فقط "سيعاقبون"، بل ترسم صورة: الألسنة تشهد، الأيدي تشهد، الأرجل تشهد. هذه الصورة تعلق في الذهن أكثر من أي وعظ مجرد. كلما هممت بمعصية، قفزت إلى ذهنك صورة لسانك وهو يتكلم أمام الخلائق، فيرتدع قلبك.
2. زرع رقابة داخلية أقوى من أي رقابة خارجية

الرقابة الخارجية محدودة: الكاميرا لا ترى في الزوايا، الشرطي لا يراقب الجميع، القانون لا يعاقب إلا المفضوحين. لكن الرقابة الإلهية عبر الجوارح: شاملة، دائمة، لا تنقطع. أنت لا تستطيع أن تهرب من جلدك، ولا أن تنفصل عن لسانك.
هذا هو تميز الإسلام العظيم. في المجتمعات المادية، يبحث الناس عن "الجريمة الكاملة" التي لا تترك أثراً. لكن المؤمن يعلم أن جسده نفسه هو الأثر، وأنه لا جريمة كاملة في ملكوت الله. هذا اليقين هو الذي يصنع مجتمعاً فاضلاً، لا لأنه مراقب، بل لأنه مؤمن.
3. كيف تنسخ الآية النزاهة والشفافية والصدق؟

· النزاهة: عندما تعلم أن يدك ستشهد عليك، تمتنع عن الرشوة والاختلاس. كيف تمد يدك لحرام وهي ستشهد ضدك في المحفل الأعظم؟
· الشفافية: عندما تعلم أن لسانك سينطق بكل كلمة قلتها، تصبح صادقاً، واضحاً، لا تلف ولا تدور. الشفافية تصبح جزءاً من كيانك، لأنك تعلم أنك ستواجه بكلامك يوماً ما.
· الصدق: تصدق في تعاملاتك لأنك تعلم أن الكذب سيفضحك. من يوقن أن لسانه سينطق بالحقيقة أمام الله، لا يمكن أن يكون كذاباً في الدنيا.

ثالثاً: لمسات بيانية ودلالات عميقة في الآية
1. لماذا بدأ بالألسنة؟
تأمل هذا الترتيب الإلهي: {ألسِنَتُهُمْ} ثم {أيْدِيهِم} ثم {أرْجُلُهُمْ} . لماذا بدأ باللسان؟ لأن الجريمة التي تحدثت عنها الآيات السابقة كانت جريمة لسان: الرمي، القذف، الكلام. وكأن الله يقول: هذا اللسان الذي أطلقتم به العنان في أعراض الناس، سيكون أول الشهود عليكم.
هذه البداية تحمل درساً تربوياً عظيماً:
· أهمية ضبط اللسان: أنت تتعامل مع عضو سيكون شاهداً رئيسياً في قضيتك. إذا كنت لا تريد أن يشهد عليك بالسوء، فاضبطه الآن.
· القضاء على آفات اللسان: عندما تعيش مع هذه الآية، تفكر ألف مرة قبل أن تغتاب، أو تنم، أو تكذب، أو تنشر شائعة. تسأل نفسك: هل هذه الكلمة تستحق أن أرى لساني يشهد بها ضدي أمام الله؟ عندها تمتنع.
دور هذا الفهم: يتحول المجتمع إلى بيئة طاهرة من النميمة والغيبة، لأن الأفراد يدركون عاقبة كل كلمة. يصبح الكلام عبادة، أو على الأقل، سلامة.
2. دلالة شهادة الجوارح بما كانوا يعملون
هذه العبارة {بِمَا كانُوا يَعْمَلُونَ} تعميم شامل. تشمل كل شيء: الكفر، الشرك، الكذب، الزنا، السرقة، الغيبة، النميمة، وأيضاً الأعمال الصالحة. الجوارح لا تشهد فقط على السيئات، بل والحسنات أيضاً.
الصورة الحية: الجسم ينقلب شهيداً على صاحبه. تخيل موقفاً ينكر فيه الإنسان ذنوبه أمام الله، فيقول: وعزتك ما فعلت كذا. عندها يقول الله لجلده: انطق. فتنطق الجوارح بما كان يعمل. يكون ذلك أشد حسرة على الإنسان، لأنه لا يستطيع إنكار شهادة أعضائه.
3. استشعار المؤمن لهذه الحقيقة: من العقيدة إلى السلوك
عندما تعيش مع هذه الآية مستشعراً أنك المخاطب بها، وأن الوحي يتنزل عليك الآن، يحدث فيك تغيير جذري:
· تغيير وجهة نظرك للحياة: تدرك أن الحياة الدنيا ليست سوى مسرح، وأنت تمثل دوراً، وجوارحك تسجله. كل خطوة تخطوها، كل كلمة تتفوه بها، كل إشارة بيدك، كلها تدخل في سجل أبدي.
· تغيير طريقة كلامك: يصبح كلامك ميزاناً. تتحرى الصدق، وتتجنب الغيبة، وتفكر في كل كلمة: هل ستشهد لي أم عليّ؟
· تغيير طريقة تعاملك: تصبح أماناً للناس. لا تخون، لا تسرق، لا تغش. يدك التي ستشهد لك بالأعمال الصالحة لا ترضى أن تشهد عليك بالحرام.
الآية ضابط للسلوك:
هي بمثابة جهاز تتبع إلهي داخل جسدك. كلما هممت بمعصية، يتذكر المؤمن هذا الجهاز، فيتراجع. كلما أردت أن تقول كلمة سيئة، يذكرك هذا الإيمان: تذكر، اللسان سيشهد.
4. كيف تعطي عبارة "تشهد عليهم" صورة حية لهول الموقف
التعبير بـ {تَشْهَدُ} يوحي بأن الجوارح ليست مجرد أعضاء ميتة، بل هي كائنات حية عاقلة ستؤدي شهادتها في محكمة العدل الإلهي. إنها صورة مفزعة: أنت تحاول إنكار فعلتك، وفجأة ينقلب أقرب الناس إليك (أعضاؤك) ضدك. لا صديق هناك، ولا شفيع، ولا وسيط. فقط الحقيقة العارية التي تنطق بها جوارحك.
هذه الصورة تبقى عالقة في الذهن، وتعمل كرادع قوي. إنها تزرع الشفافية والنزاهة في المجتمع. فمن يوقن أن يده ستشهد عليه، يستحيل أن يمدها إلى رشوة أو سرقة. ومن يوقن أن رجله ستشهد عليه، يستحيل أن يمشي بها إلى مكان فاحشة. ومن يوقن أن لسانه سيشهد عليه، يستحيل أن ينطق بكلمة سوء.
الآثار التربوية والنفسية والاجتماعية والثقافية لهذه الآية
1. الأثر التربوي: بناء الإنسان المتقي
هذه الآية تربي جيلا ً يعيش في حالة من اليقظة الدائمة. الإنسان الذي يقرأها بتدبر، ينشأ على:
· التقوى: يخاف الله في السر والعلن.
· المسؤولية: يعلم أنه محاسب على كل صغيرة وكبيرة.
· الحكمة: يزن الأمور بميزان الشرع والعقل.
2. الأثر النفسي: السكينة والطمأنينة
عندما تعيش مع هذه الآية، تتحرر من الخوف من الناس. أنت لا تخشى كاميرات المراقبة أو رجال الأمن بقدر ما تخشى شهادة جوارحك. هذا يمنحك سكينة نفسية عجيبة: أنت تتعامل مع رب رحيم ، لكنه عادل. أنت تعمل الصالحات لا رياءً، بل لأنك تريد أن تشهد لك جوارحك بالخير. هذه النية تطهر النفس من أمراض النفاق وحب الظهور.
3. الأثر الاجتماعي: مجتمع متماسك نظيف
مجتمع يؤمن أفراده بأن جوارحهم ستشهد عليهم يوم القيامة، هو مجتمع:
· نظيف من الغيبة والنميمة: لأن الألسنة محروسة.

· آمن على الأموال والأعراض: لأن الأيدي والأرجل محروسة.
· مليء بالثقة: يعرف الناس أن بعضهم صادقون، ليس فقط في تعاملاتهم، بل في دواخلهم.
4. الأثر الثقافي والحضاري: بناء الدولة المتماسكة
الدولة التي تبنى على عقيدة المراقبة الذاتية، لا تحتاج إلى أجهزة رقابية ضخمة تلتهم ميزانيتها. المواطن فيها هو رقيب نفسه. هذه الرقابة الداخلية تجعل الفساد مستحيلا ً، لأن الإنسان يخاف من الله قبل أن يخاف من القانون. هذا هو أساس الحضارة القوية: المواطن الصالح الذي يحمل قيمه في قلبه، لا في جيبه.
عندما يتولى منصباً، لا يختلس، لأنه يعلم أن يده ستشهد عليه. عندما يكون قاضياً، لا يحابي، لأنه يعلم أن لسانه سيشهد عليه. عندما يكون تاجراً، لا يغش، لأنه يعلم أن عينيه ويديه ستشهدان عليه.
كيف تجعل هذه الآية واقعاً في حياتك؟
1. اجعلها وِرداً تتلوه كل يوم: اقرأها وتأمل معناها وكأنك ترى المشهد.
2. قبل كل كلمة: اسأل نفسك: هل أريد أن أرى لساني يشهد بهذا الكلام أمام الله؟
3. قبل كل حركة: اسأل: هل أريد أن تشهد يدي أو رجلي بهذا الفعل؟
4. عند الخلوة: ذكر نفسك بأن جلدك يراك، وأن عظامك تشهد عليك، فلا ترضَ لنفسك بالمعصية.
ختاماً، هذه الآية ليست وعيداً بقدر ما هي رحمة من الله بك. هي تخبرك بالحقيقة قبل وقوعها، لتعمل على تغيير مسارك. هي نور في طريقك، لتجعل من جوارحك شهوداً لك لا عليك. اجعل لسانك شاهداً لك بكثرة الذكر والصدق، واجعل يدك شاهدة لك بالبذل والعطاء، واجعل رجلك شاهدة لك بالسعي إلى الخير. عندها، في ذلك اليوم العظيم، لن تكون جوارحك خصوماً لك، بل ستنطق لتقول: اللّهم إن هذا كان يعمل الصالحات. فتكون سعيداً في الدنيا والآخرة.
ثالثا
ها نحن نصل إلى المحطة الثالثة في رحلتنا مع آيات سورة النور، بعد أن رأينا جريمة القذف ووعيد اللعنة، ثم مشهد شهادة الجوارح. الآن تأتي الآية 25 لتسدل الستار على المشهد وتعلن الحكم النهائي: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ المُبِينُ} [النور: 25].
إنها آية الختام، آية العدالة المطلقة، آية اليقين الذي لا يتزعزع. إنها تخاطبك أنت، أيها الإنسان، لتقول لك: كل ما تفعله مسجل، وكل ما تقوله محفوظ، وستلقى ربك فيوفيك حسابك كاملا ً غير منقوص.
مقدمة عن الآية: مشهد العدالة الإلهية المطلقة
بعد أن صور الله مشهد شهادة الجوارح على المجرمين، يأتي هذا البيان الإلهي ليؤكد أن هذه الشهادة لن تذهب سدى، بل ستتبعها المحاكمة العادلة، ثم تنفيذ الحكم. الآية تحدد الزمان (يومئذٍ) ، وتحدد الفعل (يوفيهم) ، وتحدد صفة الجزاء (الحق) ، وتختم بأعظم حقيقة (ويعلمون أن الله هو الحق المبين) . إنها توقيع إلهي على أن العدل سيقع لا محالة.
أهداف الآية ومقاصدها العليا:
.1ترسيخ الإيمان باليوم الآخر والجزاء العادل: الهدف الأسمى هو أن يعيش الإنسان في يقين تام بأن هناك لقاء مع الله، وأن كل شيء سيحاسب عليه.
.2تعريف الإنسان بحقيقة نفسه وحقيقة ربه: في ذلك اليوم يعلمون علماً يقينياً أن الله هو الحق المبين، الذي لا يخفى عليه شيء، ولا يظلم أحداً.
.3طمأنة المؤمنين: بأن من ظلمهم أو آذاهم لن يفلت، وأن الله سينصرهم ولو بعد حين.
.4تحذير المجرمين: من أن أعمالهم ستلقى جزاءها العادل، فلا يستكبروا ولا يظنوا أنهم معجزون.
أولا ً: ما معنى (يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقَّ)؟
.1تحليل الكلمات: وفاء، دين، حق
· يُوَفِّيهِمُ: من الوفاء، وهو الإعطاء كاملا ً غير منقوص .الفعل) يُوَفِّي (يدل على التمام والكمال .الله لا ينقص أحداً من عمله شيئاً، بل يعطيه إياه وافياً، سواء كان خيراً أو شراً .هذه كلمة تعطيك صورة الميزان الدقيق الذي لا يخطئ.
· دِينَهُمُ: كلمة) الدين (في اللغة تحمل معاني الجزاء والحساب، كما في قولهم "كما تدين تدان" .وهي أيضاً تحمل معنى الطاعة والعبادة، لكن السياق هنا للجزاء .وتأمل: لماذا سمى الجزاء) ديناً(؟ لأن العمل الذي قدمته في الدنيا هو بمثابة "قرض" أعطيته لنفسك، أو "دين" في ذمتك، والله يوفيك إياه يوم القيامة .كل عمل هو دين سيعود إليك.
· الحَقَّ: نعت ل-) دينهم (أي الجزاء الحق الذي يستحقونه بعدل .والحق هو الثابت الذي لا يسع أحداً إنكاره .هو العدل المطلق .فالله لا يظلم مثقال ذرة، بل يجازي بالحق.
إذن، المعنى الإجمالي: في ذلك اليوم، سيعطيهم الله جزاءهم العدل الكامل، جزاءً يطابق أعمالهم تمام المطابقة.
.2الرسالة من حتمية الجزاء العادل
الله يرسل لك رسالة واضحة: لا تظن أن شيئاً يضيع. لا كلمة قلتها في حق مسلم، ولا نظرة زاغت بها عينك، ولا خطوة مشيتها إلى حرام، ولا درهم كسبته من حرام. كل هذا مدون، وستُوفاه يوم القيامة. هذه الحتمية تخلق في نفسك جواً من المسؤولية الدائمة.
.3لماذا يقترن الإيفاء ب-) الحق(؟

لأن الجزاء الإلهي ليس جزاءً عشوائياً، ولا جزاءً ظالماً. هو حق:
· حق من حيث المصدر: صادر من الله الذي لا يظلم.
· حق من حيث المطابقة: يطابق العمل تماماً) جزاءً وفاقاً.(
· حق من حيث العدل: لا يفضل فيه أحد على أحد إلا بالتقوى.
هذا الاقتران يريح قلب المؤمن: هناك عدالة مطلقة في هذا الكون، وإن غابت في الدنيا، فهي موجودة هناك.
.4لماذا سمى الله الجزاء بـ) الدين(؟
تسمية الجزاء بالدين فيها حكمتان عظيمتان:
· الأولى: أن العمل الذي تفعله في الدنيا هو بمثابة "قرض" تدفعه لنفسك .أنت تزرع اليوم وتحصد غداً .إنه دين في عنق الأيام، والله ملزم بالوفاء بهذا الدين لأنه وعد به.
· الثانية: أن يشعر الإنسان بأن كل ما يفعله هو "دَين" عليه، سيطالب به .كما أن الدائن لا ينام حتى يستوفي دينه، فكيف بك وأنت مدين لربك بأعمالك؟ هذا الشعور يربيك على ألا تتهاون في "سداد" هذا الدين بالعمل الصالح.
ثانياً: القيم التي تغرسها هذه الآية في النفوس
.1قيمة المسؤولية والمحاسبة الذاتية
الآية تربي فيك أن تعيش وأنت تشعر بأن كل عمل هو "دين" مسجل عليك. هذا يجعلك دائم المراجعة لنفسك: ماذا قدمت اليوم؟ ماذا سأواجه به غداً؟ إنها تخلق عندك عادة المحاسبة الذاتية، وهي أعلى درجات الإيمان.
تطبيق عملي في عصر التواصل الاجتماعي:
اليوم، أنت تتعامل مع وسائل التواصل، تنشر منشوراً، تعلق، تنقل خبراً. هذه الآية تقول لك: كل كلمة تكتبها، كل خبر تنشره، كل تعليق تطلقه، هو دين ستوفاه يوم القيامة. ستقف أمام الله ويسألك: لماذا نشرت هذا؟ هل تأكدت من صحته؟ هل كان فيه ضرر لمسلم؟ هذا الإدراك يمنعك من أن تكون أداة لنشر الفتن والشائعات. إنه يحولك إلى إنسان مسؤول، يزن كلماته قبل أن ينشرها، لأنه يعلم أنها دين في عنقه.
.2قيمة اليقظة الدائمة) عدم الغفلة(
الآية توقظك من غفلتك. كثير منا يتعامل مع الذنوب على أنها أمور عابرة: "مجرد كلمة"، "مجرد نظرة" ، "مجرد ضحكة". الآية تقول لك: لا، هذا ليس عابراً، إنه دين مسجل في صحيفتك، ستراه أمامك يوم القيامة. هذه اليقظة تجعلك تحاسب نفسك قبل أن تحاسب، وتزن عملك قبل أن يوزن.
.3قيمة الحياء من الله
تأمل هذا المعنى العميق: أنت في الدنيا تستحي من الناس، تخفي ذنوبك عنهم، لا تريد أن يراك أحد على معصية. فكيف لا تستحي من الله الذي يراك في خلواتك، ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؟ الآية تذكرك بأن الله {الحَقُّ المُبِينُ} . هو الظاهر الذي لا يخفى عليه شيء. فإذا كنت تخشى فضيحة الدنيا، فكيف لا تخشى فضيحة الآخرة حيث تنكشف الأسرار؟ هذا الحياء يمنعك من المعصية في الخفاء قبل العلن.
.4قيمة العدل والثقة بالله
المؤمن يقرأ هذه الآية فتسكن نفسه. يعلم أن من ظلمه سيلقى جزاءه، وأن الله سينصفه. هذه الثقة تمنحه صبراً عجيباً على الأذى. لا يحتاج للانتقام بيده، لأنه يعلم أن هناك عدالة عليا ستأخذ حقه. هذا يطهر المجتمع من الثأر والانتقامات الشخصية.
.5قيمة الاستقامة
الآية تقرن الجزاء بالحق. والحق هو طريق المؤمنين. من سار على طريق الحق (الإيمان، الصدق، العفة ، الأمانة) كان جزاؤه الجنة. ومن سار على طريق الباطل (الكذب، الفاحشة، أكل الحرام) كان جزاؤه العذاب. هذه المعادلة البسيطة تدفعك للاستقامة، لأنك تريد الجزاء الحق الحسن.
ثالثاً: دلالة (يَوْمَئِذٍ) وعلاقتها باليقين
.1"يومئذ" : الزمان الذي تتجلى فيه الحقائق
كلمة {يَوْمَئِذٍ} تعيدك إلى المشهد السابق: يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم. هذا التوقيت الزمني يربط الأحداث ببعضها. وكأن الآية تقول: في ذلك اليوم بالذات، بعد هذه الشهادة، يوفيهم الله دينهم الحق.
.2أهمية اليقين بحتمية الحساب
عندما توقن أن هناك يوماً ستواجه فيه كل أعمالك، تتغير نظرتك للحياة. تصبح الحياة الدنيا مجرد محطة اختبار، والآخرة هي دار القرار. هذا اليقين يرتقي بمستوى الإنسان، فلا يرضى بالدون، ولا يبيع آخرته بدنياه.
اليقين بحتمية الحساب يورثك المراقبة الذاتية:

· قبل أن تتكلم، تتذكر أن الكلمة دين.
· قبل أن تأكل حراماً، تتذكر أن اللقمة دين.

· قبل أن تظلم أحداً، تتذكر أن المظلمة دين.
هذه المراقبة هي أساس الاستقامة. هي التي تجعلك تحافظ على حقوق العباد، وتتجنب الكسب الحرام، لأنك تعلم أن كل ذلك سيسأل عنه.
رابعاً: مفهوم الإيمان بنصرة الحق
.1الرسالة التي ترسلها الآية لكل مؤمن
الآية تقول للمؤمن الذي أصابه أذى من قاذف أو منافق: لا تحزن، لا تيأس. هناك يوم ستنتصر فيه. يوم يظهر فيه الحق، ويُخذل الباطل. قد يطول أمد الباطل في الدنيا، لكن العاقبة للمتقين.
}يُوَفِّيهِمُ اللهُ دِينَهُمُ الحَقّ {يعني أن الله سينصر عباده المؤمنين، وسيخذل أعداءه .هذه رسالة أمل وقوة لكل من يسير على طريق الحق.
.2طمأنة النفس للمؤمنين
كم من مؤمن ظلم، وكم من عفيفة قذفت، وكم من صادق كذب عليه. هذه الآية هي بلسم لجروحهم. تقول لهم: صبركم لن يضيع، دموعكم محفوظة، آلامكم مسجلة، وسيأتي يوم توفون فيه دينكم الحق. هذه الطمأنينة هي التي تجعل المجتمع المؤمن متماسكاً، لا ينهار أمام الاضطهاد.
.3ماذا يعني) الحَقُّ المُبِينُ(؟
}الحَقُّ المُبِينُ {هو الله سبحانه .المبين: هو الواضح الذي لا يخفى على أحد، والذي يبين كل شيء . في ذلك اليوم، يعلم الكافرون والمجرمون علماً يقينياً أن الله هو الحق، وأن كل ما كانوا يعبدون من دونه هو الباطل .لكن هذا العلم في ذلك اليوم لا ينفعهم، لأنه علم اضطرار لا اختيار.
أما المؤمن، فيستفيد من هذا في الدنيا: يعلم أن الله هو الحق المبين، فكل ما يفعله يكون خالصاً لوجهه، واثقاً بأنه لا يخسر مع الله شيئاً.
.4الاستقامة في الدنيا تؤدي إلى الجزاء الحق
الآية تربط بين عمل الإنسان في الدنيا وجزائه في الآخرة. من استقام على طريق الحق في الدنيا (آمن، عمل صالحاً، عف عن المحارم، حفظ لسانه)، فجزاؤه الحق هو الجنة. ومن سلك طريق الباطل، فجزاؤه الحق هو النار. هذا الربط يحفزك على الاستقامة، ويحذرك من الانزلاق في الباطل.
.5الثقة بوعد الله ووعيده
اليقين الراسخ في الذهن أن الله هو الحق المبين يجعلك تثق بوعد الله (الجنة للمؤمنين) ووعيده (النار للكافرين). هذه الثقة تدفعك للعمل للجنة، والهروب من النار. وهي التي تجعلك تتقي الله في كل شؤونك.
خامساً: دور الآية في حماية المجتمع وبناء حضارة متميزة
.1بناء مجتمع عفيف قائم على الحق
عندما يؤمن أفراد المجتمع بأن كل أعمالهم ستوفى يوم القيامة، وأن هناك حقاً مطلقاً سينتصر، فإنهم:
· يعفون عن أعراض الناس، لأنهم يعلمون أن الكلمة مسؤولية.
· يبتعدون عن الفواحش، لأنهم يعلمون أن الفاحشة دين سيطالبون به.
· يتمسكون بالصدق، لأنهم يعلمون أن الكذب دين.
هذا المجتمع يصبح مجتمعاً فاضلا ً، عفيفاً، متماسكاً، لا مكان فيه للشائعات ولا للفواحش.
.2تغيير المفاهيم: النجاة من الباطل
الآية تعيد تعريف العلاقات والمفاهيم الاجتماعية. كم من إنسان ينساق وراء أعدائه، أو يصدق الشائعات التي تطلقها وسائل الإعلام المغرضة! عندما تقرأ هذه الآية، تعيد تقييم كل شيء: من تثق به ؟ من تتابع؟ من تصدق؟ تدرك أن اتباع الباطل والانسياق وراءه سيحاسبك عليه الله. لذلك، تصبح أكثر وعياً، وأكثر انتقائية في علاقاتك ومصادر معلوماتك.
.3دور الآية في بناء الإنسان والدولة والحضارة
· بناء الإنسان: تخلق إنساناً مسؤولا ً، خائفاً من الله، مراقباً لنفسه، طامعاً في ثوابه، هارباً من عقابه . هذا هو الإنسان الكامل الذي يصلح لبناء الأرض.
· بناء المجتمع: عندما يمتلئ المجتمع بمثل هؤلاء الأفراد، يسود التعاون على البر والتقوى، وتقل الجريمة، وتزداد الثقة .المجتمع يصبح كالجسد الواحد.
· بناء الدولة: الدولة التي يحكمها أفراد يوقنون بأن الله سيجازيهم بالحق، هي دولة لا تعرف الفساد . الموظف لا يختلس لأنه يعلم أن يده ستشهد عليه .القاضي لا يحابي لأنه يعلم أن لسانه سينطق بـ الحقيقة .الحاكم لا يظلم لأنه يعلم أنه سيقف بين يدي الله.
· بناء الحضارة: هذه هي الحضارة المتميزة التي يقدمها الإسلام للعالم: حضارة تقوم على ضمير الإ نسان قبل قانون الدولة، وعلى رقابة الله قبل رقابة البشر .إنها حضارة تصنع إنساناً لا يحتاج إلى مراقب ليستقيم، لأنه يحمل المراقب في داخله.
ختاماً: كيف تعيش مع هذه الآية؟
.1اجعلها نصب عينيك كل صباح: قل لنفسك: اليوم، كل كلمة سأقولها، كل منشور سأكتبه، كل خطوة سأخطوها، هي دين سأوفاه غداً.
.2حاسب نفسك كل ليلة: قبل أن تنام، راجع يومك .ماذا قدمت؟ ماذا أخرت؟ استغفر من ذنب، واحمد الله على طاعة.

.3استشعر الحياء من الله: عندما تخلو بنفسك، تذكر أن الله يراك، وأن كل ما تفعله مسجل .استح من نظر الله إليك وأنت تعصيه.
.4تقوّ باليقين: أيقن أن الله سينصر الحق ولو بعد حين .لا تيأس من روح الله .ولا تظن أن الله غافل عما يعمل الظالمون.
.5انشر هذه القيم: علم أبناءك وأهلك ومجتمعك هذه الآية، واجعلها ثقافة عامة .ساهم في بناء مجتمع يعيش في ظل هذه الحقيقة.
رابعا
ها نحن نصل إلى الآية التي تضع القانون الكوني في التناسب والتصنيف، الآية التي تريح القلب وتؤصل قاعدة عظيمة في التعامل مع النفس ومع الناس. إنها الآية 26 من سورة النور، يقول الله تعالى: {الخَبِيثَاتُ لِلخَبِيثِينَ وَالخَبِيثُونَ لِلخَبِيثَاتِ ۖ وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} [النور: 26].
هذه الآية هي مفتاح لفهم السنن الإلهية في تصنيف البشر، وهي مرآة لك ترى فيها حقيقتك من خ لال من تحب ومن يجذبك. إنها تخاطبك أنت: مَن أنت؟ ومَن تختار؟ وأين ستكون نهايتك؟
مقدمة عن الآية: قانون التناسب الإلهي
بعد أن تحدث الله عن جريمة قذف المحصنات، وفضح المنافقين، وتوعدهم بالعذاب، وبعد أن بين مشهد شهادة الجوارح والجزاء العادل، تأتي هذه الآية لتقرر حقيقة كونية: الأرواح جنود مجندة، ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. هي قانون التجانس والتناسب: الخبيث ينجذب إلى الخبيث، والطيب يأنس إلى الطيب. وهذا القانون ليس فقط في الزواج، بل في كل علاقات الحياة.
أهداف الآية ومقاصدها العليا:
1. تقرير سنة الله في التناسب: ليعلم الإنسان أن الطباع تتجانس، وأن كل امرئ ينجذب إلى من يشابهه في الخير أو الشر.
2. تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: فبما أنها طيبة، فهي للطيبين (النبي ﷺ والصحابة)، و الخبيثون (المنافقون) هم للخبيثات، فلا يمكن أن يلصقوا بها الباطل.
3. توجيه المؤمنين في اختياراتهم: في الزواج، الصداقة، بيئة العمل، وحتى في متابعة وسائل التواصل.
4. دعوة للتزكية: لأنك إذا أردت الطيبين، عليك أن تكون طيباً.
أولا ً: قانون التناسب النفسي والأخلاقي (الطيور على أشكالها تقع)
1. ماذا يعني قانون التناسب النفسي والأخلاقي؟
هو قاعدة كونية أن الإنسان ينجذب بطبيعته إلى من يشبهه في الجوهر. فالنفس الخبيثة تميل إلى الخبيث، لأنها تجد عنده راحتها وانسجامها. والنفس الطيبة تنفر من الخبيث وتأنس إلى الطيب. هذا ليس مجرد كلام، بل هو قانون نفسي واجتماعي دقيق.
الآية تضع هذه القاعدة في قالب محكم: {الخَبِيثَاتُ لِلخَبِيثِينَ} أي الخبيثات من النساء للخبيثين من الرجال، والعكس. ثم تكررها للطيبين. هذا التكرار يؤكد أن الأمر سنة ماضية.
2. بماذا ترشدنا الآية في اختيار الزوج والزوجة؟
إذا كنت تبحث عن شريك حياتك، فلتكن هذه الآية نصب عينيك. هي تقول لك: انظر إلى من تنجذب إليه. إن كان من الصالحين، فهذا دليل على صلاحك. لكن الأهم: لا تظن أنك ستسعد بمن لا يشبهك في الجوهر.
· المؤمن العفيف: لا يجد راحته إلا مع عفيفة.
· المؤمنة الطيبة: لا تأنس إلا بطيب.
الآية ترسخ أن العفة والطهارة والخلق الحسن هي المعايير الأساسية. لا تنخدع بالمظاهر، ولا بـ الجمال الزائل. اسأل: هل هي طيبة؟ هل هو طيب؟ فإن كان الجواب نعم، فأنت على طريق السعادة.
3. التطبيق في بيئة العمل والصداقة
القاعدة ذاتها تنطبق على كل علاقة. المؤمن يجذب من يشبهه. إذا كنت صادقاً أميناً، ستجد نفسك تنجذب إلى الصادقين الأمينين في العمل. وإذا كنت كسولا ً خائناً، ستجد رفاق السوء.
رسالة لك: إذا أردت أن تحسن اختيار أصدقائك وزملائك، فابدأ بنفسك. كن طيباً تلق الطيبين. كن صالحاً تجد الصالحين. البيئة التي تعيش فيها هي مرآتك.
ثانياً: عدالة الله في تقسيم النفوس: معيار الطيبة والخباثة
1. الآية تضع معياراً واضحاً للتصنيف
الله لا يظلم أحداً. هو يوزع النفوس بحسب أعمالها وميولها. في الدنيا، ترى الناس يتجمعون حسب طبائعهم. في الشركات، تجمع أهل الخير. في أماكن الفساد، تجمع أهل الشر. هذا التقسيم هو عين العدل، لأن كل إنسان يذهب إلى حيث يريد حقاً.
2. كيف تقيس طيبتك أو خبثك؟
هذه الآية تضع لك معياراً دقيقاً لقياس نفسك:

· معيار الأخلاق والكلمات: تأمل في كلامك. هل تميل إلى الغيبة والنميمة والكذب؟ أم تميل إلى الصدق والنصيحة والكلمة الطيبة؟ كلماتك تكشف معدنك.
· معيار الأصدقاء: انظر إلى أصدقائك المقربين. من هم؟ إن كانوا من أهل الصلاة والصدق، فأنت على خير. وإن كانوا من أهل المجون واللغو، فاحذر.
· معيار البيئة التي تجلس فيها: أين تقضي وقتك؟ في مجالس العلم والذكر أم في مجالس اللهو و الغيبة؟ المكان الذي تختاره يدل عليك.
· معيار ما تدخله من مواقع التواصل: ماذا تتابع؟ من تشاهد؟ أي القنوات تفضل؟ الطيبة أم الخبيثة ؟ اختياراتك الرقمية تكشف ميول قلبك.
هذا المعيار يدعوك إلى التزكية:
إذا رأيت نفسك تميل إلى الخبيث، فاعلم أن فيك خبثاً يحتاج إلى تطهير. إذا رأيت نفسك تنفر من الطيبين، فاعلم أن قلبك مريض. ابدأ في تطهير نفسك بالاستغفار، والتوبة، ومجاهدة النفس على مصاحبة الصالحين. يقول النبي ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل".
ثالثاً: دلالة البدء بـ (الخبيثات) قبل (الخبيثين)
1. لماذا بدأ بالنساء الخبيثات؟
في سياق حادثة الإفك، كان الاتهام موجهاً إلى امرأة عفيفة (عائشة رضي الله عنها). فبدأ الله بذكر الخبيثات ليبين أن من يليق بهذا الاتهام هن الخبيثات، لا الطيبات. فيه رد على المنافقين: هذه الفاحشة لا تصدر إلا من خبيثة، وعائشة طيبة، فهي بريئة.
كما أن البدء بالنساء قد يكون لبيان أن المرأة هي أساس البيت، وإذا خبثت المرأة، فسد البيت. فـ التركيز على طهارة المرأة مهم.
2. تربية المؤمن على ترك البيئة الخبيثة
هذه الآية تربي فيك النفور من الخبيث كما تنفر من النجاسة. لا يمكن لإنسان عاقل أن يدخل إلى بيته ثعابين وعقارب ثم يطلب الأمان. كذلك، لا يمكن أن تخالط الخبيثين وتأمن على دينك وعرضك.
رسالة واضحة: اترك مجالس السوء، واهجر المواقع الخبيثة، وابتعد عن رفاق السوء. لأنك إن جلست معهم، فأنت منهم أو ستصبح مثلهم. "الطيبون للطيبات" تعني أن الطيب لا يرضى إلا بالطيب.
رابعاً: دور الآية في تصحيح المفاهيم العملية
1. اختيار الأصدقاء والجلساء
الآية تضع قاعدة ذهبية: لكي تختار صديقاً، انظر إلى من يصاحب. فالصديق مرآة صديقه. إذا أردت أن تعرف إنساناً، فانظر إلى من يحب. لذلك، اختر لنفسك رفقة طيبة تعينك على الخير، وتبعدك عن الشر.
2. البطانة والمستشارون
حتى في اختيار بطانتك (المقربين منك في العمل أو الحكم)، قال النبي ﷺ: "ما بعث الله من نبي ولا استخلف من خليفة إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بـ الشر وتحضه عليه". فالآية ترشدك إلى اختيار الطيبين ليكونوا بطانتك.
3. الرزق الطيب
الآية تشير إلى أن الطيبين لهم رزق كريم. وهذا يشمل أن يكون الرزق نفسه طيباً حلالا ً. فمن طابت نفسه، يطلب الرزق الحلال ويبتعد عن الحرام. ومن خبثت نفسه، يبحث عن المال الحرام.
خامساً: تبرئة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها
الآية نزلت لتقطع الطريق على المنافقين. تقول: إن عائشة طيبة، والطيبات للطيبين. وهي زوج النبي الطيب، فهي بريئة من كل ما قالوه. هذه البراءة أعلنها الله في كتابه لتتلى إلى يوم القيامة.
1. لماذا ربط بين الطيبة والمغفرة والرزق الكريم؟
{أُولَٰئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ۖ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ} . "أولئك" هم الطيبون من النساء والرجال.
لماذا يجمع الله لهم بين المغفرة والرزق الكريم؟
· المغفرة: لأن الطيبين ليسوا ملائكة، قد يقع منهم زلل أو تقصير. فبشرهم الله بالمغفرة، تطييباً لقلوبهم.
· الرزق الكريم: وهو الرزق الحسن في الدنيا (الرضا والقناعة) والجنة في الآخرة.
وهذا يدل على أن الطهارة تجلب بركة الرزق. كلما طهرت نفسك، فتحت لك أبواب الرزق من حيث لا تحتسب.
2. لماذا يحتاج الطيبون للمغفرة؟
لأنه لا أحد معصوم إلا الأنبياء. المؤمنون الطيبون قد يخطئون، لكنهم يسارعون إلى التوبة. فالله يمن عليهم بالمغفرة تكريماً لهم. وهذا يعطيك أملا ً: لا تيأس من رحمة الله، واجتهد أن تكون من الطيبين.
3. علاقة الطهارة بالرزق
هناك علاقة وثيقة: الطهارة تجلب الرزق. قال تعالى: {وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ

حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ}. فالطيبون المتقون يرزقهم الله رزقاً كريماً. أما الخبيثون، فرزقهم نكد، وإن كان كثيراً.
سادساً: تأسيس بيئة طاهرة ومستقرة اجتماعياً
1. التشجيع على اختيار الطيب في كل شؤون الحياة
الآية تدعوك إلى أن تجعل الطيبة معيارك في كل شيء:
· في الزواج: اختر الطيب.
· في الصداقة: اختر الطيب.
· في العمل: اختر الطيب.
· في الطعام: اختر الطيب الحلال.
· في المعلومة: اختر المصدر الطيب الصادق.
إذا عم هذا المفهوم، نشأ مجتمع طاهر نظيف.
2. الطهارة هي الأصل في المجتمع المسلم
الإسلام يريد مجتمعاً قائماً على الطهارة: طهارة القلوب من الحقد، طهارة الألسنة من الغيبة، طهارة الجوارح من الحرام. هذه الآية ترسخ أن هذا المجتمع لا يليق به إلا الطيبون. ومن كان خبيثاً فليذهب إلى حيث ينتمي.
3. بناء الحضارة والدولة
الدولة التي تبنى على أساس الطيبة:
· الفرد: يكون صادقاً أميناً، محباً للخير.
· المجتمع: تسوده الثقة والتعاون.
· المؤسسات: تخلو من الفساد، لأن الموظفين طيبون.
· الحضارة: تقوم على القيم والأخلاق، لا على الشهوات والماديات.
هذا هو الفرق بين الحضارة الإسلامية وغيرها. غيرها قد تبني صروحاً مادية، لكنها تفتقد إلى الطهارة الداخلية. أما الحضارة الإسلامية فتبني الإنسان أولاً، ثم تبنى على يديه الحضارة.
كيف تعيش مع هذه الآية؟
1. حاسب نفسك: انظر إلى أصدقائك، إلى ما تتابع، إلى ما تحب. هل هم من الطيبين؟ إذا وجدت في نفسك ميلاً إلى الخبيث، فاستغفر وتب، واجتهد في تغيير نفسك.
2. اختر بيئتك بعناية: لا ترض بالجلوس في مجالس السوء. اهرب كما يهرب المسلم من النار.
3. اطلب الصحبة الصالحة: ادع الله أن يرزقك رفيقاً طيباً يعينك على دينك.
4. طهر مصادر معلوماتك: ألغ متابعة القنوات والمواقع الخبيثة، واستبدلها بالطيبة النافعة.
5. تزود بالاستغفار: لتحصل على المغفرة التي وعد الله بها الطيبين، واطلب الرزق الكريم منه.
هذه الآية هي بصيرتك في الحياة. هي الميزان الذي تزن به نفسك والناس. اجعلها نصب عينيك، تعش في طهارة، وتموت على طهارة، وتلقى ربك وأنت من الطيبين..

المقطع الثاني

بسم الله الرحمن الرحيم

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (27) فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (28) لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ (29) قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (30) وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31) وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (32) وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (33) وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ(34)

المقدمه

بعد أن شرع الله تعالى في مطلع سورة النور أحكاماً جليلة لتطهير المجتمع المسلم، فابتدأ بحد القذف لصيانة الأعراض، وأتبع ذلك بلعان الزوجين لدفع الضرر وإقامة العدل في أخص العلاقات الإنسانية، يأتي هذا المقطع الثاني من السورة، الممتد من قوله تعالى:} يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) {النور: (27 إلى قوله:} وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) {النور:(34 ، ليؤسس قواعد الأمن الاجتماعي والأدب الجماعي، فينتقل بالمسلم من حرمة الأعراض إلى حرمة البيوت.

وهذه الآيات تأتي في مناسبة بديعة؛ فإن أحكام القذف واللعان شرعت لحماية الأعراض وصيانة النسب من التلوث بالاتهام، وهذا المقطع يكمل البناء التشريعي بحماية خصوصية البيوت وستر العورات، فلا يكفي أن يعف الرجل لسانه عن قذف المحصنات، بل ينبغي أن يعف بصره وبصيرته، فلا يدخل على الناس في مساكنهم دون علمهم ولا يتطلع إلى عوراتهم، فجاءت الآيات لترسم حدود التعامل اليومي التي تحفظ كرامة الإنسان في مسكنه، الذي جعله الله ستراً له.

وقد كان حال الناس في الجاهلية قبل الإسلام مبنياً على التكلف والحمية الجاهلية أو الفوضى والانتهاك؛ فكان الرجل الجاهلي يأنف من أن يُرى على باب أحد يستأذن، فيدخل الجاهلي على الناس في بيوتهم دون استئذان، بل ربما اعتلى البيوت أو اقتحمها دون استئذان، وقد كانوا إذا جاء الرجل منهم إلى بيت صديقه قال: "أأدخل؟" فيقول: "ادخل"، فيدخل دون أن يستأذن، فكان هذا السلوك سبباً في انتهاك الحرمات، وربما وقعت العين على ما لا يحل.

فجاء الإسلام ليعالج هذه الجاهلية المزدوجة: جاهلية التكلف التي تمنع صاحب البيت من رد الضيف، وجاهلية اقتحام البيوت دون استئذان، فوضع قواعد محكمة تربى المسلم على الأدب والاحترام المتبادل .فقد شرع الاستئذان ثلاثاً، فإن أذن له وإلا انصرف، وأمر بالسلام قبل الدخول، وجعل ذلك كله سبباً لدفع النظر إلى العورات وحفظاً للستر الذي أمر الله به.

ولم يكتف الإسلام بهذا، بل وضع قواعد متكاملة في هذه الآيات تُحدث نقلة حضارية في سلوك الإنسان، منها:

- تحريم دخول البيوت غير بيوت الإنسان دون استئذان وإعلام.
- الأمر برد السلام وتحري الخير في التحية.
- الأمر بغض البصر وحفظ الفرج للرجال والنساء على السواء.
- الحث على الزواج وإعفاف من لم يجدوا.
- التحذير من إكراه الفتيات على البغاء.
- الأمر بالستر والعفاف.

وبهذه القواعد استطاع الإسلام أن يحوّل الإنسان الجاهلي الفظ، الذي كان يتجسس ويعبد الأوثان، إلى إنسان مؤمن رقيق الجانب، يغض بصره، ويحفظ فرجه، ويستأذن قبل الدخول، ويسلم إذا دخل، ويرد التحية بأحسن منها، فكان هذا المقطع درساً عملياً في كيفية الارتقاء بالأخلاق الإنسانية من الفوضى والحمية الجاهلية إلى الذوق الرفيع والخلق الإسلامي الأصيل، قال تعالى في ختام هذه القواعد:} وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) {النور:(34 ، ليبين أن هذه الآيات ليست مجرد تشريعات جامدة، بل هي بينات واضحة، ومواعظ للمتقين، وسنن لمن سبق من الأمم الصالحة التي أخذت بأسباب الطهارة والأدب.

وبهذا يتبين أن السياق القرآني في سورة النور يسير وفق منهج محكم: يبدأ بتطهير المجتمع من رذيلة القذف، ثم يحمي البيوت من الانتهاك، ثم يشرع آداب النظر واللباس، ليبني مجتمعاً طاهراً من

الداخل إلى الخارج، قائماً على العفة والكرامة والاحترام المتبادل

القسم الاول

اداب الاستئذان

اولا

تفسير الآية ٢٧ من سورة النور

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}

المقدمة: بين سياق الآية ومقاصدها

بعد أن وقفتَ مع المقطع الثاني من سورة النور في المقدمة السابقة، وتبيّن لك كيف انتقل السياق من أحكام القذف واللعان لحماية الأعراض إلى آداب الدخول إلى البيوت لحماية الخصوصيات، ها أنت الآن تقف على أولى هذه الآيات التأديبية. إنها آية تحمل في طياتها ثورة حضارية على عادات الجاهلية، وترسيخاً لمفهوم عظيم من مفاهيم الإسلام: كرامة الإنسان في مسكنه، وقدسية البيوت، واحترام الخصوصية كقيمة إسلامية أصيلة.

هذه الآية تخاطبك أنت أيها المؤمن، تريد أن ترفعك من مستوى الفعل الغريزي الفوضوي إلى مستوى السلوك المتأدب الواعي، فتجعلك تشعر أن إيمانك هو الذي يلزمك بأن تكون إنساناً راقياً، يحترم حرمات الآخرين كما يحب أن تحترم حرماته.

الامر الاول

سبب النزول ودلالة الأمر بالاستئذان

سبب النزول:

روي أن هذه الآية نزلت في سببين متقاربين:

.1أن رجلا ً من الأنصار دخل على رجل بيته فقال له:» أأدخل؟ «فلم يجبه، ثم قال:» أأدخل؟ «فلم يجبه، ثم دخل، فقال له صاحب البيت: مالي أراك تدخل بغير إذن؟ فقال: إني استأذنت ثلاثاً فلم أؤذن، ثم دخلت .فنزلت الآية لتقرر أن الاستئذان ثلاثاً، فإن لم يؤذن فارجع.

.2أن بعض المسلمين كانوا إذا قدموا من سفر، دخلوا إلى بيوتهم دون استئذان، فنزلت الآية لتأدبهم.

دلالة الأمر بوجوب الاستئذان:

إن الله تعالى يوجب على المؤمن أن لا يدخل بيتاً ليس ملكاً له، أو ليس هو المسؤول عنه، إلا بعد أن يستأذن. وهذه إحدى معالم الشخصية المسلمة التي تعرف حدودها.

"لا تدخلوا": هل النهي للكراهة أم للتحريم؟

تأمل معي دقة التعبير: (لا تدْخُلُوا) بصيغة النهي المجرد عن القرينة الصارفة، والأصل في النهي التحريم، إلا أن العلماء ذهبوا إلى أن النهي هنا للتحريم في الأصل، ثم يتفاوت بحسب الحال:

· دخول البيوت دون استئذان مع العلم بأن صاحبها لا يرضى: هذا حرام قطعاً.

· دخول البيوت دون استئذان مع عدم العلم بالرضا: هذا أيضاً محرم، لأنك دخلت بغير إذن شرعي.

· الاستئذان سنة مؤكدة في الأصل، لكنه قد يجب إذا كان الدخول يترتب عليه اطلاع على عورة أو خصوصية.

فالنهي هنا يفيد تحريم اقتحام البيوت دون إذن، وهذا أصل عظيم في حفظ الحرمات.

١/ مفهوم احترام الخصوصية الفردية كقيمة إسلامية

ما معنى احترام الخصوصية؟

الخصوصية الفردية في الإسلام تعني: أن للانسان حرمة لا تُنتهك، ومجالا ً لا يُخترق، وهو بيته وجسده وأسرته وأحواله التي لا يحب أن يطلع عليها أحد بغير رضاه. والبيت هو أقدس هذه الخصوصيات، فهو الساتر الذي يستره الله به.

أهمية هذا المفهوم:

بدون احترام الخصوصية، يتحول المجتمع إلى سجن مفتوح، أو إلى ساحة تجسس وقلق. فالإسلام حين جعل البيت ملاذاً آمناً، أعطى الإنسان شعوراً بالأمان النفسي، وهو أساس الصحة النفسية والا ستقرار الأسري.

حال الناس في الجاهلية:

في الجاهلية، كان الرجل يدخل بيت صاحبه دون استئذان، بل كان بعضهم إذا جاء إلى بيت رجل ق ال: «أألج؟» فيقول: «الجْ» فيدخل، دون استئذان ولا سلام. وكان بعضهم إذا صعد سطح بيت امرأة، رأى ما لا يحل له، وكانت البيوت مكشوفة الخصوصية.

دور هذا المفهوم في الارتقاء بالإنسان:

الإسلام لم يقل فقط "لا تدخلوا"، بل أنشأ ضميراً داخلياً عند المؤمن، وجعل من احترام خصوصية الآ خرين علامة على صحة الإيمان. فأنت لا تترك دخول البيت دون إذن لأنك تخاف العقوبة فقط، بل لأ ن إيمانك يمنعك، وأنت تشعر أن دخولك دون استئذان هو انتهاك لحرمة آمنت بها.

دلالة النداء (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا):

تأمل كيف بدأ الله الآية بهذا النداء العظيم. إنه يريدك أن تشعر أن ما سيأتي بعد النداء هو متعلق بإيمانك. كأنه يقول: إيمانك هو الذي يجعلك تتصف بهذا الأدب. فالمؤمن الحقيقي هو الذي لا يخرق

حرمات البيوت. وهذا النداء يلفت انتباهك، ويوقظ فيك شعور المسؤولية، ويجعل المخاطبة شخصية: أنت يا صاحب الإيمان، هذا الأمر لك.
٢/ البيت للإنسان كستر الثوب: تشبيه عظيم
ماذا يعني أن البيت ستر كستر الثوب؟
جاء في السنة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لا يحل لامرئ مسلم أن ينظر في بيت امرئ مسلم حتى يستأذن»، وشبّه العلماء البيت بالثوب. وكما أن الثوب يستر عورة الجسد، فالبيت يستر عورة الإنسان وأهله. ودخول البيت دون استئذان هو ككشف الثوب عن العورة.
دلالة هذا التشبيه ودوره في الارتقاء بالمسلم:
هذا التشبيه يجعل المسألة شخصية وحساسة في نفس المؤمن. فأنت لا ترضى أن يكشف أحد ثوبك، فكذلك لا ترضى أن يدخل أحد بيتك دون إذن. وربط الأمر بالثوب يجعل شعور المؤمن بالحرمة غريزياً وفطرياً، ويجعل رد الفعل عند اقتحام البيوت كرد الفعل عند كشف العورة.
الابتداء بصفة الإيمان وتغيير العادة الجاهلية:
العادة الجاهلية كانت تقوم على التكلف (لا ترد الضيف) أو على القحة (أدخل دون استئذان). أما الإسلام فربط صحة الإيمان بالتزام آداب الدخول. فالمؤمن الحق هو الذي لا يخالف هذه الآداب، لأن مخالفتها تنافي كمال الإيمان. وهذا الربط أحدث نقلة نوعية في السلوك؛ فصار المسلم يستأذن حياءً من الله قبل حياءٍ من الناس.
٤/ هل يسقط الاستئذان بين الأقارب؟
عمومية الآية في الحكم:
الآية تقول: {لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ}، وهذا يشمل الأقارب، بل يشمل حتى الأم والزوجة والأخت في بعض الحالات. والسر في ذلك أن احترام الخصوصية لا يسقط بالقرابة.
التفصيل في السنة:
في السنة النبوية التفصيل:
· لا يستأذن الرجل على أمه وزوجته في حالات العادة، لكن في أوقات الخلوة والهيئة التي لا يحب أن يُرى عليها، فالاستئذان أدب.
· الاستئذان على الابن البالغ أو الأخ البالغ إذا كان في غرفة مغلقة أو في حال لا يحب أن يُرى عليها، واجب.
· لا تدخل على ابنتك أو أختك وهي في غرفتها دون استئذان.
أهمية هذا المفهوم في الارتقاء بالإنسان:
أن تعلم أن الخصوصية حق حتى مع أقرب الناس، فهذا يربي فيك المراعاة وعدم الافتراضية في العلاقات. فالاحترام لا يسقط بالقرابة، بل القرابة تزيده تأكيداً، لأنها تستدعي مزيداً من الرفق والأدب.

الامر الثانى

معنى "تَسْتَأْنِسُوا" ولماذا لم يقل "تَسْتَأْذِنُوا"؟
اللطائف والدلالات:
القرآن يستخدم كلمة "تَسْتَأْنِسُوا" ولم يستخدم "تَسْتَأْذِنُوا"، مع أن الاستئذان هو الظاهر. والفرق عظيم:
· الاستئذان: طلب الإذن بالدخول.
· الاستئناس: هو طلب الإذن بلطف ورفق، وفحص الحال لتعرف إن كان الدخول مناسباً، مع إشعار أهل البيت بوجودك ليتأهبوا.
والمفسرون يقولون: الاستئناس هو الاستعلام، أي تطلب أن تؤنس بهم، وتشعرهم بأنسك بهم، وتعلم إن كانوا يحبون دخولك أم لا.
١/ تعزيز مفهوم السلام والأمن المجتمعي:
الاستئناس يعني أنك لا تفاجئ الناس، بل تتيح لهم فرصة الاستعداد والاستئناس بك. وهذا يعزز الشعور بالأمن في المجتمع؛ فكل إنسان يعلم أن بيته محمي من الاقتحام، وأن أحداً لا يدخل عليه إلا بعد أن يشعر بالانسجام. والأمن المجتمعي يبدأ من هذا الشعور: بيتي لا يُخترق.
٢/ تنمية الوعي بحدود التعامل مع الآخرين:
حين تتعلم أن تستأنس، فأنت تتعلم قراءة الحال، وتقدير ظروف الآخرين. فربما يكون أهل البيت نائمين، أو مشغولين، أو في حالة لا يريدون أن يراهم أحد. فالاستئناس يمنع الإحراج، ويرسخ الأخلاق العالية، ويحفظ الأعراض، ويدفع الريبة والشك.
٣/ البيوت: سكن نفساني قبل أن يكون سكن مادياً:
البيت في الإسلام ليس مجرد جدران وسقف، بل هو سكن نفسي. قال تعالى: {وَجَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا} (النحل: 80). والسكن النفسي يعني أن البيت هو المكان الذي تشعر فيه بالأمان، وتخلع فيه همومك، وتكون على سجيتك. إذا دخل أحد دون استئذان، انتهك هذا السكن النفسي، وتحول البيت إلى مكان قلق ومراقبة.
٤/ تطبيق الاستئناس في عصرنا:
الاستئناس اليوم لا يكون بالوقوف على الباب فقط، بل يمكن تطبيقه:
· الاتصال هاتفياً قبل الزيارة: "هل أنتم في وقت مناسب؟" فهذا استئناس.

· إرسال رسالة نصية: "أود زيارتكم، هل الوقت مناسب؟"
· إذا كنت في الخارج، فطرق الباب برفق، ثم انتظر قليلا ً.
· في الزيارات المفاجئة التي لا مناص منها، فلا تدخل إلا بعد التأكد من أن أهل البيت قد أذنوا.
هذا كله من الاستئناس الذي يريح أهل البيت ولا يزعجهم.

الامر الثالث

لماذا قرن الاستئناس بالتسليم؟
معنى التسليم:
التسليم هو إلقاء التحية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.
لماذا القران بينهما؟
لأن الاستئناس إعلام، والتسليم استئذان ودعاء. فإذا وقفت على الباب واستأنست، أي طلبت الأنس، ثم سلمت، فهذا:
· إعلام أنك في الخارج.
· دعاء لأهل البيت بالسلامة والرحمة.
· استئذان مبارك.
الاستئذان قبل الدخول: أصل شرعي لتحقيق الأنس ومنع الوحشة:
لو دخلت دون استئذان، فاجأت أهل البيت، فأحدثت وحشة وإزعاجاً. أما إذا استأذنت وسلمت، فأنت تمنحهم فرصة الاستعداد، ويصبح لقاؤك بهم مبنيّاً على الأنس لا المفاجأة.
إفشاء السلام: قيمة اجتماعية عظيمة:
السلام هو مفتاح المحبة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». فالسلام:
· يخلق المحبة في القلوب.
· يُشعر بالأمان، فالمسلم إذا سلم على أخيه، كأنه يقول: أنا لا أخافك، وأنت لا تخافني.
· يهذب النفس، لأنه يمنع التطفل، ويجعل العلاقات قائمة على الاحترام المتبادل.
مشروعية السلام وأدب طرق الباب والتعريف بالنفس:
من الآداب المستفادة من السنة:
· لا تقف مقابل الباب مباشرة، بل عن يمينه أو شماله، لأن الوقوف تجاه الباب قد يفضي إلى رؤية ما لا يحل.
· طرق الباب برفق، ثلاث مرات، فإن لم يؤذن لك فارجع.
· التعريف بنفسك، خاصة إذا كان صوتك لا يميز، فتقول: "أنا فلان"، ولا تقل: "أنا" فقط.

الامر الرابع

دلالة (ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ)
تأسيس ثقافة احترام الخصوصية كركيزة أمن وطمأنينة:
عندما تعلم أن الاستئذان خير لك، فأنت تفهم أن هذا الأمر ليس تعقيداً اجتماعياً، بل هو حماية لك وللآخرين. فهو خير لك:
· لأنه يحفظ عورتك كما يحفظ عورة غيرك.
· لأنه يبعد عنك الريبة.
· لأنه يجعل علاقاتك الاجتماعية قائمة على الثقة.
· لأنه يحقق الطمأنينة في المجتمع.
التطبيق الرقمي والافتراضي:
هذه القاعدة تمتد اليوم إلى العالم الرقمي:
· الاتصال بالفيديو المفاجئ: هو اليوم مثل اقتحام البيت دون استئذان .فالاتصال الفيديو دون سابق إنذار قد يفضي إلى رؤية ما لا تحب أن يراه أحد، أو وضع لا تريد أن تكون فيه مرئياً.
· الرسائل المفاجئة التي تطالب بالرد الفوري: لا تحترم خصوصية الطرف الآخر.
· التطبيق العملي: الاتصال صوتياً أولا ً، أو إرسال رسالة نصية: "هل تسمح لي بالاتصال فيديو؟"
الآية كإجراء وقائي يمنع الفواحش:
احترام البيوت والاستئذان هو سد للذريعة ومنع للغواية. فكثير من الفواحش تحدث عندما يختلي الرجل بامرأة في بيت دون علم أو إذن، أو عندما يدخل الرجال على النساء دون استئذان، فيحصل الخطر. فجاءت هذه الآية لتسد هذا المنافذ، فتصون المجتمع وتحفظه طاهراً.

الامر الخامس دلالة (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)

أن هذه التوجيهات مما فطر الإنسان عليها:
الله يقول: شرعت لكم هذه الآداب لعلكم تتذكرون، أي لعل عقولكم تنتبه، وقلوبكم تفيق، وتتذكرون ما فطرتم عليه من حب الخصوصية، وما تعلمونه من العقل السليم أن احترام حدود الآخرين هو أصل ا لأخلاق.
دعوة لمراجعة النفس:
هذه الآية تدعوك أيها المؤمن أن تقف مع نفسك وتسألها:

· هل أستأذن بطريقة لطيفة؟ هل أتصل مسبقاً؟ أم أدخل مباشرة؟ أم أطرق الباب بطريقة مزعجة؟
· هل أعرف بنفسي إذا كان أهل البيت لا يعرفونني، أم أقول "أنا" فقط؟
· هل ألقي التحية "السلام عليكم" فهي إذن الدخول المبارك، أم أكتفي بطرق الباب ونداء "افتح"؟
هل أستأذن على أولادي البالغين؟
نعم، الابن البالغ أو الابنة البالغة، لهم خصوصيتهم. فالدخول إلى غرفتهم دون استئذان ينافي الأدب، وربما يسبب الإحراج. فاحترام الخصوصية لا يسقط بالأبوة.
هل أستأذن على إخوتي أو أقاربي؟
نعم، الإخوة والأخوات، حتى وإن كانوا في بيت واحد، لهم حرماتهم. فإذا كان الأخ في غرفته، أو الأخت في حجرتها، فلا تدخل دون استئذان.
احترام الخصوصية: قيمة متكاملة:
هذه الآية تربي فيك الحساسية الأخلاقية، فتصبح لا ترضى أن تخرق حرمة أحد، كما لا ترضى أن تخرق حرمتك. وهذا هو الارتقاء بالإنسان من حالة الفوضى والهمجية إلى حالة التحضر والإيمان.
ختاماً: كيف تحول الإسلام بالجاهلي إلى مؤمن متأدب
كان العربي الجاهلي يدخل البيوت دون استئذان، ويتجسس، وينظر إلى العورات. جاء الإسلام فربط هذا السلوك بالإيمان، وعلّمه أن:
· البيت ليس مجرد مكان، بل هو حرمة.
· الاستئذان ليس تكلفاً، بل هو أدب.
· السلام ليس كلمة، بل هو مفتاح الأنس.
· الخصوصية ليست ضعفاً، بل هي كرامة.
وأنت اليوم، حين تطبق هذه الآية في حياتك، وتتصل قبل الزيارة، وتطرق الباب برفق، وتسلم، وتعرف بنفسك، وتنتظر حتى يؤذن لك، فأنت لست فقط تتبع تشريعاً، بل أنت ترتقي بإنسانيتك، وتجعل من إيمانك سلوكاً حياً، وتُسهم في بناء مجتمع يسوده الأمن والطمأنينة والمحبة.
تأمل كيف اختتم الله الآية بقوله: {لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}، وكأنه يقول لك: هذا أمر فطري، لا تنسه، وتذكر دائماً أن حرمة البيت كحرمة الجسد، وأن احترام الخصوصية هو عنوان المؤمن المتأدب.
فاجعل هذه الآية نصب عينيك، ولتكن شعارك: لا أدخل حتى أستأنس وأسلم، فإن أذن لي وإلا انصرفت، فذاك خير لك في دنياك وآخرتك.

ثانيا

تفسير الآية ٢٨ من سورة النور
{فَإِن لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ}
المقدمة: استكمال بناء مجتمع الطهر والأدب
بعد أن رسمت الآية السابقة الخط العريض لآداب الدخول إلى البيوت، تأتي هذه الآية لتغرس في نفسك مفاهيم أعمق، وتأخذ بيدك إلى مراتب أعلى من الأخلاق والوعي. إنها ليست مجرد تعليمات إضافية، بل هي تربية روحية ونفسية تريد أن تصنع منك إنساناً راقياً في حضوره، كريماً في غيابه، مدركاً أن حرمة البيوت تمتد حتى في خلوها، وأن ردك إذا قيل لك "ارجع" هو مقياس لنضجك الأخلاقي وإيمانك الحقيقي.
هذه الآية تخاطب الضمير قبل السلوك، وتعلمك أن الاستئذان ليس مجرد إجراء شكلي، بل هو اعتراف بحق الآخر في الخصوصية، وأن هذا الحق لا يسقط بحضور صاحبه أو غيابه، ولا بالعلاقة القوية أو الضعيفة. إنها دعوة لأن تكون مؤمناً متأدباً، لا مجرد مسلم يتبع الأوامر ظاهرياً.
الامر الاول :
حرمة البيوت غير المسكونة – البيوت الفارغة
{فَإِن لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ}
ما الذي تريد الآية أن تزرعه فيك؟
توقف قليلا ً وتأمل: أنت تقف أمام بيت تعلم أنه ليس فيه أحد، الباب مفتوح، أو ربما لا يوجد باب أصلا ً. ماذا تفعل؟ العادة الجاهلية أو العقلية الاستباحية كانت ستقول: "ادخل، ليس هناك أحد، لن يعلم أحد!" لكن الآية تقول لك بوضوح: لا تدخل، حتى وإن كان البيت فارغاً، حتى وإن كان الباب مفتوحاً، حتى وإن كنت متأكداً أن لا أحد سيراك.
لماذا؟ لأن حرمة البيت ليست مرتبطة بوجود الإنسان فيه فقط، بل هي حرمة ذاتية للبيت نفسه، باعتباره ستراً لأهله، ومكاناً لكرامتهم. فدخولك إليه دون إذن صاحبه هو انتهاك لهذه الحرمة، حتى لو لم يكن هناك من يراك.
كيف تربيك الآية على الأمانة والترفع عن التجسس؟
هذه الآية تعلمك أن تكون أميناً في غيبة الناس، كما تكون أميناً في حضورهم. إنها تنمي فيك مبدأ الرقابة الذاتية، فتصبح لا تسمح لنفسك بدخول مكان ليس لك، حتى لو لم يكن هناك مانع مادي. هذا هو الترفع عن الدناءة، وهذا هو صدق الإيمان الذي يجعلك تفعل الخير في الخلوات كما تفعله في الجلوات.

المفهوم العملي في حياتي اليومية – التطبيق الواقعي
الآن، لنقف معاً وقفة صدق مع النفس. هذه الآية ليست مجرد نص نقرأه ونمر عليه، بل هي مقياس لأخلاقنا، ومحك نضجنا الإيماني. أسألك بكل صراحة:
١/ هل تحترم خصوصية أصدقائك وأقاربك عندما تدخل منازلهم؟
· هل تدخل إلى غرفة صديقك دون استئذان لمجرد أنك تعرفه جيداً؟
· هل تستخدم هاتفه أو جهاز الكمبيوتر الخاص به في غيابه، بحجة أن العلاقة وثيقة ولا توجد أسرار بينكما؟
· هل تفتح الثلاجة أو تتناول الطعام دون أن يسألك أو يقدمه لك؟
تذكر: العلاقة الوثيقة لا تسقط الأدب. بل كلما زادت القربى، زاد حق الآخر في أن تحترم خصوصيته. فأنت لا ترضى أن يدخل أحد إلى غرفتك ويستخدم هاتفك دون إذنك، فكيف ترضاه لنفسك مع غيرك؟
٢/ مفهوم "البيت الفارغ" في عصرنا:
اليوم، البيوت ليست فقط أماكن مادية، بل لدينا "بيوت رقمية": حسابات التواصل، الرسائل الخاصة، الصور الشخصية، الملفات الخاصة. وهذه البيوت الرقمية لها حرمة مثل حرمة البيوت المادية.
· هل تفتح رسائل خاصة على هاتف صديق أو زوجة أو ابن دون إذن؟
· هل تتصفح صور شخصية لشخص آخر دون أن يأذن لك؟
· هل تدخل إلى حساب شخص ما على وسائل التواصل "بدافع الفضول"؟
هذا كله داخل في مفهوم "لا تدخلوها حتى يؤذن لكم". فكما أن البيت المادي له حرمة، فالحياة الخاصة للآخرين لها حرمة. ولا يجوز لك أن تخرق هذه الحرمة بحجة الفضول أو قوة العلاقة.
التأكد من الأذن الصريح قبل الدخول: لا للتخمين ولا للاستحياء
الآية تقول: {حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ}، أي حتى تحصل على إذن صريح، ليس إذناً متوقعاً، ولا إذناً مبنياً على تخمين أن "الأكيد أنه لا يمانع". الاستحياء من طلب الإذن ليس عذراً، بل هو ضعف في التطبيق. فإذا كنت تستحي أن تطلب الإذن، فالأولى أن لا تدخل.
التطبيق في الحياة الرقمية:
· لا تفتح رسالة خاصة على هاتف غيرك إلا بعد أن يقول لك صراحة: "افتحها".
· لا تتصفح صور شخصية على جهاز شخص آخر إلا بعد إذن صريح.
· لا تشارك صورة أو معلومة عن شخص آخر دون أن تأذن منه.
هذا هو تطبيق مبدأ حفظ العورات في عصرنا.
الامر الثانى
ثقافة "ارجعوا" – متى يكون الرفض هو الخير
{وَإِن قِيلَ لَكُمُ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ}
مفهوم "ارجعوا" – امتثال الرفض بلا غضب
هنا يأتي الجزء الأصعب في التطبيق العملي: أن يقف أحدهم على بابك أو باب بيتك، وتقول له: "ا لآن ليس وقتاً مناسباً"، أو "لا نستطيع استقبالك". كيف سيكون رد فعله؟ هذه الآية تربي فيك أن تكون ممتثلا ً، بل أكثر من ذلك: أن تجعل امتثالك أزكى وأطهر لنفسك.
"ارجعوا" ليست إهانة، وليست رفضاً للشخص، بل هي تحديد لظرف، وحفاظ على خصوصية، وحق مكفول لصاحب البيت. حين تسمعها، يجب أن تنصرف فوراً، دون غضب، دون حرق، دون شعور بالإ هانة.
تعلم التعامل مع الرفض: تقبله بابتسامة
الآية تعلمك أن الرفض ليس نهاية العالم، بل هو جزء من الحياة الاجتماعية. فكل إنسان له ظروفه، وأوقاته، وحاجته للخلوة والراحة. أن تتعلم كيف تتقبل كلمة "لا" برحابة صدر، فهذا هو النضج النفسي والأخلاق العالية.
قف مع نفسك واسألها بصدق:
· كيف أتقبل "لا"؟ عندما يقول لي صديقي أو قريبي: "آسف، لا أستطيع استقبالك الآن"، هل أبتسم وأقول: "لا بأس، في وقت آخر"؟ أم أشعر بالضيق والتعالي وأظن أن هذا استخفاف بي؟
· هل أمتلك ثقافة أن "لا" ليست رفضاً لي، بل هي احترام لظرف الطرف الآخر؟
· هل أشعر أن لغيري حقاً في أن يرفض زيارتي كما لي الحق في أن أرفض زيارته؟
إذا كنت تشعر بالضيق أو الغضب أو التعالي حين يقال لك "ارجع"، فأنت بحاجة أن تعيد النظر في تربيتك النفسية على هذه القاعدة. لأن الله تعالى لا يريد منك أن تطيع الأمر فقط، بل يريد أن يكون طاعتك عن رضا وسعة صدر، وأن تشعر أن هذا الرفض هو خير لك ولهم.
لا تدخل وأنت تعلم أنهم يكرهون ذلك أو ظروفهم لا تسمح
من تمام الأدب والفقه أن لا تضع صاحب البيت في موقف محرج يضطر فيه أن يقول لك "ارجع". فإذا كنت تعلم أن ظروفه لا تسمح بالزيارة، أو أنه لا يحب الزيارات المفاجئة، فلا تذهب أصلا ً. هذا هو اللباقة الاجتماعية والتوقع المسبق.
كيف تكتسب مهارة الرجوع بلا حساسية؟

هذا هو جوهر الآية: أن تصبح الرجوع عند عدم الإذن جزءاً من حياتك، بل وأن تشعر أنه أطهر لنفسك، وأقوى لعلاقاتك، وأفضل لسمعتك.
المهارة التي تحتاجها:
1. أن تربي نفسك على عدم التضايق إذا لم يؤذن لك. تذكر أن الهدف هو حفظ خصوصية أهل البيت وراحتهم، لا إهانتك أنت. فلا تأخذ الأمور بحساسية مفرطة.
2. أن تطيع أوامر الله بالاستئذان والانصراف، فهذه الطاعة تطهر نفسك من فضول التطفل، وتطهر المجتمع من الظنون والفتن.
3. أن تضبط توقعاتك: لا تفترض أنهم سيقبلونك دائماً. توقع أن يكون الرد أحياناً "لا"، وتقبل ذلك كأمر طبيعي.
4. ألا تلح في طلب الإذن: إذا قيل لك "ارجع"، فلا تقف عند الباب تلح، ولا تبعث رسائل بعدها تقول "أنا في انتظاركم"، فهذا من قلة الأدب. احترم الرد، وانصرف.
تطبيق هذه الثقافة في العصر الحاضر
في عصر الاتصالات، نحتاج لتطبيق هذه الآية في تفاصيل حياتنا اليومية:
· عند الاتصال الهاتفي: إذا اتصلت بشخص فرد عليك بصوت متعب أو قال "أنا مشغول الآن" أو لم يرد أصلاً، فلا تلح بالاتصال مراراً. احترم خصوصية وقته.
· عند إرسال الرسائل: إذا لم يرد على رسالتك، فلا ترسل خمس رسائل متتالية تسأل "لماذا لا ترد؟". هذا من الإلحاح المرفوض.
· عند طلب لقاء: إذا قال "لا أستطيع الآن"، فلا تقل "ومتى تستطيع؟" بشكل يضغط عليه، بل قل "في وقت مناسب لك" واترك له حرية تحديد الوقت.
مفهوم الحقوق الشخصية في الإسلام: البيت منطقة محظورة
هذه الآية تؤسس لمفهوم عظيم: البيت منطقة محظورة الدخول إلا بإذن صريح، حتى لو كان البيت فارغاً أو مفتوحاً. وهذا المفهوم يحفظ كرامة الإنسان وستره.
· فكما لا يجوز لك دخول بيت فارغ بغير إذن، فكذلك لا يجوز لك الاطلاع على خصوصيات الناس الرقمية دون إذن.
· وكما أن البيت له حرمة، فكذلك السيارة والحقيبة والهاتف والأغراض الشخصية، كلها لها حرمة لا تنتهك.
هذا هو الوعي بالحقوق الشخصية في الإسلام، الذي يسبق بقرون ما تسميه اليوم "قوانين الخصوصية" و"حقوق الإنسان".

الامر الثالث

استشعار رقابة الله

{وَاللهُ بِمَا تعْمَلُونَ عَلِيمٌ}
استشعار المراقبة: الوازع الديني الداخلي
بعد أن أمرك الله بالاستئذان والانصراف عند الرفض، وبعد أن بيّن لك أن ذلك أزكى لك، يأتي هذا الاختتام العظيم: {وَاللهُ بِمَا تعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.
هذه الجملة ليست مجرد تذييل، بل هي الرادع الأكبر والوازع الأعظم. إنها تقول لك: الله يعلم ما تفعل، يعلم إن كنت دخلت بغير إذن، يعلم إن كنت ألححت على أهل البيت وأحرجتهم، يعلم إن كنت غضبت عندما قيل لك "ارجع". يعلم سرك وعلانيتك.
دور هذه الجملة في بناء الشخصية المسلمة:
هذه الآية تنشئ فيك الرقابة الذاتية، فتصبح تفعل الخير وتحترم حدود الناس لله أولاً، وليس خوفاً من الناس أو طلباً لسمعتهم. إنها تخلق ضميراً حياً يمنعك من التطفل والفضول، حتى في أشد لحظات الخلوة.
بناء مجتمع يسوده الاحترام المتبادل:
عندما ينشأ الأفراد على هذا الاستشعار، ينتج عن ذلك مجتمع متحضر، أفراده:
· يتعاملون مع منازل بعضهم بكل تقدير.
· لا يدخلون إلا بإذن.
· لا يتجسسون.
· يتقبلون الرفض بصدر رحب.
· يحترمون خصوصيات بعضهم البعض.
هذا هو المجتمع الذي تريده الآية، مجتمع آمن، طاهر، راق، يحترم الأفراد في خصوصياتهم.
الآية ضمن منظومة الأخلاق في سورة النور:
سورة النور كلها تدور حول الطهارة بأشكالها:
· طهارة الأعراض (حد القذف واللعان).
· طهارة البيوت (آداب الدخول).
· طهارة الأبصار (غض البصر).

· طهارة اللباس (آية الحجاب).
وهذه الآية تأتي ضمن هذه المنظومة لتؤكد أن طهارة المجتمع تبدأ من احترام الحدود الصغيرة، من باب البيت، من الهاتف، من الغرفة الخاصة. إنها تعلمنا أن الإسلام دين الطهارة الشاملة، طهارة الجسد والروح والسلوك والعلاقات.
الدروس المستفادة في بناء المجتمع والدولة:
هذه الآية تحمل رؤية متكاملة لبناء المجتمع الإسلامي:
1. فردياً: تربي الفرد على الأمانة، والصدق، واحترام الغير، والرقابة الذاتية.
2. اجتماعياً: تؤسس لعلاقات قائمة على الاحترام المتبادل، وتمنع الاحتكاك والخصومات التي تنشأ من انتهاك الخصوصيات.
3. مؤسسياً: هذه القيم عندما تترسخ في المجتمع، تنعكس على المؤسسات والدولة. فالدولة الإسلا مية تحترم خصوصية المواطنين، ولا تتجسس عليهم، ولا تدخل بيوتهم دون إذن، ولا تفتش منازلهم دون مسوغ شرعي.
الدولة في الإسلام: هي دولة القانون والأخلاق، التي تحمي خصوصية المواطن، وتجرم انتهاك الحرمات، وتجعل من احترام الخصوصية قيمة دستورية.
ختاماً: كيف تحقق هذه الآية الارتقاء بالإنسان والحضارة
تأمل معي كم هذه الآية عظيمة في أثرها على الإنسان والمجتمع:
· ترفع الإنسان من أن يكون فضولياً متطفلا ً إلى أن يكون محترماً مراعياً للحدود.
· تطهر المجتمع من ظاهرة التجسس والتدخل في خصوصيات الآخرين.
· تبني الثقة بين أفراد المجتمع، فكل يعلم أن حرمته مصانة.
· تخلق الحضارة القائمة على احترام الإنسان وحقوقه.
والآن، بعد أن فهمت هذه المعاني، لا تخرج من هذه الآية إلا وقد أخذت عهداً على نفسك:
· لن أدخل بيتاً إلا بإذن صريح.
· لن أستخدم أغراض أحد في غيابه دون أن يأذن لي.
· لن أتصفح هاتف أحد أو أطلع على خصوصياته دون رضاه.
· سأتلقى كلمة "ارجع" بابتسامة وقلب رحب، ولن أضيق بها.
· لن ألح على أحد في زيارته أو مقابلته إذا كان غير مستعد.
· سأستشعر دائماً أن الله يراقبني، فهو عليم بما أعمل.
هكذا تكون قد فهمت الآية حق الفهم، وجعلتها منهج حياة، لا مجرد معلومات تحفظ. وعندها ستكون من الذين قال الله فيهم: {ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}.
تذكر: أنت لست مجرد قارئ لهذه الآية، أنت مُخاطب بها، ومطالب بتطبيقها، ومحاسب عليها. فاجعلها نوراً يضيء سلوكك، وأدباً يزين حياتك، وطاعة تقربك إلى الله.
ثالثا
تفسير الآية ٢٩ من سورة النور
{لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ}
المقدمة: بين حرمة البيوت المسكونة وتيسير الدخول إلى غير المسكونة
بعد أن وضعت الآيتان السابقتان (٢٧، ٢٨) قواعد صارمة لحرمة البيوت المسكونة، وألزمتاك بالا ستئذان والانصراف عند الرفض، وجاءت الآية التي أمامك الآن لتكمل الصورة، وكأنها تقول لك: هذا هو الأصل في حماية خصوصية الناس في بيوتهم المسكونة، وأما في غير ذلك فالأمر على التوسعة.
إنها آية تجمع بين الدقة في حفظ الحرمات والمرونة في تلبية المصالح، فالإسلام دين اليسر لا العسر، والتيسير لا التفريط. فكما أن الآية السابقة علمتك متى تمتنع، هذه الآية تعلمك متى تدخل، وما الضوابط التي تضبط دخولك.
هذه الآية تحمل في طياتها فقه التعامل مع الممتلكات العامة والخاصة، وتأسيساً لقيم الأمانة و النزاهة، وتدريباً على استشعار رقابة الله في كل تصرفاتك، حتى في أتفه الأمور التي قد تظنها لا تُحسب عليك.
لنقف معاً على هذه الآية العظيمة، ونتأمل فيها، ونسأل أنفسنا: كيف تنطبق على واقعنا اليوم؟ وكيف نبني بها شخصيتنا الحضارية الراقية؟
الامر الاول
رفع الحرج والجناح – التيسير في غير المسكونة
{لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ}
ما معنى "جناح" ولماذا رفع الله الحرج؟
"الجناح" في اللغة: الإثم والحرج والمشقة. والآية ترفع عنك الإثم والحرج في دخول البيوت غير المسكونة، ليس لأن الحرمة سقطت، بل لأن المصلحة والمشقة أوجبت التخفيف.

تأمل دقة التعبير: الآيات السابقة قالت: {لَا تَدْخُلُوا} بصيغة النهي التحريمي، وهذه الآية قالت: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ} بنفي الإثم، فدل ذلك على أن الأصل في الدخول إلى بيوت الناس المنع، إلا لهذه الحالة الخاصة التي رفع فيها الحرج.
لماذا رفع الجناح عن دخول البيوت غير المسكونة؟
لأن البيوت غير المسكونة لم يجعلها الله محلا ً للخصوصية والسكنى، بل هي أماكن منفعة عامة أو خاصة يحتاج الناس إليها في معايشهم ومصالحهم. فلو اشترط فيها الاستئذان كما في البيوت المسكونة، لوقع الناس في حرج شديد، ولتعطلت مصالحهم.
ما هي البيوت غير المسكونة؟ وما الذي تشمله؟
القرآن يعبر بـ "بيوتاً غير مسكونة" وهي تشمل في عصرنا:
· الفنادق: الغرف المعدة للإيجار، فأنت تدخلها بموجب عقد أو إيجار، دون حاجة لاستئذان كل مرة.
· المتاجر والمحلات التجارية: فهي بيوت (أماكن) غير مسكونة، يدخلها الناس للشراء والبيع.
· المقاهي والمطاعم: الأماكن المعدة للطعام والشراب والجلوس.
· الاستراحات في الأسفار: كالخانات القديمة أو محطات الاستراحة الحديثة، التي تعد للمسافرين.
· المكاتب والمؤسسات العامة: كالمدارس والمستشفيات والمصالح الحكومية.
· المساجد: بيوت الله التي أذن أن ترفع.
· المعارض والمتاحف والأماكن السياحية: المعدة للزيارة العامة.
لماذا لم يشترط فيها الاستئذان؟
لأن الأصل في هذه الأماكن الإذن العام المسبق، فهي مفتوحة للناس بطبيعتها، ودخولك إليها لا يمس خصوصية أحد، ولا ينتهك حرمة سكن. فصاحب المتجر يريد الناس أن يدخلوا ليبيعهم، وصاحب المطعم يريد أن يدخلوا ليأكلوا، والمؤسسة العامة مفتوحة للمراجعين.
لكن هذا الإباحة ليست مطلقة، بل لها ضوابط سنأتي إليها.
الامر الثانى
الاحتراز القرآني الدقيق – استثناء دقيق من قاعدة الاستئذان
{فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ}
ما معنى "متاع لكم"؟
"المتاع" هو المنفعة والحاجة التي تقصدها. فالله قيد الإباحة بقيدين:
1. أن تكون غير مسكونة.
2. أن يكون فيها متاع لكم، أي منفعة لكم تقصدونها.
فلو كان البيت غير مسكون ولكن ليس فيه منفعة لك، فلا تدخله. وهذا القيد يمنع العبث والتجول في الأماكن دون غرض.
الضابط الشرعي لدخول البيوت غير المسكونة:
الضابط هو وجود حاجة أو منفعة، سواء كانت:
· منفعة شخصية: كالشراء من متجر.
· منفعة عامة: كدخول مستشفى لزيارة مريض.
· منفعة وظيفية: كدخول مكتب العمل.
· منفعة سياحية: كدخول متحف.
الفرق بين حكم الآية ٢٧ والآية ٢٩:
الآية ٢٧ الآية ٢٩
بيوت مسكونة بيوت غير مسكونة
فيها خصوصية وأهل فيها متاع ومنفعة
لا تدخل حتى تستأنس وتسلم لا جناح عليك في الدخول
حكمه التحريم دون إذن حكمه الإباحة مع القيد
هذا التفصيل الدقيق يظهر عظمة التشريع الإسلامي، الذي يحمي الخصوصية في موطنها، وييسر المصالح في مواطنها.
الامر الثالث
استشعار رقابة الله – ختام الآية بالمراقبة الإلهية
{وَاللهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ}
لماذا اختتمت الآية بهذه الجملة؟
لأن إباحة الدخول إلى البيوت غير المسكونة قد تفهم خطأ على أنها إطلاق يد الإنسان دون رقيب. فجاءت هذه الجملة لتذكرك أن الله يعلم ما تبديه من أفعال، وما تكتمه من نوايا، فهو رقيب عليك في كل مكان، حتى في الأماكن العامة التي لا يراك فيها أحد.
دور هذه الجملة في التربية الإيمانية:
هذه الجملة تؤسس فيك الرقابة الذاتية، فتصبح:
· لا تدخل مكاناً عاماً بقصد التجسس أو النظر إلى المحرمات.
· لا تستغل الإباحة في السرقة أو العبث بممتلكات الآخرين.

· لا تتعدى حدود الأمانة في الأماكن المفتوحة.
· تستشعر أن الله معك أينما كنت، يراك ويسمعك ويعلم ما تنوي.
فقه التعامل مع الأماكن العامة:
الإباحة في دخول الأماكن العامة لا تعني إباحة التصرفات. فأنت تدخل:
· المتجر لتشتري، لا لتسرق أو تتجسس على البضاعة.
· المقهى لتشرب، لا لتضايق الآخرين أو تنظر إلى ما لا يحل.
· المؤسسة الحكومية لمعاملتك، لا لتعطيل العمل أو إزعاج الموظفين.
· المكتبة لتقرأ، لا لتمزق الكتب أو تزعج القراء.
كل هذه أمانات، وستسأل عنها أمام الله.
الامر الرابع
: بناء النزاهة والأمانة – تطبيقات عملية
مفهوم النزاهة والأمانة المستنبط من الآية:
الآية تبيح الدخول للأماكن العامة، لكنها ترسخ الأمانة بأن تختتم بالمراقبة الإلهية. وكأنها تقول: أنت مؤتمن على ما تدخل إليه، فكن أميناً.
١/ احترام أمانات الآخرين وخصوصياتهم:
كما أنك تحترم خصوصية البيوت المسكونة، فعليك أن تحترم أمانات الأماكن العامة:
· لا تفتح أدراج مكتب غيرك دون إذن.
· لا تستخدم أجهزة الآخرين في العمل دون علمهم.
· لا تتصفح ملفات زملائك في العمل بحجة أن المكان مشترك.
· لا تدخل غرفة اجتماعات مغلقة دون استئذان.
٢/ احترام الملكية العامة والخاصة:
الملكية العامة هي أمانة في أعناقنا، وهي داخلة في مفهوم "متاع لكم" بنفع عام.
· لا تتلف مقعداً في حديقة عامة.
· لا تكسر زهرة في شارع.
· لا تستخدم مرافق عامة بطريقة تضر بالآخرين.
· لا تضيء الأنوار أو تشغل الأجهزة في مكان عام دون حاجة.
٣/ تعزيز قيم الثقة والاعتدال:
الآية توازن بين:
· الضيق (في البيوت المسكونة) لحماية الخصوصية.
· الإباحة (في غير المسكونة) لتيسير المصالح.
· الاعتدال في التعامل مع الأماكن العامة بلا إفراط ولا تفريط.
أنت مدعو لأن تكون متزناً، لا متشدداً فيمنع نفسه من مصالحه، ولا متساهلا ً فينتهك حرمات الآ خرين.
٤/ ضبط التعامل مع الأماكن العامة بآداب:
من آداب الأماكن العامة المستفادة من الآية:
· القصد: لا تدخل إلا لحاجة.
· النظام: لا تفسد ولا تعطل.
· النظافة: لا تلوث.
· عدم الإزعاج: لا تؤذِ غيرك.
· احترام الوقت: لا تطيل المكوث دون حاجة.
· استئذان في الخاص: إذا كان المكان فيه خصوصية (مثل مكتب مدير مغلق)، فاستأذن.
الامر الخامس
بناء الإنسان الحضاري – من الآية إلى الواقع
كيف تبني هذه الآية الإنسان صاحب الضمير المهني؟
الإنسان الذي يفقه هذه الآية، ويعيش معناها، يصبح:
· في عمله: أميناً على ممتلكات العمل، لا يستخدمها لغير غرضها، لا يسرق وقت العمل، لا يتجسس على زملائه.
· في مؤسساته العامة: يحترم المرافق العامة، لا يعبث بها، لا يستخدمها بقصد الإضرار.
· في تعاملاته: لا يدخل مكاناً عاماً بقصد الحرام، يستأذن إذا دعت الحاجة للخصوصية.
هذا هو الضمير المهني والوعي المؤسسي الذي تبنيه الآية.
دور هذه المفاهيم في بناء الإنسان الحضاري الراقي:
أنت حين تطبق هذه الآية، تكون قد حققت عدة قيم:
القيمة تطبيقها في واقعك
احترام الخصوصية لا تتصفح هاتف صديق، لا تدخل غرفة زميل دون استئذان.

الأمانة لا تأخذ شيئاً من مكان عام دون حق، لا تستخدم ممتلكات العمل لغير العمل.
النزاهة لا ترتشي، لا تزور، لا تغش في معاملة.
الرقابة الذاتية تفعل الخير حتى حين لا يراك أحد.
الاعتدال لا متشدد ولا متهاون.
المسؤولية الاجتماعية تحافظ على الممتلكات العامة كأنها ملكك.
التطبيق العملي في حياتي اليومية:
لنقف معاً وقفة صدق مع النفس:
· في العمل: هل تدخل مكتب زميلك دون استئذان؟ هل تستخدم طابعة العمل لطباعة أغراضك الشخصية دون إذن؟ هل تأخذ قرطاسية العمل إلى منزلك؟ هل تتجسس على ملفات زملائك؟ هذه كلها من الأمانات التي تسأل عنها.
· في الأماكن العامة: هل تكسر زهرة في حديقة عامة؟ هل تكتب على جدران الأماكن العامة؟ هل ترمي القمامة في الشارع؟ هل تجلس في مكان مخصص لذوي الاحتياجات الخاصة دون حاجة؟ هذه كلها انتهاك للأمانة العامة.
· في المتاجر والمطاعم: هل تتجول دون شراء لمجرد التسكع؟ هل تفتح علباً دون قصد الشراء؟ هل تستخدم المرافق دون استهلاك؟ هل تجلس ساعات طويلة في مقهى دون استهلاك يذكر؟ هذه كلها تعدٍّ على حق أصحابها.
· في المرافق العامة: هل تدخل مستشفى دون حاجة فتزعج المرضى؟ هل تدخل مؤسسة حكومية وتتعامل بخشونة مع الموظفين؟ هل تطيل الوقوف في طابور دون حق؟ هذه كلها تضييع لحقوق ا لآخرين.
استشعار المراقبة في كل مكان:
تذكر دائماً أن الله يعلم ما تبدون وما تكتمون. حتى في أشد الأماكن ازدحاماً، وأكثرها خلوة، هو معك. فإذا استشعرت هذه المراقبة، استحى الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك.
ختاماً: كيف تصنع الآية الحضارة الإسلامية
هذه الآية الواحدة، بهذا التركيز البديع، قدمت رؤية متكاملة للتعامل مع الممتلكات والأماكن:
1. حرمة البيوت المسكونة: صيانة للخصوصية.
2. إباحة البيوت غير المسكونة: تيسير للمصالح.
3. تقييد الإباحة بالمتاع: منع للعبث والفضول.
4. الختام بالمراقبة الإلهية: ترسيخ للأمانة والرقابة الذاتية.
بهذه الرؤية بنى الإسلام مجتمعاً متوازناً، يعرف أين يضيق وأين يتسع، يعرف حقوقه وواجباته، يستشعر مراقبة ربه في كل خطوة.
وأنت اليوم، عندما تدخل مكاناً عاماً، اسأل نفسك:
· هل دخولي لحاجة أم عبثاً؟
· هل أتصرف فيه بالأمانة؟
· هل الله راضٍ عما أفعل؟
إذا كان جوابك "نعم" على هذه الأسئلة، فقد فهمت الآية، وعملت بها، وصرت من الذين قال الله فيهم: {وَاللهُ بِمَا تعْمَلُونَ عَلِيمٌ}.
تذكر: كل مكان أنت فيه، الله معك، يراك، يعلم سرك وعلانيتك. فاجعله رقيباً يمنعك من الإساءة، ودليلا ً يهديك إلى الإحسان.
القسم الثاني
اولا
حين تفتح مصحفك لتقرأ الآية 30 من سورة النور: "قل لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ"، فإنك لا تقرأ مجرد كلمات، بل تتلقى "خارطة طريق" إلهية لحماية قلبك وبناء مجتمعك. كما يتضح من الاتى :
الامر الاول: دلالة الابتداء بكلمة (قل)
حين يبدأ الحق سبحانه وتعالى بكلمة "قل"، فهو يوجه الخطاب لنبيه الكريم ﷺ ليبلغك أنت، وهذا يضعك أمام مفهومين عظيمين:
* الاستشعار والتهيؤ: عندما تسمع "قل"، يجب أن يهتز قلبك وتستجمع جوارحك؛ فأنت الآن أمام أمر ملكي عظيم لا يقبل التهاون. إنه استدعاء لحضور القلب وإدراك أن ما سيأتي بعد هذه الكلمة هو توجيه مؤكد، وواجب التنفيذ، يحتاج منك أذناً صاغية وروحاً مستسلمة لأمر ربها.
* أمانة التبليغ والإرشاد: "قل" تعني أن هذا الأمر ليس حبيساً في صدرك فقط، بل أنت ملزم كفرد في هذا المجتمع بتبليغ هذا الأمر الإلهي لغيرك بالقدوة والنصح. أنت الآن سفير لهذا المنهج، ملزم بإرشاد الناس إلى ما فيه صلاحهم وحفظ كرامتهم.
الامر الثاني: نداء الإيمان "قل لِلْمُؤْمِنِينَ"
لماذا خصّ الله "المؤمنين" هنا؟ إن ربط هذه الأوامر بصفة الإيمان يعني أنك أنت "المعني" الأول

بهذا الخطاب.
* إن تنفيذك لغض البصر هو برهان على صدق الرابطة التي تجمعك بخالقك.
* يجب أن تدرك أن أي مخالفة لهذا الأمر هي خدش في جدار إيمانك، ونقض لتلك العلاقة الروحية العظيمة؛ فالمؤمن الحقيقي هو من يرى في أمر ربه شرفاً يستحق الامتثال.
الامر الثالث ً: يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم (بوابات القلب)
1. ضبط بوابات القلب:
العين هي النافذة التي يطل منها العالم على قلبك. غض البصر هو "درع حماية" يمنع تسرب الصور المحرمة والمشاهد الخادشة إلى سويداء قلبك، سواء كان ذلك في الشارع، أو أثناء التسوق، أو في مواطن الاختلاط غير المنضبط.
* في واقعنا الرقمي: يمتد هذا المفهوم ليكون سداً منيعاً أمام الصور والفيديوهات في مواقع التواصل الاجتماعي، وعدم تتبع الروابط المشبوهة التي تقتل الحياء في النفس وتظلم القلب.
2. كمال التشريع وواقعيته (لماذا "يغضوا" ولم يقل "يتركوا"؟):
هنا يتجلى كمال الإسلام؛ فالدين لا يكلفك ما لا تطيق. لم يقل "اتركوا النظر بالكلية" لأن ذلك مستحيل في واقع الحياة، بل قال "يغضوا".
* هذا يفيدك بأن المؤاخذة تقع على "تعمد" النظر وتكراره. أما نظرة الفجأة التي تقع على الحرام دون قصد، فلا حرج فيها؛ فلك الأولى (التي وقعت قدراً) وعليك الثانية (التي اخترتها عمداً).
3. الغض "عبادة لا عادة":
يجب أن يكون دافعك لغض البصر هو التقرب إلى الله وامتثال أمره، لا لأنك اعتدت ذلك أو خجلا ً من الناس. اجعل من كل نظرة تصرفها عن حرام "قربة" تزداد بها نوراً في بصيرتك.
4. الفرق بين "النظرة" و"النظر" ودلالة (مِن):
* النظرة: هي الخطفة السريعة (الفجأة).
* النظر: هو التأمل والتحديق المقصود.
* أما (مِن) في قوله "من أبصارهم"، فهي للتبعيض؛ أي غضوا البصر عن "بعض" ما يقع أمامكم وهو المحرمات، وأبيح لكم النظر في عظمة خلق الله وما يحل لكم.
5. تقديم غض البصر على حفظ الفرج:
لماذا بدأ بالعين قبل الفرج؟ لأن البصر هو "الرائد"، وهو البداية. النظر سهم مسموم، والفرج هو الغاية. فمن حفظ البداية (العين)، أمن النهاية (الفرج). تقديم الغض هنا هو "وقاية قبل العلاج".
6. دلالة الفعل المضارع (يغضوا - يحفظوا):
ورد الفعل بصيغة المضارع ليدل على "الاستمرار" و"التجدد". أنت في جهاد دائم، تحتاج لغض بصرك كل يوم، وفي كل لحظة، وفي كل محفل. هي معركة مستمرة تطلب منك يقظة دائمة.
الامر الرابع ً: "ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ" (مفهوم التزكية)
التزكية هي الطهارة والنماء.
* عندما تنضبط عينك، يطهر قلبك، وعندما يطهر قلبك، يزكو عملك.
* تحويل المجتمع إلى "قلعة طاهرة" يبدأ من عينك أنت وقلبك أنت. إن عفتك ليست شأناً شخصياً فحسب، بل هي "لبنة" أساسية في بناء مجتمع محترم يسوده الستر بدلا ً من الفضيحة، والسكينة بدلا ً من القلق والاضطراب النفسي الناتج عن تتبع العورات.
الامر الخامس: "إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ" (المراقبة الإلهية)
هذا الختام يهز الوجدان:
* الخبير: هو الذي يعلم خفايا الأمور، يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.
* هذا الوعي يزرع فيك "الرقابة الذاتية"؛ فحتى لو غابت أعين الناس عنك وأنت خلف شاشتك، فإن عين الله لا تغيب. هذا الاستشعار يحول سلوكك من خوف البشر إلى خشية الخالق، وهو قمة الإيمان.
خارطة التعامل مع الفتن المعاصرة
ترسم لك الآية منهجاً واضحاً: أغلق الباب أمام الفتنة من بدايتها. إن الارتباط بين "غض البصر" و "حفظ الفرج" ارتباط وثيق؛ فالأول سبب والثاني نتيجة.
من خلال هذه القاعدة، يدعوك الله للعودة إلى العفة، والالتزام بآداب الستر، ليعيش المجتمع في طهارة نفسية، وتحفظ البيوت من الشتات، وتصان الكرامات من الامتهان.
ثانيا
أيها القارئ، أيتها القارئة، تخيل معي للحظة أن هذه الآية - آية النور - تتلى عليك الآن، ليس كحرف مكتوب في مصحف فقط، بل كنداء مباشر، كتوجيه إلهي نازل من لدن حكيم خبير، يلامس قلبك، ويخاطب واقعك، ويبني مجتمعك. إنها آية رقم 31 من سورة النور، آية عظيمة رسمت منهجاً متكاملا ً للعفة والطهارة والبناء الاجتماعي قال تعالى (
وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ

أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ۖ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ ۚ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (31

هيا بنا لنعيش معاً في رحاب هذه الآية، ونتأملها تأمل من يريد أن يفهم مراد ربه، ويطبق توجيهاته في حياته العملية، خاصة في هذا الزمن الذي كثرت فيه الفتن واختلطت فيه المفاهيم.

الامر الاول

الوقوف عند الافتتاح العظيم "قل لِلْمُؤْمِنَاتِ"

تأمل معي هذا النداء الإلهي: "قل لِلْمُؤْمِنَاتِ". لم يقل الله تعالى: "قل للنساء" فقط، بل خص "المؤمنات". ما أعظم هذه الدلالة!

· أنتِ مخاطبة بهذا الأمر: عندما تسمعين هذا النداء، يا أختاه، يجب أن تشعري أن الله عز وجل يوجه إليكِ هذا التكليف مباشرة. إن إيمانكِ بالله هو الذي يجعلكِ أهلًا لهذا الخطاب. إنه شرف لكِ أن يخاطبكِ ربك بهذا الأمر، وفي الوقت نفسه، هو ميثاق وعهد بينكِ وبينه. فمخالفة هذا التكليف ليست مجرد خطأ عابر، بل هي منافاة لمقتضى هذا الإيمان الذي تتحلين به. إنها دعوة صادقة من خالقكِ ليرفع قدركِ ويعلي شأنكِ.

· رفع شأن المرأة وتكليفها: لاحظ كيف أن الله بدأ الأمر بغض البصر، كما أمر الرجال من قبل في ا لآية التي تسبقها (قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم). هذا يدل على أن المرأة في ميزان الإسلام شريك أصيل في تحمل المسؤولية الأخلاقية، وقد أمرت بما أمر به الرجل تعزيزاً لطهارة القلب ونقاء النفس. إنه تكريم لها أن تكلف، وليست مجرد تابعة أو مهملة.

· تطبيقه على واقع التواصل الاجتماعي: كيف نطبق هذا الأمر اليوم؟ يا من تقرأين هذه الكلمات، عندما تتصفحين مواقع التواصل، أو تشاهدين الأفلام والمسلسلات، أو تمشين في الأسواق، هل تحافظين على غض البصر؟ غض البصر ليس فقط عن النظر إلى الرجال الأجانب، بل هو أيضاً عن النظر إلى ما ينشر من صور خادشة، أو مقاطع مثيرة، أو أي محتوى يحرك الشهوة أو يثير الغريزة. ابدئي بتربية نفسك على ضبط النفس، فإذا وقع نظرك على شيء محرم عن طريق الخطأ، فاصرفيه فوراً، ولا تستمري فيه. هذا هو أول طريق العفة وطهارة القلب.

الامر الثانى

رسم الحدود بين الخصوصية والانفتاح

الآية هنا ترسم حدودًا واضحة جدًا، ليس بهدف الحجر على المرأة، بل بهدف حفظ كرامتها وبناء حصانة نفسية واجتماعية.

· ما هي الزينة؟

الآية قسمت الزينة إلى قسمين أساسيين، وهما:

1. الزينة الظاهرة (الزينة الأساسية): وهي ما يظهر غالبًا ولا يمكن إخفاؤه في العادة، وقد اختلف العلماء في تحديدها، لكن الراجح أنه الوجه والكفان. وهذا هو الحد الأدنى الذي يجوز للمرأة إبداؤه أمام الرجال الأجانب، بشرط ألا يكون في ذلك تبرج أو تعمد لإظهار مفاتن.

2. الزينة الباطنة (الزينة الخفية): وهي كل ما سوى الوجه والكفين، كالشعر، والصدر، والساقين، و الذراعين، والمؤخرات البارزة، وغيرها. وهذه مأمورة بإخفائها وعدم إظهارها إلا لمن استثنتهم الآية (الزوج، المحارم...).

· ما هو الحجاب؟

الحجاب في مفهوم الآية هو كل ما يستر به المرأة بدنها وزينتها عمن ليسوا محارم لها. إنه ليس قطعة قماش فقط، بل هو سلوك، وأدب، ووقار، وحماية للمرأة من أن تكون سلعة تباع وتشترى بأبصار المتطلعين.

· أدلة إباحة الوجه والكفين:

القول بإباحة كشف الوجه والكفين للرجل الأجنبي في حال عدم الفتنة هو مذهب جمهور العلماء (كأبي حنيفة وابن حزم وغيرهم). والدليل من السنة قوله صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنها لما مرت على الأعراب وهم ينظرون: "يا عائشة، إنما هي يدك" (رواه البخاري تعليقًا). وكذلك قوله لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما: "يا أسماء، إن المرأة إذا بلغت المحيض لم يصلح أن يُرى منها إلا هذا وهذا" وأشار إلى وجهه وكفيه (رواه أبو داود). ولكن مع التأكيد على أن هذا الإ باحة مقيدة بعدم التبرج والتزين، وعدم الخلوة، وعدم إثارة الفتنة.

· ضوابط الظهور أمام المحارم:

المحارم هم من لا يحل لهم نكاحها على التأبيد (الأب، الأخ، الابن، العم، الخال...). معهم، تستطيع المرأة أن تكشف عن زينتها الباطنة (كشعرها وذراعيها)، ولكن بشرط أن تلتزم بالعفة والأدب، وألا تتزين وتتبرج أمامهم تبرج الجاهلية الأولى. فالآية لم تأذن بإظهار الزينة الباطنة للمحارم بشكل مطلق، بل خصتهم به لأنهم في منزلة أمن من الفتنة، لكن العفة أساس.

الامر الثالث

منهج متكامل لبناء مجتمع طاهر

هذه الآية ليست مجرد أوامر فردية، بل هي منهج اجتماعي شامل:
· الوقار في المشي والحديث: تقول الآية: "وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ". انظري كيف يصل الأمر إلى التفاصيل الدقيقة! إنه نهي عن فعل كان يفعله نساء الجاهلية لفت انتباه الرجال إلى حلي أرجلهن. هذا يدلنا على أن الإسلام يريد من المرأة أن تكون ذات وقار وهي تمشي ، فلا تتصنع المشية، ولا تتكسر، ولا تظهر من مفاتنها ما يجذب الأنظار إليها، سواء بالملابس الضيقة ، أو الأصوات العالية، أو التبرج المفرط. إنه بناء لشخصية المرأة المسلمة التي تعرف قيمتها فتحافظ على نفسها.
· الحصن الأخلاقي والبيئة المستقرة:
هذه التوجيهات هي حصن منيع ضد التفكك الأسري والتحرش والفتنة. عندما يلتزم المجتمع بهذه الحدود، تنخفض دوافع الشهوة في الأماكن العامة، ويصبح التركيز على القيم الجوهرية للشخص وليس على جسده. هذه البيئة تسمح للرجل والمرأة بالعمل والتفاعل في إطار من الاحترام المتبادل والنظافة الأخلاقية، مما يساهم في استقرار المجتمع وتماسكه.
الامر الرابع
دور الآية في تربية النفس ومراقبة الله
أخي، أختي، ختمت الآية بنداء عظيم: "وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ".
· دعوة للتوبة المستمرة: مهما بلغت من التقصير، فباب التوبة مفتوح. الله يدعونا جميعًا - رجالًا ونساءً - أن نعود إليه، أن نصحح مسارنا، أن نلتزم بحدوده. هذه الآية نزلت في المدينة بعد أن تأصل الإيمان في النفوس، ومع ذلك يأمرهم بالتوبة، لأن العبد مهما ارتقى فهو بحاجة إلى أن يرجع إلى الله دائمًا.
· مراقبة الله (الرقابة الذاتية): إن غاية هذه الأوامر هي أن نعيش في حالة من استشعار مراقبة الله لنا. فأنت عندما تغض بصرك، وتستر زينتك، وتخفض صوتك، وتتواضع في مشيتك، فإنك لا تفعل هذا خوفًا من الناس، بل إيمانًا بأن الله معك، يراك، ويعلم سرك وعلانيتك. هذه هي أعلى درجات الإيمان.
الامر الخامس
المفاهيم المستنبطة والدروس العملية في حياتنا
لنستخلص معًا ما نتعلمه من هذه الآية العظيمة:
1. المرأة ركن أساسي في بناء الحضارة الإسلامية: الإسلام لم يحبس المرأة في البيت بلا دور، بل صنع لها دورًا عظيمًا كأم، وربة بيت، ومعلمة، وطبيبة، وداعية. لكن هذا الدور لا يتحقق إلا بتحقيق العفة والطهارة. بناء المجتمع النظيف يبدأ من بناء الأسرة النظيفة، والأسرة النظيفة تقوم على المرأة الواعية المتعففة. عندما تلتزم المرأة بهذا المنهج، فهي تساهم في بناء حضارة أخلاقية راقية.
2. القضاء على الفتنة من جذورها: الآية تقضي على مقدمات الفتنة قبل وقوعها. فغض البصر يقطع الطريق على النظرات المريضة، وستر الزينة يمنع إثارة الغرائز، والنهي عن ضرب الأرجل يمنع التصنع في الكلام والمشي. إنها معالجة شاملة لكل الأبواب التي تدخل منها الشهوات إلى المجتمع.
3. الفرق بين التحرر والانحلال: التحرر الحقيقي للمرأة ليس في خلع ملابسها، بل في تحررها من العبودية لشهوات الرجال ومن عبودية التقليد الأعمى. هذه الآية تمنح المرأة أعلى درجات العزة و الكرامة، لأنها تجعل قيمتها في إيمانها وعقلها وخلقها، وليس في جسدها الذي يُستهلك. هي سيدة نفسها، وليست دمية في يد المجتمع الاستهلاكي.
4. توجيهات للرجل أيضًا: لا تظن أن هذه الآية موجّهة للنساء فقط. إنها تخاطب المجتمع كله. ف الرجل مطالب بغض بصره، ومطالب بأن يحمي أهله وبناته، ومطالب بأن يكون عونًا لهن على الا لتزام بهذا المنهج، وليس عائقًا أو مَن يستهين بهذه الحدود.
ختامًا: الآية تنزل عليك الآن
أيها القارئ، أيتها القارئة، إن هذه الآية هي رسالة من الله إليك أنت الآن. هل تشعر بأن نظرك قد انطلق في الواقع الافتراضي والحقيقي دون رادع؟ هل تشعر أن ملابسك أصبحت وسيلة لجذب الأ نظار لا لستر الجسد؟ هل تشعر أن مشيتك وكلامك أصبح فيهما تكسر وتصنع؟ هل تظن أن هذه الأ مور صغيرة ولا تحاسب عليها؟
تذكر أن الإيمان يقتضي منا أن نكون في أعلى درجات الالتزام. هذه الآية لم تأتِ لتقيدك، بل لتحررك من عبودية الهوى والشهوة، ولترفعك إلى مقام العبودية لله وحده، وهو أشرف مقام.
توبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون، توبة صادقة من كل تقصير. ابدؤوا من الآن، بنية صادقة، وخطة عملية لتصحيح الأخطاء، سواء في اللباس، أو النظر، أو التعامل. استشعروا أن الله معكم، وأن الفلاح الحقيقي هو الفوز برضا الله ودخول جنته. فهل أنتم فاعلون؟
لقد وضع الله لنا هذا المنهج المحكم لأنه يعلم ضعف النفس البشرية، ويعلم أن السعادة الحقيقية وا لاستقرار لا يتحققان إلا بالعودة إلى حدوده. اجعلوا من هذه الآية نورًا يضيء دروبكم، واجعلوا منها دستور حياة، لبناء مجتمع نظيف، وأسرة طاهرة، وحضارة إسلامية أخلاقها القرآن
ثالثا
أخي الحبيب، أختي الكريمة، بعد أن أنار الله قلوبنا بآية الحجاب والعفة (آية 31)، نعيش الآن مع

الآية التي تليها مباشرة؛ إنها الآية 32 من سورة النور، حيث ينتقل بنا الخطاب الإلهي من بناء الحصن الفردي الأخلاقي إلى بناء أعظم حصن اجتماعي ألا وهو الأسرة. وكأن الله تعالى يقول لنا: بعد أن طهرتم أنفسكم، وتحصنت فروجكم، وغضضتم أبصاركم، ها أنتم الآن تستعدون لتأسيس البيوت الطاهرة التي هي نواة المجتمع المستقيم.

اقرأ معي قول الله تعالى:

"وَأَنكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ" (النور: 32)

تأمل! إنها ليست مجرد آية تُتلى، بل هي برنامج عمل اجتماعي، ودستور إلهي لعلاج أعمق أزمات العصر: أزمة العزوبية، وتعقيد الزواج، والمغالاة في المهور، والخوف من الفقر. إنها نداء عاجل من رب العالمين لك أيها المسلم، وللمجتمع كله، بأن ننهض معًا لبناء مجتمع نظيف، طاهر، عفيف، قوامه الأسر المستقرة.

هيا بنا نخوض في رحاب هذه الآية، وكأنها تنزل علينا الآن لتغير واقعنا المأزوم.

الامر الاول ً: وقفة مع "أَنكِحُوا الأَ يَامَى مِنكُمْ" – مسؤولية الجميع في بناء المجتمع

1. ماذا تعني "الأيامى" ولمن توجه الآية؟

كلمة "الأيامى" جمع أيِّم، وهي صفة تطلق على كل من لا زواج له، سواء كان ذكرًا أو أنثى، بكرًا أو ثيبًا (مطلقًا أو أرملًا). الآية هنا توجه خطابًا صريحًا إلى أولياء الأمور والمجتمع: "أَنكِحُوا" أي زوجوا هؤلاء العزاب. لاحظ أن الفعل أمر موجه للجماعة: أنتم أيها الآباء، أيها الإخوة، أيها المجتمع، عليكم مسؤولية تزويج الأعزب والعزباء.

لم يأت الخطاب للشاب فقط ليقل "تزوج"، بل جاء لأولياء الأمور: "زوجوا". هذا يعني أن تيسير الزواج مسؤولية مجتمعية، وليست مجرد شأن فردي يتحمله الشاب وحده. إذا رأيت شابًا أعزب أو فتاة عزباء، وأنت تملك القدرة على التزويج (بأن تكون وليًا أو قادرًا على المساعدة)، فأنت مخاطب بهذا الأمر الإلهي.

2. لماذا هذا الحث على تيسير الزواج؟

الزواج في الإسلام هو نصف الدين، وهو الحصن الحصين للعفة، وهو أساس بناء الأسرة التي هي لبنة المجتمع. عندما يتعثر الزواج، تتفشى الفواحش، وتضيع الأنساب، وتكثر الأمراض النفسية والاجتماعية. لذلك جاء الأمر الإلهي بتيسيره، ليكون خط دفاع أول عن المجتمع.

3. محاربة المغالاة في المهور: كيف تعالج الآية هذه الأزمة؟

هنا يأتي الدرس العظيم: الآية لم تأمر فقط بالتزويج، بل ربطته بفكرة تجاوز العقبات المادية، لا سيما المغالاة في المهور والتكاليف الباهظة. عندما يقول الله بعد ذلك: "إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" ، فإنه يوجه رسالة صارمة إلى كل من يحول بين الشباب والزواج بسبب التكاليف الخيالية.

ما هي المغالاة في المهور؟

هي أن يطلب أولياء الأمور مهورًا تفوق طاقة الشاب، وأن يفرضوا تكاليف وهمية كالعزائم الضخمة، وقاعات الأفراح الفارهة، والملابس الباهظة، والذهب الكثير، والمناسبات المتعددة التي تثقل كاهل الشاب بالديون قبل أن تبدأ الحياة. هذه الممارسات ليست من الإسلام في شيء؛ بل هي من عادات الجاهلية التي حاربها الإسلام.

خطورة المغالاة في المهور:

· تؤدي إلى تعطيل الزواج لسنوات طويلة.
· تدفع الشباب إلى العنوسة أو الوقوع في الحرام.
· تسبب الطلاق المبكر بسبب الديون والضغوط المالية.
· تجعل الزواج سلعة كمالية، وليس سنة دينية وضرورة حياتية.

كيف نطبق هذا في واقعنا اليوم؟

أخي الذي تزوج ابنته، أختي التي تزوج ابنها، هل تذكرون أنكم مخاطبون بهذه الآية؟ كم من شاب تعطل زواجه بسبب مطالبة أهل الفتاة بمهر يتجاوز المائة ألف، أو بسبب اشتراط قاعة أفراح تكلف عشرات الآلاف، أو بسبب عزائم فاخرة تزيد الوضع تعقيدًا؟ أين نحن من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة" (رواه أحمد)، وقوله لعلي رضي الله عنه لما زوجه فاطمة: "ابعث بها ولو بخاتم من حديد".

دورك الآن في محاربة هذه العادة السيئة: إذا كنت ولي أمر، فاتق الله في بنات المسلمين، ولا تكن حاجزًا أمام الزواج. المهر الصغير بركة، والزواج الميسر سعادة. إذا كنت شابًا، فلا تستحي أن تطلب التيسير. إذا كنت أمًا أو أبًا، ربِّ أبناءك على القناعة، وعلّمهم أن الزواج الناجح لا يُبنى على المغالاة والديون، بل على التقوى والمودة والرحمة. المجتمع كله مسؤول عن تغيير هذه الثقافة. علينا أن نستبدل ثقافة "التكلف والتفاخر" بثقافة "التيسير والبركة".

4. التشجيع على الزواج وعدم المماطلة: "التمسوا الغنى في النكاح"

يقول عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: "التمسوا الغنى في النكاح" (رواه ابن ماجه بسند حسن).

إنها قاعدة عظيمة: لا تؤجل الزواج خوفًا من الفقر، بل تزوج واطلب الرزق؛ فإن الله هو الرزاق.
الآية تزيل عذرًا شائعًا: "لن أتزوج حتى أجمع المال الكافي". إنها تقول: لا تؤجل بناء حياتك بسبب المال؛ فإن الله الذي رزقك حتى الآن سيرزقك بعد الزواج. الزواج ليس عائقًا للرزق بل هو سبب من أسبابه.
5. الآية دستور إلهي لعلاج العنوسة والتأخير
نحن اليوم نعيش أزمة كبرى: ارتفاع سن الزواج، وكثرة العوانس، وزيادة عزوف الشباب بسبب التكاليف. الآية هنا تقدم حلًا متكاملًا:
· التكافل المجتمعي: "أنكحوا" خطاب للجميع، أي على الأغنياء وأهل الخير أن يساعدوا في تزويج المحتاجين.
· التوكل على الله: لا تخافوا من الفقر، بل ثقوا بوعد الله.
· محاربة العادات السلبية: المهور الباهظة والتكاليف المرهقة هي صناعة بشرية، وليست دينًا، فيجب تفكيكها.
ما هو دوري أنا في تيسير الزواج في محيطي؟
· دورك أن تكون سبّابًا للخير: إذا علمت بشاب أو فتاة يريدون الزواج، فساعد في التوفيق بينهم.
· دورك أن تخفض التكاليف إذا كنت ولي أمر.
· دورك أن تنشر ثقافة التيسير بين أقاربك وأصدقائك.
· دورك أن تدعم الشباب ماديًا أو معنويًا، وأن تقف معهم لا ضدهم.
الامر الثاني: لماذا خُصّ "الصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ"؟
الآية تقول: "وَالصّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ". هنا توجيه دقيق جدًا: عندما تبحثون عن زوج أو زوجة، فعليكم بالصالحين.
1. المعيار الحقيقي هو الصلاح، لا المال ولا النسب
لماذا خص الله الصالحين بالذكر؟ لأن الصلاح هو الأساس في بناء أسرة قوية. فالصالح هو الذي يخشى الله في زوجته، فيحسن عشرتها، ويقوم بحقها. والصالحة هي التي تخاف الله في زوجها، وتحسن طاعته، وتحفظه في نفسها وماله. هذا هو الضمان الحقيقي للسعادة الزوجية، وليس المال الزائل.
2. الدلالة التربوية: قدم الصالح على غيره
أيها الأب، أيتها الأم، عندما يأتيكم خاطب لابنتكم، أو يطلب ابنكم يد فتاة، لا تنسوا هذه القاعدة الربانية. الفرق بين "الأيامى" (الذين لا أزواج لهم) و"الصالحين" هو أن الصالحين هم أهل الدين و الخلق. فإذا كان العزب صالحًا، قدمه ولو كان فقيرًا. وإذا كان الفقير صالحًا، فلا تتردد في تزويجه.
3. كيف أطبق هذا في حياتي العملية؟
تخيل أن ابنتك تقدم لها شخصان: الأول شاب غني، لكنه لا يصلي، ولا يهتم بالحلال والحرام، وقد عُرف بمعاكسات أو أخلاق سيئة. والثاني شاب متوسط الحال أو فقير، لكنه ملتزم بدينه، خلوق، أمين، يعمل بيده ويخشى الله. من تختار؟ الآية تختار الثاني، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير" (رواه الترمذي). المال يأتي ويذهب، لكن الصلاح هو أساس البقاء.
الامر الثالث: "إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللهُ مِن فَضْلِهِ" – قاعدة محاربة الفقر بالزواج
1. كيف نحارب الفقر بوسائل مشروعة؟
الآية لا تعلمنا أن نجلس وننتظر المال من السماء، بل هي دعوة للعمل والسعي. "يغنيهم الله" يعني أن الله سيفتح لهم أبواب الرزق إذا سعوا. الزواج يحفز الإنسان على العمل والكسب والجد والاجتهاد. كم من شاب كان عاطلًا، فلما تزوج وجد من الله فرجًا ورزقًا من حيث لا يحتسب! لأن الزواج يدفع الإنسان إلى تحمل المسؤولية، فيبذل الجهد، ويبحث عن العمل، ويتقن عمله.
2. أهمية الإيمان بوعد الله: الزواج سبب للغنى وليس سببًا للفقر
هذه الآية تقطع الطريق على الشيطان الذي يخوف الناس بالفقر. الشيطان يريد أن يعطل سنة الزواج بأن يوسوس: "إذا تزوجت ستغرق في الديون"، "لن تستطيع إعالة أسرة". لكن الله يأمرنا بتزويج الفقراء، ويعدهم بالغنى. والله لا يخلف وعده. كم من أسر فقيرة تزوجت وتوسع رزقها بعد الزواج!
3. تربية الأولياء على عدم الخوف من الفقر
الأب الذي يمتنع عن تزويج ابنته لشاب فقير يظن أنه يحميها، لكنه في الحقيقة قد يعرضها للعنوسة أو الحرام. الآية تربينا على الثقة بالله: لا تخافوا على الفتاة من الفقر إذا كان الخاطب صالحًا؛ فإن الله سيرزقها وإياه.
4. بناء مجتمع نظيف من خلال تيسير الحلال
عندما يسهل الزواج، يقل الحرام. وتتحقق قيمة التكافل الاجتماعي، حيث يشعر المجتمع كله أنه مسؤول عن بناء بيوت العفة. وتتأصل الثقة بالله (الرجاء في فضل الله) بدلًا من الثقة بالبنوك و القروض الربوية التي تزيد الأزمات.

ختام الآية: "وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ"
تأمل كيف ختم الله الآية بهذين الاسمين العظيمين:
· الواسع: أي واسع الفضل، واسع الرزق، لا تنقص خزائنه، فإذا أنفقت في سبيل تزويج المحتاجين، أو تزوجت وأنت فقير، فإن خزائن الله لا تنفد. هو الغني الحميد.
· العليم: يعلم حال الفقراء، ويعلم نوايا الأولياء، ويعلم صدق الرغبة في العفة، فلا يضيع أجر من أحسن.
هذا الختام يحفزنا على استبدال العادات السيئة بثقافة التيسير. العادات السيئة (كالمغالاة، والتكلف، والتباهي) بنيت على الجهل وعدم الثقة بالله. أما ثقافة التيسير فتبنى على العلم بسعة فضل الله، وعلمه بحاجة عباده.
دروس ورسائل الآية في حياتنا العملية:
1. الزواج مسؤولية اجتماعية: لا تكن متفرجًا. ساهم في تزويج من حولك.
2. محاربة المغالاة واجب ديني: قلل المهور، اختصر الولائم، استغنِ عن التفاخر. أعد النظر في قائمة التكاليف الزوجية في مجتمعك.
3. معيار الصلاح هو الأهم: عند اختيار الزوج أو الزوجة، قدّم الدين والخلق على المال والجمال.
4. لا تخف من الفقر: الزواج طريق للرزق، وليس عائقًا. توكل على الله وسل الأسباب.
5. ثق في سعة الله: مهما بدت الظروف صعبة، فإن الله واسع الفضل، عليم بحالك، وسيكتب لك الخير.
خاتمة: أنت المخاطب بهذه الآية الآن
أخي، أختي، هل شعرت أن هذه الآية تنزل عليك أنت الآن؟ هل تزوجت مؤخرًا وجعلت التكاليف عبئًا على نفسك أو على غيرك؟ هل أنت ولي أمر تطلب مهورًا تعجيزية؟ هل لديك ابن أو ابنة وتؤخر زواجهم بسبب الخوف من الفقر أو بسبب العادات؟
تعال نصغي لنداء ربنا: "وَأَنكِحُوا" . ابدأ من الآن: غيّر نيتك، واجعل تيسير الزواج هدفًا تسعى إليه. إذا كنت شابًا، فاعزم على الزواج ولو على بساط، وثق بوعد الله. إذا كنت أبًا، فطمئن قلوب الشباب بتيسير المهور. إذا كنت أمًا، فربّي بناتك على القناعة والرضا بالقليل. إذا كنت صاحب مال، فساعد في تزويج المحتاجين.
بهذا نطبق سنة الله، ونبني مجتمعًا نظيفًا، طاهرًا، قوامه الأسر المستقرة. وبهذا نكون قد فهمنا أن هذه الآية ليست مجرد نص، بل هي دستور حياة وبرنامج نهضة ينتظر منا أن نفعّله في واقعنا المأزوم.
رابعا
تفسير الآية 33 من سورة النور: منهج رباني متكامل للعفة، والحرية، ومحاربة الاستغلال.
أخي الحبيب، أختي الكريمة، بعد أن أضاء الله بصائرنا بآية الحجاب (31) التي رسمت حدود العفة الفردية، وبآية الزواج (32) التي جعلت تيسير النكاح مسؤولية مجتمعية، نأتي الآن إلى الآية 33، وهي امتداد طبيعي، بل تتويج لهذا المنهج الإلهي المتكامل.
تأمل معي هذه الآية العظيمة التي تجمع بين التربية النفسية، والتحرر من العبودية، ومكافحة الاستغلا ل، ورحمة الله الواسعة. إنها دستور لمن يريد أن يبني مجتمعًا كريمًا، لا يستعبد فيه إنسان إنسانًا، ولا يستغل قوي ضعيفًا، ولا يُجبر أحد على فاحشة.
قال الله تعالى:
"وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ ۗ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ۖ وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ۚ وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" (النور: 33).
هيا بنا نعيش معًا في رحاب هذه الآية، وكأنها نزلت علينا اليوم.
الامر الاول ً: "وَلْيَسْتَعْفِفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا" – الاستعفاف وتيسير النكاح
.1ماذا يعني الاستعفاف؟
الاستعفاف هو أن يمتنع الإنسان عن الحرام ويطلب العفة حتى لو لم يجد طريقًا إلى الزواج. الآية تبدأ بصيغة أمر: "وَلْيَسْتَعْفِفِ" أي عليه أن يجاهد نفسه، ويروضها على العفة، ويصبر عن الحرام، ويحصن فرجه وقلبه.
هذا أمر مباشر لك أيها الشاب، أيتها الفتاة، إذا كنت لا تستطيع الزواج لسبب مالي أو ظرفي. لا تترك نفسك فريسة للشهوة، ولا تستسلم لليأس. عليك أن تتحصن بالعفاف.
.2التوجيهات التربوية للنفس: تحصين الفرج وغض البصر
الاستعفاف ليس مجرد كلمة، إنه برنامج عملي:
· تحصين الفرج: بأن تمتنع عن أي علاقة غير شرعية.
· غض البصر: فلا تطلق البصر فيما يحرك الشهوة، سواء في الواقع أو في شاشات التواصل.
· تجنب دواعي الحرام: لا تخلُ بشخص أجنبي، لا تدخل مواقع مشبوهة، لا تسامر في بيئات مختلطة بلا ضوابط.

هذه أسس أخلاقية وتربوية نحتاجها اليوم بشدة، خاصة في زمن انفتحت فيه أبواب الفتن عبر الإ نترنت ووسائل التواصل. أنت مطالب بأن تكون أنت سيد إرادتك، لا أن تكون عبدًا لشهوتك.

3.الصبر والعفاف وعدم اليأس من فضل الله

الآية تربي فيك روحًا عالية: لا تيأس من فضل الله، ولا تظن أن تعطيل الزواج هو نهاية المطاف. بل اجعل انتظارك للزواج مقرونًا بالعمل الصالح، والجد في طلب الرزق، والثقة بأن الله سيفتح لك أبوابه.

4.ما الذي أرشدت إليه السنة لمن لا يستطيع الزواج؟

النبي صلى الله عليه وسلم قال: "يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء" (رواه البخاري). هذا توجيه نبوي رائع: الصوم يكسر الشهوة، ويُهذب النفس، ويقوي الإرادة.

وهناك توجيه اجتماعي أيضًا: المجتمع مطالب بمساعدة من لا يستطيعون الزواج، كما ورد في الآية السابقة (وَأَنكِحُوا الأَيَامَى). فالعفة الذاتية مقرونة بتكافل المجتمع.

5.كيف تعالج الآية العزوبية بالعفة الذاتية؟

في مجتمعنا اليوم، تأخر الزواج بسبب الظروف الاقتصادية صار واقعًا. الآية تعطينا حلا ً مزدوجًا:

· من جهة الفرد: الاستعفاف والصبر.

· من جهة المجتمع: التزويج والتكافل.

لا يجوز أن نترك الشباب في فراغ أخلاقي ونقول "لا تستطيعون الزواج فافعلوا ما شئتم". بل نأمرهم بالعفاف، ونعينهم عليه، ونفتح لهم أبواب الزواج الميسر.

الامر الثاني: "حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ" – الثقة بفرج الله ورزقه

1.مفهوم الثقة والطمأنينة

هذه العبارة تبث في نفسك طمأنينة عظيمة: أن الله هو المغني، وأنه إذا عففت واجتهدت، فسيرزقك من حيث لا تحتسب. لا تستعجل الحرام خوفًا من الفقر، ولا تظن أن الحرام هو المخرج. إن الله واسع الفضل.

2.التفاؤل والأمل في الإسلام

هذه الآية تغرس فيك التفاؤل، وتحارب اليأس والقنوط. الإسلام يريد للمسلم أن يكون متفائلا ً بربه، وأن يرى في المستقبل خيرًا. ومن علامات حسن الظن بالله أن تعلم أن العفة ستتبعها غنى، والصبر سيعقبه فرج.

3.وسائل الاستعفاف العملية في زمن الفتن

ما هي وسائل العفاف التي تشير إليها الآية؟

· الدعاء: أن تسأل الله العفاف والغنى.

· شغل النفس بالطاعة: فكلما ازدادت الطاعة، ازدادت قوة الإرادة.

· الانشغال بالعلم والعمل: يملأ وقتك ويفرغ طاقتك فيما ينفع.

· البعد عن المثيرات: اجتناب ما يهيج الشهوة.

· الصوم: كما أرشد النبي.

لماذا قرن الله العفاف بانتظار فضله؟ لأن هذا الانتظار ليس سلبياً، بل هو عمل وجهاد، وهو الذي يحقق للمؤمن توازنًا نفسيًا واجتماعيًا؛ فلا يشعر بالاضطهاد لأنه محروم من الزواج، بل يشعر بأنه في مرحلة إعداد وتربية، ينتظر فضل ربه.

الامر الثالث: "وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ" – تحرير الرقيق وبناء الإنسان

هذا المقطع من الآية يتحدث عن تشريع عظيم: المكاتبة، وهي عقد بين السيد والعبد يدفع فيه العبد مالا ً مقابل حريته.

1.من هم الذين يبتغون الكتابة؟ وما معنى المكاتبة؟

هم العبيد والإماء الذين يطلبون من سادتهم أن يحرروهم مقابل مال يدفعونه على أقساط. هذا عقد يسمى "المكاتبة"، وهو وسيلة عظيمة لتحرير الرقيق، ويُعتبر من أرقى صور التدرج في إلغاء الرق.

2.كيف كسر الإسلام قيود العبودية تدريجياً؟

الإسلام لم يلغِ الرق دفعة واحدة (لأنه كان نظامًا متجذرًا عالميًا)، بل شرع أبوابًا كثيرة لتحرير الرقيق: الكفارات، والوصية، والعتق، والمكاتبة. والمكاتبة هنا تعني أن السيد لا يحبس العبد عنده قسرًا إذا كان العبد يريد الحرية ويملك القدرة على الكسب.

3.ما هو "الخير" الذي يجب أن نعلمه فيهم؟

قال تعالى: "إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا". الخير هنا يشمل:

· خيرًا دينيًا: أي أمانة وقدرة على الوفاء بالعقد.

· خيرًا دنيويًا: مهارة في العمل، وقدرة على الكسب.

فهو يعلمنا أن نمنح الفرصة لمن يثق في قدرته على الاعتماد على نفسه.

4.كيف نطبق هذه الآية في حياتنا العملية بعد زمن الرق؟

مع أن الرق بصورته التقليدية قد انتهى، لكن روح هذه الآية باقية في كل علاقة فيها نوع من التبعية أو الولاية:

· العامل والموظف: إذا أبدى العامل رغبة في التطور، أو في الحصول على حصة أو شراكة، أو في ا

لاستقلال بمشروعه، فلا تحجبه. أعطه الفرصة، وساعده على النمو.
· المتدرب والمبتدئ: إذا أظهر كفاءة وأمانة، فمكنه وادعمه حتى يستقل بنفسه.
· الابن والتابع: عندما يريد أن يقف على قدميه، لا تعقه بتعقيدات.
الآية تعزز قيمة الحرية والعمل، وتؤسس لمبدأ أن كل إنسان له الحق في طلب الاستقلالية، ومن يملك القدرة (الخير) يستحق أن يدعم.
الامر الرابع: "وَآتُوهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ" – التكافل المالي من أجل الحرية
.1لماذا أضاف المال إلى الله؟
هذه الإضافة تربوية عظيمة: المال ليس ملكًا لك مطلقًا، بل هو مال الله الذي استخلفك فيه. فإذا أمرك الله أن تعطي العبد الذي يكاتبك جزءًا من المال (كأن تعينه على دفع مال الكتابة، أو تضع عنه بعضه)، فلا تبخل، فالمال في الحقيقة لله.
.2تصحيح مفهوم الملكية وتعزيز التكافل
الآية تصحح مفهومًا خاطئًا: أن المال ملك مطلق للسيد. بل هو عطاء من الله، ومن شكر هذه النعمة أن تنفق في سبيل تحرير العبيد، وهذا هو التكافل الاجتماعي بأعلى صوره: أن تشارك في تحرير إنسان.
.3الاستقلال المالي وحريته
الآية تؤكد أن الاستقلال المالي طريق للحرية. عندما يملك الإنسان قدرة على الكسب والوفاء، يصبح أحق بالحرية. وهذا يشجع على العمل والإنتاج، ويحارب ثقافة الاتكالية.
الامر الخامس: "وَلَا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ" – حماية الكرامة ومكافحة الاستغلال
.1من هن الفتيات؟ وما البغاء؟
"فتياتكم" أي الإماء اللاتي تملكونهن. "البغاء" هو الزنا. الآية تحرم بشكل قاطع أن يجبر السيد جاريته على الزنا لجني المال، وهي مسألة كانت منتشرة في الجاهلية.
.2التوازن بين حماية الفتاة ومصلحة السيد
الآية تقول: "إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا" أي إذا أردن العفة. فإذا رغبت الجارية في العفة والتحصن، فلا يجوز للسيد أن يجبرها على الفاحشة لأجل المال. هذا تأكيد على أن رغبتها في الطهر مقدم على رغبة السيد في الربح، وهذا من أعظم تكريم الإسلام للإنسان.
.3موقف الإسلام من استغلال النساء ماديًا
هذه الآية تحارب فكرة أن جسد المرأة سلعة تباع وتشترى، حتى لو كانت مملوكة. فكيف بمن هن حرائر؟ إنها تضع حظرًا صارمًا على كل أنواع الإكراه على أعمال تخالف العفة والأخلاق، سواء كانت الزوجة، أو الابنة، أو الموظفة، أو أي شخص تحت ولايتك. لا يحق لك أن تجبر أحدًا على فعل محرم مهما كانت الأسباب المادية.
.4واجب كل منا في مساعدة الآخرين على العفة
أخي، أختي، إذا كنت في موقع قوة أو مسؤولية، فأنت مسؤول عن حماية من هم تحت يدك من الضعفاء. لا تدفع ابنك أو موظفك أو خادمك إلى بيئة فيها شبهات أو مخالفات لأجل مصلحة مادية. كن عونًا لهم على العفة لا سببًا في هلاكهم.
.5تحصين الفطرة وإعادة الكرامة
الآية تقول: "إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا" . الفطرة السوية للمرأة هي العفة والتحصن. والإكراه هو الذي يحيد بها عن فطرتها. الإسلام جاء ليعيد الكرامة لكل إنسان، ويمنع استغلال الضعفاء كما كان يفعل أهل الجاهلية.
الامر السادس: "وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِن بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" – رحمة الله بالمجبرات
.1ماذا تعني الآية؟
إذا أكرهت امرأة على الفاحشة، فالله يغفر لها، والإثم على من أكرهها. هذه رحمة واسعة من الله، تظهر عدله ورحمته.
.2سياق النزول ومفهوم الرحمة
نزلت هذه الآية في قصة "معاذ" وغيره ممن كان يجبرون إماءهم على الزنا. جاءت الآية لتبرئ الساحة للمجبرات، ولتؤكد أن الله لا يؤاخذ المكره. وهذا يظهر توازنًا اجتماعيًا رائعًا: حفظ الحقوق، و الرحمة بالضعيف، وتجريم المستغل.
.3منهج متكامل يوزن بين الشهوة والمال
الآيات الثلاث (31-33) من سورة النور تشكل منهجًا متكاملًا:
· آية الحجاب: حفظ الحدود.
· آية الزواج: تسهيل الحلال.
· آية الاستعفاف والمكاتبة: تربية النفس وتحرير المستضعفين ومنع استغلالهم.
إنها منظومة تحمي الفرد والمجتمع من الفساد الأخلاقي، وتنظم الحقوق المالية والاجتماعية.
.4الدروس المستفادة: التدرج في رفع الظلم
قصة الإماء ومعاذ تظهر أن الإسلام لم يأتِ ليهدم كل شيء دفعة واحدة، بل جاء للتدرج في رفع الظلم مع تثبيت المبادئ. هذه الآية كانت خطوة متقدمة جدًا في تحريم استغلال النساء، حتى في

مجتمع كان الرق فيه واقعًا.
خلاصة المفاهيم المستنبطة والدروس العملية:
1.العفة الذاتية هي أول خط دفاع: إذا تعذر الزواج، فعليك بالاستعفاف والصبر والصوم، وثق أن الله سيرزقك.
2.الثقة بالله وفضله: لا تخف الفقر، ولا تستعجل الحرام، فالرزق بيد الله.
3.الحرية حق لكل إنسان: المكاتبة نموذج رائع لمنح الإنسان فرصة الاستقلال، ونحن اليوم نطبقه بدعم العمال والموظفين ليتطوروا.
4.المال مال الله: لا تبخل في مساعدة من يسعى للحرية والصلاح.
5.تحريم الإكراه على الفاحشة: من أعظم صور حماية الكرامة الإنسانية .لا تجبر أحدًا تحت ولايتك على محرم.
6.رحمة الله واسعة: من أكره فلا إثم عليه، والله غفور رحيم.
ختام: هذه الآيات تنزل عليك الآن
أخي الحبيب، أختي الكريمة، هل شعرت أن هذه الآية تنزل عليك في هذا الزمان؟ كم من شباب يعانون من تعطيل الزواج فيُدفعون إلى الحرام أو اليأس؟ الآية تقول لك: استعفف، وانتظر فضل الله، ولا تيأس.
كم من عامل أو موظف أو تابع لديك يريد أن يتطور ويستقل، فتخشى أن تخسر خدمته؟ الآية تقول لك: إذا علمت فيه خيرًا فكاتبه، وساعده، وأعطه من مال الله الذي آتاك.
كم من ضعيف تحت إمرتك تخشى أن تستغله ماديًا أو تدفعه إلى ما يخالف الأخلاق؟ الآية تقول لك: لا تكره، فإن الله مع المكرهين غفور رحيم، وإثم ذلك عليك.
هذه الآيات هي دستور حياة لبناء مجتمع كريم، نظيف، متكافل، يحمي الضعفاء، ويشجع الطامحين، ويحارب كل صور الاستغلال.
اللهم اجعلنا من المستعففين، وأغننا بفضلك عن الحرام، ووفقنا لتحرير المستضعفين، وإكرام الضعفاء، واجعلنا من الذين يتوبون إليك ويفلحون. آمين.
خامسا
أخي الحبيب، أختي الكريمة، بعد أن غصنا في رحاب آيات العفة، والزواج، والاستعفاف، والمكاتبة، وتحريم الاستغلال، نأتي الآن إلى آية محورية فاصلة في سورة النور. إنها الآية التي تضع البوصلة، وتذكرنا بالهدف الأسمى من كل هذه التشريعات.
تأمل معي هذا النص القرآني العظيم:
"وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ" (النور: 34)
هذه الآية - رغم قصرها - تحمل في طياتها منهجًا متكاملًا للتعامل مع كتاب الله، وكيف نجعله نورًا يضيء حياتنا، ودستورًا نبني به أخلاقنا، وأسرنا، ومجتمعنا، وحضارتنا.
هيا بنا نعيش مع هذه الآية وكأنها تنزل علينا الآن، تخاطبنا شخصيًا، وتضعنا أمام المسؤولية.
الامر الاول: مفهوم الاعتزاز بالمنهج القرآني
1. "وَلَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ" – تشريف وتكليف
تأمل كيف بدأ الله الآية بالقسم المؤكد "وَلَقَدْ" . هذا التأكيد يدل على عظم الخبر وأهميته. إنه إعلا ن إلهي بأن ما أنزل عليكم ليس كلامًا عاديًا، بل هو منهج حياة. القسم هنا يحمل معنى التشريف: لقد خصصناكم بهذا الكتاب العظيم.
ثم قال "إِلَيْكُمْ" ، الخطاب موجه إلينا نحن المسلمين، ولكل من يقرأ هذا القرآن إلى يوم القيامة. إنه خطاب مباشر: أنت أيها القارئ، هذا الكتاب نزل إليك، لتتدبره، وتفهمه، وتطبقه.
2. "آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ" – الوضوح ورفع العذر
"آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ" أي واضحات في دلالتها، لا غموض فيها لمن أراد الهدى. هذه صفة عظيمة للقرآن: إنه ليس كتاب ألغاز، ولا نصوصًا مغلقة، بل آيات بينات تشرح الحق وتوضحه.
· ماذا يعني هذا لك؟ يعني أنك لست بحاجة إلى وسيط بينك وبين الله لتفهم دينك. القرآن واضح ، بين، يخاطب عقلك وفطرتك. العبرة ليست في كثرة التلاوة، بل في الفهم والتطبيق.
3. الاعتزاز بالمنهج: القرآن دليل عملي، لا مجرد نصوص للتلاوة
هذه الآية تغرس في قلبك الاعتزاز بهذا المنهج الرباني. ولكن الاعتزاز الحقيقي ليس مجرد شعور بـ الفخر، بل هو:
· أن تجعل القرآن مرجعك الأساسي في كل أمر: في أخلاقك، في قراراتك، في تربية أبنائك، في ع لاقاتك الأسرية، في تعاملك مع المجتمع.
· أن تدرك أن القرآن ليس كتابًا يقرأ في المناسبات فقط، بل هو دستور يومي.
· أن تتحول علاقتك مع القرآن من التلاوة الصوتية إلى التلاوة العملية، فكل آية تقرأها تبحث عن أثرها في سلوكك.
هل تعيش هذا الاعتزاز؟ هل عندما تواجه مشكلة في حياتك، تبحث عن حلها في القرآن؟ أم أن القرآن أصبح مجرد ورد يومي تنتهي منه ثم تعود لحياتك وكأن شيئًا لم يكن؟
الامر الثاني: المحاسبة الذاتية والتربية على التقوى

1. "وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ" – من هم المتقون؟
ختم الله الآية بأن هذه الآيات موعظة للمتقين. لماذا خص المتقين؟ لأن المتقي هو الذي يخاف الله في نفسه، ويحاسب نفسه، ويبحث عن النصح والإرشاد.
المتقون هم الذين:
· إذا سمعوا آية ازدادوا إيمانًا.
· إذا وعظوا انتفعوا.
· إذا أخطأوا بادروا بالتوبة.
· لا ينتظرون من يوبخهم، بل هم أشد الناس محاسبة لأنفسهم.
2. مفهوم التقوى: بناء المجتمع المسلم
التقوى ليست مجرد شعور بالخوف، بل هي برنامج عمل:
· تقوى في السر والعلن: أن تستحي من الله كما تستحي من الناس، بل أكثر.
· تقوى في الأخلاق: أن تتحلى بالصدق، والأمانة، والعفة.
· تقوى في العلاقات: أن لا تظلم أحدًا، وأن ترد الحقوق.
· تقوى في المجتمع: أن تسعى للإصلاح، وأن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر.
المجتمع الذي تسوده التقوى هو مجتمع نظيف، مستقر، متعاون. لأن كل فرد فيه يراقب الله في نفسه وفي تعامله مع الآخرين.
3. المحاسبة الذاتية الفردية: مراجعة يومية
الموعظة للمتقين تعني أن المسؤولية فردية قبل أن تكون جماعية. المتقي هو الذي:
· يجلس مع نفسه في نهاية كل يوم ويحاسبها: ماذا فعلت اليوم؟ هل غضضت بصري؟ هل حفظت لساني؟ هل أديت الأمانة؟ هل قصرت في حق أحد؟
· إذا وجد تقصيرًا، بادر بالتوبة، ولا يؤجلها.
· لا ينتظر أن يأتي من يوبخه أو يصلحه، بل يكون هو مصلح نفسه بنفسه.
هذا هو السر العظيم: المجتمع الذي أفراده يحاسبون أنفسهم لا يحتاج إلى شرطة أخلاق تراقبهم، لأ ن الرقابة الذاتية هي أعلى درجات الرقابة.
الامر الثالث: ثقافة الاعتذار والرجوع إلى الحق
1. التوبة مفهومها العملي: ترك العادات السيئة وإصلاح العلاقات
الموعظة للمتقين تدعو إلى التوبة العملية، وهي ليست مجرد كلمات تقال، بل:
· ترك العادات السيئة: سواء كانت عادات فردية (كالنظر الحرام، والغيبة) أو عادات اجتماعية (كالمغا لاة في المهور، والتفاخر في المناسبات).
· إصلاح العلاقات: أن تعتذر إذا أخطأت في حق أحد، وأن ترد المظالم، وأن تسعى في الإصلاح بين الناس.
2. ثقافة الاعتذار: علامة القوة لا الضعف
المجتمع الذي يعرف كيف يعتذر ويرجع إلى الحق هو مجتمع صحي. الاعتذار ليس ضعفًا، بل هو قوة إيمانية. النبي صلى الله عليه وسلم كان يعتذر ويقول: "إني لأستغفر الله في اليوم مائة مرة".
تأمل: كم من علاقات انقطعت بسبب كبر النفس ورفض الاعتذار؟ كم من أسر تفككت لأن أحد الطرفين لم يقل "أنا أخطأت"؟ هذه الآية تدعونا إلى أن نكون من المتقين الذين لا يستكبرون عن الرجوع إلى الحق.
3. الاستقرار الاجتماعي والفلاح النفسي
عندما تسود ثقافة التوبة والاعتذار والرجوع إلى الحق:
· تستقر الأسر: لأن الخلافات تحل قبل أن تكبر.
· يقل النزاع في المجتمع: لأن الناس لا يتمسكون بالخطأ عنادًا.
· ينتشر الفلاح النفسي: لأن الإنسان عندما يتوب يزيل عن نفسه عبء الذنب، ويشعر بالراحة و الطمأنينة.
الامر الرابع: الابتعاد والتفكر والاعتبار بالقصص والتاريخ
1. "وَمَثَلًا مِّنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ" – لماذا ذكر الله الأمم السابقة؟
القرآن لا يذكر لنا قصص الأمم السابقة للتسلية أو الحكايات التاريخية، بل للاعتبار والتفكر. "مَثَلًا" يعني عبرة وعظة.
ماذا نتعلم من هذا؟
· أن الله يريدنا أن نتعلم من أخطاء الآخرين، لا أن نكررها.
· أن سنة الله في الأمم واحدة: من أطاعه فاز، ومن عصاه خسر.
· أن التاريخ ليس مجرد ماض، بل هو دروس حية لمن يعتبر.
2. دراسة التاريخ للعبرة، لا للتسليه
كيف تطبق هذا في حياتك؟
· عندما تقرأ قصص الأنبياء والأمم السابقة في القرآن، لا تمر عليها مرورًا سريعًا، بل توقف وتأمل:

ما الخطأ الذي وقعوا فيه؟ هل أرتكبه أنا؟ ما العاقبة التي حلت بهم؟ كيف أتجنبها؟
· عندما ترى مجتمعات اليوم تنهار بسبب الفساد، اتعظ، ولا تقل "هذا شأنهم".
· عندما تسمع عن أمم عوقبت بالغرق أو الخسف أو الزلازل، تفكر في أن ذلك كان بسبب مخالفة أمر الله.
3. التفكر والاعتبار: طريق بناء المستقبل
الإنسان الذي يتفكر في التاريخ هو الذي يبني مستقبلًا أفضل. لأن العبرة تعلمه:
· ما يجب أن يفعله (اقتداء بالصالحين).
· ما يجب أن يتجنبه (اجتناب طرق الهالكين).
أمة لا تقرأ تاريخها، ولا تعتبر بأخطائها، هي أمة تكرر نفس الأخطاء.
الامر الخامس: الثقة المطلقة بالمنهج الرباني
1. لماذا خص الله المتقين بالموعظة؟
المتقون هم الذين يثقون بالمنهج الرباني ثقة مطلقة. لا يبحثون عن بدائل، ولا يشكون في حكمة الله، ولا يضعفون أمام الضغوط. يعلمون أن ما أمر الله به هو الخير المحض، وما نهى عنه هو الشر الخالص.
2. تحويل نور القرآن إلى عمل يومي
كيف نجعل القرآن منهج حياة لا مجرد نصوص نظرية؟
هذا هو السؤال الأهم الذي تطرحه الآية. إليك الطريق العملي:
أ. التدبر قبل التلاوة
لا تقرأ القرآن وكأنك تردد أغنية، بل اقرأه وكأنك تبحث عن رسالة موجهة إليك. قبل أن تفتح المصحف، اسأل نفسك: ماذا يريد الله أن يقول لي اليوم؟
ب. التطبيق الفوري
إذا مررت بآية فيها أمر، اسأل نفسك: هل أفعله؟ إذا نهي، هل أنتهي عنه؟ إذا وعد، هل أؤمن به؟ إذا توعد، هل أخاف منه؟
ج. جعل القرآن محكمًا في حياتك
· في الأخلاق: لتكن آيات القرآن هي التي تحدد صدقك، وأمانتك، وعفافك.
· في الأسرة: لتكن آيات القرآن هي التي تنظم علاقتك بزوجك وأولادك.
· في المجتمع: لتكن آيات القرآن هي التي ترشدك في تعاملك مع جارك، وصديقك، وزميلك.
د. تعظيم أحكام الله
المؤمن يُعظم أحكام الله، لا يتهاون فيها، ولا يبحث عن فتاوى تبيح له ما حرم الله. التعظيم هو أن ترى أن أوامر الله ليست اختيارية، بل هي واجبة الطاعة.
الامر السادس: ما الواجب العملي بعد تدبر هذه الآية؟
1. البداية من النفس
أخي الحبيب، هذه الآية تدعوك إلى مراجعة شاملة:
· هل أنا من المتقين الذين ينتفعون بالموعظة؟
· هل أعتز بالقرآن منهج حياة، أم أنه مجرد كتاب أقرأه في رمضان؟
· هل أحاسب نفسي يوميًا، أم أتركها تسبح في الأخطاء دون محاسبة؟
· هل أعتذر إذا أخطأت، أم أتمسك بموقفي كبرياء؟
· هل أتفكر في قصص الأمم السابقة، أم أقرأها كحكايات؟
2. دور هذه الآية في بناء الإنسان والمجتمع والدولة والحضارة
هذه الآية وحدها تحمل مشروع بناء متكامل:
بناء الإنسان: عبر التربية على التقوى، والمحاسبة الذاتية، والاعتزاز بالمنهج.
· بناء الأسرة: عبر تطبيق القيم القرآنية في العلاقات الأسرية.
· بناء المجتمع: عبر نشر ثقافة التوبة والاعتذار والإصلاح.
· بناء الدولة: عبر جعل القرآن دستورًا للحكم والقضاء والسياسة.
· بناء الحضارة: عبر استلهام نور القرآن في العلم، والعمل، والإبداع، والعدل.
3. لماذا اقترن الإنزال بآيات بينات، ومثل، وموعظة؟
هذه الثلاثية "آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا وَمَوْعِظَةً" تجمع كل ما يحتاجه الإنسان للهداية:
· الآيات البينات: العقائد والأحكام الواضحة.
· المثل من الذين خلوا: الدروس والعبر من التاريخ.
· الموعظة: التذكير والتربية الروحية.
من جمع هذه الثلاثة في حياته، فقد جمع أسباب الهداية كلها.
ختامًا: هذه الآية تنزل عليك الآن
أخي الحبيب، أختي الكريمة، هل شعرت أن هذه الآية تنزل عليك في هذه اللحظة؟
لقد أنزل الله إليك آيات بينات، ليس لتقرأها فحسب، بل لتعيشها. لقد جعل لك في قصص الأمم

السابقة عبرة، لتتعلم ولا تكرر الأخطاء. لقد جعل هذه الآيات موعظة لك، فهل أنت من المتقين الذين ينتفعون بالموعظة؟
توقف الآن واسأل نفسك:
· هل القرآن هو دليلي في حياتي اليومية؟
· هل أحاسب نفسي قبل أن أحاسب؟
· هل أعتذر إذا أخطأت، أم أصر على الخطأ؟
· هل أعتبر بمن كانوا قبلي، أم أظن أنني استثناء؟
تذكر: المتقون هم الذين ينتفعون بالموعظة. فاجعل نفسك منهم. ابدأ من اليوم: اجعل القرآن نورًا يضيء طريقك، ودستورًا تبني به حياتك، ومنهجًا تسير عليه حتى تلقى الله.
اللهم اجعلنا من المتقين، واجعل القرآن ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، وجلاء أحزاننا، وذهاب همومنا. آمين.

المقطع الثالث

يقول تعالى

{۞ اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ۖ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۗ يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَيَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ۗ وَاللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (35) فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ (36)رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالأَبْصَارُ (37) لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ (38) وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ۗ وَاللهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ (39) أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (40) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ (41) وَلِلهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ ۖ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ (42) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ (43) يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الأَبْصَارِ (44) وَاللهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}(45)

المقدمه:

بعد أن رسمت سورة النور في نسيجها التشريعي والأخلاقي معالم المجتمع المسلم المتكامل، بدءًا من فرضية حفظ الفروج وحد الزنا (الآيات 1-10)، مرورًا بحادثة الإفك العظيمة التي طهرت عرض خير البرية (11-26)، ثم أحكام الاستئذان وآداب الدخول إلى البيوت (27-29)، وأمر غض البصر وحفظ الفروج (30-31)، وتشريع الزواج والاستعفاف (32-33)، جاء هذا المقطع القرآني (من الآية 35 إلى 45) ليرتقي بالخطاب من دائرة الأحكام العملية إلى أفق التوحيد والنور الإلهي، مؤكدًا أن كل تلك التشريعات إنما هي تجليات لنور الله في حياة المؤمنين، ومبينًا المصدر الحقيقي للهداية والصلاح الذي تستمد منه القلوب والمجتمعات حياتها.

فبعد أن ختم السياق السابق بقوله تعالى: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ} (النور: 34)، أشار إلى أن ما سبق من أحكام وعبر هو نور بين وموعظة؛ ثم شرع في ضرب المثل الأعلى لهذا النور الإلهي الذي به تستنير القلوب وتصلح المجتمعات.

علاقة هذا المقطع بالسياق العام للسورة

سورة النور هي سورة المجتمع المؤمن بامتياز، عنيت ببناء الأسرة والمجتمع على أسس من الطهارة و العفة والأمن والستر، ولهذا جاءت أحكامها متكاملة لتغرس في النفس رقابة الله أولًا ثم رقابة المجتمع المؤمن

ثانيا وهذا المقطع يمثل الارتباط الرأسي لهذه التشريعات بمصدرها ومقصدها:

· ربط التشريعات بالتوحيد: فكل الأحكام السابقة - من حد الزنا إلى غض البصر وآداب الاستئذان - لا تكون مجرد نصوص جامدة، بل هي نور من نور الله يضيء حياة العبد إذا تلقاها بقلب منير.

· الانتقال من المحاذير إلى المقاصد: بعد أن حذرت السورة من المخالفات الأخلاقية والسلوكية) الزنا، القذف، الإفك، التبرج، الدخول بغير استئذان(، جاء هذا المقطع ليرسم الصورة المشرقة للمؤمن الذي عاش في ظل هذا النور، ويربط بين طاعة الله ورسوله وبين نورانية القلب.

· التهيئة للمقطع التالي: هذا المقطع يمهد لما بعده من آيات46) - (57التي تتحدث عن الاستجابة لله والرسول، وموقف المنافقين من الدعوة، فيكون المقطع كله بمثابة تأصيل لمبدأ الطاعة والإيمان بالنور الإلهي.

ارتباطه بالآيات السابقة (من أول السورة حتى الآية 34)

إن الآيات السابقة تناولت قضايا كبرى في بناء المجتمع الطاهر:

.1حد الزنا) الآيات1 - (10لتطهير المجتمع من الفاحشة.

.2حادثة الإفك11) - (20لتطهير المجتمع من جريمة القذف وافتراء الأبرياء.

.3النهي عن التساهل في الفاحشة21) - (26لتأصيل مبدأ البراءة من أهل الباطل.

.4آداب الاستئذان27) - (29لترسيخ مفهوم الحرمة والخصوصية.

.5غض البصر وعدم التبرج30) - (31لحماية الأعراض وصون المجتمع.

.6الأمر بالزواج والإعفاف32) - (33لسد الذرائع المؤدية إلى الفاحشة.

ثم ختم هذا السياق بقوله: {وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ} (34) كأنه إعلان بأن هذه الأحكام هي نور مبين، ثم جاءت الآية 35 لتقول: هذا النور الذي أنزلناه إنما هو من نور الله الذي لا ينطفئ، وهو الذي يضيء في قلب المؤمن.

فالمقطع الجديد (35-45) يقدم البعد الروحي والكوني لهذه الأحكام، فيظهر أن أوامر الله ليست قيودًا، بل هي تجليات لنوره الذي يملأ الكون، وأن من يلتزم بها يعيش في نور الله، ومن أعرض عنها

يعيش في ظلمات متعددة.
أهم المواضيع التي تتحدث عنها آيات هذا المقطع
تشتمل الآيات (35-45) على موضوعات عظيمة، يمكن إجمالها في:
.1آية النور العظمى(35) : مثل النور الإلهي في قلب المؤمن، وتشبيه ذلك بالمشكاة والزجاجة و الكوكب الدري، مما يدل على تنوع مصادر النور في المؤمن: فطرته السليمة) المشكاة(، وصفاء قلبه)الزجاجة(، وإيمانه المستنير بالوحي) المصباح(، وتأييده بروح القدس) الزيت المبارك.(
.2بيوت الله وعمارتها بالذكر36) -(38: الانتقال من النور القلبي إلى النور العملي في المساجد، حيث يذكر فيها اسم الله، ويسبحه رجال لا تلهيهم تجارة عن ذكره، ويبين جزاء أولئك العابدين: المغفرة وا لأجر العظيم، والزيادة من فضل الله.
.3حال الكافرين وأعمالهم الباطلة39) -(40: ضرب مثلين لحال من كفر بالله وأنكر هدايته:
· كالسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، ووجد الله عنده فوفاه حسابه.
· كظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، ظلمات بعضها فوق بعض.
.4مظاهر قدرة الله في الكون41) -(45: التسبيح العام لكل ما في السماوات والأرض، وبيان أن الله خلق كل دابة من ماء، وتفاوت مناهجها في الحركة) يمشي على بطنه، أو على رجلين، أو على أربع(، وإثبات ملكوت السماوات والأرض، وعلم الله التام بتفاصيل الخلق، وأن كل شيء تحت قدرته وتصريفه.
.5إثبات التوحيد الخالص: هذه الآيات مجتمعة ترسي عقيدة أن الله هو النور الحقيقي، وأن الهداية والإضلال بيده، وأن كل مخلوق خاضع له، مما يعزز في نفس المؤمن اليقين بأن كل الأوامر والنواهي التي سبقت في السورة إنما صادرة عن الخالق المدبر لكل شيء.
وهكذا يأتي هذا المقطع بمثابة القلب النابض للسورة، يجمع بين نور التوحيد في القلوب، ونور العبادة في البيوت، ونور القدرة في الآفاق، ليكون المؤمن على بينة من أمره، يعلم أن طاعة الله والالتزام بشرعه هي العيش في النور، وأن الإعراض عنها هو الوقوع في ظلمات بعضها فوق بعض.

الامر الاول

تفسير ايه النور الايه(٣٥)
انها تأخذك في رحلة متكاملة، رحلة من القلب إلى القلب، ومن النور إلى النور. رحلة إلى النور: عندما تخاطبك الآية بنفسها
تأمل معي... أنت الآن على وشك أن تقف أمام أعظم آية في القرآن عن النور. آية لا تقرأها فقط، بل تعيشها. آية تريد أن تدخل إلى قلبك، لا إلى عقلك فقط. آية تجعلك تسأل نفسك: هل أنا من أهل هذا النور؟ أم أنا أعيش في ظلمات بعضها فوق بعض؟
تعال... لنخوض هذه الرحلة معاً.
أولاً: عندما يخبرك الله : "أنا النور"... فماذا يعني ذلك لك أنت؟
{اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}
هذه الكلمات ليست مجرد خبر. إنها إعلان. إعلان أن كل نور تراه في هذا الكون هو قطرة من بحر نوره.
فكر معي للحظة:
النور الذي تراه في السماء ...الشمس والقمر والنجوم ...هل هي مستقلة بنفسها؟ كلا، هي مخلوقة من نوره، تسخيراً لك، لتضيء لك الطريق في ليلك.
· والنور الذي تبصره في قلبك ...حين تستيقظ فجأة على إجابة لسؤال حيرك، أو حين تشعر بطمأنينة تسكن روحك في لحظة ضيق ...من أين أتى؟ أليس من الله؟ إنه نوره المعنوي الذي يضيء بصيرتك.
الله نور السماوات والأرض حسياً ومعنوياً:

· النور الحسي: ما تراه عيناك من ضياء في الكون .الله هو من خلقه، وهو من أودع فيه هذه الخاصية العجيبة التي تجعلك ترى به الأشياء.
· النور المعنوي: ما تبصره بصيرتك من هداية وإيمان ويقين .الله هو من يَقذفه في قلبك، فيجعلك ترى الحقائق كما هي، لا كما تزينها لك الأوهام.
والآن... أجبني بصدق:
هل كنت تشعر أحياناً أنك في ظلمة؟ لا تقصد ظلمة الليل، بل ظلمة في القلب، حيرة في الطريق، ضبابية في الرؤية، لا تعرف أين تذهب، ولا من تثق، ولا أي قرار تتخذ؟
هذه هي الظلمات التي خلق الله نوره ليزيلها.

الامر الثانى

القاعدة الذهبية التي تريد الآية أن تغرسها في أعماقك
الآية تريد أن تضع في قلبك قاعدة واحدة، إن تمسكت بها، أضاءت لك الدنيا والآخرة:
القاعدة: أن الله وحده هو المصدر الأوحد لكل نور في حياتك. لا شمس تضيء بذاتها، ولا عقل يهتدي بنفسه، ولا قلب يستنير من تلقاء نفسه. كل نور - حسي أو معنوي - هو من عنده.
كيف تستفيد من هذه القاعدة في حياتك العملية الآن؟

١/ ً: لا تبدأ أي قرار مهم قبل أن تستشعر أنك تقف بين يدي الله النور. قل في نفسك: "يا رب، أنت النور، فأنِر بصيرتي حتى أرى الحق واضحا". لا تكتفِ بمشورة الناس، ولا بذكائك وحدك، بل اجعل استمداد النور من الله هو خطوتك الأولى.

٢/ ً: حين تضيق بك السبل، وتتعدد أمامك الطرق ولا تدري أيها تسلك، تذكر أن موسى عليه السلام وقف أمام البحر من جهة والعدو من جهة أخرى، فلم يقل: سأفكر بحل، ولم يقل: سأنتظر مشورة. ق ال: {كلّا إنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِين}. هذا هو ربط القلب بمصدر النور. الله معي، وهو سيهديني.

٣/: لا تعتمد على الأسباب وحدها. خذ بالأسباب، ولكن لا تعلق قلبك بها. علق قلبك بالله. فكم من إنسان أخذ بكل الأسباب فلم تنفعه، وكم من إنسان كان في ظلمات فجاءه نور من حيث لا يحتسب لأنه تعلق بالله.

الامر الثالث

ما هي هذه الظلمات التي تحيا فيها دون أن تشعر؟

الآية تريد أن تفتح عينيك على حقيقة: أنت تعيش وسط ظلمات متعددة، قد لا تراها لأنك تألفتها، لكنها تحجب عنك النور.

تأمل معي هذه الظلمات التي تخنق روحك ربما دون أن تدري:

.1ظلمة الكفر والشرك: أن تعيش بلا إله، أو تعبد غير الله .هذه أعظم ظلمة، لأنها تحجب عنك أصل النور.

.2ظلمة الجهل: أن تجهل الحق، أو تعلمه ثم تغض الطرف عنه .الجهل ظلمة لأنه يجعلك لا ترى الأ شياء على حقيقتها.

.3ظلمة المعصية: كل ذنب ترتكبه يترك في قلبك نقطة سوداء، تتكدس حتى يصبح القلب مظلماً لا ينفذ إليه نور.

.4ظلمة الشهوة: عندما يتحكم هواك في عقلك، فلا تبصر عواقب أفعالك.

.5ظلمة الحيرة والضياع: عندما تدور في دائرة من الأسئلة بلا إجابات، وتتخبط في قراراتك بلا طمأنينة.

***وما علاقة قاعدة "الله نور السماوات والأرض" بهذه الظلمات؟

ببساطة: كل هذه الظلمات لا تزول إلا بنور الله. فكما أن ظلمة الليل لا تزول إلا بشروق الشمس، كذلك ظلمات القلب لا تزول إلا بشروق نور الله فيه.

الامر الرابع

: المثل العجيب... والسر الذي يخصك أنت

ثم تضرب الآية مثلا ً أعظم، ليس لتتأمله فقط، بل لتعيش داخله:

}مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ{

الآن... تخيل أن هذا المثل يتحدث عنك أنت.

المشكاة (الكوة في الجدار): إنها صدرك.

هذه الكوة كانت توضع في الجدار لتجمع الضوء وتوجهه. صدرك هو وعاء النور. إذا أردت أن يجمع صدرك نور الإيمان، فيجب أن يكون فارغاً من الأوساخ التي تشغله عن الله.

المصباح: هو نور الإيمان والقرآن الذي في قلبك.

هذا المصباح هو الذي يضيء حياتك. لكنه يحتاج إلى وقود وزيت.

الزجاجة: هي قلبك نفسه.

الزجاجة الشفافة النقية تمرر الضوء وتعكسه. والقلب النقي الصافي يمرر نور الإيمان إلى جوارحك فينعكس على سلوكك وأخلاقك.

اسأل نفسك الآن: هل قلبي كالزجاجة الصافية النظيفة؟ أم هو مغبر بالذنوب، مكدّر بالشهوات، معتم بـ الغفلات؟

الكوكب الدري: هو تلألؤ هذا النور.

إذا صفا قلبك، واتقد فيه نور الإيمان، فإن إيمانك يتلألأ كالكوكب الدرّي، يراه الناس في أخلاقك، في كلامك، في تعاملك، في سكينتك.

الشجرة المباركة الزيتونة: هي فطرتك السليمة.

هذه الشجرة ترمز إلى الأصل الطيب الذي فطرك الله عليه. فطرة التوحيد، فطرة معرفة الله، فطرة الميل إلى الحق والخير. هذه الفطرة موجودة فيك، لكنها بحاجة إلى من يشعلها.

لا شرقية ولا غربية: الوسطية والاعتدال.

هذه الشجرة لا تميل إلى الشرق ولا إلى الغرب، بل هي قائمة في وسطها. هكذا يجب أن تكون أنت: لا تميل إلى اليهودية والنصرانية (المشرق والمغرب في رمزية الانحراف)، ولا إلى الفلسفات الوافدة، و لا إلى الغلو ولا إلى التقصير. كن مسلماً وسطاً عدلا ً، تتبع الحق أين كان، ولا تنحرف مع تيارات

الفكر المادي شرقاً أو غرباً.
يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار: قرب الفطرة من الإيمان.
فطرتك السليمة تكاد تهتدي بنفسها لولا أن الشبهات والشهوات تحجبها. أنت مجبول على حب الحق، لكنك تحتاج إلى من يشعل هذا الوقود، وهذا الشاعل هو الوحي.
نور على نور: اجتماع الأنوار.
هنا الذروة. تجتمع أنوارك كلها: نور الفطرة، ونور العقل، ونور الوحي، ونور الإيمان، ونور العمل الصالح. كلها تصبح نوراً واحداً يضيء لك الدنيا والآخرة.
الآن... أجبني:
أتحس أنك تعيش هذا "النور على نور"؟ أم أنك لا تزال في ظلمات بعضها فوق بعض؟ لا تحكم على نفسك بعجلة، فالرحلة بدأت للتو.

الامر الخامس

لماذا هذا المثل؟ ولماذا بهذه الدقة؟
الله يضرب لك هذا المثل لأنه يريد أن يعلمك منهجاً عملياً لإنارة قلبك. المثل ليس مجرد صورة جميلة، بل هو خريطة طريق.
ما هي الرسائل العملية التي يريدها الله لك من هذا المثل؟
الرسالة الأولى: طلب النور من مصدره
"يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ"
لا تجتهد ثم تنتظر نتيجة من غير الله. أنت تسعى، وتأخذ بالأسباب، ولكن النور من عنده. إذا شعرت بالحيرة، إذا ضاقت بك السبل، إذا تداخلت أمامك الخيارات فلم تعرف الصواب، فارفع يديك وقل: "يا رب، أنت النور، أخرجني من ظلمة الحيرة إلى نور اليقين".
الرسالة الثانية: أنقِ قلبك (المشكاة)
القلب هو المشكاة التي تحتوي النور. إذا أردت أن ينير قلبك، فأنقِه من:
· الذنوب: بالتوبة النصوح.
· الأخلاق السيئة: كالحسد، والكبر، والحقد، والغل.
· الشبهات: بتعلم العقيدة الصحيحة.
· الشهوات: بغض البصر وكف النفس.
تذكر: القلب الملوث لا يستقبل النور، كما أن المكان المليء بالقاذورات لا تدخله أشعة الشمس.
الرسالة الثالثة: أخلِص العمل لله (الشجرة المباركة)
العمل الصالح الذي ينير قلبك يجب أن يكون:
· خالصاً لله: لا تخلطه بالرياء، ولا تنتظر عليه ثناء الناس.
· متبعاً للسنة: لا تبتدع في الدين ما ليس منه.
· معتدلاً: لا غلو ولا تقصير.
لا شرقية ولا غربية: لا تكن متأثراً بالفكر المادي الشرقي (كالبوذية والإلحاد الشرقي)، ولا بالفكر المادي الغربي (كالمادية والإباحية). كن مسلماً، منهجك من عند الله، لا من عند البشر.
الرسالة الرابعة: اجمع بين نور الفطرة ونور الوحي
فطرتك وحدها لا تكفي، والوحي وحده قد لا تفهمه إن لم يكن قلبك نقياً. أنت تحتاج إلى الاثنين معاً: عقل سليم، ووحي منزل.
واسمح لي أن أنقل لك كلمة جميلة لابن القيم رحمه الله، يشبه بها هذه الحقيقة:
قال: "فالقرآن نور، والعقل نور، فإذا اجتمعا تم الأثر، واستنار الطريق، وانكشف المقصد، وإذا افترقا اختل الأمر، وكثر الضلال. فالعقل كالزجاجة، والقرآن كالسراج، والسراج لا يضيء إلا في زجاجة صافية، وإلا ففي الزجاجة الكدرة يضعف ضوءه، وكثيراً ما ينطفئ. فالعقل الصحيح يضيء نور القرآن، ويقويه، والقرآن يزيد العقل نوراً على نوره، فيصير نوراً على نور".
الرسالة الخامسة: ابشر ولا تيأس
{يَهْدِي اللهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}
هذه الآية تحمل بشرى: أن الله يهدي من يشاء. وأنت إذا سعيت بصدق، فأنت ممن يشاء الله هدايته. لا تجعل إحساسك بالتقصير يمنعك عن طلب النور، فالله غفور رحيم، يريد بك الخير.

الامر السادس

كيف تطبق هذا كله في واقع حياتك اليوم؟
الآن ننتقل من النظرية إلى التطبيق. كيف تجعل هذه الآية تسري في دمك، وتتحول إلى واقع تعيشه ؟
1. اقطع المسافة بين قلبك والله
المسافة بينك وبين الله لا تقطع بالأقدام، بل بخطوات القلب. كيف تقطعها؟
· اربط قلبك بالله في كل صغيرة وكبيرة: لا تشرك أحداً مع الله في تعلقك .إذا أردت شيئاً، فاسأله هو .إذا خفت شيئاً، فاستعذ به هو .إذا حرت، فاستهدِ به هو.
· اجعل "يا الله" أول كلمة في همّك: عندما تواجه مشكلة، لا تبدأ بالتفكير في البشر، ولا بالاتصال بف

لان .ابدأ برفع قلبك إلى الله .استحضر أن الله معك كما قال موسى:} كلّا إنّ مَعِيَ رَبّي سَيَهْدِين.{
.2نظّف قلبك باستمرار
الزجاجة إذا لم تنظف، لا يمر الضوء من خلالها. والقلب إذا لم يطهر، لا ينفذ إليه النور.
· تطهر يومياً بالتوبة: لا تؤجل التوبة .كل يوم، كل ساعة، كل ذنب.
· تطهر بالذكر: الذكر يلمع القلب كما يلمع المرآة.
· تطهر بالبعد عن المعاصي: كل معصية تترك ظلمة في القلب .أغمض عينيك عن الحرام، واغضض بصرك، واحفظ جوارحك.
.3استمد من المنهج الرباني لا من الأهواء
لا تكن إنساناً "شرقياً" أو "غربياً" في فكرك وسلوكك. كن إنساناً ربانياً.
· القرآن وسنة النبي صلى الله عليه وسلم هما مصدرك الوحيد .لا تخلط بين دين الله وبين العادات والتقاليد، ولا بين الدين وبين الفلسفات الدخيلة.
· كن وسطاً: لا تغلو فتنحرف، ولا تفرّط فتنحرف .اعتدال في العبادة، اعتدال في المعاملة، اعتدال في الإنفاق، اعتدال في كل شيء.
.4اعلم أن الهداية سلسلة غير منتهية
ليس صحيحاً أنك إذا اهتديت مرة انتهى الأمر. الهداية تتجدد كل يوم، وكل لحظة.
· كلما أخلصت زاد نورك: الإخلاص يزيدك هدى.
· كلما عملت صالحاً زاد نورك: العمل الصالح يزيدك بصيرة.
· كلما ذكرت الله زاد نورك: الذكر ينير القلب والوجه.
.5كن عبداً لله وحده
عندما تصل إلى هذه المرحلة، لن يبقى في قلبك إلا الله. لا ترجو إلا الله، ولا تخاف إلا الله، ولا تطلب النور إلا منه. حينها تصبح كمن قال الله فيهم: {اللهُ وَلِيُّ الذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ}.

الامر السابع

ما معنى "النور" في العمق؟ ولماذا هو أهم مما تتصور؟
النور في اللغة هو ما يوصلك إلى إدراك حقيقة الأشياء.
· الضوء الحسي يوصلك إلى رؤية لون الشيء وشكله.
· النور المعنوي يوصلك إلى رؤية حقيقة الشيء، هل هو حق أم باطل؟ هل هو خير أم شر؟ هل هو نافع أم ضار؟
ولهذا قال الله عن الكافرين: {في ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ}. لأنهم في ظلمات تحجب عنهم رؤية الحقائق.
عندما تقرر أن تصير من أهل النور، فإنك تقرر أن تبصر ما لا يبصره غيرك: تبصر حقيقة الدنيا فتعرف أنها فانية، تبصر حقيقة المال فتعرف أنه وسيلة لا غاية، تبصر حقيقة الناس فتعرف من تثق ومن تحذر، تبصر حقيقة نفسك فتعرف عيوبها فتصلحها.

الامر الثامن

العقل والوحي والنفس... كيف تتكامل لتنتج النور؟
ربما تسأل: ما دور عقلي في كل هذا؟ وما دور وحي الله؟ وما دور نفسي؟
دعني أشرح لك هذه المعادلة العجيبة التي أشار إليها المثل:
العقل البشري (المصباح)
العقل هو وعاء الإدراك. لكن العقل وحده محدود. قد يصل إلى طريق مسدود. كم من أذكياء العالم ضلوا لأن عقولهم وحدها لم تكفهم لمعرفة الله ومعرفة الحقائق الكبرى.
الوحي (النار التي توقد المصباح)
الوحي هو الذي يمد العقل بنور خارجي، يزيده رؤية، ويكمل عجزه. العقل كالمصباح لا يضيء بلا وقود. والوقود هو الوحي.
النفس (الزجاجة)
النفس هي التي تمرر النور أو تحجبه. إذا كانت النفس مدنسة بالمعاصي، كدرت الزجاجة، فخرج النور ضعيفاً مشوهاً، أو لم يخرج أصلاً. وإذا كانت النفس زكية طاهرة، صفت الزجاجة، فتلألأ النور وتألق.
لهذا تجد أن العلماء العاملين، الذين زكوا أنفسهم، يبصرون من الحقائق ما لا يبصره غيرهم، لأن قلوبهم صافية، فنور الوحي انعكس فيها فازدادوا بصيرة.

الامر التاسع

من هو الإنسان الذي يريد الله أن تصير إليه؟
الآية تريد أن تحولك. تحولاً جذرياً. من حال إلى حال.
من همجي متوحش...
لا دين يربطه، ولا خلق يزينه، ولا هدف يوجهه.
إلى إنسان متحضر...
يعيش بين الناس بأخلاق.

ثم إلى إنسان أخلاقي...
يتميز بالصدق والأمانة والعفة.
ثم إلى إنسان رباني...
يرى بنور الله، يمشي في الناس بنور الله، يتخذ قراراته بنور الله، يفرح ويحزن لله.
هذا هو الهدف. ليس فقط أن تكون مسلماً بالاسم، بل أن تكون مسلماً بالنور، مسلماً بالبصيرة، مسلماً بـ القلب قبل الجسد.

الامر العاشر

أسئلة أخيرة... لتختبر بها نفسك
بعد هذه الرحلة الطويلة في نور الآية، توقف للحظة واسأل نفسك:
.1هل أنا حقاً أطلب الهداية من الله في كل شأن من شؤوني؟ أم أنني أعتمد على عقلي وخبرتي وحدها؟
.2هل قلبي كالمشكاة النقية التي تجمع النور؟ أم أن فيه أوساخاً من ذنوب وشبهات وشهوات؟
.3هل عملي كالشجرة المباركة، لا شرقية ولا غربية، خالصاً لله متبعاً للسنة؟ أم فيه شوائب من رياء أو بدعة أو ميل إلى الفكر الوافد؟
.4هل أنا أجمع بين نور الفطرة ونور الوحي؟ أم أن فطرتي معطلة أو أن وحي الله مهجور؟
.5هل أنا في زيادة مستمرة من النور؟ أم أن نوري بدأ يخفت بسبب الغفلات؟
.6عندما تواجهني مشكلة، أين يتجه قلبي أولاً ؟ إلى الله أم إلى البشر؟
خاتمة: نور على نور... وأنت في القلب
الآن... وقد انتهت هذه الرحلة، لا تتركها تنتهي بانتهاء القراءة. اجعلها بداية.
تخيل أن الله قد جعل قلبك هو المشكاة. اجعله نظيفاً.
تخيل أن نور الإيمان قد اشتعل في قلبك كالمصباح. تغذه بالطاعة والذكر.
تخيل أن نفسك قد صارت كالزجاجة الصافية، تعكس نور إيمانك للناس في أخلاقك وسلوكك.
تخيل أن عملك قد صار كالشجرة المباركة، لا يميل إلى شرق ولا غرب، بل هو قائم على الحق الخالص.
تخيل أن الله قد جمع لك نور الفطرة ونور العقل ونور الوحي ونور العمل، فأصبحت نوراً على نور.
{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}
اسأل الله بصدق أن يجعلك من أهل هذا النور. اسأله أن يخرجك من الظلمات إلى النور. اسأله أن يجعل قلبك مشكاة لنوره. اسأله أن يجعلك كوكباً درياً يضيء لمن حولك.
وإذا سألت بصدق، فاعلم أن الله لا يرد سائلاً ، جاء يطلب النور من مصدر النور.
اللهم اجعل في قلبي نوراً، وفي بصري نوراً، وفي سمعي نوراً، وعن يميني نوراً، وعن يساري نوراً، ومن أمامي نوراً، ومن خلفي نوراً، واجعل لي نوراً، ونوراً في قبري، ونوراً في عظامي، وزدني نوراً، واجعل لي نوراً على الصراط، واجعلني من أهل النور يوم القيامة.

المبحث الثاني

اضافه تكمليه لتحويل الايه الى مشروع بناء الانسان والمجتمع والحضارة الإسلامية وفق الرؤيه الاسلاميه في. هذه الايه
تأمل معي: هل تعتقد أن هذه الآية نزلت فقط لتقرأها في المحراب؟ أم أنها نزلت لتبني بك إنساناً، ثم تبني بك مجتمعاً، ثم تقود بك حضارة؟ إنها ليست آية تلاوة فقط، بل هي آية بناء.
الجزء التكميلي: عندما تصبح الآية مشروع بناء للإنسان والمجتمع والحضارة
الامر الاول: دور الآية في بناء الإنسان الفرد... أي بنائك أنت
لنتوقف قليلاً . أنت الآن تقرأ هذه الكلمات. لكن هل شعرت يوماً أن هناك مسافة بين قلبك والله؟ هل شعرت أن هناك غشاوة على بصيرتك؟ هذه الآية جاءت لتزيل هذه المسافة.
.1تنوير القلب والعقل: كيف يحدث ذلك عندما تربط قلبك بمصدر النور؟
تخيل أنك في غرفة مظلمة. لا ترى شيئاً. تخاف أن تخطو خطوة. فجأة، يُضاء مصباح قوي. ماذا تشعر؟ الأمان، الطمأنينة، القدرة على الرؤية، القدرة على الحركة.
هذا ما تفعله الآية عندما تعلن: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. هي تقول لك: لا تبحث عن النور في الأسباب، ولا في الناس، ولا في عقلك وحدك. النور كله عند الله. فاربط قلبك به.
ماذا يحدث عندما تربط قلبك بالله؟
· تمنح البصيرة: تصبح ترى الأمور على حقيقتها. لا تخدعك المظاهر. ترى من ينفعك ومن يضرك. ترى الطريق الذي يوصل إلى الله والطريق الذي يبعدك عنه.
· تمنح السكينة: الهموم لا تزول بانعدام الأسباب، بل تزول بوجود النور. عندما تعلم أن الله معك، وأنه سيهديك، تسكن نفسك. قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}.
· تزيل هموم الدنيا: أكثر همومنا تأتي من الحيرة، من عدم معرفة الصواب، من الخوف من المستقبل. النور يمحو هذه الظلمات كلها.
اسأل نفسك الآن: عندما تضيق بك الدنيا، إلى من تلجأ؟ هل تجعل الله هو ملاذك الأول؟ أم أنك تجري وراء الناس والأسباب ثم تذكر الله بعد ذلك؟

.2اجتماع نور الفطرة مع نور الوحي: كيف يرشدك إلى الصراط المستقيم؟
أنت تحمل في داخلك فطرة سليمة. هذه الفطرة تخبرك أن هناك إلهاً، أن هناك حقاً، أن هناك عدلاً.
لكن هذه الفطرة وحدها قد تتشوش بسبب البيئة، أو التربية، أو الشهوات.
ثم يأتي الوحي ليصحح لك المسار، ليخبرك بصفات الله، ليأمرك وينهاك، ليرسم لك الطريق بوضوح.
عندما يجتمع نور الفطرة ونور الوحي:
· لا تعبد إلهاً من خيالك، بل تعبد الله كما عرّف بنفسه.
· لا تبتدع في الدين، بل تتبعه كما أنزل.
· لا تخلق أخلاقاً من عندك، بل تتخلق بأخلاق القرآن.

هذا الاجتماع هو "نور على نور" الذي تتحدث عنه الآية.
.3تعميق الإيمان والخشية
عندما تدرك أن الله هو النور الحقيقي، وأنه يهدي من يشاء، وتشعر أن هذا النور دخل قلبك فأناره، ماذا يحدث؟ تنمو في قلبك الخشية. ليس خوف جبان يهرب، بل خوف محب يوقر. تخشى أن تفقد هذا النور، فتتقي الله، فتحافظ على الطاعة، فتبتعد عن المعصية.
.4الطهارة الداخلية للقلب: الشفاء من أمراض الغفلة والهموم
الآية تشبه قلب المؤمن بالزجاجة. لماذا الزجاجة؟ لأنها شفافة. لا عتمة فيها، ولا شوائب تمنع النور.
اسأل نفسك بصدق: هل قلبك شفاف؟ أم أن عليه طبقات من:
· الغفلة: تمر الأيام وأنت لا تشعر بوجود الله معك.
· الهموم: تفكر كثيراً ولا تجد مخرجاً.
· الحقد والحسد: تضيق بغيرك إذا أوتي خيراً.
· الشبهات: لا تدري ما الحق وما الباطل.
الآية تقول لك: يمكن لهذه الأوساخ أن تزال. كيف؟ بتنظيف القلب بذكر الله، وبالتوبة، وبالعمل الصالح. فإذا صفا القلب كالزجاجة، دخلته أنوار الله، وخرجت منه الظلمات.

الامر الثاني

دور الآية في بناء المجتمع المسلم... عندما يصبح النور جماعياً
الآن، لننتقل من أنت إلى نحن. هذه الآية لا تبني فرداً منعزلاً، بل تبني مجتمعاً متكاملاً.
.1ترسيخ الأمن النفسي والاجتماعي بإضاءة نور الإيمان في سلوك الأفراد
تخيل مجتمعاً كل فرد فيه يعلم أن الله معه، وأن الله نوره، وأنه لا يخاف إلا الله. ماذا يحدث؟
· الأمن النفسي: يختفي القلق الاجتماعي. لا يخشى الإنسان من غيره ظلماً، لأنه يعلم أن النور معه.
· الأمن الاجتماعي: عندما يؤمن الناس بأن الله يراهم، وأن الحساب آت، يقل الظلم، وتقل الجريمة، وتقل الخيانة. لماذا؟ لأن كل إنسان يحمل في قلبه رقيباً داخلياً هو نور الإيمان.
أليست المجتمعات التي تسودها القيم المادية تعاني من انعدام الأمن، رغم كثرة الشرطة والقوانين؟ لأن الأمن الحقيقي يأتي من الداخل، من نور في القلوب، لا من قوانين في الخارج.
.2التقارب والوحدة من خلال الاعتدال والوسطية) لا شرقية ولا غربية(
المجتمعات تتفتت عندما ينحرف أفرادها إلى تيارات متضاربة. بعضهم يميل إلى الشرق (فلسفات روحية منحرفة، أو جمود وتقليد)، وبعضهم يميل إلى الغرب (مادية مطلقة، إباحية، استهلاك).
الآية تقدم لك منهجاً وسطاً: شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية. أي مجتمع يقوم على هذا المنهج:
· لا ينحرف إلى اليسار المتطرف ولا اليمين المتطرف.
· لا يستورد أفكاراً غريبة عن هويته، ولا ينغلق عن كل جديد نافع.
· يجمع بين الأصالة والمعاصرة، بين الروح والمادة، بين الحق والواقع.
هذا الاعتدال يخلق وحدة حقيقية، لأن الناس تجتمع على منهج واحد، لا تتفرق إلى أهواء متضاربة.
.3مجتمع متعاون مستنير: قوة البناء
عندما يستنير أفراد المجتمع بنور الله، يصبحون:
· متعاونين: لأنهم يعلمون أن الله يحب الإحسان إلى الناس، وأن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً.
· مستنيرين: لا يعملون بجهل، بل يطلبون العلم، ويفهمون دينهم، ويدركون واقعهم.
· قادرين على البناء: لأنهم يملكون الرؤية الصحيحة للحياة، فيبنون بيوتاً على أساس التقوى، ويبنون اقتصاداً بالحلال، ويبنون علاقات على الأخلاق.
هذه الصفات هي أسباب قوة المجتمعات. أضعف المجتمعات هي التي تسودها الظلمات: الجهل، والأنانية، والانقسام.

الامر الثالث

: دور الآية في التنمية والبناء... كيف تبني حضارة من نور
الآن نصل إلى الجزء الأكبر: هذه الآية ليست فقط لتربية الأفراد، بل هي خارطة طريق لنهضة شاملة.
.1بناء الإنسان: التنمية البشرية والروحية معاً
التنمية الحقيقية ليست فقط بناء طرق ومصانع. التنمية الحقيقية تبدأ من بناء الإنسان. والآية تقدم

لك نموذجاً للإنسان القادر على العطاء:
زراعة نور الإيمان في القلب تعطيك:
· الاستقامة: فلا تنحرف عن الطريق.
· الإخلاص: فلا تعمل لغير الله، فيكون عملك متقناً.
· التوكل: فلا تقلق، لأنك تعلم أن النتائج بيد الله، فتسعى بلا هم.
النتيجة: إنسان سوي نفسياً، لا يعاني من القلق المزمن، ولا من الحقد، ولا من اليأس. إنسان قادر على الإنتاج، قادر على البناء، قادر على العطاء.
2.تنمية العقل والمعرفة: القضاء على الجهل
الجهل ظلمة. والآية تدعوك إلى النور. هذا النور هو العلم والمعرفة.
كيف تقضي الآية على الجهل؟
· بأن تدفعك للتأمل: {مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ}، الآية تريدك أن تفكر، أن تتأمل المثل، أن تستخرج الدلالات.
· بأن تربط العقل بالوحي: العقل وحده قد يضل، والوحي وحده قد لا تفهمه إن لم يكن عندك عقل. ا لاجتماع بينهما هو "نور على نور"، وهذا الاجتماع ينتج أعظم نهضة فكرية وثقافية.
تأمل تاريخ المسلمين: عندما كان نور الوحي مشتعلا ً في قلوبهم، وكانوا يستخدمون عقولهم لفهمه، انطلقت الحضارة الإسلامية في العلم والطب والفلك والرياضيات. كل ذلك كان ثمرة اجتماع النورين.
3.تحقيق الأمن الاجتماعي والأخلاقي: قتل التنازع ونشر المحبة
المجتمع الذي يسوده نور الإيمان:
· تقتل فيه التنازع: لأن الناس تعودوا على الوسطية والاعتدال، فلا يتقاتلون على أهواء.
· تنشر فيه المحبة: لأن المؤمن يحب لأخيه ما يحب لنفسه.
· تتسم العلاقات بالشفافية: فلا خداع ولا غش، لأن النور يفضح الظلام.
· تختفي العلاقات القائمة على المصلحة الآنية: لأن العلاقات تبنى على أساس الإيمان، لا على أساس المنفعة.
4.تحفيز الإنتاج والسعي والعمل
تأمل معي قوله: {يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ}.
الشجرة المباركة تنتج الزيت. الزيت يضيء المصباح. المصباح يضيء المكان.
هذه دعوة صريحة للإنتاج والعمل.
· الشجرة: تحتاج إلى زراعة، ورعاية، وصبر. هذا هو العمل.
· الزيت: يحتاج إلى عصر، وتصفية. هذا هو الإتقان.
· الإيقاد: يحتاج إلى نار، أي إلى طاقة وحماسة. هذا هو الجد والنشاط.
الآية تقول لك: نور الإيمان لا يكون كسلا ً. المؤمن النوراني هو عامل منتج، يبني، يعمر، يجتهد. لأن نوره يضيء له الطريق، فيعرف ما يفعل، ولماذا يفعل، وكيف يفعل.
5.غرس قيمة العمل المبارك: الإتقان وجودة الإنتاج
الشجرة مباركة. الزيت مبارك. المصباح يضيء. كل شيء في هذا المثل يدل على البركة والجودة.
ما هو العمل المبارك؟
· العمل الخالص لله.
· العمل المتقن الذي أحسنت صنعه.
· العمل النافع للناس.
· العمل الذي لا يضر بالآخرة، بل يعين عليها.
كيف ينعكس هذا على التنمية؟
التنمية المستدامة لا تقوم على الأعمال العشوائية، بل على الأعمال المتقنة، المباركة، التي تراعي الأخلا ق والقيم. هذا هو الفرق بين حضارة تبني لتنهار، وحضارة تبني لتبقى.
لماذا تعد هذه الآية خارطة طريق تنموية؟
لأنها تبدأ من الداخل (القلب)، ثم تمتد إلى الظاهر (العمل)، ثم تصل إلى المحيط (المجتمع والعمران).
· تبدأ بإشراق القلب: أن يصبح قلبك مشكاة فيها مصباح.
· ثم تمتد إلى النفس: أن تصبح نفسك زجاجة صافية تعكس النور.
· ثم تصل إلى الكون: أن تتحول إلى نور تمشي به في الناس، وعمل صالح يعمر الأرض.

الامر الرابع

لماذا هذه الآية هي حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية؟
ربما تساءلت: كيف يمكن لآية واحدة أن تكون أساس حضارة؟ دعني أشرح لك.
1.القيم والمنظومة المعرفية والروحية التي تؤسس لها الآية
هذه الآية تؤسس لمنظومة متكاملة:
· منظومة معرفية: الله هو مصدر النور، أي مصدر المعرفة الحقيقية. فالعلم الحقيقي هو الذي يقربك إلى الله، والجهل الحقيقي هو البعد عنه.
· منظومة روحية: القلب هو مركز النور، فالعناية بالقلب وتزكيته هي أساس كل بناء.
· منظومة قيمية: الوسطية والاعتدال (لا شرقية ولا غربية)، والإخلاص (الشجرة المباركة)، والإتقان

(الزيت الصافي).
هذه المنظومة هي التي جعلت الحضارة الإسلامية حضارة متوازنة، لا مادية جافة ولا روحانية منعزلة عن الواقع.
.2بناء مجتمع مترابط وقوي على أساس النورانية والهدي الإلهي
المجتمع الذي تأسس على هذه الآية هو مجتمع:
· مركزه القلب النقي: لا المال، ولا القبيلة، ولا المنصب.
· قوته في وحدته: لأنه يجمع على نور واحد.
· أمنه في إيمانه: لأنه لا يخاف إلا الله.
.3تأسيس حضارة العلم والمعرفة
الآية تختم بـ {وَاللهُ بِكلِّ شَيْءٍ عَلِيم}. هذه الجملة تفتح باب العلم بلا حدود.
كيف تشجع على البحث العلمي؟
· عندما تعلم أن الله عليم بكل شيء، تدرك أن العالم الذي نعيشه ليس عبثاً، بل هو مخلوق بحكمة، يمكن دراسته وفهمه.
· عندما تقرأ {يَضْرِبُ اللهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاس}، تفهم أن الأمثال في القرآن ليست للزينة، بل لتحرك العقل للتأمل والتفكر.
كيف تدفع المسلمين للتأمل في الكون وفهمه؟
بالأمثال. هذا المثل نفسه دعوة للتأمل في الضوء، والزجاج، والنار، والشجرة، والزيت. تأمل هذه الأ شياء تجدها تحمل أسراراً عظيمة. وهذا هو المنهج القرآني: من تأمل الكون وصل إلى معرفة الخالق.
.4بناء الإنسان النقي: صافي الفطرة والقلب من الحقد والشبهات
الحضارة لا تبنى على أناس في قلوبهم حقد، وعقولهم مشبعة بالشبهات. الآية تعمل على:
· تنقية الفطرة: بإعادة الإنسان إلى أصلها النقي.
· إزالة الشبهات: بالعلم النافع المستمد من الوحي.
· تطهير القلب من الحقد: بالإيمان والتوكل.
النتيجة: إنسان متحضر بمعنى الكلمة، لا متوحش في أخلاقه، ولا جاهل في عقله، ولا متطرف في دينه.
.5محاربة الفساد وإعمار الأرض بالأعمال الصالحة
الآية تصف الشجرة بأنها مباركة، والزيت بأنه صافي. هذا يشير إلى:
· العمل الصالح: هو الذي يبارك الله فيه.
· الزيت الصافي: هو العمل الخالص النقي من شوائب الرياء والفساد.
· نور على نور: هو جمع العمل الصالح مع الإيمان الصادق.
الفساد هو ظلمة. والعمل الصالح هو نور. وعمارة الأرض لا تكون إلا بالأعمال الصالحة، لا بالفساد و الظلم.
.6بناء مجتمع آمن يبني حضارة راقية ومتوازنة
المجتمع الآمن هو الذي:
· يسوده نور الإيمان، فلا يظلم قوي ضعيفاً.
· يحكم بالعدل، لأن النور يري الحقيقة.
· يتعاون على البر والتقوى، لأن الجميع يستضيء بنور واحد.
هذا المجتمع هو الذي يبني حضارة راقية، لا حضارة غابوية تأكل فيها القوي الضعيف.
.7بناء العقل الإنساني وتكميله بالوحي الإلهي
العقل وحده قاصر. الحضارات التي بنيت على العقل وحده، وانفصلت عن الوحي، انحرفت.
· العقل بلا وحي: يصنع آلهة من البشر، أو يعبد المادة، أو يضيع في متاهات الفلسفة.
· الوحي بلا عقل: يصبح جامداً، لا يستطيع مواكبة الحياة، أو يُفهم بشكل خاطئ.
الآية تجمع بينهما: العقل كالمصباح، والوحي كالنار التي توقد المصباح. بهذا الاجتماع يتحقق الكمال، وتُبنى حضارة تجمع بين الروح والمادة، وبين العلم والأخلاق، وبين الدنيا والآخرة.
.8الحضارة المادية وحدها: طريق الإفساد
لاحظ: عندما غاب نور الإيمان عن الحضارة الغربية الحديثة، ماذا حدث؟
· تسود الشحناء والصراعات.
· أصبحت العلاقات قائمة على المصلحة الآنية.
· تحللت القيم الأسرية.
· عمت الظلمات النفسية والاجتماعية.
هذه الآية تقدم الحل: العودة إلى النور الإلهي، الذي يربط العقل بربه، ويوجه الجهود نحو البناء والص لاح، ويجعل القيم الإلهية هي الموجهة للحياة.
الخاتمة: أنت الآن في قلب هذه الحضارة
لقد وقفت معي طويلا ً أمام هذه الآية. لم تقرأها فقط، بل عشتها، وسألت نفسك أسئلة، ووجدت إجابات. والآن، ما الذي ستفعله بهذه المعرفة؟

هذه الآية ليست مجرد معلومات تحفظ. هي دعوة:
· دعوة لأن تجعل قلبك مشكاة لنور الله.
· دعوة لأن تجعل نفسك زجاجة صافية تعكس هذا النور.
· دعوة لأن تجعل عملك شجرة مباركة لا شرقية ولا غربية.
· دعوة لأن تكون فرداً صالحاً في مجتمع صالح، يبني حضارة تقوم على النور، لا على الظلمات.
اسأل الله أن يجعلك من أهل هذا النور.
اسأله أن ينير قلبك، ويطهر نفسك، ويبارك عملك.
اسأله أن يجعل منك لبنة في بناء حضارة إسلامية جديدة، تستمد نورها من هذه الآية، وتهتدي بهداه.
{يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ}
وأنت... هل تريد أن تكون ممن شاء الله هدايتهم؟ إن أردت ذلك بصدق، فها أنت قد بدأت الطريق.
النور الآن أمامك. ادخل إليه.
ثانيا
بعد أن أشرقت أنوار الآية السابقة في قلبك، وأضاءت مشكاتك، وجعلت منك زجاجة صافية تتلقى النور، تأتي الآية التالية لتأخذ بيدك إلى المكان الذي ينبغي أن ينطلق منه هذا النور ليشع على حياتك كلها:
{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ * رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (النور: 36-38).
الآن... تخيل أنك بعد أن اشتعل نور الإيمان في قلبك، تحتاج إلى مكان يحمي هذا النور، ويغذيه، ويطلقه ليشع على الآخرين. هذا المكان هو بيوت الله. تعال ندخلها معاً، لنفهم لماذا خصها الله بهذا الشرف، وكيف تصبح أنت جزءاً من هذه البيوت، وكيف تجعل بيتك أيضاً منها.
وقفة مع الآية: من نور القلب إلى نور البيوت
الامر الاول :
لماذا هذه البيوت هنا؟ وما علاقتها بما قبلها؟
بعد أن قال الله: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، وضرب المثل العظيم لنوره في قلب المؤمن، قال مباشرة: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ}.
هل تساءلت لماذا هذا الربط؟
لأن النور الذي أضاء قلبك يحتاج إلى مكان يظهر فيه، ومكان يُغذى فيه، ومكان ينطلق منه إلى المجتمع. هذا المكان هو المسجد.
الطريق إلى نور الله يبدأ من المسجد.
· في المسجد تستمد النور الذي أضاء قلبك.
· في المسجد تلتقي بمن يشعلون معك هذا النور.
· من المسجد تنطلق إلى حياتك تحمل هذا النور إلى الناس.
المسجد ليس مجرد مبنى، هو محطة شحن روحية، ومدرسة تربوية، ومركز انطلاق للحضارة.
الامر الثاني :
أي بيوت هذه؟ ولماذا نُكِرت؟
لاحظ معي أن الله قال: {فِي بُيُوتٍ}، ولم يقل: في المساجد. والنكرة هنا للتعظيم والتكثير والتنويع.
ما دلالة ذلك؟
· تعظيم: هذه البيوت ليست بيوتاً عادية، بل هي بيوت عظيمة عند الله.
· تكثير: ليس مسجداً واحداً، بل كل بيوت الله في الأرض.
· تنويع: لا تقتصر على المساجد وحدها، بل تشمل كل بيت جعله صاحبه مكاناً لذكر الله.
هل البيوت هنا قاصرة على المساجد فقط؟
الجمهور على أنها المساجد، لكنها تشمل أيضاً:
· بيوت النبي صلى الله عليه وسلم، التي كانت مساجد ومدارس.
· وكل بيت جعله أهله مكاناً لطاعة الله، ورفع اسمه فيه.
هذا يعني أن بيتك أنت، إذا أردت، يمكن أن يكون من هذه البيوت التي أذن الله أن ترفع.
الامر الثالث
ماذا يعني (أذن الله أن ترفع)؟
الرفع هنا نوعان:
1. رفع معنوي: وهو الرفع بالشرف والتعظيم. هذه البيوت جعلها الله أعظم الأماكن قدراً، فلا يليق فيها اللغو ولا الفحش، ولا البيع والشراء الذي يلهي عن ذكر الله.
2. رفع مادي: وهو البناء والارتفاع. المساجد تبنى رفيعة، ظاهراً وباطناً. رفعها بالبناء، ورفعها بـ التنظيف والتعظيم.
وكيف نحقق هذا الرفع في بيوتنا؟

· نرفعها معنوياً بذكر الله فيها.
· نرفعها مادياً بأن نجعلها نظيفة، مهيأة للعبادة، عامرة بالخير.
هل تعرف أن بيتك يرفع إذا ذكر الله فيه؟ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "مثل البيت الذي يذكر الله فيه، والبيت الذي لا يذكر الله فيه، مثل الحي والميت".
أي بيت تريد أن يكون: حياً يرفع، أم ميتاً لا قيمة له؟

الامر الرابع

عمارة البيوت بالذكر: أي ذكر؟ وكيف نعمر بيوتنا؟
قال: {وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}.
عمارة البيوت ليست بالرخام والذهب، بل بذكر الله.
ماذا يعني أن تذكر اسم الله في البيوت؟
· الصلاة: أذان وإقامة، صلاة فرض ونفل.
· تلاوة القرآن: أن يكون للقرآن في بيتك نصيب، يتلى ويُتدبر.
· الذكر: أذكار الصباح والمساء، أذكار النوم والاستيقاظ، ذكر الله في كل حال.
· التسبيح والتهليل: أن يكون لسانك رطباً بذكر الله في بيتك.
· تعليم الأهل والأولاد: أن تجعل بيتك مدرسة للدين.
هل تعرف ما الذي يحدث عندما يذكر اسم الله في بيت؟
· تأتيه السكينة.
· تغشاه الرحمة.
· تحفه الملائكة.
· يذكره الله فيمن عنده.
والبيت الذي لا يذكر الله فيه؟
· تغشاه الوحشة.
· تحضره الشياطين.
· يخلو من البركة.
· أهله في ظلمة ولو كانت أنوارهم مضاءة.
اسأل نفسك الآن: عندما تدخل بيتك، ما الذي تشعر به؟ هل تشعر بسكينة أم بتوتر؟ هل تشعر أن البيت يحضنك، أم أنه مجرد جدران؟
إذا كان الجواب الثاني، فاعلم أن بيتك يحتاج إلى ذكر الله.

الامر الخامس

كيف أحول بيتي ليكون من البيوت التي أذن الله أن ترفع؟
هذا هو السؤال العملي الذي تريده الآن. دعني أعطيك خريطة طريق:
1. ابدأ بتطهير بيتك من المعاصي
· لا تدخل الحرام إلى بيتك: لا موسيقى محرمة، لا أغانٍ تلهي، لا مسلسلات تهدم الحياء، لا غيبة ولا نميمة في مجالسك.
· كل هذه ظلمات، والبيت الذي فيه ظلمات لا يمكن أن يكون مشكاة لنور الله.
2. اجعل لبيتك نصيباً من العبادة
· صلِّ فيه النوافل، صلاة الضحى، قيام الليل.
· اجعل فيه مصلى صغيراً، ولو في زاوية.
· علم أهلك الصلاة، وشجعهم عليها.
3. أذكار الصباح والمساء: أضفها إلى روتينك
· اجعل لأسرتك وقتاً تقرأ فيه أذكار الصباح معاً، وأذكار المساء.
· هذه الأذكار تحمي بيتك، وتنير أرجاءه.
4. اجعل القرآن تالياً في بيتك
· حدد وقتاً يومياً، ولو 10 دقائق، تقرأ فيه القرآن بصوت مسموع.
· إذا كان في البيت أطفال، علمهم حب القرآن من صغرهم.
5. اجعل ذكر الله عادة
· إذا دخلت بيتك، قل بسم الله.
· إذا أكلت، قل بسم الله.
· إذا خرجت، قل بسم الله.
· اجعل أهلك يتذكرون الله معك.
6. طهر بيتك من الخصومات والنزاع
· البيت الذي تسوده المشاجرات، لا تسكنه السكينة.
· اجعل بيتك مكاناً للرحمة والمودة، لا للصخب والغضب.
7. استشعر أن بيتك مراقب من الله

· عندما تعلم أن الله في بيتك، تحسن سلوكك، وتتحلى بأخلاق الإسلام.
هل تعرف أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن البيت ليضيق على أهله إذا لم يذكر الله فيه".
إذا شعرت أن بيتك ضيق، فاعلم أن السبب قلة ذكر الله. جرب أن تملأه بالذكر، وستشعر كيف تتسع جدرانه، وتنزل السكينة.

الامر السادس يهرب من

لماذا خص الله الغدو والآصال؟
قال: {يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ}.
الغدو: الصباح الباكر، من طلوع الفجر إلى الضحى.
الآصال: العشي، من بعد الظهر إلى غروب الشمس.

لماذا هذه الأوقات؟

1. لأنها أوقات تقلب الليل والنهار: الصباح بداية النشاط، والمساء نهاية اليوم. ربط العبادة بهذه الأ وقات يجعل الإنسان يبدأ يومه بالله، ويختتمه بالله.
2. لأنها أوقات غفلة كثير من الناس: أكثر الناس ينامون عن الفجر، أو ينشغلون بالعمل في الصباح، فجعل التسبيح فيها تأكيداً على فضلها.
3. لأنها أوقات حضور القلب: في هدأة الصباح والمساء، يصفو القلب، وتقبل العبادة.

ماذا تعلمنا هذه الآية عن الوقت؟

· الوقت قيمة عظيمة.
· أوقات الذروة (الغدو والآصال) ليست فقط للعمل، بل للعبادة أولا ً.
· الإنسان النوراني يوزع وقته بين عبادة ربه وعمله.

الامر السابع

رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
هنا تنتقل الآية من وصف المكان (البيوت) إلى وصف الإنسان (الرجال).
لماذا خص الرجال؟ ليس لأن النساء لسن داخلات في هذا الوصف، بل لأن الخطاب في هذه الآية يتحدث عن الذين يلازمون المساجد في الصلوات الخمس والجماعات، والرجال هم المخاطبون ب الجماعة في المسجد، والنساء مأجورات في بيوتهن.

صفات هؤلاء الرجال:

1. لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله

ليس معنى ذلك أنهم لا يعملون، بل أن أعمالهم لا تلهيهم عن الله.
· إذا حان وقت الصلاة، تركوا البيع والتجارة وأقبلوا على الصلاة.
· قلوبهم مع الله، حتى وهم في أعمالهم.
تأمل هذا المعنى: الله لم يقل: لا يعملون تجارة، بل قال: لا تلهيهم. فالعمل ليس حراماً، لكن اللهو ب العمل عن ذكر الله هو المذموم.

2. يقيمون الصلاة

ليس فقط يصلون، بل يقيمونها بأركانها وخشوعها، في أوقاتها.

3. يؤتون الزكاة

يدفعون حق الله في أموالهم، فلا يستأثرون بها عن عبادة الله وعن حاجة الفقراء.

4. يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار

يوم القيامة، يوم تشتد الأهوال، فتضطرب القلوب، وتتحير الأبصار.
هؤلاء الرجال يخافون ذلك اليوم، فيعملون له، ويستعدون.

ماذا تستفيد أنت من هذه الصفات؟

· أن تكون في عملك، وقلبك معلق بالله.
· أن تترك العمل لحين الصلاة، فتعلم أن ما عند الله خير وأبقى.
· أن تخرج زكاتك، وتعلم أن المال وسيلة لا غاية.
· أن تخاف يوماً لا ينفع فيه مال ولا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

الامر الثامن

القيم والدروس المستفادة من الآية
دعني ألخص لك أهم القيم التي تزرعها هذه الآية في نفسك:

1. قدسية بيوت الله

· المساجد ليست مجرد أماكن للصلاة، بل هي مراكز إشعاع.
· تعظيم المساجد من تعظيم شعائر الله، وتقوى القلوب.

2. التوازن بين الروح والمادة

· الآية تجمع بين التسبيح في المسجد (الروح)، وبين التجارة والبيع (المادة).
· الإنسان النوراني لا يفصل بين دينه ودنياه، بل دينه يوجه دنياه.

3. قيمة الوقت

· تخصيص الغدو والآصال للعبادة يعلمك أن الوقت يجب أن ينظم، وأن لله فيه أوقاتاً خاصة.
4. الأولويات
· إذا تعارضت العبادة مع العمل، قدم العبادة، لأن الله هو الرازق.
5. الجماعة
· المسجد يجمع المؤمنين، ويوحد صفوفهم، ويقوي أواصرهم.
6. الخوف والرجاء
هم يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب، وهذا الخوف يجعلهم يعملون، والله يجازيهم أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله.

الامر التاسع

دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة
الآن نصل إلى الجزء الذي يظهر فيه عظمة هذه الآية في بناء الحضارة. إنها ليست آية عبادة فقط، بل آية بناء.
1. بناء الإنسان: التربية الروحية والأخلاقية
تعظيم شعائر الله يغرس في نفسك:
· الهيبة: تعرف أن الله أكبر، فترفع صوتك في المسجد بخشوع، وتخفضه في غيره.
· الوقار: تتعامل مع الناس بوقار، لأنك تعودت على الخشوع بين يدي الله.
· التعلق بالخالق: المسجد يعلمك أن هناك رباً ترجوه، فتتعلق به، وهذا التعلق هو راحة النفس وسعادتها.
ما فائدة هذا التعلق؟
· يحررك من عبودية البشر.
· يمنحك قوة في الشدائد.
· يجعلك لا تخاف إلا الله.
استحضار الذكر الدائم: الآية تربطك بالذكر في المسجد وفي خارج المسجد. هذا الذكر:
· يطهر قلبك.
· يحفظك من الغفلة.
· يسد منافذ الفاحشة، لأن من يذكر الله لا يسهل عليه المعصية.
تزكية النفس بالتسبيح: التسبيح في المسجد يرقق القلب، ويجعله متعلقاً بالله، وهذا التعلق يثمر سلوكاً حضارياً: صدقاً، وأمانة، وعدلاً.
2. بناء المجتمع المتماسك
المساجد مراكز للتجمع الاجتماعي الروحي:
· يجتمع فيها الناس خمس مرات في اليوم.
· يتعرفون على بعضهم.
· يسأل بعضهم عن بعض.
· تتولد الألفة والمحبة.
دور المسجد في نشر الطهارة المعنوية:
· في المسجد، تموت الأحقاد، لأنك تصلي بجانب من كنت تخالفه.
· في المسجد، يموت الحسد، لأنك ترى الناس متساوين في الصفوف.
· في المسجد، يصبح المجتمع كالبنيان المرصوص.
دور المسجد في صيانة الأعراض:
· التربية في المسجد تعلم الناس غض البصر، وحفظ اللسان، والابتعاد عن الفواحش.
· المجتمع الذي ينشأ في ظل المسجد هو مجتمع محصن.
3. دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية: التوازن والتنمية
دمج الروح والمادة:
· الآية تأمر بالتسبيح في المسجد (روح)، وتمتدح رجالاً لا تلهيهم تجارة (مادة).
· هذا يعني أن الحضارة الإسلامية لا تطلب منك أن تترك الدنيا، بل أن تعلق قلبك بالله وأنت تعمل فيها.
المسجد منطلق للنشاط البشري:
في التاريخ الإسلامي، كان المسجد هو نقطة الانطلاق:
· فيه يتعلم الناس.
· فيه يتشاورون.
· منه تخرج الجيوش.
· فيه تنعقد مجالس القضاء.
· فيه تستقبل الوفود.
المسجد ليس فقط للصلاة، بل هو مركز الحياة.

إعلاء قيمة الوقت:
الغدو والآصال تعلم الأمة تنظيم الوقت. المسلم الذي يبدأ يومه في المسجد، وينتظم في صلواته، يكون أكثر تنظيماً وإنتاجية ممن لا صلاة له.
التنمية المستدامة:
الآية تؤسس لمجتمع لا تلهيه تجارة عن ذكر الله. هذا يعني:
· اقتصاد منضبط بالقيم الأخلاقية.
· لا ربا، ولا غش، ولا استغلال.
· عمل متقن، لأن العامل يحاسب نفسه قبل أن يحاسبه الناس.
كيف يؤدي هذا إلى تنمية اقتصادية؟
· الأمانة في العمل تزيد الإنتاجية.
· العدل يخلق الاستقرار.
· الرضا بالقضاء يقلل الصراعات.
· الزكاة تنمي المال وتطهره.
تحويل المساجد إلى منارات تربوية:
· إذا جعلت المساجد مراكز للعلم والتربية، نشأ جيل واعٍ، قادر على البناء.
· وإذا تربى الأبناء في بيوت ومدارس تحترم المسجد، نشأ مجتمع متماسك.
بهذا تؤسس الآية لحضارة مباركة، تجمع بين طهارة القلب وعمارة الكون

الامر العاشر

رسائل عملية لتطبيق الآية في حياتك اليوم
لن أتركك دون أن أعطيك خطة عملية:
1. في علاقتك بالمسجد:
· اجعل للمسجد وِرداً يومياً، لا تقطعه.
· احرص على صلاة الفجر في جماعة، فهي شهادة نورانية.
· إذا دخلت المسجد، فادخل بخشوع، واجلس حتى تؤدي تحية المسجد.
· لا تتخذ المسجد مكاناً للدردشة، بل للعبادة والذكر.
2. في بيتك:
· اجعل زاوية صغيرة مصلى للبيت.
· اقرأ أذكار الصباح والمساء مع أهلك.
· خصص وقتاً يومياً لتلاوة القرآن معاً.
· امنع الموسيقى والأغاني التي تلهي عن ذكر الله.
· اجعل مجالسكم خالية من الغيبة والنميمة.
3. في عملك:
· لا تترك الصلاة لأجل العمل.
· إذا حان وقت الصلاة، فاترك العمل وتوجه إلى المسجد.
· تذكر أن الله هو الرازق، فلا تخش فوات رزقك بسبب صلاتك.
4. في تربية أبنائك:
· خذهم معك إلى المسجد من صغرهم.
· علمهم آداب المسجد: الخشوع، النظافة، عدم الإزعاج.
· اجعل حب المسجد ينمو في قلوبهم.
· اجعل بيتك مدرسة للدين، قبل أن يكون مدرسة للدنيا.
الخاتمة: أنت الآن جزء من هذه البيوت
بعد أن عشت هذه الآية، هل شعرت أن بيتك يمكن أن يكون من البيوت التي أذن الله أن ترفع؟
هذه البيوت ليست فقط مساجد من حجر، بل كل مكان رفع فيه اسم الله، ونزلت عليه السكينة، وذكر فيه الخالق.
أنت مدعو الآن:
· أن تجعل قلبك مشكاة.
· وأن تجعل بيتك من البيوت المرفوعة.
· وأن تكون من الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله.
· وأن تربي أبناءك على هذا النور، ليكونوا لبنات في صرح هذه الحضارة.
أسأل الله أن يجعل بيوتنا من البيوت التي يذكر فيها اسمه، وأن يجعلنا من الرجال الذين لا تلهيهم الدنيا عن الآخرة، وأن يرفعنا بالتقوى، ويجمعنا في جنات النعيم.
{فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ}
هل أنت مستعد أن يكون بيتك منها؟ إذا أردت، فابدأ الآن. اجعل ذكر الله في بيتك نوراً، واجعل بيتك مناراً.

ثالثا
بعد أن وقفنا مع الآية السابقة عند بيوت الله التي أذن أن ترفع، ورأينا كيف تكون تلك البيوت منارات نور في الأرض، تأتي الآن الآيتان التاليتان لترسما لنا صورة الإنسان الذي يملأ تلك البيوت بـ الحياة، الإنسان الذي لا تلهيه الدنيا عن الآخرة، الإنسان الذي استنار قلبه بنور الله فصار مثالا ً للتوازن والانضباط والطموح الإيماني.
تأمل معي هذه الكلمات العظيمة، وكأنها تنزل الآن لتخاطبك أنت بالذات:
{رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ * لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} (النور: 37-38).
الآن، تخيل أن هذه الآية تصفك أنت. تخيل أن الله يريدك أن تكون من هؤلاء الرجال. تخيل أن كل كلمة فيها تنزل لتغير مسار حياتك، لتعيد ترتيب أولوياتك، لترفع من همتك، لتجعل منك إنساناً لا تسحبه الدنيا إلى مستنقعاتها، بل يظل قلبه معلقاً بالله وهو يغدو في تجارته ويروح في أسواقه.
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها نزلت علينا الآن، وكأنها تخاطب كل واحد منا باسمه.
وقفة مع الآية: عندما يتحول الإنسان إلى نور يمشي على الأرض
الامر الاول ً: دلالة قوله (رِجَالٌ) ولماذا خص الله الرجال؟
قبل أن نبدأ، لاحظ معي: الله قال {رِجَالٌ}، ولم يقل "أناس" أو "نساء ورجال". لماذا؟
ليس لأن النساء خارجات عن هذا الوصف، بل لأن:
1. السياق يتحدث عن المداومة على الجماعة في المساجد، والجماعة في المسجد فرض كفاية على الرجال، وأما النساء فصلاتهن في بيوتهن أفضل.
2. الخطاب في القرآن يأتي غالباً بصيغة الذكور تغليباً، والنساء داخلات في الحكم إذا وجدت فيهن الصفات.
3. لكن هناك دلالة عميقة: الرجولة الحقيقية ليست بالجسد، بل بالصفات. فالرجل عند الله هو من اتصف بهذه الصفات، سواء كان ذكراً أو أنثى. الرجولة الحقيقية هي قوة القلب في الحق، وثباته على المبدأ، وعدم انزلاقه وراء المغريات.
اسأل نفسك الآن: هل أنت رجل بهذا المعنى؟ هل أنت ممن لا تلهيك الدنيا عن الله؟ هل أنت ممن يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار؟
الرجولة الحقيقية في واقعنا المعاصر هي أن تقف في وجه إغراءات الدنيا، وأن لا تبيع دينك بعرض من الدنيا، وأن تكون أنت القدوة في الصدق والأمانة والإخلاص، وأن لا تهزك المغريات مهما كبرت.
الامر الثاني: سمات المؤمن الصادق كما ترسمها الآية
الآية تقدم لك صفات الرجال الذين أذن الله لهم أن يكونوا نوراً في بيوته، ثم تتركك أمام هذه الصفات لتسأل نفسك: هل أنا منهم؟
السمة الأولى: لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله
هنا وقفة تأمل. الله قال: "لا تلهيهم"، ولم يقل "لا يشغلون". الفرق كبير:
· الشغل: أن تعمل، وهذا جائز بل مطلوب.
· اللهو: أن تستغرق في العمل حتى تنسى الله، حتى تترك الصلاة، حتى تغفل عن ذكر ربك.
لماذا جمع التجارة والبيع؟
· التجارة: هي المال الذي تسعى إليه، الاستثمار، المشاريع الكبيرة.
· البيع: هو التفاصيل اليومية، الصفقات الصغيرة، البيع والشراء.
المعنى: لا العمل الكبير ولا التفاصيل الصغيرة تلهيك عن ذكر الله. فالمؤمن الصادق يبقى قلبه مع الله، وهو يبيع ويشتري، وهو يدير مشاريعه، وهو يجتهد في رزقه.
السمة الثانية: إقام الصلاة
ليس مجرد أداء الصلاة، بل إقامتها:
· بأركانها وشروطها.
· بخشوعها وحضور قلبها.
· في أوقاتها، فلا تؤخرها لأجل العمل.
· في جماعتها، فلا تتركها لشاغل.
السمة الثالثة: إيتاء الزكاة
لا يبخلون بحق الله في أموالهم. يعلمون أن المال وسيلة، وأن فيه حقاً للفقير والمحتاج. فلا يستأثرون بالمال، ولا يغفلون عن هذه الفريضة.
السمة الرابعة: يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار
هذه السمة هي المحرك الداخلي لكل ما سبق. ليسوا مجرد ملتزمين بالظاهر، بل قلوبهم تخاف يوماً عظيماً، يوم تتقلب فيه القلوب بين الخوف والرجاء، وتتحير فيه الأبصار من شدة الأهوال.
الامر الثالث: القيم والمبادئ التي يتصف بها هؤلاء الرجال

دعني ألخص لك ما تحمله هذه الآية من قيم عظيمة:
1. تقديم طاعة الله على مشاغل الدنيا
هؤلاء الرجال يعرفون الأولويات. يعلمون أن الله هو الرازق، وأن الرزق لن يفوتهم إذا قدموا طاعته. فيؤثرون الصلاة على الصفقة، ويؤثرون ذكر الله على جمع المال.
2. الإخلاص
ليسوا مرائين، ولا يفعلون الخير لأجل الناس، بل لله وحده.
3. الالتزام بالعبادات
ليسوا متهاونين في الصلاة، ولا متكاسلين في الزكاة، بل يقيمونها حق الإقامة.
4. الخوف من الله ومن يوم القيامة
هذا الخوف ليس خوف جبان، بل خوف محب يدفعهم للعمل، ويجعلهم يخافون من التقصير.
5. التوازن بين السعي في الأرض وذكر الله
لا يتركون الدنيا بحجة الدين، ولا يتركون الدين بحجة الدنيا. بل يجمعون بينهما، فيكونون عباداً في الليل، وفرساناً في النهار.
الامر الرابع: كيف أجعل طاعة الله وذكره القيمة المركزية في حياتي؟
هذا هو السؤال العملي الذي تريده الآن. كيف تجعل من ذكر الله أولوية قصوى في حياتك، وأنت منشغل بعملك، ومسؤولياتك، وأسرتك، ومشاريعك؟
1. غيّر نظرتك إلى العمل
لا تنظر إلى العمل كغاية، بل كوسيلة. العمل وسيلة للرزق، ووسيلة لبناء الحياة، ووسيلة لإعمار الأ رض، لكن الغاية هي الله. عندما تغير نظرتك، يتحول العمل من شاغل إلى عبادة.
2. اضبط ساعتك على مواقيت الصلاة
لا تجعل عملك يتحكم في صلاتك، بل اجعل صلاتك تتحكم في عملك. إذا حان وقت الصلاة، فأغلق متجرك، واترك مكتبك، وتوجه إلى الله. ثق أن الله سيعوضك خيراً مما فاتك.
3. اجعل ذكر الله يواكبك في كل مكان
لا تترك ذكر الله عند باب المسجد. اجعله معك في سيارتك، في مكتبك، في متجرك، في اجتماعاتك. استشعر أن الله معك، وأنه يراك، وأنه يعلم ما تفعل.
4. رتب أولوياتك على محبة الله
كل يوم، اسأل نفسك: ما الذي أقدمه اليوم: رضا الله أم رضا الناس؟ ما الذي أختاره اليوم: صلاتي أم صفقتي؟ ما الذي أرجحه اليوم: كسب المال أم كسب الأجر؟
الامر الخامس
النجاح الحقيقي: بين الدنيا والآخرة
الآية تريد أن ترسخ في قلبك حقيقة عظيمة: النجاح الحقيقي ليس في كثرة المال، ولا في ضخامة المشاريع، بل في الفوز برضا الله وجنته.
كيف أحقق التوازن بين الدنيا والآخرة؟
المبدأ الأول: اجعل الآخرة هي المحرك
لا تعمل للدنيا فقط، بل اعمل للدنيا وأنت تنوي به الآخرة. اجعل نيتك في عملك:
· إعمار الأرض طاعة لله.
· كسب الحلال تربية للنفس.
· الإنفاق على الأهل عبادة.
· خدمة المجتمع قربة.
المبدأ الثاني: لا تجعل العمل يلغي العبادة
العمل لا يعفي من العبادة. فكما أن لك في عملك وقتاً، فاجعل لله وقتاً في يومك، لا تفرط فيه.
المبدأ الثالث: اعلم أن الرزق من الله
الرزق مقسوم، ولن يأخذ أحد رزقك. فإذا تركت العمل لأجل الصلاة، فلن ينقص رزقك، بل سيبورك الله فيه.
المبدأ الرابع: اجعل دنياك في يدك لا في قلبك
تعمل بيدك، ولكن قلبك مع الله. المال في جيبك، ولكن أمله في الآخرة.
الامر السادس ً: الانضباط والالتزام كقيمة مركزية
الآية تقول: {يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ}.
إقامة الصلاة تعني:
· الانضباط بالمواعيد: الصلاة في وقتها.
· الانضباط بالأداء: بخشوع وتدبر.
· الانضباط بالاستمرارية: لا ينقطع عنها بحال.
وكذلك إيتاء الزكاة:
· الانضباط بإخراجها في وقتها.

· الانضباط بمقدارها الصحيح.
· الانضباط بمستحقيها.
كيف أترجم هذا في حياتي؟
· اجعل لك جدولاً زمنياً، تلتزم به في صلواتك.
· لا تؤجل الصلاة أبداً، فالتأجيل بداية التفريط.
· احسب زكاتك بدقة، وأخرجها بسرعة.
· اجعل الانضباط سمة حياتك، في عملك وفي عبادتك.
الامر السابع: المسؤولية الاجتماعية في الآية
الآية لا تتحدث عن فرد منعزل، بل عن رجال لهم دور في المجتمع:
· يتاجرون: أي لهم دور اقتصادي.
· يبيعون: أي لهم تعامل مع الناس.
· يقيمون الصلاة: أي لهم ارتباط بالمسجد والجماعة.
· يؤتون الزكاة: أي يتحملون مسؤولية الفقراء والمحتاجين.
هؤلاء ليسوا متعبدين في معزل عن الناس، بل هم فاعلون في المجتمع، منتجون، متعاملون، لكن بقلوب معلقة بالله.
المسؤولية الاجتماعية عندهم: أن يكونوا قدوة في السوق، وأن يكونوا أمناء في تعاملاتهم، وأن يخرجوا حق الله من أموالهم، وأن يكونوا عوناً للضعفاء.
الامر الثامن: استحضار اليوم الآخر (يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ)
هنا أبلغ وصف لهول يوم القيامة:
{تتقلبُ فِيهِ القلوبُ وَالأَبْصَارُ}
اللمسة البيانية العجيبة:
· القلوب تتقلب: من الخوف إلى الرجاء، من الطمأنينة إلى الفزع، من مكان إلى مكان في الصدر. تقلباً من شدة الهول.
· الأبصار تتقلب: تتحير، لا تقر على شيء، تنظر يمنة ويسرة، تبحث عن مخرج فلا تجد.
لماذا خافوا هذا اليوم؟
ليس لأنهم شكوا في رحمة الله، بل لأنهم يعلمون عظمته، ويعلمون هول الموقف، فيخافون أن يكونوا ممن قصروا، فيخافون أن لا يقبل منهم.
كيف يضبط هذا الخوف سلوكي اليوم؟
· يذكرني أن كل ما أفعله سألقاه غداً.
· يمنعني من التهاون في الصلاة.
· يمنعني من الغش في التجارة.
· يمنعني من الظلم في التعامل.
· يدفعني للاستعداد لذلك اليوم.
الامر التاسع: ما دلالة تقديم (تِجَارَةٌ) على (بَيْعٌ)؟
لاحظ معي: الله قال: {لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ}، وقدم التجارة على البيع.
لماذا؟
· التجارة: تشمل الأعمال الكبيرة، المشاريع، الاستثمارات.
· البيع: يشمل التفاصيل اليومية، الصفقات الصغيرة.
تقديم التجارة يدل على أن الإنسان قد يلهيه مشروعه الكبير عن ذكر الله، وقد تلهيه التفاصيل الصغيرة. فالله حذره من الاثنين معاً.
ونلاحظ أن التجارة أوسع من البيع، فكل بيع تجارة وليس كل تجارة بيعاً. فالله أراد أن يشمل كل أشكال الكسب والمال.
الامر العاشر: كيف أوازن بين متطلبات الدين ومتطلبات الدنيا؟
هذا هو سؤال العصر. كيف أكون في الوقت نفسه رجل أعمال ناجحاً، ورجلاً عابداً لا تلهيه تجارته عن ذكر الله؟
الخطة العملية:
1. اجعل نية عملك عبادة
· نو بكسب المال أن تنفق على أهلك.
· نو بإتقان عملك أن تكون قدوة.
· نو بأمانتك أن تعمر الأرض.
عندها يتحول عملك إلى عبادة.
2. اضبط وقتك
· اجعل الصلاة هي الميقات الذي ينظم يومك.
· لا تعقد اجتماعات في وقت الصلاة.

· لا تسافر في وقت يفوتك فيه فرض.
3. اجعل ذكر الله يواكبك
· استشعر أن الله يراك في متجرك.
· اذكر الله وأنت توزع بضاعتك.
· ادعُ الله وأنت تتفاوض على صفقة.
4. كن أميناً
الأمانة في التجارة هي أبلغ صور العبادة. لا تغش، لا تكذب، لا تحلف كاذباً. هذه هي عبادتك في سوقك.
5. لا تجعل المال غايتك
اجعل رضا الله غايتك. المال يأتي ويذهب، لكن رضا الله هو الباقي.

الامر الحادي عشر

كيف تبني الإنسان الصادق الأمين في تعاملاته؟
الآية تريد أن تبني فيك الإنسان الذي:
· قلبه يقظ: لا يغفل عن الله.
· لسانه صادق: لا يكذب في تجارته.
· يده أمينة: لا تخون في أمانته.
· عينه غضة: لا تطمع في مال الغير.
· قدمه ثابتة: لا تتردد في الحق.
كيف تطبق ذلك؟
· في كل صفقة، استحضر أن الله يراك.
· لا تحلف على بضاعتك كذباً.
· لا تخف عيباً في سلعتك.
· لا تظلم في السعر.
· لا تكن كذاباً في وصفك.
· لا تخن من ائتمنك.

الامر الثاني عشر دور الآية في بناء الإنسان المتوازن

الآن نصل إلى البعد الحضاري لهذه الآية. إنها ليست آية أخلاق فردية فقط، بل آية بناء إنسان وحضارة.
1. بناء الإنسان المتوازن
الآية تخلق إنساناً:
· لا تطغى فيه المادة على الروح: فهو يعمل لدنياه، لكن لا ينسى آخرته.
· لا تطغى فيه الروح على المادة: فهو لا يعتزل الدنيا بحجة الدين.
· متوازن: يسعى في الأرض، ويذكر الله كثيراً.
2. في المجتمع
هذا الإنسان المتوازن هو لبنة مجتمع قوي:
· مجتمع فيه الصدق والأمانة.
· مجتمع تسوده القيم.
· مجتمع تنتشر فيه المحبة.
3. في الحضارة
هذه الآية تؤسس لحضارة:
· حضارة القيم: العمل الجاد، النزاهة، منع الغش، الأمانة.
· حضارة أخلاقية: التفوق ليس بالمادة فقط، بل بالأخلاق.
· حضارة منتجة: رجال لا تلهيهم تجارة عن ذكر الله، أي رجال يعملون ويبنون.

الامر الثالث عشر الايه 38: قيم الجزاء العادل ومضاعفة الأجر

{لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ}
هنا تتوج الآية كل هذه الصفات ببشارة عظيمة: الجزاء من الله.
ماذا يعني (أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا)؟
الله لا يجازيهم على كل عمل، بل على أحسنه. وهذا من كرمه:
· يقبل الحسنة ويضاعفها.
· يتجاوز عن السيئة.
· يجازي على القليل الكثير.
ماذا يعني (وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِ)؟
لا يكتفي بإعطائهم أجر أعمالهم، بل يزيدهم من فضله ما لم تعمل أيديهم. هذا هو الكرم الإلهي المطلق.

كيف يحفز هذا على العمل الصالح؟
· عندما تعلم أن الله سيجازيك بأحسن ما عملت، تبادر إلى تحسين عملك.
· عندما تعلم أنه سيزيدك من فضله، يزداد حماسك للعمل.
كيف يؤدي هذا إلى الإتقان؟
المؤمن لا يريد أن يأتي لله بعمل ناقص، بل يريد أن يقدم أحسن ما عنده، لأن الله سيجازيه بأحسن ما عمل.
الامر الرابع عشر: دور هذا الجزاء في بناء النفس المطمئنة
عندما يعلم العبد أن الله سيجازيه بأحسن ما عمل، ويزيده من فضله:
· يزول الخوف: لا يخاف من ظلم الله.
· يزول الطمع: لا يحتاج أن يمد عينيه إلى ما عند الناس.
· تحل السكينة: يعيش مطمئناً، يعمل بلا قلق.
· تزداد الإنتاجية: النفس المطمئنة هي أنتج النفوس.
هذا هو بناء الإنسان المنتج: إنسان يثق بربه، فيعمل بجد، ولا يقلق على النتيجة.
الامر الخامس عشر: دور الآية في إصلاح الضمير الإنساني
الضمير هو الرقيب الداخلي. الآية تعمل على إصلاح هذا الضمير:
كيف؟
1. بتذكيرك باليوم الآخر: فتراقب نفسك.
2. بوعدك بالجزاء الحسن: فتحسن العمل.
3. بتحذيرك من اللهو: فلا تفرط.
عندما يصلح الضمير:
· يطيع العبد الرسول.
· يتبع القيم.
· يؤدي الأمانة.
· يتقي الله في السر والعلن.
إذا فسد الضمير ماذا يحدث؟
هذا هو السر العظيم: عندما يفسد الضمير، تنهار المجتمعات.
· يسود الظلم: لأن لا رقيب في الداخل.
· تنتشر الجريمة: لأن الخوف من القانون وحدهم لا يكفي.
· يأكل القوي الضعيف: لأن لا إيمان يردعه.
· تتحلل القيم: لأن المصلحة هي المعيار.
· تسود الأنانية: لأن لا أحد يعمل إلا لنفسه.
المجتمع بلا ضمير هو غابة يأكل فيها القوي الضعيف.
الامر السادس عشر دور الآية في بناء المجتمع من خلال التزكية والإنفاق
الآية تجمع بين:
· تزكية النفس: بالصلاة والذكر.
· الإنفاق: بالزكاة.
كيف يساهم هذا في بناء المجتمع؟
· التزكية: تخلق أفراداً صالحين، أمناء، صادقين.
· الإنفاق: يسد حاجة الفقراء، ويوزع الثروة، ويمنع تراكمها.
النتيجة:
· مجتمع متعاون: الكبير يرحم الصغير، والغني يعين الفقير.
· مجتمع منتج: الأفراد يعملون بإخلاص وأمانة.
· مجتمع مستدام: الأعمال الصالحة تستمر، والتنمية لا تتوقف.
الامر السابع عشر: دور الآية في التنمية الشاملة
هذه الآية تؤسس لتنمية شاملة، ليست مادية فقط، بل روحية وأخلاقية واقتصادية.
1. بناء الإنسان أولاً
الإنسان هو أداة التنمية. الآية تبني الإنسان:
· روحياً: بالصلاة والذكر.
· أخلاقياً: بالصدق والأمانة.
· اجتماعياً: بالزكاة والتعاون.
· اقتصادياً: بالعمل الجاد.
2. انعكاس ذلك على المجتمع
إذا صلح الإنسان، صلح المجتمع:
· اقتصاد قوي: بسبب الأمانة والإتقان.

· أمن اجتماعي: بسبب التعاون والتكافل.
· استقرار سياسي: بسبب العدل والخوف من الله.
3. استثمار الطاقات
الآية تدفع الإنسان لاستثمار طاقاته في العمل، لأن:
· العمل عبادة.
· الكسل مذموم.
· الله يرزق من يشاء بغير حساب، لمن يسعى ويجتهد.
4. مضاعفة العطاء
قوله {وَاللهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ} هي دعوة للعمل والإبداع. إذا علمت أن الله يرزق بغير حساب، فلا تخشَ الفقر، ولا تتوقف عن العمل، ولا تحد من طموحك.
الامر الثامن عشر: الخاتمة: أنت مدعو لتكون من هؤلاء الرجال
بعد أن عشنا هذه الآيات معاً، ألا تشعر أنك مدعو لأن تكون من هؤلاء الرجال الذين وصفهم الله؟
أنت مدعو:
· أن تجعل ذكر الله أولوية حياتك، مهما كانت مشاغلك.
· أن تقيم الصلاة في وقتها، لا تؤخرها لعمل.
· أن تخرج الزكاة، وتعلم أن المال وسيلة.
· أن تخاف يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار.
· أن تعمل للدنيا، ولكن لا تنسى نصيبك من الآخرة.
· أن تكون أميناً في تجارتك، صادقاً في كلامك.
· أن تكون قدوة في سوقك، نوراً في مجتمعك.
وإذا فعلت ذلك:
· وعدك الله أن يجازيك بأحسن ما عملت.
· وأن يزيدك من فضله.
· وأن يرزقك من حيث لا تحتسب.
رابعا
بعد أن أشرقنا بنور الله في قلوبنا، وبعد أن عشنا في بيوته التي أذن أن ترفع، وبعد أن رأينا صورة الرجال الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، تأتي الآن هذه الآية لتقف بنا أمام المشهد المقابل: مشهد الذين اختاروا الظلمات على النور، الذين بنوا أعمارهم على أوهام، فإذا بهم في يوم الحساب يكتشفون أن كل ما بذلوه كان سراباً.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تنزل الآن لتنقذك من مصير مرير:
}وَالذينَ كفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظمْآنُ مَاءً حَتَى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللهَ عِنْدَهُ فَوَفَاهُ حِسَابَهُ وَاللهُ سَرِيعُ الحِسَابِ) {النور:.(39
الآن... تخيل نفسك في صحراء قائظة، الشمس تحرق وجهك، العطش يكاد يقتلك، فجأة ترى من بعيد بريق الماء، تركض إليه مسرعاً، قلبك يخفق فرحاً، قدماك تغوصان في الرمال وأنت تقترب... ثم... تصل. لا شيء. رمال جافة. سراب. كيف سيكون شعورك في تلك اللحظة؟
هذا هو مشهد الكافر يوم القيامة. وهذا هو مشهد كل من بنى حياته على غير أساس الإيمان. ولكن... قبل أن نغوص في تفاصيل هذا المشهد المرعب، دعني أسألك سؤالا ً يصل إلى أعماقك:
هل أنت متأكد أن أعمالك التي تبذلها كل يوم، ليست سراباً؟ هل أنت متأكد أنها ستجدها غداً أمام الله، أم أنها ستتبخر كالسراب؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تخاطب كل واحد منا باسمه.
وقفة مع الآية: عندما تنكشف الحقيقة
أولا ً: لماذا شبه الله أعمال الكفار بالسراب تحديداً؟
هل تساءلت لماذا اختار الله السراب، ولم يختر شيئاً آخر كالرماد أو الدخان؟
السراب له خصائص عجيبة تجعله أبلغ مثل للأعمال الباطلة:
.1يخدع البصر: تراه عيناك بوضوح، لكنه ليس حقيقة .كذلك أعمال الكافر تبدو في الدنيا عظيمة، لكنها عند الله لا قيمة لها.
.2يظهر في أشد لحظات الحاجة: يأتي السراب عندما يكون الإنسان في أشد الحاجة إلى الماء، فيشتد عطشه، فإذا به يخيب أمله .كذلك الكافر يوم القيامة في أشد الحاجة إلى ما ينجيه، فيجد أن أعماله خدعته.
.3لا يروي العطش: مهما ركضت إليه، يظل بعيداً، وإذا وصلت إليه لم تجد شيئاً .كذلك الأعمال الباطلة لا تنفع صاحبها يوم الحاجة.
.4يختفي عند الاقتراب: كلما اقتربت منه ابتعد، وإذا وصلت إليه تبخر .كذلك أعمال الكفار يوم القيامة تتلاشى حين يحتاجونها.
اللمسة البلاغية العجيبة:
الله قال {كسَرَابٍ بِقِيعَةٍ}، ولم يقل "كالسراب". والبقيعة هي الأرض المستوية اللاصقة التي يظهر فيها

السراب أكثر ما يظهر. فاختار المكان الذي يزداد فيه الخداع، ليزيد التصوير هولا ً.
والآن... تأمل:
كم من أعمال في حياتنا تبدو لامعة، لكنها في الحقيقة سراب؟ كم من مشاريع بنيناها، وكم من جهود بذلناها، وكم من ليال سهرناها، ثم نكتشف أنها لا وزن لها عند الله؟
الامر الثاني خطورة الرياء وفقدان الإخلاص
هذه الآية تحمل درساً عظيماً: العمل بلا إخلاص يفقد قيمته تماماً.
تأمل معي: الكافر قد يفعل أعمالا ً عظيمة في ظاهرها:
· يبني المستشفيات.
· يقيم المؤسسات الخيرية.
· ينشئ المدارس.
· يقدم المساعدات الإنسانية.
لكن كل هذه الأعمال، لأنها لم تكن لله، تصبح يوم القيامة كالسراب. لا قيمة لها. تتبخر.
وهذا ينطبق أيضاً على المؤمن الذي يخلط عمله بالرياء:
النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن أخوف ما أخاف عليكم الشرك الأصغر"، قيل: وما الشرك الأصغر؟ قال: "الرياء".
ما معنى الرياء؟
أن تعمل عملا ً صالحاً، لكنك تريد به مدح الناس، أو مكانتهم، أو ثناءهم. هذا العمل يصبح سراباً. تراه في الدنيا كبيراً، لكنه عند الله لا شيء.
اسأل نفسك الآن بصدق:
· عندما تصلي، هل تستحضر أن الله يراك، أم أنك تفكر فيمن يراك؟
· عندما تتصدق، هل تريد وجه الله، أم تريد أن يقول الناس "فلان كريم"؟
· عندما تعمل عملا ً متقناً، هل تبتغي رضا الله، أم تبتغي ترقية أو مدحاً؟
إذا كان جوابك أنك تفعل بعض ذلك لغير الله، فهذه دعوة لتتوقف فوراً وتصحح النية. فالرياء يسرق العمل كما تلتهم النار الحطب.
الامر الثالث ً: التأمل في مآلات الأعمال (مفهوم عملي)
الآية تريد أن تغرس فيك عادة عظيمة: أن تتأمل كيف ستلقى الله بأعمالك.
كيف تفعل ذلك عملياً؟
1.قبل أن تبدأ أي عمل، اسأل نفسك:
· لماذا أفعل هذا؟
· هل هو لله أم لغير الله؟
· هل سأرضى به يوم القيامة؟
2.وأثناء العمل، اسأل نفسك:
· هل أنا مخلص في هذا العمل الآن؟
· هل دخل الرياء إلى قلبي؟
· هل أريد به وجهاً من وجوه الناس؟
3.وبعد العمل، اسأل نفسك:
· هل أقبل الله هذا العمل؟
· هل هو خالص له؟
هذه هي المساءلة الذاتية. وهي مفتاح النجاة من السراب.
تأمل معي قوله: {حَتَى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا}.
هذه هي أشد لحظات الخيبة. لحظة تصل فيها إلى عملك الذي تعبت فيه سنين، فإذا به لا شيء.
تخيل: مشروع عمرك، كل تعبك، كل لياليك، كل ما بذلته... يتبخر في لحظة. هذا هو مصير الرياء.
هذا هو مصير العمل بلا إخلاص.
هل تريد أن تكون هذه لحظتك يوم القيامة؟
إذا لم ترد، فابدأ اليوم بتصحيح نيتك.
الامر الرابع: مفهوم السراب المعرفي
هناك نوع آخر من السراب، أخطر من سراب الأعمال: سراب الأفكار والمنهجيات.
ما هو السراب المعرفي؟
أن تأتيك فكرة أو منهج أو أيديولوجية تبدو براقة، جذابة، فيها حلول لكل المشكلات، لكنها في الحقيقة تضل عن الحق وتؤدي إلى الهلاك.
أمثلة على السراب المعرفي في عصرنا:
· الإلحاد: يعدك بالحرية، لكنه يقتل الروح.
· المادية: تعدك بالسعادة، لكنها تتركك فارغاً.
· الشهوات المطلقة: تعدك بالمتعة، لكنها تدمرك.
· الفلسفات الهدامة: تبدو عميقة، لكنها تزيدك ضلالا ً.

كيف تحمي نفسك من السراب المعرفي؟
· اقرن العلم بالبصيرة: لا تأخذ فكرة لأنها تبدو جميلة، بل اختبرها بمعيار الوحي.
· اسأل: هل هذه الفكرة تقربني من الله أم تبعدني؟
· تأمل في نتائجها: من يتبع هذه الفكرة، أين ينتهي به المطاف؟
الله قال في آية أخرى: {أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ} (الملك: 22).
من يمشي على وجهه لا يرى الطريق، يظن أنه يمشي لكنه يتخبط. هذا هو صاحب السراب المعرفي.
الامر الخامس ً: مفهوم الاستعداد للحساب الدقيق
الآية تقول: {وَوَجَدَ اللَّهَ عِندَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ}.
هذه الكلمات تحمل معنى مرعباً: وجد الله عنده. لم يقل "وجد الله"، بل "وجد الله عنده". أي أن الله كان معه في كل لحظة، يراه، يسمعه، يحصي عليه أعماله، لكنه كان غافلا ً. ثم في يوم القيامة، وجد الله عنده. وجده حاضراً، يطالبه، يحاسبه.
ماذا يعني هذا لك أنت؟
· يعني أن الله معك الآن، في هذا المجلس، في هذه اللحظة .يراك، يسمع كلامك، يعلم ما في قلبك.
· يعني أن كل أعمالك مسجلة، لا تفلت منها حرفاً.
· يعني أنك ستقف أمام الله يوماً، وستجد كل صغيرة وكبيرة أحصيت.
كيف نستعد لهذا الحساب؟
1.مبدأ المساءلة الذاتية
حاسب نفسك قبل أن تحاسب. كل ليلة، قبل أن تنام، اسأل نفسك:
· ماذا فعلت اليوم؟
· ما الذي أرضى الله؟
· ما الذي أغضبه؟
· هل تصدقت؟ هل ذكرت الله؟ هل غضضت بصري؟ هل حفظت لساني؟
2.تصحيح المسار فوراً
إذا اكتشفت أنك أخطأت، لا تؤجل التوبة. تب فوراً. أصلح فوراً. لا تنتظر الغد.
3.لا تغتر بالمظاهر
قد ترى عملك كبيراً في عينيك، لكنه عند الله هباء. وقد ترى عملا ً صغيراً، لكنه عند الله عظيم. المعيار ليس حجم العمل، بل الإخلاص فيه.
الامر السادس: ضرورة التفريق بين الحقيقة والسراب
كيف تفرق بين ما هو حقيقي وما هو سراب في حياتك؟
المعيار الأول: هل هو لله أم لغيره؟
أي عمل تريد به غير الله، فهو سراب. أي علاقة تريد بها غير الله، فهي سراب. أي مال تجمعه لغير الله، فهو سراب.
المعيار الثاني: هل يبقى أم يفنى؟
العمل لله يبقى. قال تعالى: {مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ ۖ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ} (النحل: 96).
العمل لغير الله يفنى كالسراب.
المعيار الثالث: هل ينفعك يوم القيامة أم لا؟
اسأل أي عمل تقوم به: هل سينفعني هذا يوم ألقى الله؟ إذا كان الجواب لا، فاعلم أنه سراب.
الامر السابع ً: كيف أتجنب مصير السراب في حياتي العملية؟
ربما تسأل: كيف أطبق هذه الآية في واقعي العملي؟ كيف أتجنب أن تكون أعمالي سراباً؟
1.ابدأ كل عمل ببسملة وإخلاص
قبل أن تبدأ أي عمل، قل: "بسم الله، اللهم اجعله خالصاً لوجهك". هذه الكلمات تحول عملك من سراب إلى نور.
2.جدد نيتك دائماً
النية تتجدد. لا تظن أن نيتك الأولى تكفي. جددها كل يوم، كل ساعة، كل عمل.
3.استحضر أن الله يراك
اجعل شعارك: "الله معي، الله يراني". هذا الاستحضار يحميك من الرياء.
4.لا تنتظر جزاء من الناس
إذا أحسنت إلى الناس، فلا تنتظر منهم شكراً. انتظر جزاء الله. إذا مدحوك، لا تغتر. إذا لم يمدحوك، لا تحزن.
5.تذكر لحظة اللقاء
كلما هممت بعمل، تذكر أنك ستقف أمام الله يوماً، وستجد هذا العمل إما ناجياً وإما هالكاً. هذا التذكر يدفعك للإخلاص.
الامر الثامن: الدلالات النفسية والتربوية في قوله (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا)
تأمل هذه اللحظة معي بعمق. تخيل مشهداً:

رجل في صحراء، يموت عطشاً. يرى من بعيد ماء يلمع. يركض. يلهث. يترك كل شيء خلفه. يصل. يمد يده... لا شيء. رمال جافة.
ما هو شعوره؟
· خيبة أمل عظمى: كل الأمل الذي كان يملأ قلبه يتحول إلى يأس.
· صدمة: لم يكن يتوقع أبداً أن يكون ما رآه سراباً.
· ندم: لو كنت تريثت، لو كنت تأكدت.
· عجز: لا يستطيع العودة إلى الوراء.
هذا هو شعور الكافر يوم القيامة. وهذا هو شعور المرائي يوم القيامة. يرى أعماله التي كان يظنها عظيمة، فإذا هي لا شيء. تخيل: سنوات من الصلاة، سنوات من الصدقة، سنوات من الجهاد... كلها تتبخر.
والآن... تأمل معي: هل أنت مستعد لهذه اللحظة؟ هل أنت متأكد أن عملك الذي تظنه عظيماً سيبقى، أم أنه سراب سيختفي؟
الامر التاسع (وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ) الدلالة المرعبة
هذه الكلمات تحمل أعظم معاني الهول.
وجد الله عنده:
· كان يظن أن الله غافل عنه، فوجده حاضراً.
· كان يظن أن أعماله ستنجيه، فوجد الله يحاسبه.
· كان يظن أن له عند الله منزلة، فوجد الله خصماً.
في الدنيا: كان يمر بجوار المسجد ولا يدخل. كان يسمع الآية ولا يتدبر. كان يعمل السيئات ولا يستغفر. كان يظن أن الله لا يراه.
في الآخرة: يجد الله عنده. يجد كل صغيرة وكبيرة أحصيت. يجد كل نظرة حرام، كل كلمة حرام، كل خطوة حرام. كل شيء سجل عليه.
ماذا تفعل الآن لتجنب هذه اللحظة؟
· استحضر أن الله معك الآن.
· تب من ذنوبك الآن.
· أصلح ما بينك وبين الله الآن.
الامر العاشر ً: سرعة الحساب: (وَاللَّهُ سَرِيعُ الحِسَابِ)
الآية تختم بهذه الجملة العظيمة. لماذا؟
لأن السراب يختفي بسرعة. وعندما يأتي الحساب، يكون سريعاً. لا إمهال. لا تأجيل. لا تراجع.
ما معنى سرعة الحساب؟
· الله يحاسب العباد في لحظة، رغم كثرتهم.
· الحساب لا يحتاج إلى وقت، لأنه يعلم كل شيء.
· لا يمكنك أن تتهرب، ولا أن تؤجل، ولا أن تختفي.
ما الدرس العملي؟
· لا تؤجل التوبة .الحساب سريع، والموت سريع، والفرصة قد لا تعود.
· لا تغتر بأن لك وقتاً طويلا ً .قد يكون هذا آخر يوم لك.
الامر الحادي عشر: دور الآية في بناء الإنسان العاقل
هذه الآية تريد أن تبني فيك الإنسان العاقل. والإنسان العاقل هو من:
.1يدرك قيمة العمل الصالح
العاقل يعلم أن العمل لا قيمة له دون إخلاص. فلا يبني على سراب. يبني على أساس من الإيمان وا لإخلاص.
.2يحذر من الغرور والأوهام
العاقل لا يغتر بمظاهر النجاح. لا يغتر بثناء الناس. لا يغتر بكثرة المال. يعلم أن هذه كلها قد تكون سراباً.
.3يستحضر المآل والجزاء
العاقل لا يعيش للحظة فقط. يفكر في نهاية الطريق. يفكر في لقاء الله. يفكر في الحساب.
.4يفهم طبيعة الدنيا
الدنيا دار اختبار، دار سراب، دار فناء. العاقل لا يبني فيها بيته، بل يبني فيها زاده للآخرة.
.5يؤمن بالميعاد والحساب
الإيمان باليوم الآخر هو أعظم حافز للإخلاص. من آمن أنه سيقف بين يدي الله، أحسن العمل.
ثاني عشر: دور الآية في بناء المجتمع والحضارة
الآن نصل إلى البعد الحضاري العظيم لهذه الآية. إنها ليست آية فردية فقط، بل آية تبني أمماً وحضارات.
.1خريطة طريق حضارية
الآية تقدم لنا معادلة النجاح الحضاري:

عمل + إخلاص = بناء
عمل - إخلاص = سراب
كل حضارة تقوم على العمل، لكن العمل إن لم يكن مبنياً على الإيمان والإخلاص، فهو سراب يتبخر.
.2بناء الحضارة على العقيدة والأخلاق
الحضارة الإسلامية لم تكن قوية لأنها بنت مساجد ومصانع فقط، بل لأنها بنت الإنسان على العقيدة. ا لآية تؤسس أن:
· العقيدة هي الأساس: لا حضارة بلا عقيدة صحيحة.
· الأخلاق هي البناء: الأخلاق تبنى على الإيمان.
· القيم الروحية والمادية معاً: لا تغليب لواحد على حساب الآخر.
.3محاربة العمل المظلم
السراب هو العمل بلا إخلاص، وهو عمل مظلم. الآية تحارب هذا العمل، وتدعو إلى:
· المسؤولية: أن تعلم أن مسؤولا ً عن عملك.
· اليقظة: أن تكون يقظاً لا يغتر بالمظاهر.
· الشفافية: أن يكون عملك نقياً من الرياء.
.4المجتمع العفيف والحضارة الراقية
عندما يبنى المجتمع على الإخلاص، يصبح:
· عفيفاً: لا تسوده الشهوات.
· راقياً: تعلى فيه القيم.
· قوياً: لأن العمل فيه متقن.
.5مرجعية الأعمال: الإيمان قبل العمل
الآية تؤسس قاعدة عظيمة: الإيمان هو مرجعية العمل.
لا تبن حضارة على العمل فقط، بل على العمل المنطلق من الإيمان. فالحضارة التي تفصل العمل عن ا لإيمان، هي سراب. تراها كبيرة، لكنها تتبخر.
أمثلة من واقعنا:
· حضارة بنيت على المادية فقط، ماذا وصلت إليه؟ انتحار، اكتئاب، فراغ روحي.
· حضارة بنيت على الاستهلاك فقط، ماذا أنتجت؟ إباحية، استغلال، تدمير للأسرة.
· حضارة بنيت على الأيديولوجيات الباطلة، ماذا كان مصيرها؟ انهيار، حروب، دمار.
الآية تقول: كل هذه سراب. لا قيمة لها عند الله. تتبخر كما يتبخر السراب.
.6الاستثمار الدائم
الآية تقدم مفهوماً عميقاً: الاستثمار في العمل الصالح هو الاستثمار الدائم.
العمل لله يبقى. العمل لغير الله يفنى. من يريد أن يبني حضارة باقية، فليبنها على الإخلاص لله.
.7المراقبة الذاتية: ركيزة المجتمع الآمن
المجتمع الآمن هو الذي يملك أفراداً يراقبون أنفسهم. الآية تزرع هذه المراقبة:
· استحضار الحساب.
· الخوف من الجزاء.
· مساءلة النفس.
هذه المراقبة الذاتية هي ركيزة الأمن الحقيقي. لا تحتاج إلى شرطي في كل زاوية، لأن كل فرد شرطي نفسه.
.8حضارة تربط الأرض بالسماء
الآية تؤسس لحضارة راقية: تربط العمل في الأرض (التجارة والبيع) بالجزاء في السماء. فلا تفصل بين المادة والروح. توزن بينهما. تجعل من العمل الصالح وسيلة لعمارة الأرض ونيل رضوان الله.
.9الفرق بين العمل المنتج والتنمية الزائفة
الآية تظهر الفرق الكبير بين:
· عمل منتج صالح: قائم على النور، يبقى وينفع.
· تنمية زائفة: سراب، تضيع فيها الجهود والأوقات.
كيف نفرق؟
· العمل المنتج الحقيقي هو الذي يجمع بين الإتقان والإخلاص.
· التنمية الزائفة هي التي تهتم بالمظهر دون الجوهر، بالعدد دون الجودة، بالصورة دون الحقيقة.
ثالث عشر: رسائل عملية لتدبر الآية في حياتك
والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل تفاصيلها، دعني أتركك مع رسائل عملية:
الرسالة الأولى: راجع نيتك اليوم
قبل أن تنام الليلة، راجع كل عمل عملته اليوم. هل كان لله؟ أم كان لغيره؟ إن وجدت فيه رياء، فتب منه، واجزم أن تعود إليه بنية خالصة.
الرسالة الثانية: لا تغتر بالمظاهر
قد ترى إنساناً لا يصلي لكنه ناجح في عمله. لا تغتر. نجاحه في الدنيا سراب. وقد ترى إنساناً فقيراً

لكنه صادق مع الله. لا تحتقره. له عند الله نور.
الرسالة الثالثة: اجعل إخلاصك في عملك
إذا كنت موظفاً، فاعمل كأنك ترى الله. أتقن عملك، لا لأن المدير يراك، بل لأن الله يراك. هذا العمل يبقى.
الرسالة الرابعة: لا تنتظر جزاء من الناس
إذا أحسنت إلى الناس، فانتظر جزاء الله. لا تنتظر شكرهم. فشكرهم قد يأتي وقد لا يأتي، وجزاء الله آتٍ لا محالة.
الرسالة الخامسة: استعد للحساب
كل يوم، قبل أن تنام، حاسب نفسك. هذه العادة تحول دون أن تكون أعمالك سراباً.
الرسالة السادسة: اقرأ الآية بتدبر
اجعل لك ورداً يومياً من هذه الآية. تأمل فيها. استشعر مشهد السراب. استشعر لحظة (لم يجده شيئاً). هذا الاستشعار يحميك من الرياء.
الخاتمة: أنت الآن أمام خيار
بعد أن عشنا هذه الآية معاً، أنت الآن أمام خيار:
الخيار الأول: أن تستمر كما أنت، تعمل أحياناً لله وأحياناً لغير الله، تغتر بالمظاهر، لا تحاسب نفسك، تظن أن عملك عظيم... ثم تأتي يوم القيامة فتجد عملك سراباً. هذا الخيار مرعب.
الخيار الثاني: أن تبدأ اليوم، من هذه اللحظة، في تصحيح نيتك. أن تجدد إخلاصك. أن تحاسب نفسك. أن تقدم العمل الصالح الخالص لله. أن تبنيه على أساس من الإيمان. ثم تلقى الله بعمل يبقى وينفع.
أي الخيارين ستختار؟
تذكر:
· الله معك الآن.
· كل أعمالك محصاة.
· ستقف أمامه يوماً.
· ستجد عملك إما ناجياً وإما هالكاً.
فلتكن من الذين إذا جاءوا الله يوم القيامة وجدوا أعمالهم نوراً، لا سراباً. ولتكن من الذين يقال لهم: {كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} (الحاقة: 24).

خامسا

بعد أن رأينا في الآية السابقة صورة الكافر الذي بنى أعماله على السراب، فإذا بها تتبخر عند الحاجة، تأتي هذه الآية لتصور لنا حالا ً أشد ظلمة، وأكثر تعقيداً، وأعظم إيحاءً بالضياع والتخبط. إنها تصف لنا من فقد النور في داخله، فصار يعيش في ظلمات متراكبة، بعضها فوق بعض، لا يرى، لا يبصر حقيقة، لا يجد مخرجاً.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تنزل الآن لتفتح عينيك على حقيقة مرعبة: أن الضلال ليس مجرد غياب النور، بل هو ظلمات متوالية، متكاثفة، تحيط بالإنسان من كل جانب:
{أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ۚ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا ۗ وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ} (النور:40).
الآن... تخيل نفسك في أعماق بحر، ليس بحراً عادياً، بل بحر لجي، عميق لا قرار له. وفوق هذا البحر أمواج عاتية، وفوق الأمواج أمواج أخرى، وفوق ذلك كله سحاب كثيف يحجب ضوء الشمس. أنت في هذه الأعماق، تمد يدك أمامك، لا تكاد تراها. هذه هي صورة من فقد نور الله. هذه هي صورة من عاش في ظلمات الجهل والشك والمعصية والضلال.
لكن قبل أن نغوص في هذا المشهد المرعب، دعني أسألك سؤالا ً يلامس أعماقك:
هل أنت متأكد أنك ترى الطريق واضحا؟ أم أن هناك ظلمات تحيط بك لا تشعر بها؟ هل أنت في نور ، أم أنك في بحر لجي لا ترى فيه يدك؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تخاطب كل واحد منا باسمه.
وقفة مع الآية: عندما تتراكم الظلمات
الامر الاول: لماذا هذه الصورة؟ ولماذا البحر اللجي تحديداً؟
قبل أن نعيش في تفاصيل هذه الصورة العظيمة، لنتأمل لماذا اختار الله هذا المثل تحديداً:
البحر اللجي: هو البحر العميق الذي لا يرى قعره. رمز للضلال الذي لا قرار له، الذي تغرق فيه النفوس فلا تجد قاعاً ترسو عليه.
الموج من فوقه موج: أمواج متتالية، متكاثفة، تعلو بعضها بعضاً. رمز للشبهات والشهوات والمعاصي التي تتراكم على القلب، كلما ظن أنه خرج من ظلمة، دخل في أظلم منها.
السحاب من فوقه: السحاب الكثيف الذي يحجب ضوء الشمس والقمر والنجوم. رمز للغفلة والجهالة التي تمنع نور الهداية من الوصول إلى القلب.
ظلمات بعضها فوق بعض: هذه هي الذروة. ظلمة البحر في الأعماق، وظلمة الموج الأول، وظلمة الموج الثاني، وظلمة السحاب. ظلمات متراكمة، لا منفذ للنور إليها.

إذا أخرج يده لم يكد يراها: هذه أشد لحظات العزلة والضياع. الإنسان في هذه الظلمات لا يرى يده التي أمام عينيه. لا يبصر أقرب الأشياء إليه. كيف يبصر الطريق؟ كيف يبصر الحق؟ كيف يبصر الخير من الشر؟
والآن... تأمل:
هل تعرف أحداً يعيش هكذا؟ هل تعرف أناساً تتراكم عليهم ظلمات الجهل، وظلمات الشبهات، وظلمات الشهوات، وظلمات المعاصي، حتى فقدوا القدرة على رؤية أي شيء بوضوح؟ قد يكون هذا الشخص قريباً منك. وقد تكون أنت، لو لم ينر الله قلبك.
الامر الثاني القيم الإيمانية والأخلاقية التي تتحدث عنها الآية
هذه الآية تحمل في طياتها قيماً عظيمة، تحتاج أن تترسخ في أعماقك:
.1قيمة الهداية والنور الإلهي: أصل النجاة
الآية تعلن حقيقة كبرى: النور من عند الله.
ليس النور بالذكاء، ولا بالمال، ولا بالنسب، ولا بالعلم وحده. النور هبة من الله لمن شاء. قال تعالى في ختام الآية: {وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ مِن نُورٍ}.
ماذا يعني هذا لك؟
· أن تطلب الهداية من الله، لا من البشر.
· أن تشكر الله على نعمة النور التي في قلبك.
· أن تعلم أن النور ليس ثابتاً، بل يحتاج إلى تجديد بالطاعة.
· أن تخشى أن يسلبك الله هذا النور إن أسأت.
.2خطورة الكفر والضلال
الآية تصور الكفر والضلال كظلمات متراكمة. كلما ابتعد الإنسان عن الله، تراكمت عليه الظلمات:
· ظلمة الجهل: لا يعرف الله، لا يعرف الحق.
· ظلمة الشك: يتخبط بين الأقوال، لا يستقر على يقين.
· ظلمة المعصية: كل ذنب يظلم القلب.
· ظلمة الغفلة: يمر عليه الزمن وهو لا يشعر.
· ظلمة الهوى: يتبع شهوته فيضل الطريق.
هذه الظلمات بعضها فوق بعض. كل ظلمة تدعو إلى أخرى، وتعمق الأخرى. يبدأ الإنسان بشك بسيط، فيصير كافراً. يبدأ بمعصية صغيرة، فيصير غافلاً. يبدأ بهوى عابر، فيصير أسيراً.
.3عاقبة الضلال والكفر
الآية تتركك مع مشهد مرعب: إنسان في ظلمات متراكمة، لا يرى يده، لا يرى طريقه، لا يرى مخرجه.
هذه هي عاقبة من أعرض عن نور الله.
ولاحظ أن الآية لم تقل أن الله أوقعهم في الظلمات، بل قالت إنهم في ظلمات، وجعلت السبب في قوله: {وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نُورًا}. أي أن الظلمة هي نتيجة طبيعية لعدم هداية الله. والله لا يهدي من لا يريد الهداية.
الامر الثالث التفكير في آثار الأعمال الفاسدة
الآية تدفعك للتأمل: ما هي نتيجة الأعمال التي لا تقوم على الإيمان؟
الأعمال الفاسدة:
· تبني على ظلمة الجهل، فتنتهي إلى ظلمات.
· لا قيمة لها عند الله، مهما كانت كبيرة في أعين الناس.
· تشبه من يحاول السباحة في بحر لجي في ظلمات متكاثفة، لا يصل إلى بر، ولا يجد قراراً.
كيف أتجنب هذا المصير؟
· أن أبني أعمالي على نور الإيمان.
· أن أخلص عملي لله.
· أن أتأكد من أن ما أفعله له قيمة عند الله، لا عند الناس فقط.
الامر الرابع: دور الآية في بناء الإنسان نورانياً
هذه الآية تريد أن تبني فيك إنساناً يستضيء بنور الله، لا يعيش في الظلمات.
.1صلاح الإنسان يعتمد على وجود النور
الآية تعلن حقيقة: الإنسان بلا نور إيمان هو إنسان ضائع، متخبط، لا يرى طريقه. هذا الإنسان لا يمكن أن يبني نفسه، ولا أن يسهم في بناء مجتمعه.
كيف أكون إنساناً نورانياً؟
· أن أطلب الهداية من الله كل يوم.
· أن أتعلم العلم النافع الذي ينير بصيرتي.
· أن أتحلى بالقيم التي تهديني إلى الطريق.
.2التحذير من ضياع الهوية
الإنسان الذي يعيش في ظلمات بعضها فوق بعض، يفقد هويته. لا يعرف من هو، ولا إلى أين يسير، ولا ما هي قيمه. هذه صورة مرعبة لكثير من الناس في عصرنا: يملكون كل شيء، لكنهم لا يملكون

هوية. يملكون المال، لكنهم لا يملكون يقيناً. يملكون وسائل التواصل، لكنهم لا يملكون تواصلا ً مع أنفسهم.
الآية تقول لك: لا تكن منهم. تمسك بنور الله، تعرف هويتك، تعرف طريقك.
.3دور الوصف الدقيق للظواهر الطبيعية في بناء العقل
هذه الآية تصف لنا مشهداً بحرياً دقيقاً:
· بحر لجي) عميق.(
· أمواج من فوقه أمواج.
· سحاب من فوقه.
· ظلمات بعضها فوق بعض.
· عدم الرؤية حتى لليد.
هذا الوصف لم يكن معروفاً في زمن نزول القرآن. الناس لم يكونوا يعرفون أن أعماق البحار مظلمة، وأن الأمواج الداخلية موجودة تحت الأمواج السطحية. هذا من الإعجاز العلمي الذي يثبت أن القرآن من عند الله.
كيف نستفيد من هذا؟
· يدفعنا للتأمل في خلق الله.
· يدفعنا لدراسة العلوم الطبيعية.
· يربط الإيمان بالتفكير العلمي.
· يبني فينا عقلية المؤمن الذي يبحث عن الحقائق.
الامر الخامس ً: التحذير من التخبط والفوضى
الآية تحذرنا من التخبط الذي يحدث عندما نفقد النور:
التخبط:
· عدم وضوح الرؤية.
· كثرة الخيارات مع ضعف التمييز.
· الانجراف وراء كل دعوة.
· عدم الاستقرار على منهج.
التنمية تحتاج إلى رؤية واضحة
أي مشروع تنموي، أي بناء مجتمعي، يحتاج إلى رؤية واضحة. بدون نور، لا رؤية. بدون رؤية، فشل.
ماذا تعلمنا الآية؟
· التنمية الحقيقية تبدأ من النور في القلوب.
· المشاريع التي تخلو من القيم الإيمانية، وإن بدت ناجحة في الظاهر، فهي في جوهرها ظلمات.
· الوضوح والشفافية هما أساس النجاح.
الامر السادس: دور الآية في بناء الإنسان نفسياً وعقائدياً
هذه الآية تعمل على بناء الإنسان من الداخل:
.1بناء الوعي والعقيدة
الآية تبرز الفارق الشاسع بين:
· حال المؤمن: نور على نور، مشكاة فيها مصباح.
· حال الكافر: ظلمات بعضها فوق بعض، لا يرى يده.
هذا التباين يدفع الإنسان للبحث عن الحق، والاتصال بنور الله.
.2تحرير النفس من الغرور
الإنسان قد يغتر بعمله، فيظنه كبيراً وهو عند الله هباء. الآية تصور أعمال غير المؤمنين كظلمات متراكبة، مما يربي في الإنسان حساً نقدياً:
· لا تغتر بكثرة العمل.
· انظر إلى من تعمل له.
· انظر إلى ما يرضي الله.
.3الوقاية النفسية من التشتت
الإنسان الذي يعيش في ظلمات متعددة، يعيش في تشتت دائم. لا يستقر على حال، لا يقر له قرار. ا لآية تحذر من هذا المصير، وتدفعك للتمسك بنور الله الذي يمنحك الاستقرار النفسي.
الامر السابع: دور الآية في بناء المجتمع المسلم
الآية لا تبني فرداً فقط، بل تبني مجتمعاً:
.1تحصين المجتمع من الانحراف
عندما يعرف المجتمع أن الهداية من الله، وأن من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور، يدرك أن الا نحراف ليس مجرد خيار شخصي، بل هو ضياع وهلاك. هذا يدفع المجتمع لحماية أفراده من أسباب ا لانحراف.
.2ترسيخ مرجعية الهداية
المجتمع الذي يؤمن أن النور من عند الله، يعرف أنه لا مرجعية للهداية إلا الله. فلا يتبع أهواء البشر،

ولا يخضع لضغوطهم، بل يلتزم بشرع الله.

3.التحذير من ضلال الأعمال

الآية تحذر المجتمع من أن تغره الأعمال الظاهرية التي لا إيمان فيها. فالمجتمع قد يبني مدارس ومستشفيات ومصانع، لكنها إذا خلت من الإيمان، فهي ظلمات. هذه نظرة ثاقبة تبني مجتمعاً لا يغتر بـ المظاهر.

4.التحصين العقائدي

الآية ترسخ في المجتمع أن النور لا يكتسب بالنسب أو المال أو الذكاء، بل هو هبة من الله لمن اتبع سبيله. هذا يجعل المجتمع متواضعاً، لا يتكبر بماله أو علمه، بل يتواضع لله ويطلب منه الهداية.

5.مجتمع منضبط بشرع الله

تصوير الضلال كظلمات في بحر لجي، حيث الأمواج تعلو بعضها، يظهر أن المجتمع البعيد عن الله يعيش في فوضى وتخبط. هذا يدفع المجتمع إلى التمسك بالشرع لبناء الاستقرار.

الامر الثامن دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية

الآن نصل إلى البعد الحضاري العظيم:

1.تأسيس العقيدة على النور والهداية

الحضارة الإسلامية تقوم على عقيدة صافية، لا على مادية جافة ولا على أوهام. هذه العقيدة هي منطلق كل بناء.

2.التحفيز على التفكر والبحث العلمي

الوصف الدقيق للظلمات في البحر اللجي حفز المسلمين على دراسة العلوم الطبيعية. عندما يقرأ المسلم هذه الآية، يتساءل: كيف عرف النبي صلى الله عليه وسلم هذه الحقائق؟ فيزداد إيمانه، ويُدفع للبحث العلمي.

3.التحذير من التخبط الحضاري

الآية تحذر من التخبط الذي يحدث عندما تفقد الحضارة نور الهداية. الحضارات التي تبتعد عن الله، تعيش في ظلمات بعضها فوق بعض:

- ظلمة الجهل.
- ظلمة المادية.
- ظلمة الأخلاق المنحلة.
- ظلمة الصراعات.

4.تعزيز المرجعية القرآنية

الآية نموذج للربط بين الواقع المحسوس (البحر والأمواج) والمفاهيم المعنوية (النور والظلمة). هذا يعزز منهجاً فكرياً يجمع بين المادة والروح، بين العلم والإيمان، بين العقل والنقل.

5.ربط الهداية الإلهية بالعمل الإنساني الواعي

الآية تؤسس لحضارة تجمع بين:

- الهداية من الله: المصدر.
- العمل الإنساني: التطبيق.
- العلم والاكتشاف: الأداة.

هذا المزيج هو ما جعل الحضارة الإسلامية حضارة ذات عمق إيماني ورقي علمي.

الامر التاسع: الإعجاز العلمي في الآية

هذه الآية تحمل إعجازاً علمياً عظيماً، يثبت أن القرآن من عند الله:

1.ظلمات البحر العميق

العلم الحديث اكتشف أن أعماق البحر (أكثر من 200 متر) مظلمة تماماً، لا يصل إليها ضوء الشمس. والقران وصف ذلك قبل 1400 سنة.

2.الأمواج الداخلية

العلم الحديث اكتشف أن هناك أمواجاً داخلية في البحار، تحت الأمواج السطحية، لا ترى بالعين المجردة. والقران قال: {يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ}.

3.تراكم الظلمات

القران وصف الظلمات بأنها بعضها فوق بعض:

- ظلمة الأمواج السطحية.
- ظلمة الأمواج الداخلية.
- ظلمة أعماق البحر.
- ظلمة السحاب.

4.عدم الرؤية

{إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا {هذا وصف دقيق لما يحدث في الأعماق، حيث لا ترى يدك أمامك.

5.كيف نستفيد من هذا الإعجاز؟

- يزيدنا إيماناً بأن القرآن من عند الله.
- يدفعنا لدراسة العلوم الطبيعية.

· يربط العلم بالدين.
· يثبت أن الإسلام لا يعادي العلم، بل يحفز عليه.
الامر العاشر: كيف أتدبر هذه الآية في حياتي العملية؟
والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل تفاصيلها، كيف نطبقها في واقعنا؟
.1اسأل نفسك كل يوم: هل أنا في نور أم في ظلمات؟
لا تفترض أنك في نور لمجرد أنك مسلم. النور يحتاج إلى تجديد. راجع أعمالك، راجع نياتك، راجع مسارك.
.2احذر من تراكم الظلمات
الظلمة لا تأتي دفعة واحدة. تبدأ بذنب صغير، ثم تكبر. تبدأ بشبهة بسيطة، ثم تتعمق. كن حذراً من الصغائر قبل الكبائر.
.3اطلب النور من الله كل لحظة
لا تكتفِ بهداية الماضي. اطلب الهداية كل يوم. قل في صلاتك: "اهدنا الصراط المستقيم". قل في دعائك: اللهم اجعل لي نوراً".
.4تأمل في الآية وتدبرها
اجعل لك ورداً يومياً من هذه الآية. تأمل في مشهد الظلمات. تأمل في حال من فقد النور. هذا التأمل يحميك من الغرور، ويذكرك بنعمة الله عليك.
.5كن سبباً في هداية الآخرين
إذا كنت في نور، فانقله إلى من حولك. لا تكن أنانياً بنورك. كن مشكاة تضيء للآخرين.
.6لا تغتر بالعلم دون الإيمان
العلم وحده لا ينير. كم من عالم ضل؟ نور العلم يحتاج إلى نور الإيمان ليكون هداية.
.7احذر من ظلمات الشبهات
في عصرنا، تنتشر الشبهات بكثرة. احمِ قلبك بالعلم الصحيح، وبالرجوع إلى العلماء الربانيين.
.8احذر من ظلمات الشهوات
الشهوات تحجب النور. كل شهوة تتبعها تضعف نور قلبك. جاهد نفسك، وغض بصرك، واحفظ جوارحك.
.9احذر من ظلمات المعاصي
كل معصية ظلمة. تب منها قبل أن تتراكم الظلمات وتحجب النور كله.
.10اشكر الله على نعمة النور
أعظم نعمة أنعمها الله عليك هي نور الإيمان. اشكره عليها، واسأله الثبات عليها.
الحادي عشر: رسائل أخيرة من أعماق الآية
قبل أن أختم، دعني أتركك مع رسائل من هذه الآية، تنير طريقك:
الرسالة الأولى: أنت لست في أمان من الظلمات
لا تظن أنك مؤمن لا تضل. الظلمات تحيط بنا من كل جانب. ما يبقيك في النور هو تمسكك بالله، ودعاؤه، واتباع شرعه.
الرسالة الثانية: الظلمات تتراكم
كل ذنب تتركه، وكل شبهة تتبعها، وكل شهوة تطلقها، هي ظلمة تضاف إلى ظلماتك. لا تحتقر صغيرة، فهي قد تكون بداية ظلمات متتالية.
الرسالة الثالثة: النور بيد الله وحده
لا تستغني عن الله طرفة عين. أنت في كل لحظة محتاج إليه أن يثبتك على النور. اسأله دائماً.
الرسالة الرابعة: لا تغتر بالعمل دون الإيمان
قد تبني أعمالا ً عظيمة في الدنيا، لكنها إذا لم تكن مبنية على الإيمان، فهي ظلمات. اجعل إيمانك هو أساس كل عمل.
الرسالة الخامسة: العلم الحقيقي يوصل إلى النور
كل علم يقربك إلى الله، فهو نور. وكل علم يبعدك عن الله، فهو ظلمة. اختر علومك بعناية.
الرسالة السادسة: المجتمع بلا نور هو بحر لجي
المجتمع الذي يفقد نور الهداية، يعيش في تخبط وضياع. أنت مسؤول أن تكون نوراً في مجتمعك.
الخاتمة: أنت الآن أمام خيار مصيري
بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، أنت الآن أمام خيار:
الخيار الأول: أن تغتر بنورك الحالي، فتتهاون في طاعة الله، تتبع الشهوات، تغفل عن الذكر، تترك الصلاة، تسمع الشبهات... فتبدأ الظلمات تتراكم عليك، شيئاً فشيئاً، حتى تصبح كمن في بحر لجي، يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب، إذا أخرج يده لم يكد يراها.
الخيار الثاني: أن تمسك بنور الله، وتشكره عليه، وتطلب منه الثبات، وتجتهد في الطاعة، وتتجنب المعاصي، وتعلم العلم النافع، وتكون قدوة حسنة. فتبقى في النور، ويزيدك الله نوراً على نور.
أي الخيارين ستختار؟
تذكر قوله تعالى: {وَمَن لَمْ يَجْعَلِ اللهُ لهُ نُورًا فَمَا لهُ مِن نُورٍ}. لا نور إلا من الله. فإذا أردت النور،

فعليك بالله.
اللهم اجعل لنا نوراً، وزدنا نوراً، ولا تسلب منا نورك أبداً. اللهم إنا نسألك الثبات على الهدى، والبصيرة في الدين، واليقين الذي لا يتزعزع. اللهم أخرجنا من الظلمات إلى النور، واجعلنا من عبادك الذين يمشون بنورك في الأرض.

سادسا

بعد أن غصنا في أعماق الظلمات مع الآية السابقة، ورأينا حال من فقد نور الله، تأتي هذه الآية لتفتح لنا نافذة على مشهد كوني مهيب، مشهد يملأ النفس سكينة، ويثير في القلب خشوعاً، ويدفع العقل إلى التأمل والتفكر. إنها تدعوك لترى ما لم تكن تراه، لتشعر بما لم تكن تشعر به، لتدرك أنك لست وحدك في هذا الكون، بل أنت جزء من منظومة هائلة، كلها تسبح لله، كلها تؤدي وظيفتها، كلها في طاعة وخضوع.

تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تفتح عينيك الآن على حقيقة كنت غافلاً عنها:

{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ} (النور: 41).

الآن... تخيل نفسك واقفاً في فجر يوم جديد، تنظر إلى السماء، ترى الطيور تصف أجنحتها في السماء، تسمع أصواتها تغرد، تشعر بأن هناك لحناً كونياً لا تسمعه أذنك، لكنه يملأ الوجود. تخيل أن كل شيء من حولك - الشمس والقمر والنجوم، والأشجار والجبال، والبحار والأنهار، وكل حيوان يتحرك - كلها في حالة خشوع وطاعة وخضوع لخالقها.

ثم تخيل أنك مدعو لأن تنضم إلى هذه المنظومة العظيمة، أن تكون جزءاً من هذا التسبيح الكوني، أن تصل صلاتك وتسبيحك بتسبيح الكون كله، فتصبح في تناغم مع الوجود، في انسجام مع الخالق.

لكن قبل أن ننطلق في هذا المشهد المهيب، دعني أسألك سؤالاً يوقظ فيك ما قد يكون غافلاً عنه:

هل شعرت يوماً أنك لست وحدك؟ أن هناك من يسبح معك؟ أن الكون كله في صلاة؟ هل شعرت بالانسجام مع هذا الكون؟ أم أنك تعيش منفصلاً عنه، غافلاً عن تسبيحه، مشغولاً بنفسك فقط؟

تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تفتح أعيننا على عالم لم نكن نراه.

وقفة مع الآية: عندما تفتح عينيك على تسبيح الكون

اولا: لماذا (أَلَمْ تَرَ) وليس (أَلَمْ تعْلَمْ)؟

هذا السؤال في غاية الأهمية. تأمل معي الفرق:

ألم تعلم: تعني أخبرك بشيء لتعرفه. إنه خطاب عقلي بحت.

ألم تر: تعني انظر، تأمل، أبصر بعين قلبك، تدبر، استشعر. إنه خطاب يجمع العين والبصيرة.

ما دلالة ذلك؟

- الله يريدك أن ترى بعينيك آثار تسبيح الكون.
- أن تنظر إلى الطير كيف يصطف في السماء، فترى بعينك مشهد الطاعة.
- أن تتأمل في السماء والأرض، فترى ببصيرتك أن كل شيء خاضع لله.
- أن تشعر بالعجب: كيف تغفل عن هذا المشهد العظيم؟!

الرؤية هنا نوعان:

1. رؤية العين: أن تنظر إلى الطير صافات، إلى الجبال شامخات، إلى البحار زاخرات.
2. رؤية القلب: أن تتدبر، أن تفهم أن هذه المخلوقات تسبح الله، أن تشعر بخشوعها.

وأنت الآن... هل رأيت؟ هل فتحت عينيك على هذا المشهد؟ أم أنك تمر على الطير والجبال و البحار دون أن ترى فيها تسبيحاً؟

ثانيا: من الذي يسبح لله؟

قال تعالى: {يُسَبِّحُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}.

شمولية مطلقة: كل من في السماوات والأرض. ليس الإنسان فقط، بل:

- الملائكة في السماوات.
- الجن في الأرض.
- البشر أحياء وأمواتاً (الموتى يسبحون في عالم البرزخ؟)
- الجمادات: الجبال، والحجارة، والتراب.
- النباتات: الأشجار، والزهور، والأعشاب.
- الحيوانات: الطير، والدواب، والحشرات.
- البحار والأنهار.
- الرياح والسحاب.
- الشمس والقمر والنجوم.

كل شيء يسبح لله. لا شيء خارج عن هذه المنظومة.

ولكن كيف يسبح الجماد والحيوان؟
· تسبيح المقال: بعض المخلوقات تسبح بألسنتها، كالإنسان والملائكة.
· تسبيح الحال: أكثر المخلوقات تسبح بحالها، بوجودها، بوظيفتها، بانقيادها لأمر الله.
الجماد يسبح: الجبل يسبح بوجوده شامخاً، والحجر يسبح بانقياده لسنة الله، والتراب يسبح بإخراجه النبات. كل شيء يؤدي وظيفته التي خلقه الله لها، فهذا هو تسبيحه.
الطير يسبح: لكن الله خص الطير بالذكر من بين كل الحيوانات. لماذا؟
ثالثا ً: لماذا خص الله الطير بالذكر؟
قال تعالى: {وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ}.
لماذا الطير تحديداً؟
1. لأن تسبيح الطير مرئي: الطير يصف أجنحته في السماء، هذا مشهد مرئي. تسبيح الحوت في قاع البحر لا تراه، لكن تسبيح الطير تراه عيناك. فيدعوك إلى التأمل.
2. لأن الطير يسبح في حالة العمل: الطير يسبح وهو يطير، يسبح وهو يصف أجنحته، يسبح وهو يبحث عن رزقه. هذا درس عظيم: العبادة لا تعني الكسل. يمكنك أن تسبح الله وأنت تعمل، وأنت تسعى، وأنت تنتج.
3. لأن الطير يجمع بين الطاعة والعمل: الطير في حال صف أجنحته هو في أشد حالات العمل و الطيران، لكنه في نفس الوقت في حالة تسبيح. هذا يعلمنا أن نجمع بين العمل والعبادة، بين السعي في الأرض والذكر.
4. لأن الطير رمز للحركة المنضبطة: الطير يطير بأجنحته وفق نظام دقيق، لا يصطدم بغيره، لا يخرج عن مساره. هذا يعلمنا أن العبادة ليست فوضى، بل نظام وانضباط.
ماذا يعني (صَافَّاتٍ)؟
· صافات: أي باسطات أجنحتهن في الهواء.
· الطير يصف جناحيه أحياناً ويقبضهما أحياناً، لكن في حال صف الأجنحة يكون في أشد حالات الطاعة والانقياد.
والآن... تأمل الطير من حولك: تراها تطير، تصف أجنحتها، تغرد، تبحث عن رزقها. كل هذا تسبيح. أ لا تريد أن تكون مثلها؟ تسبح الله وأنت تعمل، وأنت تسعى، وأنت تنتج؟
رابعا: مفهوم (كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ)
هنا لفتة عظيمة. كل مخلوق يعلم صلاته وتسبيحه.
ما معنى هذا؟
· كل مخلوق يعلم وظيفته التي خلقه الله لها.
· كل مخلوق يعلم كيف يعبد ربه على طريقته.
· لا مخلوق خارج عن هذه المعرفة.
الإنسان: يعلم أنه خلق لعبادة الله، يعلم كيف يصلي، كيف يسبح.
الملك: يعلم وظيفته، يعلم كيف يسبح.
الطير: يعلم كيف يطير، كيف يبحث عن رزقه، كيف يسبح ربه.
الشمس: تعلم متى تشرق، متى تغرب، كيف تدور، هذا هو تسبيحها.
القمر: يعلم مراحله، يعلم مداره، هذا تسبيحه.
الجبال: تعلم كيف تثبت الأرض، هذا تسبيحها.
ما الدرس لك؟
· أنت أيضاً خلقت لتعرف صلاتك وتسبيحك.
· لا تكن أقل من الطير! الطير يعرف وظيفته، فهل أنت تعرف وظيفتك؟
· وظيفتك: أن تعبد الله، أن تعمر الأرض، أن تؤدي الأمانة.
خامسا ً: التسبيح العام والتسبيح الخاص
التسبيح العام:

· هو تسبيح كل المخلوقات بحالها، بوجودها، بانقيادها لأمر الله.
· هذا التسبيح لا ينقطع أبداً.
· هذا التسبيح لا يحتاج إلى وعي من المخلوق، بل هو قهري.
التسبيح الخاص:

· هو تسبيح المؤمنين من البشر والملائكة.
· هذا التسبيح اختياري، يحتاج إلى نية وإخلاص.
· هذا التسبيح هو الذي يرتفع إلى الله ويقبل.
وأنت:
· لك تسبيح عام: أنت موجود، تسير، تتنفس، هذا تسبيح بحال.
· ولك تسبيح خاص: أن تذكر الله بلسانك وقلبك، هذا تسبيح بالاختيار.

· الأفضل أن تجمع بينهما.
سادساً: القيم والمفاهيم التي تزرعها الآية في نفسك
هذه الآية تحمل في طياتها كنوزاً من القيم، تنتظر أن تنزل إلى قلبك:
1. مفهوم استشعار شمولية التسبيح
عندما تدرك أن الكون كله يسبح لله، وأنت جزء منه، تتغير نظرتك للحياة:
· لم تعد وحيداً، بل أنت في منظومة كونية هائلة.
· لم تعد تتصرف كيفما تشاء، بل أنت مسؤول.
· لم تعد تغفل عن الله، فكل شيء من حولك يذكرك به.
هذا الاستشعار يوقظك من غفلتك.
2. مفهوم العبادة التي يجب أن تلتزم بها
الطير يسبح، والجبال تسبح، والشمس تسبح. كل المخلوقات تؤدي واجبها تجاه خالقها. فكيف بك أنت؟ أتكون أقل من الطير؟
الدرس: العبادة ليست خياراً، بل هي وظيفتك التي خلقت من أجلها.
3. مفهوم الإيجابية والانتاجية
الطير يسبح وهو في حالة عمل: يطير، يصف جناحيه، يبحث عن رزقه. هذا يعني:
· العبادة لا تعني الكسل.
· يمكنك أن تسبح الله وأنت تعمل، تدرس، تسعى.
· العمل نفسه يمكن أن يكون عبادة إذا نويت به وجه الله.
4. فهم الوظيفة التي خلقت لها
كل مخلوق يعلم صلاته وتسبيحه. هل أنت تعلم صلاتك وتسبيحك؟
صلاتك: هي عبادتك لله، طاعتك له، التزامك بشرعه.
تسبيحك: هو ذكرك لله في كل أحوالك.
اسأل نفسك: هل أنت تؤدي وظيفتك كما يؤدي الطير وظيفته؟
5. الربط بين العبادة الروحية والعمل الدنيوي
الآية تجمع بين:
· التسبيح (العبادة الروحية).
· الطير صافات (العمل والحركة).
· كل قد علم صلاته وتسبيحه (النظام والإتقان).
هذا يعني: أن المؤمن الحقيقي هو من يجمع بين الروح والمادة، بين العبادة والعمل، بين القلب و الجوارح.
6. غرس مفهوم المراقبة الذاتية
عندما تعلم أن الله عليم بما يفعلون، تراقب نفسك. كل حركة، كل سكون، كل كلمة، كل نظرة، الله يعلمها.
هذه المراقبة: تمنعك من المعصية، وتدفعك إلى الطاعة، وتجعل عملك متقناً.
7. كيف نجعل التسبيح والذكر نمط حياة؟
لتعلم نفسك وأولادك أن التسبيح ليس مجرد كلمات ترددها، بل:
· تسبيح بالحال: أن تكون في حالة طاعة لله في كل حركاتك.
· تسبيح بالعمل: أن يكون عملك خالصاً لله.
· تسبيح بالنظام: أن تلتزم بما أمرك الله به.
· تسبيح بالقصد: أن تنوي بعملك وجه الله.
الطير يسبح الله بصف جناحيه. فكيف تسبحه أنت؟
· تسبحه بعملك المتقن.
· تسبحه بصدقك وأمانتك.
· تسبحه بمعاملتك الحسنة.
· تسبحه بابتسامتك في وجه أخيك.
· تسبحه بكف أذاك عن الناس.
سابعاً: أهمية الانسجام مع الكون في حركتنا
عندما تدرك أن الكون كله يسبح لله، وأنك جزء من هذه المنظومة، تحس بحاجة إلى الانسجام مع هذا الكون:
ماذا يعني الانسجام مع الكون؟
· أن تعيش كما يعيش الكون في طاعة الله.
· أن تتحرك كما يتحرك الكون في نظام ودقة.
· أن تؤدي وظيفتك كما يؤدي كل مخلوق وظيفته.
· أن لا تكون نغمة شاذة في هذا الكون المتناغم.

فوائد هذا الانسجام:
· الطمأنينة النفسية: عندما تشعر أنك متناغم مع الكون، تطمئن نفسك.
· الأمن النفسي: تعلم أنك لست وحدك، بل معك الكون كله في طاعة الله.
· البعد عن الغرور: ترى نفسك جزءاً صغيراً من منظومة هائلة، فلا تتكبر.
· الحركة بوعي: لا تتحرك عشوائياً، بل بوعي وإدراك.
ثامنا ً: ربط العلم بالعبادة
الآية تختم بـ {وَاللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ}.
لماذا هذه الخاتمة؟
لتربط بين:
· العلم: الله عليم.
· الفعل: بما يفعلون.
المعنى: أن كل فعل تقوم به، وكل تسبيح تسبحه، وكل صلاة تصليها، الله يعلمه. لا يخفى عليه شيء.
كيف نستفيد من هذا؟
· تعلم أن الله يراك، فتراقب نفسك.
· تعلم أن الله يعلم نيتك، فتخلص العمل.
· تعلم أن الله يعلم سرك وعلانيتك، فلا تنافق.
تاسعا ً: دور الآية في بناء الإنسان تربوياً ونفسياً
هذه الآية تعمل على بناء الإنسان من الداخل:
1. الوعي بالمعية الكونية
عندما تدرك أن الكون كله معك في تسبيح الله:
· تتحرر من الأنانية: لم تعد مركز الكون، أنت جزء صغير منه.
· تشعر بالمسؤولية: أنت جزء من منظومة، مسؤول عن دورك فيها.
· تؤسس لمجتمع متعاون: إذا شعر كل فرد أنه جزء من منظومة واحدة، تعاونوا.
2. الانضباط والعبودية
عندما تعلم أن كل مخلوق يؤدي وظيفته بدقة، تدرك أنك مدعو للانضباط:
· أن تلتزم بصلاتك في وقتها.
· أن تلتزم بأوامر الله.
· أن تلتزم بأخلاق الإسلام.
3. الرقابة الذاتية والفاعلية الإيجابية
عندما تعلم أن الله عليم بما تفعل:
· تراقب نفسك.
· تتحسن أعمالك.
· تزداد إيجابيتك.
عاشرا: دور الآية في بناء المجتمع
هذه الآية تبني مجتمعاً متماسكاً:
1. وحدة الهدف والغاية
عندما يعلم أفراد المجتمع أن الكون كله يسبح لله:
· يتوحدون على غاية عليا.
· تقل النزاعات.
· تعلو المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.
2. تعزيز الطاعة والانتظام
المجتمع الذي يعلم أن كل مخلوق يطيع الله، يزداد طاعة:
· يلتزم بالشرع.
· ينتظم في عباداته.
· يبتعد عن فوضى المعاصي.
3. بناء مجتمع عفيف طاهر
عندما يراقب الفرد نفسه، ويعلم أن الله يراه، يبتعد عن الفواحش، فينشأ مجتمع طاهر عفيف.
حادي عشر: دور الآية في بناء الحضارة
هذه الآية تشكل عقلية الحضارة الإسلامية:
1. النظرة الإيجابية للكون
الآية تدعو للتأمل الكوني. هذا التأمل يفتح الباب أمام:
· دراسة الكون وفهمه.
· تسخير الكون لخدمة الإنسان.

· ليس تدمير الكون، بل عمارته وفق تسبيحه.
2. العمل والإنتاج الواعي
{كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ} يعني أن كل مخلوق يؤدي دوره بدقة.
· هذا يرسخ مفهوم الإتقان في الحضارة الإسلامية.
· العمل ليس مجرد جهد، بل هو عبادة يجب إتقانها.
3. الاستخلاف القائم على الهدى
الإنسان خليفة في الأرض. والآية ترسم صورة الاستخلاف:
· ليس استخلافاً متكبراً، بل استخلافاً في إطار التسبيح لله.
· الاستخلاف قائم على العدل، لأن الخليفة يحكم بما أمر الله.
4. جمهورية العبادة للكون
الآية تغرس في المسلم أن الوجود كله يسبح لله. هذا يجعل:
· الحضارة قائمة على طاعة الجماعية.
· نظرة شمولية للهوية الإسلامية.
· لا انفصال بين الدين والدنيا.
5. التفكير والبحث العلمي
الإشارة إلى تسبيح الكائنات تدفع الإنسان إلى:
· التأمل في أسرار الخلق.
· البحث في كيفية تسبيح هذه الكائنات.
· هذا هو أساس البحث العلمي في الحضارة الإسلامية.
6. التواضع وعمارة الأرض
عندما يدرك الإنسان أنه جزء من منظومة كونية تسبح لله:
· يتواضع، لا يتكبر.
· يدرك أن دوره هو عمارة الأرض وفق مراد الله، وليس استكباراً عليها.
· عمارة الأرض: بالبناء، بالزراعة، بالصناعة، بالعلم، بالأخلاق.
7. وحدة الوجود
الآية تربط:
· المادي بالروحي (الطير المادي، والتسبيح الروحي).
· الأرضي بالسماوي (من في السماوات والأرض).
· تخلق فكراً حضارياً متكاملا ً، لا يفصل بين شيء.
ثاني عشر: خاتمة: أنت مدعو لأن تكون جزءاً من هذا التسبيح
بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، هل شعرت أنك مدعو لأن تكون جزءاً من هذه المنظومة الكونية المهيبة؟
أنت مدعو:
· أن تفتح عينيك على تسبيح الكون من حولك.
· أن تسبح الله كما يسبح الطير في حال عمله.
· أن تؤدي وظيفتك كما يؤدي كل مخلوق وظيفته.
· أن تراقب نفسك لأن الله عليم بما تفعل.
· أن تكون جزءاً من مجتمع يتوحد على غاية واحدة.
· أن تبني حضارة تجمع بين العلم والعبادة، بين المادة والروح.
الطير يسبح الله بصف جناحيه. فكيف ستسبحه أنت؟
· ستسبحه بإتقان عملك.
· ستسبحه بصدق تعاملك.
· ستسبحه بحسن خلقك.
· ستسبحه بذكر لسانك.
· ستسبحه بخشوع قلبك.
· ستسبحه بسعيك في الأرض.
تذكر:
أنت لست وحدك. معك الملائكة تسبح، والطير يسبح، والجبال تسبح، والبحار تسبح، والشمس والقمر يسبحان. الكون كله في صلاة. فلا تكن أنت خارج هذه الصلاة.
اللهم اجعلنا من المسبحين لك في كل حين، اللهم اجعلنا من الذين يعلمون صلاتهم وتسبيحهم، الله م اجعلنا من عبادك الذين يمشون على الأرض هوناً، ويسبحونك آناء الليل وأطراف النهار، اللهم اجعل لساننا رطباً بذكرك، وقلبنا خاشعاً لك، وعملنا متقناً في طاعتك.
سادسا.
بعد أن فتحت الآية السابقة عينيك على مشهد الكون المهيب، كله يسبح لله، ويؤدي وظيفته، ويعلم

صلاته وتسبيحه، تأتي هذه الآية القصيرة العميقة لتضع الإطار الحاكم لكل هذا المشهد، لتعلن عن الملكية المطلقة، وعن المصير النهائي، لتؤسس في قلبك يقيناً يغير نظرتك لكل شيء: للأموال التي تملكها، للمناصب التي تشغلها، للناس الذين تتعامل معهم، للمستقبل الذي تخشاه، وللحياة التي تعيشها.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تضع يدك على قلب الكون النابض، وكأنها تقول لك: الآن بعد أن رأيت كل هذا، اعلم أن كل شيء ملك لله، وإلى الله يرجع كل شيء:
{وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ} (النور: 42).
الآن... تخيل أنك تملك بيتاً جميلا ً، أو سيارة فارهة، أو شركة ناجحة، أو منصباً عالياً. تخيل أنك تعمل سنوات لتجمع هذا المال، وتبني هذه المكانة. ثم تأتي هذه الآية فتقول لك: كل هذا ليس ملكك. الملك لله وحده. أنت فقط مستخلف فيه. وهذا الذي تجمعه سينتهي، وأنت سترجع إلى الله، فيحاسبك عليه.
كيف ستشعر؟ هل ستشعر بالإحباط؟ أم ستشعر بالتحرر؟ هل ستشعر بأنك فقدت كل شيء؟ أم ستشعر بأنك أصبحت أخف حملا ً، لأنك أدركت أن الذي بيدك ليس هو الذي يملكه، وأن الذي تملكه حقاً هو ما تقدمه لله؟
دعني أسألك سؤالا ً يغير نظرتك للحياة كلها:
هل تعرف حقاً من يملك ما في يدك؟ هل تعرف أن كل ما تراه من مال وجاه وولد، هو ملك لله، أنت فيه مجرد مستخلف؟ وإذا كنت تعرف ذلك، فهل تعيش على هذا الأساس؟ أم أنك تعيش كأنك أنت المالك الحقيقي؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تحررك من أوهام التملك، وتطلقك لتعيش حراً عبداً لله وحده.
وقفة مع الآية: عندما تتحرر من أوهام التملك
اولا ً: لماذا هذا الإعلان هنا؟ وما علاقته بما قبله؟
بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن:
· نور الله في قلوب المؤمنين (الآية 35).
· بيوت الله التي ترفع ويذكر فيها اسمه (36).
· رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله (37).
· أعمال الكفار كسراب بقيعة (39).
· وظلمات الكفر كبحر لجي (40).
· تسبيح كل شيء لله (41).
جاءت هذه الآية لتعلن: كل هذه المخلوقات التي تسبح، وكل هذه البيوت التي ترفع، وكل هذه الأعمال التي تثاب أو تعاقب، وكل هذه الظلمات التي تحيط بالكافرين، كلها ملك لله. والرجوع كله إليه.
هي تاج المشهد: بعد أن عرضت الآيات مشاهد متعددة من الكون والعبادة والإيمان والكفر، ترفع رأسك إلى السماء لترى المالك الحقيقي، وتخفضها إلى الأرض لتتذكر المصير النهائي.
ثانيا ً: (وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)
هذه الكلمات ليست مجرد خبر، بل هي إعلان ملكية، وإعلان تحرير، وإعلان مسؤولية.
ماذا يعني أن الله مالك السماوات والأرض؟
الملكية المطلقة: ليس ملكاً محدوداً كملك البشر، بل ملكية كاملة، شاملة، مطلقة:
· يملكها خلقاً: هو الذي أوجدها من العدم.
· يملكها تصرفاً: هو الذي يدبرها ويصرفها كيف يشاء.
· يملكها ملكية لا تزول: لا يموت، ولا يعزل، ولا تنتهي ولايته.
· يملكها ملكية حقيقية: أما ما نملكه نحن فهو ملكية صورية، مؤقتة، مقيدة.
كيف يبني هذا في نفسك؟
1. تعزيز عقيدة التوحيد
عندما تعلم أن الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، تتجذر في قلبك عقيدة التوحيد:
· لا تخشى أحداً، لأن كل من تخشاه مملوك لله.
· لا ترجو أحداً، لأن كل من ترجوه مملوك لله.
· لا تخضع لأحد، لأن كل من تخضع له مملوك لله.
· لا تطلب من أحد إلا ما أذن الله له أن يعطيك.
هذا هو التوحيد العملي: أن تدرك أن المالك الحقيقي هو الله، فلا تعلق قلبك بغيره.
2. غرس تعظيم الخالق في نفسك
عندما تدرك أن الذي أمامك - السماوات والأرض بكل ما فيهما - هو ملك لله، يتعظم الله في قلبك:
· من يملك السماوات والأرض، كيف لا أعظمه؟
· من يملك السماوات والأرض، كيف لا أطيعه؟
· من يملك السماوات والأرض، كيف لا أثق به؟
3. نزع الخوف من الفقر أو المستقبل

أنت تعمل، تسعى، تجتهد، لكنك تعلم أن الرزق ليس بيد من تعمل لديه، بل بيد من يملك السماوات والأرض.
· إذا كان الله هو المالك، وهو الرازق، فلماذا أخاف من الفقر؟
· إذا كان الله هو المالك، وهو المدبر، فلماذا أقلق على المستقبل؟
هذا يزرع في قلبك الرضا والطمأنينة. لا تخشى غداً، لأن مالك الغد هو الله. لا تخشى الناس، لأنهم مملوكون لله.
4. غرس الانضباط الشرعي
عندما تعلم أن كل شيء ملك لله، تدرك أن ما تأخذه من هذا الملك لا يجوز إلا بإذن صاحب الملك.
· المال الذي في يدك: ملك لله، أنت مستخلف فيه، فلا تأخذه إلا من حلال، ولا تنفقه إلا في حلا ل.
· جسدك الذي تملكه: ملك لله، فلا تستعمله في معصيته.
· وقتك الذي تملكه: ملك لله، فلا تضيعه فيما لا يرضيه.
هذا هو الانضباط الشرعي: أن تعيش على منهج صاحب الملك.
5. إزالة التنازع والتنافس المذموم
إذا أدركت أن المالك الحقيقي هو الله، وأن ما في يد الناس ليس ملكاً لهم حقيقة، تنزع من قلبك الحسد والطمع:
· لماذا أحسد فلاناً على ماله؟ المال ليس ملكه، بل هو ملك الله استخلفه فيه.
· لماذا أتنافس مع فلان على منصب؟ المنصب ليس ملكه، بل هو ملك الله أعطاه إياه.
· لماذا أتصارع مع الناس على الدنيا؟ الدنيا كلها ملك لله، وما قسمه الله لك سيأتيك لا محالة.
هذا يخلق مجتمعاً متماسكاً: لا تنازع، لا حسد، لا طمع. الناس إخوة، يتعاونون في ملك الله، كل يؤدي وظيفته.
ثالثا: (وَإِلَى اللهِ المَصِيرُ)
هذه الكلمات تحمل المعنى المرعب والمعنى المطمئن في آن واحد.
ماذا يعني أن المصير إلى الله؟
الرجوع النهائي: كل شيء راجع إلى الله. الأموال سترجع إلى الله، والمناصب سترجع إلى الله، و السلطان سيرجع إلى الله، وأنت سترجع إلى الله.
· الحساب والجزاء: المصير ليس مجرد رجوع، بل هو حساب وجزاء. كل ما فعلته في ملك الله، ستحاسب عليه أمام مالك الملك.
· لا ملجأ ولا مهرب: المصير إلى الله يعني أنه لا أحد ينقذك من الله، ولا أحد يشفع لك إلا بإذنه.
كيف يبني هذا في نفسك؟
1. زرع الرقابة الذاتية
عندما تعلم أنك سترجع إلى الله، وأن الله سيحاسبك، تراقب نفسك:
· قبل أن تأكل حراماً: ستأكل هذا ثم ترجع إلى الله، فماذا ستقول له؟
· قبل أن تنظر إلى حرام: ستنظر ثم ترجع إلى الله، فماذا ستقول له؟
· قبل أن تغتاب أحداً: ستغتاب ثم ترجع إلى الله، فماذا ستقول له؟
هذه الرقابة الذاتية هي أعلى درجات الإيمان. أن تعمل كأنك ترى الله، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.
2. تعزيز المسؤولية الاجتماعية
عندما يعلم كل فرد في المجتمع أنه سيرجع إلى الله، ويسأل عن كل صغيرة وكبيرة:
· المال: من أين اكتسبته؟ وفيم أنفقته؟
· المنصب: كيف توليته؟ وكيف تصرفت فيه؟
· الجار: هل أحسنت إليه؟
· اليتيم: هل كفلته؟
· المسكين: هل أعطيته حقه؟
هذا يخلق مجتمعاً مسؤولاً: كل فرد يعلم أنه مسؤول عن عمله، مسؤول عن من تحت يده، مسؤول عن أمانته.
3. تعزيز الثقة بالله والاستقرار
عندما تعلم أن المصير إلى الله، تثق أنه لن يضيع حقك:
· إذا ظلمك أحد، فسترده إلى الله، والله لن يضيع حقك.
· إذا أخذ أحد حقك، فسترده إلى الله، والله سينصفك.
· إذا حرمك أحد، فسترده إلى الله، والله سيعطيك خيراً مما أخذ.
هذه الثقة تمنحك استقراراً نفسياً، فلا تحزن على ما فاتك، ولا تفرح بما آتاك، بل تعلم أن العدل النهائي عند الله.
4. محاربة الفساد
عندما يعلم الناس أنهم سيرجعون إلى الله ويحاسبون:

· يقل الفساد الإداري: من يخاف الله لا يختلس.
· تقل الرشوة: من يخاف الله لا يرتشي.
· تقل المحسوبية: من يخاف الله لا يوظف أقاربه ظلماً.
· تقل الجريمة: من يخاف الله لا يسرق ولا يغتصب.
هذا هو أقوى رادع للفساد: ليس شرطياً يمسك العصا، بل إيماناً يمسك القلوب.
رابعا بناء المجتمع المسلم من خلال توحيد المرجعية
هذه الآية تؤسس لمجتمع له مرجعية واحدة: الله.
ماذا يعني توحيد المرجعية؟
· مرجعية الحكم: لا حكم إلا لله.
· مرجعية التشريع: لا تشريع إلا من الله.
· مرجعية القيم: لا قيم إلا ما شرعه الله.
· مرجعية المصير: المصير كله إلى الله.
كيف يبني هذا المجتمع؟
1. يمنع الفوضى
عندما تكون المرجعية واحدة، لا اختلاف:
· لا نتبع أهواء هنا، وأهواء هناك.
· لا نحتار بين قوانين متضاربة.
· نعرف من نطيع، ومن نرجو، ومن نخاف.
2. يحمي الأعراض والأنساب
عندما يعلم الناس أنهم سيرجعون إلى الله، ويحاسبون على أعراضهم وأنسابهم:
· لا يزني: لأنه يخاف الله.
· لا يقذف: لأنه يخاف الله.
· لا يقطع رحماً: لأنه يخاف الله.
· لا يظلم يتيماً: لأنه يخاف الله.
3. يخلق فاعلية إيجابية
عندما يعلم الإنسان أن المسؤولية فردية، وأن كل إنسان سيحاسب عن نفسه:
· لا ينتظر من غيره أن يصلح.
· لا يلقي اللوم على المجتمع.
· يبدأ بنفسه، فيصلحها، ثم يسعى في إصلاح غيره.
خامسا: دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية
هذه الآية هي حجر الزاوية في بناء الحضارة الإسلامية:
1. مفهوم التوحيد المطلق والاستخلاف
ترسيخ الملكية لله: هذه هي النقطة الأولى.
الاقرار بأن الله هو المالك الواحد لكل شيء: هذا يحرر الإنسان من عبودية البشر.
ماذا يعني هذا التحرير؟
· لا يعبد المال، لأن المال ملك لله.
· لا يعبد المنصب، لأن المنصب ملك لله.
· لا يعبد الناس، لأن الناس مملوكون لله.
· لا يخضع إلا لله.
ماذا ينتج عن هذا التحرير؟
· ينهي الصراع على المصالح الشخصية: عندما يعلم الناس أن ما يملكونه ليس ملكاً لهم حقيقة، يتنازلون عن كثير من حقوقهم.
· يبني مجتمعاً قائماً على العدل والمساواة: كل الناس عبيد لله، وكلهم سيرجعون إليه، فلا فضل لأ حد على أحد إلا بالتقوى.
2. الاستخلاف: جوهر الملكية لله
ماذا يعني أن الملكية لله هي جوهر الاستخلاف؟
الاستخلاف: أن الله جعل الإنسان خليفة في الأرض، يتصرف في ملك الله بإذن الله.
هذا المفهوم يولد في نفس المسلم:
· شعوراً بالمسؤولية: أنا خليفة، مسؤول عن هذه الأرض، مسؤول عن عمارتها.
· حافزاً للتنمية: أنا خليفة، عليّ أن أستثمر ما في الأرض من موارد لخير الناس.
· وعياً بعدم التدمير: لست مالكاً لأفسد، بل خليفة لأعمر.
الفرق بين المالك والمستخلف:
· المالك: يتصرف كيف يشاء، يهدم ويبني، لا يسأل.
· المستخلف: يتصرف وفق تعليمات المالك، يبني لا يهدم، يسأل عما فعل.

هذا هو جوهر الحضارة الإسلامية: حضارة بناء، لا حضارة هدم. حضارة عمارة، لا حضارة تخريب. حضارة تستثمر الموارد، لا تستنزفها.

3. توجيه القيم نحو المصير

مفهوم (إلى الله المصير) يجعل الدنيا:

· مرحلة عمل: ليست عبثاً، ولا لعباً، بل اختبار وبناء.
· مسؤولية عمارة: أنا مسؤول عن عمارة هذه الأرض، عن إصلاحها، عن نشر الخير فيها.
· نظاماً حضارياً أخلاقياً: لأن المصير إلى الله، فالأخلاق ليست مجرد ترف، بل هي ضرورة.

ماذا ينتج عن هذا؟

· الرقابة الذاتية: لا تحتاج إلى شرطي، لأن الله معك.
· تقوى الله في المعاملات: لا تغش، لأن الله يراك.
· القضاء على الفوضى: كل يعلم حده، لا يتجاوزه.
· رفع كفاءة البناء: العمل بإتقان، لأنه عبادة.

4. الانضباط والاتساق

هذه الآية تؤدي إلى انضباط المجتمع:

· انضباط في العبادة: نعبد الله وحده.
· انضباط في المعاملات: نتعامل بشرع الله.
· انضباط في الأخلاق: نتحلى بأخلاق الله.
· انضباط في الحكم: نحكم بما أنزل الله.

هذا الانضباط هو الذي أقام حضارة إسلامية عظيمة، جمعت بين:

· الرسالة الأخلاقية: القيم والفضائل.
· الرسالة المادية: العلم والعمران.

5. تحويل المعتقد إلى سلوكيات حضارية

عندما تستشعر أن الله هو المالك الحقيقي:

· تتعامل مع مالك: تعلم أنه ليس ملكك، بل استخلفت فيه، فتنفقه في طاعة الله.
· تتعامل مع منصبك: تعلم أنه ليس ملكك، بل استخلفت فيه، فتعدل به، ولا تجور.
· تتعامل مع وقتك: تعلم أنه ليس ملكك، بل استخلفت فيه، فلا تضيعه.
· تتعامل مع جسدك: تعلم أنه ليس ملكك، بل استخلفت فيه، فلا تستعمله في معصية.

هذا التحويل للمعتقد إلى سلوك هو ما يصنع الحضارة.

سادساً: الفرق بين أن تملك شيئاً في الدنيا وأن يكون الله مالكاً للسماوات والأرض

هذا هو السؤال العميق الذي تريد الآية أن ترسخه في قلبك:

ملكك في الدنيا:

· ملك مؤقت: تموت فيزول.
· ملك ناقص: لا تتصرف فيه كيف تشاء، مقيد بشرع الله.
· ملك صوري: أنت لا تملكه حقيقة، بل الله هو المالك الحقيقي.

ملك الله:

· ملك مطلق: لا حد له.
· ملك دائم: لا يزول.
· ملك حقيقي: هو المالك وحده.

لماذا نقرن هاتين الحقيقتين؟

لتعلم:

· لا تغتر بما في يدك، فالمالك الحقيقي هو الله.
· لا تخش من فقد ما في يدك، فالمالك الحقيقي هو الله.
· لا تحزن على ما فاتك، فالمالك الحقيقي هو الله.
· لا تطمع في ما عند غيرك، فالمالك الحقيقي هو الله.

وما الذي يورثه هذا في نفس المؤمن؟

· الحرية: لا عبودية لغير الله.
· الطمأنينة: لا خوف من فقدان ما بيد غيره.
· الرضا: ما قسمه الله لك سيأتيك.
· الزهد: لا تتعلق بما في يدك، فليس لك.
· الشكر: ما أعطاك الله هو فضل منه، لا تستحقه.

سابعاً: رسائل عملية من الآية لحياتك اليوم

والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، كيف تطبقها في واقعك؟

الرسالة الأولى: صحح مفهوم الملكية في قلبك

· كل ما تملك: بيتك، سيارتك، مالك، منصبك، وقتك، جسدك، أولادك... كل هذا ملك لله، وأنت

مستخلف فيه.
· كرر على نفسك: "ما لي ليس لي، بل هو لله، وأنا مستخلف فيه".
· هذا التكرار يغير نظرتك لكل شيء.
الرسالة الثانية: حرر نفسك من عبودية المال
· لا تجعل همك جمع المال، فالمال ليس ملكك.
· لا تخش الفقر، فالرزق بيد الله.
· أنفق في سبيل الله، فالمال سيبقى عند الله.
الرسالة الثالثة: حرر نفسك من عبودية الناس
· لا تخش أحداً إلا الله.
· لا ترج أحداً إلا الله.
· لا تخضع لأحد إلا الله.
الرسالة الرابعة: استحضر المصير في كل قرار
· قبل أن تفعل شيئاً، قل: سأرجع إلى الله في هذا.
· قبل أن تأكل حراماً: سأرجع إلى الله.
· قبل أن تظلم أحداً: سأرجع إلى الله.
· قبل أن تغتاب: سأرجع إلى الله.
الرسالة الخامسة: استثمر في ما يبقى
· المال يبقى عند الله إذا أنفقته في سبيله.
· العمل الصالح يبقى عند الله.
· الذكر يبقى عند الله.
· الخلق الحسن يبقى عند الله.
· أما المال الذي تكنزه، فسيتركه ورثتك، وستحاسب عليه.
الرسالة السادسة: كن خليفة صالحاً
· أنت خليفة في الأرض. فاعمرها، لا تخربها.
· ازرع شجرة، ابنِ مسجداً، علم جاهلاً، أصلح بين متخاصمين.
· كل هذا من عمارة الأرض.
الرسالة السابعة: لا تتنازع على الدنيا
· إذا تنازع الناس على الدنيا، فتذكر أن المالك هو الله.
· ما كتبه الله لك سيأتيك، وما كتبه لغيرك لن تأخذه.
· فاترك التنازع، وتفرغ لعبادة الله وعمارة الأرض.
الرسالة الثامنة: راجع علاقتك بالله
· هل تعيش كأن الله هو المالك الحقيقي؟
· هل تعيش كأن المصير إلى الله؟
· إن لم تكن كذلك، فابدأ اليوم بتصحيح هذه العلاقة.
الخاتمة: أنت الآن بين ملك الله ومصير الله
بعد أن عشنا هذه الآية، أنت الآن أمام حقيقة لا مفر منها:
أنت في ملك الله: كل ما حولك، وكل ما تملك، وكل ما ترى، ملك لله. أنت فيه مستخلف، مسؤول عن استخلافك.
وأنت إلى الله مصيرك: سترجع إليه، وستقف بين يديه، وستحاسب على كل صغيرة وكبيرة. لا مهرب، ولا ملجأ.
فماذا اخترت أن تكون؟
· هل تريد أن تكون ممن عرفوا أن الملك لله، فعاشوا في رضا وطمأنينة وتحرر من عبودية الدنيا؟
· أم تريد أن تكون ممن غفلوا، فظنوا أن ما في أيديهم هو ملكهم، فتمسكوا به، وتنازعوا عليه، ثم رجعوا إلى الله فوجدوا أنهم خسروا الدنيا والآخرة؟
تذكر:
· ما تملكه اليوم، ستركه ورثتك غداً.
· ما تقدمه لله اليوم، سيجده عند الله غداً.
· المال الذي تكنزه، يحاسبك الله عليه.
· المال الذي تنفقه في سبيل الله، يضاعفه الله لك.
· المنصب الذي تستغله لغير الحق، يوبخك الله عليه.
· المنصب الذي تستخدمه للعدل، يكرمك الله به.
سابعا
بعد أن أعلنت الآية السابقة أن لله ملك السماوات والأرض، وإليه المصير، تأتي هذه الآية لترفع حجاب الغيب عن مشهد كوني مهيب، مشهد لا تراه العين المجردة بكل تفاصيله، لكن القرآن يأخذ

بيدك لترى ما وراء السحاب، وما في قلب المطر، وما بين البرق والرعد من آيات وقدرات وعبر.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تفتح لك نافذة على مختبر الله في السماء، وكأنها تقول لك:
انظر كيف أدير هذا الكون، وكيف أسير السحاب، وكيف أنزل المطر، وكيف أرسل البرق، وكيف أخلق الرعد، وكيف أوزع الرحمة والعذاب، وكيف أتصرف في ملكي كيف أشاء:
{أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ ۖ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ * يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} (النور: 43-44).
الآن... تخيل نفسك تقف في صحراء مقفرة، تشاهد السماء، ترى السحاب يبدأ يتجمع، أولا ً قطعاً متفرقة، ثم تبدأ في الالتئام، ثم تتراكم فوق بعضها، ثم تسمع الرعد، وترى البرق، ثم ينهمر المطر، وربما البرد. هذا المشهد الذي تراه بعينك، الله يأخذ بيدك لتراه بعين قلبك أيضاً، لترى ما وراءه من قدرة، وتدبير، وحكمة، ورحمة، وعذاب.
لكن قبل أن نغوص في هذا المشهد العظيم، دعني أسألك سؤالا ً يفتح عينيك على عالم لم تكن تراه:
هل رأيت حقاً؟ هل رأيت بعين قلبك ما تصفه هذه الآية؟ أم أنك تمر على السحاب والمطر والبرق والرعد كما يمر عليها الحيوان، لا ترى فيها إلا ظواهر طبيعية، ولا ترى فيها قدرة خالقها، وحكمة مدبرها، ورحمة منشئها؟
هل تعلم أن كل قطرة مطر تنزل، وكل صاعقة برق تشق السماء، وكل رعدة تزلزل الأرض، تحمل لك رسالة من الله؟ هل تسمع هذه الرسالة؟ هل تفهمها؟ هل تعيش بها؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تفتح أعيننا على أسرار الكون، وكأنها تجعلنا من (أولي الأبصار).
وقفة مع الآية: عندما تفتح عينيك على مختبر الله في السماء
الامر الاول ً: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا)
لنبدأ مع أول مشهد: يُزْجِي سَحَابًا.
ماذا تعني (يُزْجِي)؟
· يُزجي: يسوق برفق، يدفع بهدوء، يقوده بلطف.
· ليس دفعاً عنيفاً، بل سوقاً رفيقاً، كسائق ماهر يقود سيارته بهدوء.
ما الدلالات؟
1. التدبير الرفيق
الله لا يدفع السحاب بعنف، بل يسوقه برفق. هذا يعلمك أن تدبير الله للكون كله برفق ورحمة. فكيف بك أنت مع الناس؟ تدبير الله للسحاب برفق، أفلا تكون أنت مع من تحت يدك برفق؟
2. البدايات الصغيرة
السحاب يبدأ قطعاً صغيرة متفرقة. هذا يعلمك أن الأعمال العظيمة تبدأ صغيرة. فلا تحتقر البدايات الصغيرة. فمن قطع سحاب متفرقة، يصبح سحاباً متراكماً ينزل منه المطر.
3. الانتظار والتريث
السحاب يساق بهدوء، لا يستعجل. هذا يعلمك أن لله وقتاً لكل شيء. فلا تستعجل النتائج، بل انتظر حكمة الله وتدبيره.
الامر الثاني: (ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ)
المشهد الثاني: ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ.
ما معنى (يؤلف بينه)؟
· يؤلف: يجمع، يضم، يلئم بين المتفرقات.
· السحاب كان قطعاً متفرقة، ثم يجمعها الله، ويؤلف بينها.
ما الدلالات؟
1. قوة الوحدة
السحاب المتفرق لا ينزل مطراً، فإذا تألف وتجمع، نزل منه المطر. هذا درس عظيم: المجتمع المتفرق لا قوة له، فإذا تألف وتوحد، نزلت عليه الرحمة.
2. مفهوم التأليف
هذا يعلمنا أن التقدم لا يأتي من فرد واحد، بل من جمع المتفرقات، وتأليف القلوب، وتوحيد الجهود.
3. دور القيادة
الله هو الذي يؤلف بين السحاب. هذا يعلمك أن التأليف يحتاج إلى قائد حكيم يجمع المتفرقات ويوحدها.
الامر الثالث ً: (ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا)
المشهد الثالث: ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا.
ما معنى (ركاماً)؟
· ركاماً: متراكماً، بعضه فوق بعض، كثيفاً ثقيلا ً.

· السحاب بعد أن تألف، يتراكم ويصبح ثقيلا ً.
ما الدلالات؟
1. العمل المتواصل
التراكم يحتاج إلى وقت. السحاب لا يصبح ركاماً في لحظة. هذا يعلمك أن النجاح يحتاج إلى تراكم الأعمال، وصبر، واستمرار.
2. الثقل المسؤولية
السحاب الركامي ثقيل. هذا يعلمك أن من تجمعت عليه المسؤوليات، يثقل حمله، لكنه يكون أكثر قدرة على العطاء.
3. الاستعداد للعطاء
السحاب لا ينزل مطراً حتى يتراكم. هذا يعلمك أن العطاء الحقيقي يأتي بعد تراكم الجهد والعمل.
الامر الرابع (فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ)
المشهد الرابع: فَتَرَى الوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ.
ما معنى (الودق)؟
· الودق: المطر.
· يخرج من خلال السحاب: من بين ثناياه وفرجه.
ما الدلالات؟
1. الخير يأتي من حيث لا تحتسب
المطر يخرج من خلال السحاب، من بين ثناياه. هذا يعلمك أن الخير والرزق قد يأتيان من أماكن لا تتوقعها، ومن وسائل لا تخطر ببالك.
2. الفرج بعد الشدة
السحاب الركامي الثقيل يبدو مرعباً، لكن منه يخرج المطر الذي هو رحمة. هذا يعلمك أن الشدائد قد تسبق الفرج، وأن الابتلاء قد يكون مقدمة للعطاء.
3. الصبر حتى النهاية
لا يخرج المطر حتى يتراكم السحاب. لا تستعجل النتيجة. اصبر حتى يأتي الفرج.
الامر الخامس: (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ)
ما معنى (جبال فيها من برد)؟
· جبال في السماء: هي السحب الركامية العظيمة التي تشبه الجبال.
· فيها من برد: من تلك السحب ينزل البرد.
الإعجاز العلمي:
القرآن يصف السحب الركامية العظيمة بأنها "جبال في السماء". والعلم الحديث اكتشف أن السحب الركامية الممطرة قد يصل ارتفاعها إلى 12-15 كيلومتراً، وكأنها جبال في السماء. كما اكتشف أن البرد يتكون في هذه السحب عندما تصعد قطرات المطر إلى طبقات عالية جداً فتنخفض حرارتها وتتجمد. هذا الوصف الدقيق نزل قبل 1400 سنة، ولم يكن أحد يعرفه.
ما الدلالات؟
1. دقة القرآن
هذا من الإعجاز العلمي الذي يثبت أن القرآن من عند الله.
2. قدرة الله العظيمة
من ينزل من السماء جبالا ً من برد؟ من يخلق هذه الكتل الهائلة من الجليد في السماء ثم ينزلها على الأرض؟ هذا يملأ قلبك إجلالا ً وتعظيماً لله.
3. الرحمة والعذاب
البرد نعمة لمن ينتفع به، وعذاب لمن يصيبه في زرعه أو ماله.
الامر السادس(فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ)
المشهد السادس: فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ.
ما الدلالات؟
1. العدل الإلهي
الله يصيب بالرحمة من يشاء، ويصرفها عمن يشاء، بحكمته وعدله. ليس عبثاً، ولا جزافاً، بل بتقدير دقيق.
2. الرضا بقضاء الله
هذا يعلمك الرضا بقسمة الله. فقد تصيبك مصيبة، وتصرف عن غيرك، وقد تصيب غيرك وتصرف عنك. كل ذلك بحكمة.
3. عدم الاعتراض على قدر الله
لا تعترض: لماذا أصابني هذا؟ لماذا لم يصب غيري؟ بل قل: الحمد لله على كل حال.
الامر السابع: (يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)
المشهد السابع: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ.

ما معنى (سنا برقه)؟
· سنا: ضوء، لمعان، شدة الإضاءة.
· يذهب بالأبصار: يخطف الأبصار، يعشيها.
الإعجاز العلمي:
البرق الواحد قد تصل شدته إلى مئات الملايين من الفولتات، ودرجة حرارته قد تصل إلى 30,000 درجة مئوية (أعلى من سطح الشمس بخمس مرات). بالفعل، شدة ضوء البرق تكاد تذهب بالأبصار. هذا وصف دقيق علمياً.
ما الدلالات؟
1. عظمة الله وقوته
من يخلق هذه الطاقة الهائلة في لحظة؟ من يحدث هذا الضوء المبهر؟ هذا يملأ قلبك خوفاً وتعظيماً لله.
2. شدة بطش الله
كما أن البرق يكاد يذهب بالأبصار، فكذلك قدرة الله إذا تجلت، لا تقاوم.
3. التواضع أمام قدرة الله
أنت أمام هذه القوة الهائلة لا شيء. هذا يعلمك التواضع، وعدم الكبر.
الامر الثامن: (يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)
المشهد الثامن: يُقَلِّبُ اللهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.
ما معنى (يقلب)؟
· يقلب: يُدخل، يُغير، يُبدل.
· يدخل الليل في النهار، والنهار في الليل.
ما الدلالات؟
1. الانتظام والنظام
تقلب الليل والهار على نظام دقيق، لم يختل منذ خلق الله السماوات والأرض. هذا يعلمك أن الكون يسير بنظام محكم.
2. التغير المستمر
الحياة تغير، الليل يتبعه نهار، والنهار يتبعه ليل. هذا يعلمك ألا تيأس، فبعد العسر يسر، وبعد الليل نهار.
3. الإتقان في العمل
تقلب الليل والنهار يتم بإتقان تام. هذا يعلمك أن تتقن عملك كما أتقن الله خلقه.
الامر التاسع: (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)
الخاتمة العظيمة: إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.
ما معنى (أولي الأبصار)؟
· أولي الأبصار: أصحاب البصائر، الذين يرون بعيون قلوبهم، لا بعيون رؤوسهم فقط.
ما الدلالات؟
1. العبرة لمن يعتبر
هذه الآيات ليست للغافلين، بل لمن يريد أن يتعظ ويتعلم.
2. البصيرة أهم من البصر
الكافر يرى السحاب والمطر والبرق، لكنه لا يرى العبرة. المؤمن يرى ما وراء ذلك من قدرة وحكمة.
3. الدعوة إلى التفكر
الآية تدعوك لتكون من أولي الأبصار، أن ترى بعين قلبك، لا بعين رأسك فقط.
عاشرا ً: كيف تنمي الآية الوعي التأملي الإيماني؟
هذه الآية تعلمك كيف تنظر إلى الكون بعين المؤمن:
1. ربط الظواهر الطبيعية بالخالق
لا ترى السحاب سحاباً فقط، بل ترى تسخير الله له.
لا ترى المطر مطراً فقط، بل ترى رحمة الله تنزل.
لا ترى البرق برقاً فقط، بل ترى قدرة الله تتجلى.
2. النظر التحليلي لا السطحي
لا تقف عند الظاهر، بل تعمق في الأسباب.
لماذا تجمع السحاب؟ لماذا تراكم؟ لماذا نزل المطر من خلاله؟
هذا التحليل يفتح عقلك، ويزيد إيمانك.
3. التسليم واليقين
بعد كل هذا التحليل، تصل إلى يقين: أن الله هو المدبر، هو المسير، هو الرازق.
الامر الحادي عشر حتمية التسخير والمشيئة: الجمع بين الأخذ بالأسباب والتوكل
هذه الآية تجمع بين حقيقتين:

1. الأخذ بالأسباب
السحاب يزجى، يؤلف، يركم، ثم ينزل المطر. هذا هو الأخذ بالأسباب.
2. التوكل على الله
فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ. النتيجة بيد الله.
الدرس:
خذ بالأسباب، ثم توكل على الله. لا تتكل على الأسباب فتعطل، ولا تترك الأسباب فتتواكل.
الامر الثاني عشر: عظمة الخالق وشدة بأسه
يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ.
هذه الآية تذكرك بقوة الله وشدة بأسه.
ماذا تعلمك؟
· أن تخاف الله، فلا تعصيه.
· أن ترجو الله، فلا تيأس من رحمته.
· أن تعظم الله، فلا تستهين بأمره.
الامر الثالث عشر عدل الله في تقسيم الأرزاق
فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَن يَشَاءُ.
هذه تعلمك الرضا بقضاء الله:
· قد يحرمك الله من رزق لحكمة.
· قد يعطيك الله رزقاً ليمتحنك.
· كل شيء بتقدير وحكمة.
الامر الرابع عشر: الوعي بعواقب الأمور
إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ.
المؤمن يرى العواقب، أما الغافل فلا يرى إلا الحاضر.
كيف تختلف نظرة المؤمن عن الكافر؟
· الكافر: يرى المطر ظاهرة طبيعية.
· المؤمن: يرى المطر رحمة من الله، وآية على قدرته.
· الكافر: يرى البرق شحنة كهربائية.
· المؤمن: يرى البرق آية تخشع لها القلوب.
الامر الخامس عشر نرى تدبير الله في تقلبات حياتنا
كما يدبر الله السحاب، يدبر حياتك:
1. الأزمات المفاجئة
تأتي كالسحاب المفاجئ، كالبرق الخاطف. كيف تتعامل؟
· اصبر: كما تصبر على انتظار المطر.
· استبشر: فربما كانت هذه الأزمة مقدمة لرحمة.
· تذكر: أن الله يسير الأمور.
2. الطمأنينة النفسية
عندما تعلم أن الله يدبر كل شيء، تطمئن نفسك. لا تقلق على رزقك، ولا على مستقبلك، ولا على أولادك. الله يدبر.
الامر السادس عشر: دور الآية في بناء المسلم (عقلياً، عقائدياً، نفسياً، روحياً)
هذه الآية تبني الإنسان المتكامل:
1. عقلياً
· تدعوه للتفكر والتحليل.
· تنمي فيه روح البحث العلمي.
· تعلمه النظر في الأسباب.
2. عقائدياً
· تزيد إيمانه بالله.
· ترسخ توحيده.
· تعمق يقينه بقدرة الله.
3. نفسياً
· تمنحه الطمأنينة.
· تخلصه من القلق على المستقبل.
· تزرع فيه الرضا.
4. روحياً
· ترفع خشيته لله.

· تزيد تعظيمه لله.
· تربط قلبه باللّٰه في كل وقت.
الامر السابع عشر: دور الآية في بناء المجتمع المسلم
هذه الآية تبني مجتمعاً واعياً:
1. مجتمع متأمل
لا ينظر إلى الظواهر سطحياً، بل يتعمق فيها، فيزداد إيماناً وعلماً.
2. مجتمع محب للعلم
يدفعه القرآن للبحث في أسرار الكون، فيتقدم في العلوم الطبيعية.
3. مجتمع متماسك
كما يؤلف اللّٰه بين السحاب، يؤلف بين القلوب، فيكون المجتمع كالبنيان المرصوص.
4. مجتمع يربط بين الغيب والشهادة
لا يفصل بين الإيمان والعلم، بل يجمعهما، فيكون مجتمعاً متكاملاً.
الامر الثامن عشر: دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية
هذه الآية أسست لمنهج الحضارة الإسلامية:
1. منهج البحث العلمي
الآية تدعو إلى التأمل والتفكر في الكون. هذا هو المنهج العلمي بعينه.
2. ربط التفكير بالإيمان
العلم في الحضارة الإسلامية لم يكن منفصلاً عن الإيمان، بل كان الإيمان هو الدافع للعلم.
3. التوازن بين الروح والمادة
الآية تحدثت عن المطر (مادة) وعن العبرة (روح). هذا هو التوازن الذي ميز الحضارة الإسلامية.
4. جمع العلوم الطبيعية والإيمانية
المسلمون لم يفصلوا بين علم الفلك وعلم التوحيد، بل رأوا في كل ظاهرة طبيعية آية من آيات اللّٰه.
تاسع عشر: دور مفاهيم الآية في البناء والتنمية
هذه الآية تحمل مفاهيم تنموية عظيمة:
1. مفهوم التكامل
يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثم يَجْعَلَهُ رُكَامًا.
ماذا يعني؟
· التنمية لا تتم بجهود فردية، بل بتأليف الجهود المتفرقة.
· تجمع الموارد المتناثرة.
· توحيد الرؤى المختلفة.
كيف تطبقه؟
· في مشروعك: اجمع فريقاً متكاملاً.
· في مجتمعك: وحد الجهود.
· في أسرتك: اجمع أفرادها على هدف واحد.
2. مفهوم استثمار الطاقة
سَنَا بَرْقِهِ طاقة هائلة.
ماذا يعني؟
· الكون فيه طاقات هائلة (شمس، رياح، ماء، برق).
· الحضارة الإسلامية تدعو لاستثمار هذه الطاقات.
· التنمية المستدامة تعني استغلال الموارد دون إتلافها.
كيف تطبقه؟
· استثمر الطاقة الشمسية.
· استثمر طاقة الرياح.
· استثمر المياه.
· لا تستهلك الموارد، بل استثمرها.
3. مفهوم التخطيط الدقيق
السحاب يزجى، يؤلف، يركم، ثم ينزل المطر. هذا تخطيط دقيق.
ماذا يعني؟
· لا تنجز عملاً بدون تخطيط.
· ضع خطواتك بدقة.
· رتب أولوياتك.
4. مفهوم الإنتاجية وإصلاح الأرض
المطر ينزل فيحيي الأرض.

ماذا يعني؟
· أنت مطالب بإحياء الأرض بالزراعة والبناء.
· أنت مطالب بإنتاج الخير.
· أنت مطالب بعمارة الأرض.
5. مفهوم التوازن البيئي
السحاب والمطر والبرد والبرق كلها بنظام دقيق.
ماذا يعني؟
· لا تفسد في الأرض.
· حافظ على البيئة.
· استخدم الموارد دون إسراف.
عشرون كيف تعيش هذه الآية في حياتك اليومية؟
والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، كيف تطبقها في واقعك؟
1. انظر إلى السماء بعين قلبك
كلما رأيت سحاباً، تذكر: هذا السحاب يسوقه الله، يؤلفه، يركمه، ثم ينزل منه المطر. وتذكر أن رزقك يساق إليك بنفس النظام.
2. لا تستعجل النتائج
السحاب لا ينزل مطراً حتى يتراكم. فلا تستعجل نتائج عملك، ولا نتائج دعوتك، ولا نتائج تربيتك لأولادك. استمر، واجمع، وتراكم، فسيأتي الخير.
3. اجمع المتفرقات
كما يؤلف الله بين السحاب، اجمع أنت ما تفرق من جهود، ووحد ما تشتت من طاقات، واجمع قلوب الناس على الخير.
4. ادرس الأسباب
لا تكتفِ بالنظر السطحي. ادرس الأسباب، وافهم السنن، وتعمق في العلم.
5. خذ بالأسباب وتوكل
اعمل كما يعمل الفلاح: يحرث، يبذر، يسقي، ثم يتوكل على الله. لا تترك العمل بحجة التوكل، ولا تنس التوكل بحجة العمل.
6. اشعر بعظمة الله
كلما رأيت برقاً، تذكر قوله: يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ. اشعر بعظمة من خلق هذه الطاقة الهائلة. واخشع له.
7. ارض بقضاء الله
كما يصيب المطر من يشاء ويصرفه عمن يشاء، ارض بقضاء الله في رزقك، وفي صحتك، وفي أولا دك. لا تعترض، بل قل: الحمد لله على كل حال.
8. كن من أولي الأبصار
لا تكن ممن يمر على الآيات مروراً سطحياً. كن ممن يرى العبرة، ويتعظ، ويتعلم، ويزداد إيماناً.
الخاتمة: أنت الآن بين السحاب والبرق والمطر
بعد أن عشنا هذه الآية، أنت الآن أمام خيار:
الخيار الأول: أن تبقى كما أنت، تمر على السحاب والمطر والبرق والرعد كما يمر عليها الغافلون، لا ترى فيها إلا ظواهر طبيعية، ولا تستفيد منها عبرة، ولا تزداد بها إيماناً.
الخيار الثاني: أن تكون من أولي الأبصار، أن ترى في كل قطرة مطر رحمة، وفي كل صاعقة برق قدرة، وفي كل رعدة خشية، وفي كل سحابة تسخيراً. أن تتعلم من السحاب كيف تجمع الجهود، ومن المطر كيف تنزل رحمة، ومن البرق كيف تكون قوة، ومن النظام الكوني كيف تخطط وتنظم.
أي الخيارين ستختار؟
تذكر:
· كل قطرة مطر تحمل رسالة.
· كل صاعقة برق تحمل عبرة.
· كل رعدة تذكرك بعظمة من خلقها.
· السماء كل يوم تفتح لك مختبراً للعبر والإيمان والعلم.
فلا تكن ممن يمر عليها ولا يرى. كن من أولي الأبصار
ثامنا.
بعد أن أخذتك الآية السابقة في رحلة كونية مهيبة، من سوق السحاب إلى تأليفه إلى تراكمه، ثم نزول المطر والبرد، ثم شدة البرق التي تكاد تذهب بالأبصار، تأتي هذه الآية لتلخص لك المشهد الكوني كله في كلمات قليلة، لكنها تحمل في طياتها أعظم المعاني وأعمق الدروس.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تضع أمامك لوحة متحركة للكون، ترى فيها الليل والنهار يتعاقبان، يتبادلان، يتقلبان، يتداخلان، ثم ترفع رأسك لتسمع النداء الإلهي: هل رأيت؟ هل تدبرت؟

هل استفدت؟ هل أنت ممن يبصرون؟
{يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ} (النور: 44).
الآن... تخيل نفسك تقف على شاطئ الحياة، تشاهد شمس النهار تشرق فتضيء الدنيا، ثم تغرب فيخلفها الليل بظلمته وسكونه، ثم يعود النهار مرة أخرى. هذا المشهد الذي تراه كل يوم، بل كل ساعة، هل توقفت عنده يوماً لتتأمل؟ هل سألت نفسك: من الذي يدير هذه الآلة الكونية العظيمة بهذه الدقة المتناهية؟ من الذي يقلب الليل والنهار منذ خلق السماوات والأرض، لم يخطئ موعد شروق شمس، ولم يتأخر غروب قمر؟
ثم تتأمل أكثر: هذا الليل الذي يخلف النهار، وهذا النهار الذي يخلف الليل، أليسا درساً في حياتك؟ فكما يخلف الليل النهار، يخلف العسر يسراً، وتخلف الشدة فرجاً، ويخلف المرض صحةً، ويخلف الفقر غنىً.
لكن قبل أن نغوص في هذا المشهد العظيم، دعني أسألك سؤالا ً يفتح عينيك على ما قد تكون غفلت عنه طويلا ً:
هل أنت من أولي الأبصار؟ أم أن عينيك ترى الليل والنهار، لكن قلبك لا يرى العبرة؟ هل تمر عليك الأيام والليالي، تتعاقب كما تعاقبت على من قبلك، لكنك لا تتعلم منها درساً، ولا تستفيد منها عبرة، ولا تزداد بها إيماناً؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تفتح أعين قلوبنا على ما لم نكن نراه.
وقفة مع الآية: عندما ترى الليل والنهار بعين قلبك
اولا ً: (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)
لنبدأ مع هذه الكلمات العظيمة: يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.
ماذا يعني (يُقَلِّبُ)؟
الفعل "يقلب" يحمل في طياته معاني متعددة، كل منها يفتح لك باباً من أبواب التدبر:
1. التقليب بمعنى الإدخال والإخراج:
يدخل الليل في النهار، والنهار في الليل. ففي الصيف يكون النهار أطول، فيدخل الليل في النهار ويقصر، وفي الشتاء يكون الليل أطول، فيدخل النهار في الليل ويقصر. هذه عملية دقيقة، تجري بنظام لا يخطئ.
2. التقليب بمعنى التصريف والتغيير:
يغير الله أحوال الليل والنهار، فمرة يكون الليل طويلا ً والنهار قصيراً، ومرة يكون العكس. مرة يكون الحر شديداً، ومرة يكون البرد قارساً. مرة يكون الجو صحواً، ومرة يكون ممطراً. كل هذا بتقدير من الله.
3. التقليب بمعنى التعاقب والتداول:
يأتي الليل فيخلف النهار، ويأتي النهار فيخلف الليل. هذا التعاقب المستمر، منذ خلق الله السماوات والأرض، لم يتوقف يوماً، ولن يتوقف حتى يشاء الله.
ماذا يعني أن الله هو الذي يقلب الليل والنهار؟
1. النفي التام للصدفة والعشوائية:
الكون ليس سائباً بلا مدبر، والليل والنهار ليسا مجرد ظاهرتين طبيعيتين تحدثان بالصدفة. بل الله هو الفاعل المباشر. هو الذي يأمر الشمس فتشرق، وهو الذي يأمرها فتغرب. هو الذي يقدر طول الليل وقصر النهار. لا شيء يحدث إلا بإرادته وتدبيره.
2. القدرة المطلقة:
من يقلب الليل والنهار بهذا النظام الدقيق، دون أن يختل، هو القادر على كل شيء. إنه الله. الذي بيده ملكوت كل شيء.
3. الإرادة النافذة:
لا أحد يعترض على إرادة الله في تقليب الليل والنهار. لا شمس تعاند فتشرق في غير موعدها، ولا ليل يرفض أن يأتي. كل شيء خاضع، منقاد، مسخر.
ثانيا ً: ما الذي نراه في تقليب الليل والنهار؟
الآية تدعوك لترى بعين قلبك ما وراء هذا المشهد:
1. نظام محكم لا يختل
منذ خلق الله السماوات والأرض، والليل والنهار يتعاقبان بنظام دقيق. لم يحدث أن تأخر شروق الشمس يوماً واحداً. لم يحدث أن غابت الشمس قبل موعدها. لم يحدث أن جاء الليل قبل أن يذهب النهار. هذا النظام المطلق، الذي لا يتغير، هو دليل على أن له مدبراً حكيماً قادراً.
2. دقة متناهية في التقدير
تأمل في طول النهار وقصره، في اختلاف الفصول، في تعاقب الليل والنهار على مدار السنة. كل هذا بحساب دقيق، لم يخطئ منذ خلق الله السماوات والأرض. قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ} (لقمان: 34).

3. تنوع وتعدد لا يمل
الليل ليس كله واحداً، والنهار ليس كله واحداً. ليلة تختلف عن ليلة، ونهار يختلف عن نهار. في كل يوم مشهد جديد، في كل ليلة حكاية مختلفة. هذا التنوع يدل على عظمة الخالق، وأنه لا يمل ولا يسأم.
4. تداخل وتعاقب بديع
انظر إلى لحظة غروب الشمس، كيف يبدأ الليل في الظهور رويداً رويداً، والنهار يختفي شيئاً فشيئاً. هذا التداخل البديع، هذا الانتقال السلس، هو من إبداع الخالق.
ثالثا: الإعجاز العلمي في قوله (يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ)
هذه الآية تحمل إعجازاً علمياً عظيماً:
1. دوران الأرض
العلم الحديث اكتشف أن تعاقب الليل والنهار يحدث بسبب دوران الأرض حول محورها. والقرآن يصف هذا التعاقب بأنه تقليب، أي تغيير مستمر، وتحول دائم. وهذا يتوافق مع حقيقة دوران الأ رض المستمر.
2. ميل محور الأرض
سبب اختلاف طول الليل والنهار وتغير الفصول هو ميل محور الأرض أثناء دورانها حول الشمس. و القران يشير إلى هذا التغيير في قوله (يُقَلِّبُ)، أي يغير ويبدل.
3. النظام الدقيق
القرآن يؤكد أن هذا التقليب بنظام دقيق، وهو ما أثبته العلم الحديث: أن دوران الأرض له نظام دقيق، لا يختل، ولا يتغير إلا بمقدار ضئيل جداً على مدى آلاف السنين.
كل هذا كان مجهولا ً في زمن نزول القرآن، ولم يعرفه الناس إلا بعد قرون طويلة، مما يثبت أن القرآن من عند الله.
رابعا (إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ)
هذه هي الخاتمة العظيمة. بعد أن رأيت هذا المشهد الكوني المهيب، يأتي النداء: في هذا عبرة.
ماذا تعني (عبرة)؟
العبرة: هي ما تعبر به من حال إلى حال، من الجهل إلى العلم، من الغفلة إلى اليقظة، من الضلال إلى الهدى.
ففي تقليب الليل والنهار:
1. عبرة في القدرة:
أن الذي يقلب الليل والنهار بهذا النظام، قادر على أن يقلب حياتك من ضيق إلى سعة، ومن ذل إلى عز، ومن مرض إلى صحة.
2. عبرة في الحكمة:
أن الذي جعل الليل سكناً والنهار نشوراً، يعلم ما يصلح لعباده. فلا تعترض على حكمته، ولا تسأل لماذا حدث كذا ولم يحدث كذا.
3. عبرة في الرحمة:
لو كان الليل دائماً، لهلك الناس. ولو كان النهار دائماً، لملوا وتعبوا. فجعل الله الليل والنهار رحمة بكم. فانظر كيف يرحمك الله في تدبيره.
4. عبرة في العدل:
كما يختلف الليل والنهار في الطول والقصر، يختلف الناس في الأرزاق والأعمار والأحوال. وهذا عدل من الله، لا اعتراض عليه.
5. عبرة في التغيير:
كما يتغير الليل والنهار، تتغير أحوال الناس. فلا تغتر بيوم عز، ولا تيأس من يوم ذل. فبعد الليل نهار، وبعد العسر يسر.
6. عبرة في الوقت:
الليل والنهار هما وعاء عمرك. كل يوم يمر، وكل ليلة تنقضي، هي جزء من عمرك الذي لا يعود. فاغتنم وقتك قبل أن يفوت.
خامسا من هم (أُولِي الْأَبْصَارِ)؟
لم يقل الله: لأولي الأعين، بل قال: لأولي الأبصار.
الأبصار جمع بصر، وهو ليس مجرد رؤية العين، بل هو:
· رؤية القلب: البصيرة.
· الفهم العميق: إدراك المعنى وراء الظاهر.
· التدبر والتفكر: أن لا تمر على الآيات مروراً سطحياً.
صفات أولي الأبصار:
· يرون بعيون قلوبهم ما لا تراه عيون رؤوسهم.
· لا تمر عليهم الآيات دون أن يتأملوها.

· يتعلمون من كل شيء: من الليل والنهار، من الشمس والقمر، من المطر والسحاب.
· يزدادون إيماناً كلما رأوا آيات الله.
· يعتبرون ويتعظون.
وأنت... هل أنت من أولي الأبصار؟
· هل ترى الليل والنهار فتزداد إيماناً؟
· هل تتأمل في تعاقبهما فتستفيد درساً؟
· هل تمر عليك الأيام والليالي عبثاً، أم كل يوم يضيف إلى إيمانك وعلمك؟
سادسا: الدروس العملية من تقليب الليل والنهار
دعني أخذ بيدك لتستخرج من هذه الآية كنوزاً عملية تعيش بها:
1. درس في الانتظام والانضباط
الليل والنهار يتعاقبان بنظام دقيق، لم يختل منذ خلقهما الله. هذا يعلمك أن تكون منضبطاً في حياتك:
· انضبط بصلاتك في أوقاتها.
· انضبط بمواعيد عملك.
· انضبط بنومك ويقظتك.
· انضبط بعلاقاتك مع الناس.
2. درس في التوازن
الليل والنهار متوازنان. هذا يعلمك أن توازن في حياتك:
· توازن بين العمل والراحة.
· توازن بين العبادة والدنيا.
· توازن بين الروح والجسد.
· توازن بين نفسك وأهلك.
3. درس في الرجاء بعد اليأس
بعد الليل المظلم يأتي النهار المشرق. فلا تيأس:
· بعد ظلمة الذنوب، نور التوبة.
· بعد ظلمة الشدة، فرج.
· بعد ظلمة المرض، صحة.
· بعد ظلمة الفقر، غنى.
4. درس في عدم الغرور
كما يزول النهار ويأتي الليل، تزول نعمة وربما تأتي محنة. فلا تغتر بما أنت فيه:
· لا تغتر بالصحة، فقد يأتي المرض.
· لا تغتر بالشباب، فقد يأتي الهرم.
· لا تغتر بالمال، فقد يزول.
· لا تغتر بالمنصب، فقد يسلب.
5. درس في اغتنام الوقت
الليل والنهار هما عمرك. كل يوم يمر، وكل ليلة تنقضي، هي جزء من عمرك لا يعود. فاغتنم وقتك:
· اغتنم شبابك قبل هرمك.
· اغتنم صحتك قبل سقمك.
· اغتنم غناك قبل فقرك.
· اغتنم حياتك قبل موتك.
6. درس في التسليم لله
كما تسلم الليل والنهار لإرادة الله، تسلم أنت لقضاء الله:
· لا تعترض على حكمته.
· لا تتساءل لماذا حدث كذا ولم يحدث كذا.
· كن راضياً بما قسمه الله لك.
سابعا: كيف ننظر إلى تقلب الليل والنهار في حياتنا؟
الآية تدعوك لترى تقلب الليل والنهار في حياتك اليومية:
1. في صلاتك
الصلوات الخمس مرتبطة بالليل والنهار:
· الفجر: عند انبلاج النهار.
· الظهر: بعد زوال الشمس.
· العصر: في آخر النهار.
· المغرب: عند غروب الشمس.
· العشاء: بعد دخول الليل.

كل صلاة في وقتها، هي شكر لله على تقليب الليل والنهار.
2. في عملك
الليل للراحة، والنهار للعمل. هذا نظام الله. فلا تعكس النظام:
· لا تسهر الليل كله فتضيع نهارك.
· لا تنام النهار كله فتضيع عمرك.
· وازن بين العمل والراحة.
3. في عبادتك
الليل فيه قيام الليل، والنهار فيه صلاة النهار. اجعل لك نصيباً من الليل والنهار في العبادة.
4. في علاقاتك
كما يتعاقب الليل والنهار، تتعاقب الأحوال مع الناس:
· مرة تصفو، ومرة تكدر.
· مرة تقرب، ومرة تبعد.
· لا تجعل الاختلافات تقطع العلاقات، فبعد الليل نهار.
ثامنا: كيف نبني أنفسنا على هذه العبرة؟
الآية تريد أن تبني فيك الإنسان المتأمل، الإنسان البصير:
1. تربية العقل على التأمل
لا تمر على الأشياء مروراً عابراً. توقف، تأمل، تفكر:
· لماذا خلق الله الليل والنهار؟
· ما الحكمة من تعاقبهما؟
· ماذا أستفيد من هذا النظام؟
2. تربية القلب على البصيرة
لا تكتفِ بما تراه عيناك. انظر بعين قلبك:
· ترى الليل فتذكر ظلمة القبر.
· ترى النهار فتذكر نور الجنة.
· ترى تعاقبهما فتذكر تعاقب الأيام التي تمضي من عمرك.
3. تربية النفس على الانضباط
كما ينضبط الليل والنهار، انضبط أنت:
· انضبط في عبادتك.
· انضبط في عملك.
· انضبط في أخلاقك.
4. تربية الروح على التسليم
كما يسلم الليل والنهار لإرادة الله، سلم أنت:
· سلم له في رزقك.
· سلم له في صحتك.
· سلم له في أولادك.
· سلم له في كل شيء.
تاسعا: دور الآية في بناء المجتمع المسلم
هذه الآية تبني مجتمعاً واعياً:
1. مجتمع متأمل
ليس مجتمعاً سطحياً يمر على الآيات دون تفكر، بل مجتمع يتأمل، يتدبر، يتعلم.
2. مجتمع منضبط
كما أن الليل والنهار منضبطان، يكون المجتمع منضبطاً بشرع الله، منظماً في أموره، لا فوضى فيه ولا تخبط.
3. مجتمع متوازن
لا يطغى فيه جانب على جانب:
· لا مادية تطغى على الروح.
· لا روحانية تطغى على العمل.
· توازن بين الدنيا والآخرة.
4. مجتمع متفائل
كما أن بعد الليل نهار، يكون المجتمع متفائلاً:
· لا ييأس من الشدة.
· لا يقنط من الرحمة.
· يعلم أن بعد العسر يسراً.
5. مجتمع متعاون

كما يتعاون الليل والنهار في نظام الكون، يتعاون أفراد المجتمع في بناء حياتهم.
عاشرا: دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية
هذه الآية أسست لمنهج حضاري عظيم:
1. منهج التأمل والتفكر
الحضارة الإسلامية قامت على التأمل في الكون. هذه الآية تدعو إلى التأمل في تعاقب الليل والنهار ، وهذا هو أساس البحث العلمي.
2. منهج النظام والانضباط
الحضارة التي تقوم على نظام الليل والنهار، هي حضارة منضبطة، لا فوضى فيها.
3. منهج التوازن
الحضارة الإسلامية جمعت بين المادة والروح، كما جمع الليل والنهار. لا تغليب لأحدهما على الآخر.
4. منهج استثمار الوقت
المسلمون أدركوا أن الليل والنهار هما وعاء العمر، فاستثمروه في العلم والعبادة والعمل.
5. منهج التفاؤل والأمل
الحضارة الإسلامية لم تعرف اليأس. كانوا يعلمون أن بعد الليل نهاراً، فكانوا متفائلين، حتى في أشد الأزمات.
حادي عشر كيف تعيش هذه الآية في حياتك اليومية؟
والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، كيف تطبقها في واقعك؟
1. تأمل في الليل والنهار كل يوم
لا تمر على شروق الشمس أو غروبها مروراً عابراً. توقف لحظة، اشكر الله، وتأمل في عظمة هذا النظام.
2. استثمر وقتك
تذكر أن كل يوم يمر هو جزء من عمرك لا يعود. فاستثمره في طاعة الله، وفي عمل نافع، وفي بناء نفسك وأسرتك ومجتمعك.
3. لا تيأس
إذا مررت بظروف صعبة، تذكر أن بعد الليل نهاراً. فلا تيأس، ولا تقنط، ففرج الله قريب.
4. لا تغتر
إذا كنت في نعمة، تذكر أن الليل يخلف النهار. فلا تغتر بنعمتك، بل اشكر الله عليها، واستعملها في طاعته.
5. كن منضبطاً
اجعل حياتك منضبطة كالليل والنهار. نم في وقتك، استيقظ في وقتك، اعمل في وقتك، صل في وقتك.
6. وازن بين حياتك
لا تطغ جانباً على جانب. وازن بين:
· عملك وراحتك.
· عبادتك ودنياك.
· حق نفسك وحق أهلك.
· حق الناس وحق ربك.
7. كن متفائلا ً
انظر إلى الحياة بعين التفاؤل. كما أن الليل لا يدوم، لا تدوم الشدة. وكما أن النهار لا يدوم، لا تدوم النعمة. فاستعد للآخرة.
8. انظر بعين قلبك
لا تكن ممن يرى الليل والنهار بعين رأسه فقط. اجعل قلبك مع عينك. انظر بعين قلبك:
· في الليل: تذكر ظلمة القبر، وقيام الليل.
· في النهار: تذكر نور الجنة، وسعي الرزق.
الخاتمة: أنت الآن بين الليل والنهار
بعد أن عشنا هذه الآية، أنت الآن أمام حقيقة:
الليل والنهار آيتان من آيات الله.
· تمر بهما كل يوم.
· تشهدهما كل لحظة.
· لكن هل تراهما بعين قلبك؟
تذكر:
· كل يوم يمر هو صفحة من عمرك تكتب فيها ما شئت.
· كل ليلة تنقضي هي فرصة ضاعت أو اغتنمت.
· كل شروق شمس هو نداء جديد: انطلق إلى رحمة الله.

· كل غروب شمس هو تذكير: اقتربت ساعة الرحيل.
فلا تكن ممن يمر عليهم الليل والنهار، ولا يزدادون إلا بعداً عن الله.
كن من أولي الأبصار الذين يرون في الليل والنهار عبرة، فيزدادون إيماناً، وتصلح أعمالهم، وتهتدي قلوبهم.

تاسعا .

بعد أن أخذتنا الآية السابقة في رحلة التأمل في تقليب الليل والنهار، ودعتنا لأن نكون من أولي الأ بصار الذين يرون في ذلك عبرة، تأتي هذه الآية لتكمل المشهد الكوني العظيم، لترفع الحجاب عن سر من أسرار الخلق: سر التنوع الهائل في المخلوقات، وسر الحركة والعمل في هذا الكون، وسر العلم الإلهي المحيط بكل شيء.
تأمل معي هذه الآية العظيمة، وكأنها تفتح أمامك موسوعة الخلق، لترى كيف بدأ الله الخلق من ماء واحد، ثم أنشأ منه هذا التنوع المذهل، ثم جعل لكل مخلوق طريقة في الحركة والحياة، ثم أعلن أن علمه محيط بكل شيء:
{وَاللهُ خَلَقَ كلّ دَابّةٍ مّن مّاءٍ ۖ فَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ وَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ ۚ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ ۚ إِنّ اللهَ عَلَىٰ كلّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} (النور: 45).
الآن... تخيل نفسك تقف أمام متحف الخلق الإلهي. ترى فيه مخلوقات لا تعد ولا تحصى: حشرات تزحف على بطونها، وطيور تمشي على رجلين، وأنعام تمشي على أربع، وأسماك تسبح في الماء، وطيور تطير في الهواء، وإنسان يمشي منتصباً. كل هذا خلق من ماء واحد. كيف؟ كيف تنوعت هذه المخلوقات من أصل واحد؟ كيف اختلفت أشكالها وأحجامها وطرق حركتها؟ من الذي خلق هذا التنوع المذهل؟
ثم ترفع رأسك لتسمع الإجابة: الله خلق كل هذا. وهو يخلق ما يشاء. وهو على كل شيء قدير.
لكن قبل أن نغوص في هذا المشهد العظيم، دعني أسألك سؤالا ً يفتح عينيك على ما قد تكون غفلت عنه:
هل فكرت يوماً في سر التنوع في هذا الكون؟ لماذا خلق الله بعض المخلوقات تمشي على بطونها، وبعضها على رجلين، وبعضها على أربع؟ هل هو مجرد صدفة؟ أم أن هناك حكمة إلهية في كل هذا التنوع؟ وكيف يمكن أن تستفيد أنت من هذا المشهد في حياتك اليومية؟
تعال... لنعش هذه الآية معاً، كأنها تنزل علينا الآن، وكأنها تفتح أعيننا على أسرار الخلق التي لم نكن نراها.
وقفة مع الآية: عندما تفتح عينيك على متحف الخلق الإلهي
أولا ً: (وَاللهُ خَلَقَ كلّ دَابّةٍ مّن مّاءٍ)
لنبدأ مع هذه الحقيقة العلمية العظيمة: خَلَقَ كلّ دَابّةٍ مّن مّاءٍ.
ماذا تعني (دابة)؟
الدابة: كل ما يدب على وجه الأرض من المخلوقات. يشمل ذلك:
· الإنسان.
· الحيوانات البرية.
· الحيوانات البحرية.
· الحشرات.
· الزواحف.
كل ما يتحرك على وجه الأرض، فهو دابة خلقه الله.
ماذا يعني (من ماء)؟
هذه حقيقة علمية عظيمة:
· خلق الله كل الكائنات الحية من الماء.
· جعل الماء أساس الحياة.
· قال تعالى في آية أخرى: {وَجَعَلنَا مِنَ المَاءِ كلّ شَيْءٍ حَيّ} (الأنبياء: 30).
الإعجاز العلمي:
العلم الحديث اكتشف أن كل الكائنات الحية تتكون من خلايا، والخلايا تتكون أساساً من الماء. فـ الماء يشكل نسبة كبيرة من تركيب كل كائن حي. جسم الإنسان يتكون من 60-70% ماء. بعض الكائنات تصل نسبة الماء فيها إلى 90%. هذا ما أعلنه القرآن قبل 1400 سنة.
ما الدلالات؟
1. وحدة الأصل
كل هذه المخلوقات المتنوعة، من أصغر حشرة إلى أكبر حوت، من أصل واحد: الماء. هذا يدل على أن الخالق واحد. فكما أن المخلوقات متنوعة لكنها من أصل واحد، فالناس أيضاً من أصل واحد. قـ ال تعالى: {يَا أَيُهَا النَاسُ اتقوا رَبَكمُ الذي خَلَقكم مّن نفس وَاحِدَةٍ} (النساء: 1).
2. قدرة الله العظيمة
من ماء واحد، خلق الله هذا التنوع المذهل. كيف؟ كيف من ماء واحد خلق الإنسان العاقل، والفيل الضخم، والنحلة الصغيرة، والحوت العملاق؟ هذه قدرة لا يحيط بها عقل.

3. التواضع
أنت مخلوق من ماء. لا تتكبر. قال تعالى: {أَلَمْ نَخْلُقكم مِّن مَّاءٍ مَّهِين} (المرسلات: 20). الماء مهين، أي ضعيف حقير. من هذا الماء خلقك الله. فكيف تتكبر؟ كيف تتعالى على غيرك؟
4. شكر النعمة
الماء نعمة عظيمة. لولا الماء لما كانت حياة. اشكر الله على هذه النعمة، ولا تسرف فيها.
ثانياً: (فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ)
بعد أن ذكر الله الأصل الواحد، انتقل إلى التنوع في الحركة:
مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِ:
· الحيات: تزحف على بطونها.
· الديدان: تزحف على بطونها.
· بعض الزواحف: تزحف على بطونها.
· الحشرات: بعضها يزحف على بطونه.
ما الدلالات؟
1. تنوع وسائل الحركة
الله لم يخلق كل المخلوقات على صورة واحدة. تنوعت وسائل حركتها حسب حاجتها وبيئتها. هذا يدل على:
· حكمة الخالق: كل مخلوق خلق بما يناسبه.
· رحمة الخالق: لم يكلف الحية أن تمشي على رجلين، بل خلقها على ما يناسبها.
2. كل مخلوق له وظيفة
الحية تمشي على بطنها، لكنها تؤدي وظيفتها في النظام البيئي. لا أحد في هذا الكون مخلوق عبثاً. كل مخلوق له دور.
3. التواضع
أنت تمشي على رجلين، وغيرك يمشي على بطنه. لكن كلنا مخلوقون من ماء. فلا تفتخر على غيرك. فما أنت إلا مخلوق كغيره.
ثالثاً: (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ)
مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ:
· الإنسان.
· الطيور.
· بعض الحيوانات التي تقف على رجلين كالنعام والبطريق.
ما الدلالات؟
1. تكريم الإنسان
الله ميز الإنسان بالوقوف على قدمين، والقدرة على العمل بيديه. هذا تكريم من الله. قال تعالى: {وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ} (الإسراء: 70). فاشكر الله على هذا التكريم.
2. الاستخلاف في الأرض
الإنسان الذي يمشي على رجلين، ويستخدم يديه، هو المستخلف في الأرض. هذه القدرة تجعله مسؤولاً عن عمارة الأرض.
3. الاعتدال
المشي على رجلين يعطي اتزاناً واعتدالاً. هذا يدعوك لأن تكون معتدلاً في حياتك، لا تميل إلى طرف دون آخر.
رابعاً: (وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ)
مَنْ يَمْشِي عَلَىٰ أَرْبَعٍ:
· معظم الحيوانات: الخيول، الإبل، البقر، الغنم، الأسود، النمور، وغيرها.
ما الدلالات؟
1. التنوع في الخلق
من ماء واحد خلق الله هذه المخلوقات المتنوعة. بعضها على بطن، وبعضها على رجلين، وبعضها على أربع. هذا يدل على:
· قدرة الخالق: القادر على خلق هذا التنوع من أصل واحد.
· حكمة الخالق: كل مخلوق خلق بما يناسب بيئته وحاجته.
2. تسخير الحيوانات للإنسان
التي تمشي على أربع، كثير منها سخره الله للإنسان:
· الإبل: للركوب والحمل.
· البقر: للحرث واللبن.
· الغنم: للبن واللحم والصوف.
· الخيول: للركوب والجهاد.

اشكر الله على هذا التسخير.
خامساً: (يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ)
بعد أن عرض التنوع في الخلق والحركة، جاء هذا الإعلان: يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ.
ما دلالة هذه الجملة؟
1. الإرادة المطلقة
لا أحد يفرض على الله كيف يخلق. هو يخلق ما يشاء، كيف يشاء، متى يشاء. لا معقب على حكمه.
2. الرد على الملحدين
الملحد يقول: التطور صدفة، والتنوع جاء بالصدفة. القرآن يقول: لا، هذا الخلق بإرادة خالق حكيم. يخلق ما يشاء.
3. التسليم لله
عندما تعلم أن الله يخلق ما يشاء، تسلم لقضائه:
· يخلق من يشاء ذكراً وأنثى.
· يخلق من يشاء غنياً وفقيراً.
· يخلق من يشاء طويلا ً وقصيراً.
· يخلق من يشاء جميلا ً وغير جميل.
كل هذا بإرادته وحكمته. فلا تعترض.
سادساً: (إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)
الخاتمة العظيمة: إِنَّ اللهَ عَلَىٰ كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.
ما دلالة هذه الخاتمة؟
1. تعقيب على ما سبق
بعد أن ذكر خلق الدواب من الماء، وتنوعها، قال: إن الله على كل شيء قدير. فهو القادر على خلق هذا التنوع، والقادر على خلق ما هو أعجب منه.
2. رد على من أنكر القدرة
من يستبعد أن يحيي الله الموتى؟ من يستبعد أن يجمع الله العظام؟ إن الله على كل شيء قدير. الذي خلق هذا التنوع من ماء، قادر على كل شيء.
3. ربط القدرة بالمشيئة
يخلق ما يشاء، لأنه على كل شيء قدير. فلا شيء يعجزه. لا صغير ولا كبير، لا سهل ولا عسير.
سابعاً: الإعجاز العلمي في الآية
هذه الآية تحمل إعجازاً علمياً عظيماً:
1. أصل الحياة من الماء
العلم الحديث أثبت أن كل الكائنات الحية تتكون من خلايا، والخلايا تحتاج إلى الماء. وأثبت أن الحياة بدأت في الماء. هذا ما أعلنه القرآن قبل 1400 سنة.
2. تنوع الكائنات
العلم الحديث يصنف الكائنات الحية إلى:
· زواحف (تمشي على بطنها).
· طيور وإنسان (تمشي على رجلين).
· ثدييات (تمشي على أربع).
هذا التصنيف ذكره القرآن بدقة مذهلة.
3. وحدة الأصل وتنوعه
العلم الحديث اكتشف أن كل الكائنات الحية لها أصل واحد، وتنوعت بالتدريج. وهذا ما يشير إليه القرآن: خلق كل دابة من ماء، ثم تنوعت.
ثامناً: القيم والمفاهيم التي تزرعها الآية
هذه الآية تحمل في طياتها كنوزاً من القيم:
1. التوحيد
كل هذه المخلوقات المتنوعة خلقها خالق واحد. هذا يدل على وحدانيته.
2. القدرة
من ماء واحد خلق هذا التنوع. هذه قدرة لا يعجزها شيء.
3. الحكمة
كل مخلوق خلق بما يناسبه. الحية تمشي على بطنها، والطير على رجلين، والفرس على أربع. كل حسب حاجته.
4. الرحمة
لو خلق الله الإنسان يمشي على أربع، أو على بطنه، لكان ذلك صعباً. لكنه رحمه فخلقه على رجلين.
5. التواضع

أنت مخلوق من ماء. فلا تتكبر. وغيرك مخلوق من ماء. فلا تحتقره.
6. الشكر
اشكر الله على نعمة الخلق، ونعمة التسوية، ونعمة التكريم.
تاسعاً: كيف نبني أنفسنا على هذه الآية؟
هذه الآية تريد أن تبني فيك الإنسان المتأمل، الإنسان الشاكر، الإنسان المتواضع:
1. تأمل في خلق الله
لا تمر على الحيوانات والحشرات مروراً عابراً. تأمل فيها:
· كيف خلقت؟
· كيف تتحرك؟
· كيف تعيش؟
· كيف ترزق؟
هذا التأمل يزيدك إيماناً.
2. اشكر الله على نعمة الخلق
أنت مخلوق من ماء، ثم سواك الله في أحسن تقويم:
· أعطاك رجلين تمشي بهما.
· أعطاك يدين تعمل بهما.
· أعطاك عينين تبصر بهما.
· أعطاك أذنين تسمع بهما.
· أعطاك قلباً يعقل.
· أعطاك لساناً ينطق.
اشكر الله على هذه النعم.
3. تواضع
أنت مخلوق من ماء. وغيرك مخلوق من ماء. فلا تفتخر على غيرك. ولا تحتقر أحداً. فما أنت إلا مخلوق كغيره.
4. تعلم من التنوع
كما تنوعت المخلوقات في حركتها، تنوع الناس في قدراتهم ومواهبهم:
· بعضهم يمشي على بطنه: أي يعمل في وظائف تحتاج إلى تواضع.
· بعضهم يمشي على رجلين: أي يعمل في وظائف تحتاج إلى وقار.
· بعضهم يمشي على أربع: أي يعمل في وظائف تحتاج إلى قوة.
كل له مكانته، وكل له قيمته.
5. اعلم أن الله على كل شيء قدير
لا تستبعد شيئاً على الله. هو القادر على كل شيء:
· قادر على إحياء الموتى.
· قادر على شفاء المرضى.
· قادر على تفريج الكروب.
· قادر على إجابة الدعاء.
فلا تيأس من رحمته، ولا تقنط من فضله.
عاشراً: دور الآية في بناء الإنسان
هذه الآية تبني الإنسان من عدة جوانب:
1. الجانب العلمي
تدعو الإنسان إلى دراسة الكائنات الحية، وفهم تنوعها، مما يدفع إلى البحث العلمي.
2. الجانب الإيماني
تربط الإنسان بخالقه، وتزيده إيماناً بقدرة الله وحكمته.
3. الجانب النفسي
تزرع في النفس التواضع، والشكر، والرضا.
4. الجانب السلوكي
تدفع الإنسان إلى التعامل مع الآخرين بإنسانية، وعدم التكبر عليهم.
حادي عشر: دور الآية في بناء المجتمع المسلم
هذه الآية تبني مجتمعاً متماسكاً:
1. مجتمع متسامح
كما تنوعت المخلوقات، تنوع الناس في ألوانهم وألسنتهم وقدراتهم. هذا التنوع يدعو إلى التسامح، وعدم التعصب.
2. مجتمع متكامل
كما لكل مخلوق وظيفة، لكل فرد في المجتمع وظيفة:

· بعضهم يمشي على بطنه: العمال والخدم.
· بعضهم يمشي على رجلين: العلماء والحكام.
· بعضهم يمشي على أربع: الجنود والعمال.
كل له دوره، وكل مكمل للآخر.
3. مجتمع متواضع
عندما يعلم الجميع أنهم خلقوا من ماء، يتواضعون، ولا يتكبر أحد على أحد.
4. مجتمع شاكر
عندما يرى المجتمع نعم الله عليه، يشكره، ويحافظ عليها.
ثاني عشر: دور الآية في بناء الحضارة الإسلامية
هذه الآية أسست لمنهج حضاري عظيم:
1. منهج البحث العلمي
الآية تدعو إلى دراسة الكائنات الحية وتصنيفها. هذا ما فعله العلماء المسلمون في العصر الذهبي:
الجاحظ: كتاب الحيوان.
· الدميري: كتاب حياة الحيوان.
· ابن سينا: القانون في الطب.
كل هذا انطلق من تدبر هذه الآية.
2. منهج التوحيد
الحضارة الإسلامية بنيت على التوحيد. هذه الآية تؤكد أن الخالق واحد، فتوحد القلوب على عبادته.
3. منهج التواضع
الحضارة الإسلامية لم تكن حضارة متكبرة، بل حضارة متواضعة، تتعلم من غيرها، وتعطي للجميع.
4. منهج الاستخلاف
الإنسان المستخلف في الأرض يمشي على رجلين، ويستخدم يديه، ليعمر الأرض، لا ليفسدها.
5. منهج الشكر
الحضارة الإسلامية كانت حضارة شاكرة، تشكر الله على نعمه، فتزداد نعماً. قال تعالى: {لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ} (إبراهيم: 7).
ثالث عشر: رسائل عملية من الآية لحياتك اليوم
والآن، بعد أن عشنا هذه الآية بكل أبعادها، كيف تطبقها في واقعك؟
الرسالة الأولى: تذكر أصلك
أنت مخلوق من ماء. لا تتكبر. تذكر هذا الأصل كلما شعرت بالكبرياء.
الرسالة الثانية: اشكر الله على نعمة الخلق
كل يوم، اشكر الله على نعمة أن جعلك إنساناً يمشي على رجلين، ويستخدم يديه، ويعقل بقلبه.
الرسالة الثالثة: تأمل في تنوع المخلوقات
انظر إلى الحيوانات والحشرات والطيور. تأمل في خلقها. هذا التأمل يزيدك إيماناً.
الرسالة الرابعة: تقبل التنوع في الناس
الناس مختلفون في قدراتهم ومواهبهم. كما تنوعت المخلوقات، تنوع الناس. تقبل هذا التنوع، ولا تطلب من الجميع أن يكونوا مثلك.
الرسالة الخامسة: استثمر قدراتك
أنت تمشي على رجلين، وتستخدم يديك. هذه قدرة عظيمة. استثمرها في العمل الصالح، وفي عمارة الأرض.
الرسالة السادسة: لا تحتقر أحداً
الحية تمشي على بطنها، وهي مخلوقة بحكمة. والإنسان الذي لا يستطيع المشي، هو أيضاً مخلوق بحكمة. لا تحتقر أحداً، فالله خلقه لحكمة.
الرسالة السابعة: اعلم أن الله على كل شيء قدير
لا تستبعد شيئاً على الله. إذا أردت شيئاً، فاسأله. فهو القادر على كل شيء.
الخاتمة: أنت الآن بين الماء والتنوع والقدرة
بعد أن عشنا هذه الآية، أنت الآن أمام حقيقة عظيمة:
أنت مخلوق من ماء. هذا أصلك.
أنت مخلوق على أحسن تقويم. هذه نعمة.
أنت مخلوق لتعمر الأرض. هذه مسؤولية.
الله خلق هذا التنوع كله. هذه قدرة.
الله على كل شيء قدير. هذه ثقة.
فلا تغتر بنفسك، فتنسى أصلك.
ولا تنس شكر خالقك، فتخسر نعمتك.
ولا تحتقر غيرك، فتخسر أجرك.

ولا تيأس من قدرة ربك، فتحرم فضله.
تذكر:
· من ماء خلقت.
· وإلى ماء ستعود (تصير تراباً).
· وبين الماء والماء، حياتك.
· فاجعلها في طاعة من خلقك من ماء.

المقطع الرابع

{لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} (النور: 46)

قف مع هذه الآية وقفة متدبّر. إنها ليست مجرد جملة تمر على أسماعنا، بل هي منظومة متكاملة تبدأ بـ"وضوح النص" وتنتهي بـ"استقامة الفعل"، لتبني إنسانًا متوازنًا، ومجتمعًا آمنًا.

الامر الاول: الأبعاد الكلية للآية ودلالة البداية والنهاية

لاحظ كيف افتتح الله الآية بقوله: {لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ}، وأختمها بقوله: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}. إنها رحلة من "العلم بالبيان" إلى "العمل بالاستقامة". فالمنهج واضح (آيات مبينات)، والغاية هي الوصول إلى الطريق القويم (صراط مستقيم). هذا هو أساس البناء البشري المتوازن: أن تنطلق من يقين راسخ إلى سلوك قويم.

الامر الثاني الأبعاد التربوية: وضوح المنهج وبناء الوعي

1. التركيز على وضوح المنهج الرباني

عندما يقول الله: {آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ}، فإنه يؤكد أن دينه ليس فيه غموض ولا لبس. إنه دين الوضوح المطلق. وهذا له أثر عميق في التربية:

· تربية الأمة على اعتماد القوانين الواضحة: في ظل التشابه والفتن، تحتاج الأمة إلى منهج لا يحتمل التأويلات الفاسدة. الآ يات المبينات هي دستور واضح يقطع الطريق على الشبهات.

· دلالة الإدغام في "آيات مبينات": عندما تدغم نون التنوين في الميم في كلمة "مُبَيِّنَاتٍ"، ينتج صوت واحد مشدد وكأنه يؤكد على هذا الوضوح، وكأنه يقول: البيان متصل بالآيات اتصالًا لا انفصام فيه، فلا عذر لأحد بعد هذا البيان.

2. بناء جيل واعٍ ومستقيم

التربية القرآنية ليست نقل معلومات، بل هي بناء شخصية. عندما ينشأ الجيل على أن مرجعه هو نصوص واضحة لا تحتمل ا لالتباس، فإنه ينشأ:

· واعيًا: لا ينخدع بالشعارات المضللة ولا بالأفكار الدخيلة.

· مستقيمًا: لأنه يعرف الحق من الباطل بيقين.

3. التزكية بالوحي: القاعدة الذهبية

الآية تؤسس لقاعدة عظيمة: وسيلة التزكية (تطهير النفس) هي الوحي وحده. ليس باجتهادات البشر ولا بالأهواء. عندما تقرأ "آيات مبينات"، تعلم أن طريق تزكية نفسك واضح أمامك، ليس فيه غموض. هذه القاعدة تربي المسلم على أن يعود دائمًا إلى كتاب الله وسنة رسوله ليطهر قلبه ويصلح عمله

الامر الثالث: الأبعاد النفسية: السكينة والثقة

1. السكينة والاطمئنان: {وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ}

هذا الجزء من الآية يزرع في نفسك راحة عظيمة. أنت لست وحدك تسعى إلى الهداية، فـالله هو الموفق. تعلم أن الهداية بيده، وهذا:

· يقلل القلق: لا تقلق إن أبطأ الناس أو أعرضوا، فالله يهدي من يشاء.

· يزيل الاضطراب: لا تحتار فيمن تدعو أو كيف تبلغ، فالأمر كله لله.

2. الثقة بالمنهج والرضا بالهداية

عندما تتأكد أن ما عندك هو "آيات مبينات" من رب العالمين، فإنك تشعر بعزة وثقة لا يشعر بها من يتبع أهواء البشر. هذه الثقة تجعلك بعيدًا عن التخبط الفكري؛ لأنك تعلم أن لديك يقينًا لا شك فيه

الامر الرابع: الأبعاد الاجتماعية: الاستقامة والتماسك

1. بناء مجتمع متماسك عفيف

الآية تأتي في سياق سورة النور، التي نزلت لتحصن المجتمع بالعفاف وغض البصر واجتناب الفواحش. وقوله {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} هو التوجه نحو بناء مجتمع:

متماسك: لأن الاستقامة تجمع القلوب على الحق.

· آمن: المجتمع الذي يبتعد عن الفواحش والشائعات هو مجتمع آمن مطمئن.

2. صيانة المجتمع وإغلاق الباب أمام الرذيلة

"المنهج المبين" (آيات مبينات) هو الذي يغلق الباب أمام كل من يريد أن يلج من الظنون والشبهات ليُفسد في المجتمع. عندما تعرف الحدود بوضوح، تحفظ الأعراض، وتصان الكرامات. وهذا هو أساس التنمية الاجتماعية الحقيقية.

3. دور التجويد في {صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}

هنا أيضًا تنوين مع ميم يُدغم، فيصير الصوت مشددًا وكأنه يؤكد على أن الطريق "مستقيم" بلا عوج. الإدغام هنا يضفي على اللفظ قوة وصلابة، تليق بمعنى الاستقامة الثابتة التي لا تتزعزع.

الامر الخامس: الأبعاد التوعوية والثقافية: الوعي المنهجي ونشر النور

1. الوعي المنهجي: الوحي مرجعًا

الآية تعزز ثقافة أن الوحي هو المرجع الوحيد في الحياة. عندما تقتنع أن "آيات مبينات" هي الحل لمشاكل البشرية، فإنك تنطلق من يقين راسخ. كل مشكلة تواجهها، تجد لها حلا ً واضحًا في هذا المنهج.

2. نشر النور والقيم

العمل بهذه الآيات يجعل الأمة منارة للعالم. عندما يلتزم الأفراد بما في سورة النور من أحكام العفة والستر والاستئذان، يصبح المجتمع نموذجًا راقيًا في القيم.

الامر السادس: الأبعاد الفكرية في البناء والتنمية البشرية

1. النهضة الحضارية

تأمل: كيف كانت الحضارة الإسلامية عندما طبقت هذا المنهج الواضح؟ كانت حضارة عدل وعلم وقوة. الآية تؤكد أن المفتاح للنهضة هو تطبيق هذا المنهج الإلهي الواضح. التنمية التي لا تستند إلى قيم وأخلاق هي تنمية هشّة.

2. بناء الإنسان المتوازن

الآية تربط التنمية البشرية بالقيم والأخلاق. التنمية الحقيقية هي التي تنمي الجانب القيمي والخلقي مع الجانب المادي. هذا هو الإنسان المتوازن الذي تسعى إليه الآية.

الموضوع الثاني: آيات مبينات... دلالاتها ومقاصدها

1. ما هي الآيات المبينات التي يشير إليها الله؟

هي كل آيات القرآن التي أوضحت الحلال والحرام، والأحكام والحدود، ومنها في سورة النور: أحكام الزنا والقذف والا ستئذان وغض البصر. لكنها تشمل أيضًا آيات الكون والقرآن كلها؛ لأنها كلها مبينة للحق.

2. دلالة "لقدْ أنزَلنَا" بنون العظمة

ابتدأ الله الآية بـ "لقدْ" للتوكيد، وبـ "نون العظمة" ليشعرك بعظمة المشرّع. إنه الله العزيز الحكيم. هذا التأكيد يجعلك تستشعر عظمة هذا الكتاب، وأنه ليس كلامًا عاديًا.

3. الأحكام التفصيلية: رحمة ونورًا

أحكام مثل حد الزنا والقذف والاستئذان هي رحمة من الله. لو ترك الناس بلا حدود، لفسدت المجتمعات. هذه الأحكام تحمي الأعراض، وتصون الكرامات، وتنشر الطمأنينة. إنها نور يضيء لك الطريق في ظلمات الشهوات.

4. كيف تشعرني الآية برحمة الله؟

عندما تعلم أن الله لم يتركك تائهًا، بل أنزل لك آيات مبينات توضح لك كل شيء، فهذا من رحمته. وعندما تعلم أن الهداية بيده وهو يهدي من يشاء، تشعر أن باب الرحمة مفتوح دائمًا.

5. قيمة وضوح الحق واليقين

قوله "مُبَيِّنَاتٍ" تعني أنها كاشفة للحق لا غموض فيها. هذه القيمة تغرس فيك:

· الوضوح والشفافية: لا تقبل التلبيس، ولا تتبع الظنون، ولا تتعامل بالغموض.

· بناء الإنسان: الإنسان الواضح في منهجه ومعاملاته هو إنسان ناجح في الدنيا والآخرة.

6. قطع الأعذار: وضوح الحق يعني لا عذر لأحد

هذا هو أعظم دلالة. عندما يكون الحق واضحًا، تنقطع الأعذار. لا يمكن لأحد أن يقول "ما كنت أعرف". هذا يضعك أمام مسؤوليتك.

كيف تطبق هذا في حياتك اليومية؟

· عندما تريد أن تبيع أو تشتري، ابحث عن الحكم الشرعي قبل أن تقرر. لا تعتمد على العرف الفاسد أو الهوى.

· في معاملاتك مع الناس، كن واضحًا وشفافًا كما أمرك الله.

· لا تكتفي بقراءة الآيات، بل اسعَ لتعلم معانيها وتطبيقها في حياتك.

7. هل أشعر بالرحمة عند نزول الآيات؟

تأمل: الله وضع لك آيات واضحة ليرحمك. هذه الآيات هي دليل رحمته بك. عندما تتأمل هذا، يصبح دافعًا لك أن ترحم الآخرين، وأن تلتزم الهدى.

8. الثقة بالقرآن كمرجع وحيد

الآية تدعوك لأن تجعل القرآن مصدرك النهائي للوضوح والهداية. لا تذهب إلى مصادر مشبوهة. اجعل مرجعيتك هي كتاب الله.

9. التدبر والعمل: "مبينات" تعني كاشفة، فكيف تتعامل معها؟

كلمة "مبينات" تستوجب منك:

· التدبر: لا تقرأها مرورًا، بل تدبّر معانيها.

· العمل: لا تكتف بالمعرفة، بل طبّق.

· التطبيق في المعاملات: اجعلها منهجًا في بيتك وعملك وعلاقاتك.

10. غرس الاطمئنان وعدم التخبط

اليقين بوضوح الحق يطمئن قلبك. أنت تعلم أن عندك الصواب، فلا تتخبط في فتاوى الشهوات التي تتبع الأهواء.

11. تحرير الإنسان من حيرة الشك والظلام

الآية تنقلك من ظلمات الشك إلى نور اليقين. "آيات مبينات" نور، و"صراط مستقيم" طريق، والله يهدي من يشاء إلى هذا النور. هذا تحرير حقيقي.

12. دور الآية في بناء حضارة النور

"آيات مبينات" هي أساس حضارة النور. أي حضارة تقوم على مبادئ ثابتة واضحة تستمر وتتقدم. أما التي تقوم على الأوهام والظلمات، فهي كالسراب. المجتمع الذي يربط نفسه بالقيادة الربانية (الله يهدي) هو مجتمع قوي فاعل.

الموضوع الثالث: لماذا ختمت الآية بـ {وَاللهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}؟

1. دلالة التوفيق: الهداية بيد الله

العلم بالآيات وحدها لا يكفي للهداية، بل لابد من توفيق الله. هذا يعني:

· أن تتواضع: فمهما بلغت من علم، فأنت محتاج إلى هداية الله.

· أن تسأل الله الهداية دائمًا: "اهدنا الصراط المستقيم".

· أن تعلم أن من حُرم الهداية، فهو محروم من الخير كله.

2. قيمة الهداية الربانية وتقوية العزيمة

عندما تؤمن أن الله هو الهادي، تقوى عزيمتك على طلب الهداية، وتتوكل على الله، وتدعوه أن يثبتك.

3. تعظيم القرآن وشكر نعمة البيان

الآية تذكرنا بأن نعمة إنزال الآيات المبينات أعظم نعمة. لذلك يجب علينا:

· تعظيم القرآن بالاعتناء به.

· شكر الله على هذه النعمة.

4. التسليم لحكمة الله

"يهدي من يشاء" تفيد أن الأمر كله لله، وهو يهدي بعدله وفضله. هذا يربي فينا الرضا بقضاء الله وقدره.

5. الجمع بين البيان والهدى: طريق واضح وهادٍ

الآية تجمع بين "البيان" (آيات مبينات) و"الهداية" (يهدي من يشاء). البيان يوضح الطريق، والهداية هي أن تسلكه. هذا يعني أن الهداية لا تناقض وضوح الطريق، بل هي توفيق الله لمن أراد الخير.

6. كيف نترجم اليقين بهذه الآية في واقعنا؟

· لا نركل للتقصير: لا تقل: "إن شاء الله يهديني" وأنت مقصر. بل اسعَ واجتهد، وتأكد أن الله يوفق الساعين.

· نطلب الهداية بالعمل الصالح: كن ممن يشاء الله أن يهديهم، بأن تكون من أهل الخير والاجتهاد.

7. الاقرار بالحاجة إلى الهداية والتواضع

الآية تعلمنا التواضع. مهما بلغت من علم، أنت بحاجة إلى توفيق الله. هذا يجعلك دائم الدعاء: "اهدنا الصراط المستقيم".

8. إيثار العمل بالمنهج الواضح على الهوى

سورة النور مليئة بقيم العفة والستر وغض البصر. الآية تحثنا على إيثار هذا المنهج الواضح على أهواء النفس.

9. الهداية ليست تمنيًا، بل سعيًا

لا يكفي أن تتمنى الهداية، بل عليك أن تسعى إليها. الطريق إلى الجنة يحتاج إلى عمل وجهد.

رابعًا: دلالة {إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}: الطريق والغاية

1. ما هو الصراط المستقيم؟

هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، الموصل إلى الله وإلى الجنة. هو الإسلام بجميع شرائعه وأحكامه وآدابه.

2. قيمة الاستقامة والتمسك بالمنهج

الاستقامة هي الثبات على هذا الطريق. وهي غاية المؤمنين.

3. الإنتاجية والعمل الصالح

الصراط المستقيم ليس طريقًا سلبيًا، بل هو طريق يثمر في حياتك نشاطًا في فعل الخير، وتجنبًا للشرور.

4. مفهوم المسؤولية الشخصية

الآية تربي فيك أن الهداية لمن يسعى إليها. أنت مسؤول عن أفعالك. الله يعطي السعادة والطمأنينة لمن سلك طريق الحق.

5. التربية على الاستقامة: تحويل النظريات إلى واقع

"إلى صراط مستقيم" تعني أن الغاية من إنزال الآيات هي صياغة سلوكك وفق منهج الله. هل خطواتك وتصرفاتك اليومية متماشية مع هذا الطريق أم مع هوى النفس؟

6. دور المنهج في تحصين المجتمع وبناء الحضارة

الآية تمثل دستور الاستقامة. صلاح الفرد بالآيات المبينات، وصلاح المجتمع بالهداية إلى الصراط المستقيم. هذا ينتج حضارة راسخة متوازنة.

7. تطبيق المنهج في الحياة: نظام شامل

التوجيه نحو الصراط المستقيم يترجم إلى:

· نظام اجتماعي: قائم على العفة والتعاون.

· نظام اقتصادي: قائم على الحلال والعدل.

· نظام تشريعي: قائم على حدود الله.

هذا هو أساس أي حضارة فاعلة.

8. العدل والمساواة أمام القانون

استقامة المنهج تقتضي خضوع الجميع لقانون واحد (آيات مبينات). هذا يحقق العدل الحقيقي.

9. توحيد الصف والمجتمع

الصراط المستقيم هو طريق واحد، مما يوحد المجتمع ويجمع كلمته تحت قيم الإسلام.

10. التنمية بين المادة والروح

توجيه التنمية نحو الصراط المستقيم يعني:

· التوازن بين المادة والروح.

· النزاهة والإخلاص في أعمال البناء.

· منع الفساد.

· إدارة شؤون الحياة بأفضل الطرق.

خلاصة القول

هذه الآية الكريمة (النور: 46) تؤسس لمنظومة متكاملة تبدأ من وضوح النص (آيات مبينات) وتنتهي إلى استقامة الفعل (صراط مستقيم)، بفضل توفيق الله وهدايته (والله يهدي من يشاء).

إنها تعلمك أن:

· دينك واضح لا غموض فيه، فتمسّك به.

· طريقك مستقيم لا اعوجاج فيه، فاستقم عليه.

· هدايتك بيد الله، فاسأله الثبات.

· مسؤوليتك عظيمة، فاجتهد في فهم وتطبيق هذه الآيات المبينات.

اسأل نفسك الآن: هل هذه السورة (النور) أنارت حياتي ووجهت سلوكي؟ هل احتاج إلى تجديد الاستهداء بالله

الآية تدعوك لأن تكون من الذين إذا قرأوا آيات الله المبينات، ازدادوا إيمانًا واستقامةً وعملًا صالحًا، لتكون من أهل الصراط المستقيم الذين أنعم الله عليهم

القسم الثاني

هذه مقدمة تحريرية للآيات (47-50) من سورة النور، تربطها بما سبقها من آية (46) التي أثبتت وضوح المنهج الرباني وهداية الله إلى صراطه المستقيم، ثم تنتقل إلى ردة فعل المنافقين تجاه هذا المنهج، لتكشف عن المفارقة بين دعواهم الإ يمان وسلوكهم المعارض.

مقدمة الآيات (47-50) من سورة النور: بين وضوح المنهج ونفاق المواجهة

بعد أن أثبت الله تعالى في الآية السابقة (46) أنه أنزل آياتٍ بيّناتٍ واضحاتٍ لا غموض فيها، وأنّ هدايته -بفضله- لمن يشاء إلى صراط مستقيم، يأتي المشهد القرآني التالي ليرصد أخطر رد فعل يمكن أن يصدر تجاه هذا المنهج الرباني الواضح: رد فعل المنافقين.

فهذه الآيات (47-50) ليست مجرد أخبار عن فئة من الناس، بل هي تشريح دقيق لمرض النفاق الذي يظهر عند التعرّض لنصوص الله المحكمة. إنها تفضح المفارقة العجيبة بين الادعاء والسلوك؛ فالمنافقون يقولون: {آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا}، لكن سرعان ما ينقلب الحال بمجرد أن يُدعوا إلى تحكيم هذا المنهج الواضح، فيتولّى فريق منهم معرضين.

وهنا يظهر الاختبار الحقيقي للإيمان: ليس في الكلمات التي تلقى بالألسنة، بل في الانقياد لحكم الله ورسوله حين يرد النص المبين.

ما قبل الآيات: أساس المواجهة

الآية (46) وضعت القاعدة الذهبية: منهجٌ مبينٌ، وهادٍ إلى صراط مستقيم. فإذا كان الأمر كذلك، فإن أي تخلف عن هذا المنهج لا يمكن تبريره بالجهل أو عدم الوضوح. وهنا يأتي دور الآيات التالية لتكشف أن المشكلة ليست في وضوح الطريق، بل في مرض القلوب.

ما بعد الآيات: سياق الاستمرار

هذه الآيات تمهد لآيات لاحقة في السورة تؤكد أن المؤمنين الحقيقيين هم من يستجيبون لله والرسول، وأن حكم الله هو الفيصل في كل شيء. كما أنها تضع المنافقين أمام حقيقة أن توليهم عن حكم الله ليس إعراضًا عارضًا، بل هو كشف عن حقيقة الإيمان في قلوبهم.

المحاور التي تعالجها هذه الآيات:

1. ادعاء الإيمان ومعارضة الحكم – كيف يجمع المنافقون بين قولهم "آمنا وأطعنا" وتوليهم عن تحكيم منهج الله؟

2. دعوى الطاعة ونقضها عمليًا – الفرق بين الطاعة اللفظية والانقياد الواقعي.

3. التولي عن الحكم الشرعي – لماذا ينفر المنافقون من الرجوع إلى منهج الله الواضح؟

4. مرض القلب سبب النفاق – العلاقة بين مرض القلب وعدم قبول الحكم المبين.

5. معيار التصديق والفلاح – من هم الذين يسارعون إلى تحكيم شرع الله؟ ولماذا هم الفائزون

هذه المقدمة تضع القارئ في قلب الصراع بين المنهج الواضح (الآية 46) ونفاق الادعاء (الآيات 47-50)، لتكون مدخلًا تحليليًا يربط الآيات ببعضها ويبرز التناسب العجيب في النظم القرآني.

اولا

-{يَقُولونَ آمَنّا بِاللهِ وَبِالرّسُولِ وأَطعْنَا ثمّ يَتَوَلّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولئِكَ بِالمُؤْمِنِين} (النور: 47)

المقدمة: بين وضوح المنهج ونفاق المواجهة

بعد أن أنزل الله آياتٍ مبينات، وأكد أنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم (الآية 46)، يأتي هذا المشهد القرآني ليكشف عن أخطر رد فعل يمكن أن يصدر تجاه المنهج الرباني الواضح: رد فعل المنافقين. إنها ليست مجرد آية تحكي عن قوم غابوا، بل هي مرآة تنصب أمام كل إنسان ليُريها وجهه الحقيقي: هل أنت ممن يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم؟ أم أن إيمانك يظهر في لحظة الامتحان والابتلاء؟

تأمل هذه الآية جيدًا؛ إنها تفضح التناقض العجيب بين الادعاء والسلوك. المنافقون يرفعون شعارات عظيمة: {آمَنّا بِاللهِ وَبِالرّسُولِ وَأَطعْنَا}، لكن سرعان ما ينكشف المعدن حين يُدعَون إلى تحكيم هذا المنهج، فيتولى فريق منهم معرضين. وهنا تضع الآية يدك على الجرح: {وَمَا أُولئِكَ بِالمُؤْمِنِينَ}. كلمة "ما" النافية التي تدخل على "أولئك" تحمل معنى النفي الشديد، وكأن الله يقول: هؤلاء براء من الإيمان، لا نصيب لهم فيه.

صفات المنافقين التي ابرزتها الايه

1.التناقض بين القول والعمل

أبرز ما تذمه الآية هو التناقض الصارخ؛ فهم يقولون "آمَنّا" و"أَطعْنَا"، ثم يتولون. هذا ليس مجرد ضعف في الإرادة، بل هو انكشاف لحقيقة الإيمان؛ فلو كان الإيمان صادقًا في القلب لاقتضى انقيادًا عمليًا.

الرسالة لك: هل تقتصر "أمنت بالله" على كلمة ترددها بلسانك، أم أنها تتحول إلى أمانة في عملك، وصدق في كلامك، وانقياد لحكم الله حين يخالف هواك؟ الآية تضعك أمام اختبار دائم: هل فعلك يصدق قولك؟ أم أن هناك مسافة بين ما تظهره وما تبطن؟

كيف تتفحص نفسك؟

· انظر إلى مواقفك عندما يُدعى الناس إلى حكم الله: هل تكون أول المستجيبين أم تتلكأ؟

· انظر إلى أماناتك: هل تؤديها كما أمر الله، أم تفرّط فيها إذا لم يرك أحد؟

· انظر إلى صدقك: هل كلمتك واحدة في السر والعلن؟

صدق الإيمان ليس شعارًا، بل هو التزام يبني الإنسان. فالذي يطابق قوله فعله يكون إنسانًا متوازنًا، يثق به الناس، ويثق بنفسه؛ أما من انفصل قوله عن فعله، فقد بنى نفسه على رمال متحركة.

2.التولي بعد الإيمان: علامة النفاق الأوضح

قوله: {ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ} يحمل عدة دلالات:

· "ثمّ" للترتيب والتراخي، تفيد أنهم بعد أن نطقوا بالإيمان والطاعة مباشرة، أو بعد زمن قصير، يتولون. هذا يعكس سرعة الا نقلاب وعدم ثبات الإيمان في قلوبهم.

· "يتولى" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار، أي أن هذه صفة لازمة لهم: كلما دُعوا إلى طاعة، تولوا.

· "فريق منهم" ليست كلهم؛ وهذا يحمل بشارة: ليس كل من يقول آمنا يكون منافقًا، بل المنافقون طائفة تنكشف في مواقف التكليف. كما أنه يؤكد المسؤولية الفردية: أن تتولى أنت عن الطاعة لا يبرره تولي غيرك.

لماذا "يتولى" وليس "يعرض"؟

"تولى" أشد من "أعرض"؛ فالتولي يعني الإقبال على شيء والإدبار عن آخر، وكأنه يولي وجهه شطر المعصية ويولي ظهره للطاعة. إنه تحول كامل، وليس مجرد عدم اكتراث.

3.نفي الإيمان عنهم:} وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ{

هذه الجملة تخرجهم من دائرة الإيمان جملة وتفصيلًا. لم يقل "ليسوا مؤمنين" فقط، بل قال {وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ} بصيغة النفي المؤكد. الإيمان عند الله ليس مجرد كلمة، بل هو تصديق بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. فمن فقد العمل، فقد حقيقة الإيمان.

الرسالة العظيمة: هذه الآية تدعوك إلى مراجعة ذاتية صادقة. هل أنت ممن يزداد إيمانه في الامتحان، أم يضعف؟ هل تثبت على الطاعة حين تضيق الظروف، أم تتولى إذا تعارضت مع مصلحتك؟

دور الايه ومفاهيمها في بناء الانسان

1.ترسيخ الصدق والالتزام والاستقامة

الآية تربي فيك أن الإيمان الحقيقي لا ينفصل عن العمل. هي تعالج الانفصام السلوكي الذي يجعل الإنسان يقول شيئًا ويفعل شيئًا آخر، أو يكون مؤمنًا في المسجد ومنافقًا في السوق. تريد منك أن تكون شخصًا متسقًا مع مبادئه، لا يتزعزع بتبدل المصالح.

كيف تبني هذه الآية إنسانًا ربانيًا متوازنًا؟

· تعلمه المسؤولية الشخصية: أنت وحدك مسؤول عن طاعتك، لا تبرر تقصيرك بتقصير غيرك.

· تزرع فيه الرقابة الذاتية: لأنه يعلم أن الله مطلع على تناقضه إن أظهر خلاف ما أبطن.

· تجعله يخشى الله في سره وعلنه، فلا يكون من الذين يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم.

2.تعزيز طاعة الرسول كجزء من الإيمان

الآية تقرن الإيمان بالله بالإيمان بالرسول، والطاعة لله بالطاعة للرسول. فمن يدعي الإيمان ثم يتولى عن حكم الرسول، فقد كشف عن نفاقه. هذه رسالة قوية: الانقياد للنبي ﷺ ليس خيارًا تكميليًا، بل هو جوهر الإيمان.

3.تحصين الأمن الداخلي والخارجي

عندما يكون الإنسان صادقًا مع نفسه ومع ربه، يشعر بثقة داخلية، لا يتذبذب بين الخيارات. والمجتمع الذي يكثر فيه

الصادقون يكون مجتمعًا مستقرًا، بعيدًا عن اضطرابات النفاق التي تهدد أمنه وتماسكه.

دور الايه ومفاهيمها في بناء مجتمع مسلم قوي

1.محاربة النفاق الاجتماعي الذي يفكك النسيج

المنافقون أخطر من الكفار المعلنين؛ لأنهم يعيشون داخل المجتمع، يظهرون الود ويبطنون العداوة، يشيعون الفتنة، يثبطون المؤمنين، يتخاذلون عن النصرة. هذه الآية تحارب هذا النفاق الاجتماعي ب-:

· فضح معاييرهم: لا يكفي الانتماء الشكلي، بل المعيار هو صدق الإيمان والطاعة.

· تحديد الولاء: المؤمنون أولياؤهم للمؤمنين، أما المنافقون فولاؤهم لمصالحهم.

2.تعزيز الثقة والانضباط الاجتماعي

عندما يطابق أفراد المجتمع أقوالهم أفعالهم، تنشأ ثقة متبادلة. الناس يثقون ببعضهم، وتقل الخيانات والغش والكذب. هذا هو الانضباط الاجتماعي الذي لا يفرض بالقوانين فقط، بل ينبع من إيمان عميق بأن الله رقيب.

3.القيادة الرشيدة والثقة بها

الآية تشير ضمنًا إلى أن من علامات الإيمان الثقة بالقيادة النبوية (والتي تمتد إلى القيادة الشرعية الرشيدة)، وعدم التشكيك فيها أو التولي عنها عند أول اختبار. هذا يمنع تفكك المجتمع الذي يحدثه المنافقون.

دور الايه ومفاهيمها في بناء الحضاره الاسلاميه

1.تأسيس الثقة والشفافية

كل حضارة عظيمة قامت على الصدق والنزاهة. عندما يكون المجتمع مطبّقًا فيه {يَقولونَ آمَنّا... ثمّ يَتَوَلّى}، فإن النفاق يفتك بالثقة، وتنهار المؤسسات. أما عندما يتربى الناس على أن الإيمان الحقيقي يظهر في العمل، تُبنى حضارة قائمة على الشفافية ، حيث يصدق البائع والمشتري، ويؤتمن الحاكم والمحكوم.

2.الانضباط الأخلاقي والامتثال الوعي

الآية تعلم أن الحضارة لا تقوم على التراخي الأخلاقي، بل على طاعة واعية لأوامر الله. هذه الطاعة ليست عمياء، بل هي إيمان راسخ يدفع الإنسان إلى الالتزام حتى في غياب الرقيب. وهذا هو أساس الأمن الاجتماعي.

3.التحذير من النفاق والتولي: حماية الدولة من الضعف

التاريخ يشهد أن الأمم التي كثر فيها النفاق ضعفت وتفككت. الآية تحذر الأمة من هذا الداء، وتطلب منها أن تكون يقظة، فلا يغرها قول القائلين "آمنا وأطعنا" إذا كان فعلهم التولي والإعراض.

4.ترسيخ منظومة قيمية تعلي من شأن الإخلاص والاستقامة

الحضارة الإسلامية كانت عظيمة لأنها قامت على أفراد مخلصين مستقيمين. هذه الآية تدعو إلى استعادة هذه المنظومة: إخ لاص في النية، واستقامة في العمل، وهذا ما يضمن استمرارية المجتمع وتصدره.

دول الايه في البناء والتنميه المستدامه

1.العدل والمساواة

المجتمع الذي يعرف أفراده أن التطبيق العملي للإيمان هو المعيار، لا ينشأ فيه تمييز على أساس الشعارات، بل على أساس الجدية والصدق. هذا يحقق العدل الحقيقي، لأن المناصب والأوزان تُعطى لمن يستحقها، لا لمن يحسن القول فقط.

2.التنمية البشرية المستدامة

التنمية الحقيقية لا تُبنى بأيدٍ منافقة. عندما يكون العامل أمينًا، والموظف صادقًا، والتاجر عادلًا، فإن الاقتصاد ينمو، و المجتمع يتطور. الآية تزرع هذه القيم من جذورها، فتخرج جيلًا ربانيًا يعمل كأنه يرى الله، فيُتقن عمله، ويُخلص في طاعته.

خلاصة: أنت أمام اختبار دائم

تأمل هذه الآية كأنها نزلت للتو، تخاطبك وحدك: هل أنت ممن يقول آمنا ثم يتولى؟ أم أن إيمانك صادق يظهر في السلم و الحرب، في السر والعلن، في الرخاء والشدة؟

هذه الآية تعلمك أن الإيمان ليس شعارًا يُرفع، بل حياة تُعاش. وتدعوك إلى أن تكون من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فكانوا من الفائزين. وتذكرك أن المنافقين وإن أظهروا الإيمان، فإن الله فضحهم في كتابه ليحمي الأجيال القادمة من فخاخهم.

اجعل هذه الآية ميزانًا لنفسك: كل يوم تسأل فيه نفسك: هل قولي يطابق فعلي؟ هل أنا ممن ينقادون لحكم الله في كل شيء، أم أتولى إذا عارض مصلحتي؟ بهذا الميزان تزن إيمانك، وتقوّي صدقك، وتبني على اليقين لا على الادعاء.

ثانيا---

{وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ} (النور: 48)

المقدمة: الدعوة إلى الله والرسول.. لحظة امتحان الإيمان

بعد أن فضحت الآية السابقة (47) تناقض المنافقين: يقولون آمنا وأطعنا، ثم يتولى فريق منهم، تأتي هذه الآية (48) لتصور المشهد العملي لهذا التولي. إنها تضعنا أمام لحظة الحسم التي يظهر فيها معدن الإيمان الحقيقي من معدن النفاق.

تأمل معي هذا المشهد الذي يتكرر في كل زمان: يُدعى الناس إلى التحاكم إلى شرع الله وسنة رسوله، ليحكم بينهم بالعدل. فما هي ردة فعلهم؟ {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ}. ليست مجرد إعراض عابر، بل هو إعراض عن الله وعن رسوله، وعن المنهج الذي أنزله الله مبينًا. وهنا تبرز المفارقة العجيبة: هم الذين يقولون "آمنا بالله ورسوله"، فإذا دُعوا إلى ما يقتضيه هذا الإ يمان من تحكيم، أعرضوا.

الآية تحمل رسالة قوية لكل من يدعي الإيمان: الإيمان ليس مجرد كلمة تقال، بل هو انقياد عملي حين يُدعى إلى حكم الله.

أولا: دلالات الألفاظ والتراكيب

1. {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ}

· "إِذَا" الشرطية المفاجئة: تدل على أن هذا المشهد يحدث فجأة، كأنهم في حالة استقرار، فإذا بالدعوة تأتيهم فيتغير حالهم.

· "دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ" – الدعوة إلى الله ورسوله ليست دعوة إلى شخصين منفصلين، بل الدعوة إلى ما شرعه الله وأمر به رسوله. فالطاعة لله وللرسول واحدة.

· إضافة الدعوة إلى الله والرسول معًا تعظيم للشأن، وإشعار بأن الإعراض عن حكم الرسول إعراض عن حكم الله.

2. {لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ}

· "لِيَحْكُمَ" اللام للتعليل، أي دُعوا لهذه الغاية العظيمة: أن يحكم الله ورسوله بينهم بالعدل.

· "بَيْنَهُمْ" – الحكم بينهم يعني الفصل في خصوماتهم ونزاعاتهم، وإرجاعهم إلى الحق.

3. {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ}

· "إِذَا" الفجائية: تكرار "إذا" في الآية لبيان المفاجأة. كأنهم كانوا في صفوف المؤمنين، فإذا بهم ينقلبون معرضين.

· "فَرِيقٌ مِنْهُمْ" – ليس كلهم، بل فريق. هذا يدل على أن المنافقين ليسوا كل من يقول آمنا، بل هم طائفة تظهر صفاتها في مواقف التكليف.

· "مُعْرِضُونَ" – صيغة اسم الفاعل للدلالة على الثبات والاستمرار، أي أن الإعراض صفة لازمة لهم. والإعراض هو الصد عن الشيء مع القدرة على الإقبال، وهو أشد من مجرد الترك.

4. دلالة الفاء في {إِذَا فَرِيقٌ}

الفاء للسببية والتعقيب، أي أن دعوتهم إلى حكم الله ورسوله كانت سببًا مباشرًا في ظهور إعراضهم. كأن الدعوة كشفت حقيقتهم.

ثانيًا: صفات المنافقين التي تبرزها الآية

1. التخاذل عن تحكيم شرع الله

أبرز ما تذمه الآية هو أن المنافقين يهربون من التحاكم إلى شرع الله حين يُدعون إليه. هم لا يريدون أن يخضعوا لحكم يلزمهم بالحق، خاصة إذا كان هذا الحكم قد لا يصب في مصلحتهم الشخصية.

2. الانفصام بين الادعاء والسلوك

هم يقولون "آمنا وأطعنا"، لكن عند أول اختبار عملي – وهو الدعوة إلى التحاكم إلى الله ورسوله – ينكشف أمرهم. هذا الا نفصام هو جوهر النفاق العملي.

3. الإعراض بعد الإقبال

قوله {مُعْرِضُونَ} يشير إلى أنهم كانوا في مقام الإقبال (ادعاء الإيمان)، ثم تحولوا إلى الإعراض. هذا التقلب هو علامة عدم ثبات الإيمان في القلب.

ثالثًا: الأبعاد التربوية والنفسية

1. امتحان الإيمان بالدعوة إلى التحاكم

الآية تضع معيارًا عمليًا لصدق الإيمان: كيف يكون موقفك عندما يُدعى الناس إلى تحكيم شرع الله؟ هل تكون من المستجيبين أم من المعرضين؟ هذا هو الاختبار الحقيقي.

اسأل نفسك:

· عندما يُطرح في مجلسك موضوع تطبيق الشريعة، هل تشعر بالارتياح أم بالحرج؟

· عندما يحدث خلاف بينك وبين أحد، هل تبادر إلى التحاكم إلى شرع الله، أم تبحث عن حلول أخرى بعيدة عن الدين؟

2. كشف حقيقة النفس بالمواقف

الآية تعلم أن المواقف الصعبة هي التي تكشف حقيقة الإيمان. الإنسان قد يظن نفسه مؤمنًا، ولكن حين يُدعى إلى ما يكرهه أو ما يخالف هواه، تظهر حقيقته. لذلك يجب أن نختبر أنفسنا في مثل هذه المواقف.

3. معالجة ظاهرة النفاق العملي

الآية تحارب ظاهرة أن يدعي الإنسان الإيمان ثم يتخلى عن مقتضياته. وهي تربي في المسلم أن يكون إيمانه عمليًا، لا مجرد شعارات.

رابعًا: الأبعاد الاجتماعية

1. التحاكم إلى شرع الله أساس المجتمع المسلم

المجتمع الذي يدعي الإسلام لا يمكن أن يقوم بدون أن يكون التحاكم إلى شرع الله هو الأصل. الآية تذم من يُدعى إلى هذا التحاكم فيعرض. إذن، المجتمع المسلم هو الذي يفرح بدعوته إلى الله ورسوله، لا ينفر منها.

2. خطر وجود فريق معرض داخل المجتمع

وجود فريق معرض عن حكم الله ورسوله داخل المجتمع المسلم هو خطر على التماسك الاجتماعي. هؤلاء يعطلون تطبيق العدل، ويشيعون روح الانتقائية في الدين، ويضعفون ثقة الناس في مؤسساتهم.

3. القضاء والدعوة إلى الحق

الآية تشير إلى أهمية وجود دعوة إلى تحكيم شرع الله، وإلى أن من علامات الإيمان الصادق الاستجابة السريعة لهذه الدعوة. كما أنها تذم من يتهرب من القضاء الشرعي.

خامسًا: الأبعاد الفكرية والحضارية

1. بناء الحضارة على تحكيم شرع الله

أي نهضة حقيقية لا يمكن أن تقوم دون أن يكون مصدر التشريع هو الله. الآية تدعو إلى أن تكون المجتمعات الإسلامية في حالة استعداد دائم للتحاكم إلى الله ورسوله، لا إلى القوانين الوضعية والأهواء.

2. محاربة ثقافة الانتقائية في الدين

الآية تحارب فكرة أن يأخذ الإنسان من الدين ما يوافقه ويترك ما يخالفه. هذا هو روح النفاق. الحضارة القوية تقوم على الإ يمان الكامل الذي لا يتجزأ.

3. العدل أساس الحضارة

الدعوة إلى تحكيم الله ورسوله هي دعوة إلى العدل المطلق. والمجتمعات التي تتحاكم إلى العدل الإلهي هي المجتمعات التي تستحق الاستمرار والنهضة.

سادسًا: العلاقة مع الآيات السابقة واللاحقة

1. العلاقة مع الآية 47

الآية 47 قالت: {يَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ}. والآية 48 تصور هذا التولي في

صورة عملية: الدعوة إلى الله ورسوله هي التي تكشف عن توليهم وإعراضهم.

2. العلاقة مع الآية 49

الآية 49 قالت: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}. أي أن إعراضهم عن التحاكم ليس مطلقًا، بل هو مشروط بعدم ضمانهم للحكم لصالحهم. إن كان الحق لهم أتوا مطيعين.

3. العلاقة مع الآية 50

الآية 50 تطرح أسباب هذا الإعراض: مرض في القلوب، أو ارتياب، أو خوف من أن يجور الله ورسوله. فالآية 48 تصف السلوك، والآية 50 تبحث عن الجذور.

4. النسيج القرآني المتكامل

هذه الآيات الأربع (47-50) تشكل صورة كاملة للمنافق:

· 47: يدعي الإيمان والطاعة ثم يتولى.

· 48: إذا دُعي إلى حكم الله تولى وأعرض.

· 49: لكنه إذا ضمن أن الحكم لصالحه جاء مذعنًا.

· 50: وهذا كله بسبب مرض في قلبه أو ريب أو سوء ظن بالله.

سابعًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. كيف تختبر نفسك في هذه الآية؟

· في الخصومات: إذا حدث نزاع بينك وبين أحد، هل ترضى أن يتحاكم الطرفان إلى شرع الله، أم تفضل أن تحسم الأمر بطرق أخرى؟

· في القرارات الكبرى: عندما تريد اتخاذ قرار مهم (زواج، تجارة، شراكة)، هل ترجع إلى شرع الله لتعرف حكمه، أم تتبع هواك والعادات؟

· في البيئات التي تنتقد الدين: هل تستحي أن تدعو إلى تحكيم شرع الله في مجلس فيه منتقدون؟ أم أنت ممن يعرضون إذا دُعوا؟

2. كيف تعالج في نفسك الإعراض عن التحاكم؟

· تعلم: كثير من الإعراض يأتي من الجهل بأن حكم الله هو الخير كله.

· احتسب: تذكر أن الانقياد لحكم الله ورسوله هو عين الفلاح في الدنيا والآخرة.

· ادع: قل دائمًا: "اللهم اجعلني ممن يستجيب لدعوتك ويدعو إليها".

3. كيف تتعامل مع من يعرضون عن حكم الله في مجتمعك؟

· لا تحكم عليهم بالكفر: الآية قالت "فريق منهم" ولم تقل إنهم كفار، بل بينت أن هذا من صفات النفاق.

· ادعُ بالحكمة: حاول أن تبيّن لهم أن تحكيم شرع الله هو طريق العدل والسعادة.

· كن قدوة: أرهم في نفسك الانقياد لحكم الله، ليكونوا قدوة حسنة.

ثامنًا: لماذا خصت الآية "الدعوة إلى الله ورسوله"؟

هذا التعبير يحمل معاني عظيمة:

· أن التحاكم إلى شرع الله لا يتم إلا عبر رسوله: فمن رفض حكم الرسول فقد رفض حكم الله.

· أن الدعوة إلى التحاكم ليست إجبارًا بشريًا: بل هي دعوة إلى الخير والعدل.

· أن الله ورسوله واحد في التشريع: فالطاعة لله بطاعة رسوله.

تاسعًا: معنى الإعراض (البلاغي والنفسي)

كلمة {مُعْرِضُونَ} تحمل في طياتها:

· الإعراض عن الشيء: هو أن يكون الشخص قادرًا على الإقبال لكنه يصرف وجهه.

· الإعراض عن الحق: هو أكبر من مجرد الخطأ، إنه رفض متعمد.

· صيغة الجمع "معرضون": تدل على أن هذه صفة جماعية للمنافقين، فهم يتآزرون على الإعراض.

خلاصة القول: أنت أمام دعوة إلى الله ورسوله

الآية 48 من سورة النور تضعك أمام مشهد محوري: الدعوة إلى تحكيم شرع الله ورسوله. هذا المشهد هو الذي يفصل بين المؤمن الصادق والمنافق المدعي. المؤمن يجد في هذه الدعوة راحته وطمأنينته، فيقبل إليها مسرعًا. أما المنافق فيجد فيها ثقلًا عليه، فيعرض ويصد.

اسأل نفسك الآن: أين أنت من هذا المشهد؟ هل أنت ممن إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، أسرعوا مستجيبين، أم أنت ممن يجد في نفسه ثقلا ً وإعراضًا؟

تذكر أن هذه الآية ليست عن قوم مضوا، بل هي مرآة تنصب أمام كل مسلم في كل زمان. فاجعل من نفسك من الفريق الذي يستجيب لدعوة الله ورسوله، لا من الفريق المعرض. فالفلاح في الاستجابة، والهلاك في الإعراض.

ثالثا

{وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ} (النور: 49)

المقدمة: كشف الوجه الآخر للمنافق

بعد أن كشفت الآية السابقة (48) أن المنافقين إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم، يتولى فريق منهم معرضون، تأتي هذه الآية (49) لتكشف عن الوجه الآخر القبيح للمنافق: الانتهازية المطلقة، والمرونة التي لا دين فيها. إنها تفضح أن موقفهم ليس موقف مبدأ، بل موقف مصلحة.

تأمل معي هذه الآية بدقة: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}. أي أنهم إن علموا أن الحكم سيكون لصالحهم، أتوا مسرعين خاضعين منقادين. ولكن إذا كان الحكم عليهم، أو كان الحق لخصمهم، تولوا وأعرضوا. هذا هو النفاق بعينه: دين بلا ثوابت، وإيمان بلا التزام، يتحرك وفق المصالح لا وفق الحق.

وهنا تضع الآية أمامك سؤالا ً مصيريًا: هل أنت ممن يذعن للحق إذا وافق هواه، ويعرض عنه إذا خالفه؟ أم أنك ممن يذعن للحق ولو كان عليه؟

أولا ً: صفات المنافقين التي أبرزتها الآية

1. الانتهازية والازدواجية الأخلاقية

أبرز ما تكشفه الآية هو أن المنافقين لا يطلبون الحق لذاته، بل يطلبون ما يوافق أهواءهم ومصالحهم. فهم:

· إن كان لهم الحق – أي إن علموا أن الحكم الشرعي سيصب في مصلحتهم – أتوا إليه طائعين منقادين.

· وإن كان الحق عليهم – وإن كان الحكم لخصمهم – تولوا وأعرضوا كما في الآية السابقة.

هذه الازدواجية هي جوهر النفاق العملي: معيارهم في قبول الحق هو موافقته لأهوائهم، لا كونه حقًا من الله.

2. الإذعان المشروط

كلمة {مُذْعِنِينَ} تحمل دلالة عميقة: الإذعان هو الخضوع والانقياد التام، مع سرعة واستعداد. هم يأتون إلى الحكم مسرعين خاضعين، ولكن هذا الخضوع ليس لله ولا للحق، بل للمصلحة التي حصلوا عليها. إنهم يظهرون من الطاعة والانقياد ما لا يظهرونه إذا كان الحكم عليهم.

3. تقديم المصالح الشخصية على منهج الله

الآية تكشف أن المنافقين يجعلون من مصالحهم الشخصية معيارًا لدينهم. فإن وافق الحق أهواءهم أتوا مطيعين، وإن خالفها أعرضوا. هذا هو قلب الموازين، حيث تصبح الشهوات والمصالح هي الحاكمة، لا شرع الله.

ثانيًا: دلالات الألفاظ والتراكيب

1. {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ}

· "إن" الشرطية – تجعل القيد شرطًا: إتيانهم إلى الحكم مرتبط بكون الحق لهم. هذا يدل على أن إيمانهم مشروط، وليس مطلقًا.

· "لَهُمُ الحَقُّ" – ليس المراد أنهم يطلبون الحق، بل أنهم إذا علموا أن الحق الذي سيصدره الحكم هو لصالحهم. هم لا يهتمون بالحق ذاته، بل بمن صبّت له الكفة.

2. {يَأْتُوا إِلَيْهِ}

· الفعل المضارع "يأتوا" يدل على التجدد والاستمرار. هذه صفة راسخة فيهم: كلما كان الحق لهم، أتوا.

· "إليه" يعود على الرسول ﷺ أو على الحكم الشرعي. أي أنهم لا يأتون إلا حين يضمنون أن النتيجة لصالحهم.

3. {مُذْعِنِينَ}

· الإذعان هو الخضوع والانقياد مع سرعة وطواعية. هم لا يأتون متثاقلين، بل يأتون خاضعين مطيعين، ولكن هذا الخضوع مصلحي.

· الصيغة جاءت بصيغة اسم الفاعل "مُذْعِنِينَ" لتدل على أن هذه الحالة تلازمهم في تلك اللحظة: هم إذعانهم تام، ولكن فقط عندما يكون الحق لهم.

4. الرابط بين الآية 48 والآية 49

الآية 48 قالت: {وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ}. والآية 49 قالت: {وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ}. هما وجهان لعملة واحدة: الإعراض إذا كان الحق عليهم، والإذعان إذا كان الحق لهم. هذا هو معيار المنافق: ليس الحق، بل الهوى.

ثالثًا: الأبعاد التربوية والنفسية

1. اختبار صدق الإيمان

الآية تضع معيارًا حاسمًا لصدق الإيمان: هل تقبل حكم الله ورسوله إذا كان عليك كما تقبله إذا كان لك؟ المؤمن الحق هو من يذعن للحق ولو كان في غير صالحه المباشر.

اسأل نفسك:

· عندما يحدث خلاف بينك وبين أحد، هل ترضى بتحكيم شرع الله حتى لو كان الحكم في صالحه؟

· عندما تأتيك فتوى شرعية تتعارض مع مصلحتك المالية أو الاجتماعية، هل تتقبلها وتنقاد أم تبحث عن فتوى أخرى توافق هواك؟

2. معالجة الانتهازية الدينية

الآية تحارب بشدة أن يجعل الإنسان دينه مطية لمصالحه. كثير من الناس يتدينون عندما ينفعهم الدين، ويتساهلون عندما يضيق عليهم. هذه الآية تفضح هذه العقلية وتدعو إلى الإيمان الثابت الذي لا يتزعزع بتبدل المصالح.

3. غرس قيمة الإذعان للحق مطلقًا

الإذعان للحق هو قيمة عظيمة. المؤمن الحق لا ينظر: هل هذا الحكم يوافق مصلحتي أم لا؟ بل ينظر: هل هذا هو حكم الله ورسوله؟ فإن كان، أذعن له ولو كان على نفسه.

رابعًا: الأبعاد الاجتماعية

1. تماسك المجتمع بالعدل لا بالمصالح

المجتمع الذي يحكمه أفراد يذعنون للحق إذا كان لهم ويعرضون إذا كان عليهم، هو مجتمع ينهار. العدل لا يتحقق إلا عندما يقبل الجميع الحكم الشرعي ولو كان عليهم. الآية تدعو إلى مجتمع قائم على مبدأ: الحق أعلى من المصالح الشخصية.

2. القضاء والتحاكم إلى الشرع

الآية تربط التحاكم إلى الشرع بصدق الإيمان. فالمجتمع المسلم لا يرضى بالتحاكم إلى القوانين الوضعية إذا كانت في صالحه، ويرفضها إذا كانت عليه. بل عليه أن يحكم شرع الله في كل حال، لأنه يعلم أن هذا هو الطريق إلى العدل والاستقرار.

3. محاربة ثقافة "اللف والدوران"

هذه الآية تحارب ثقافة أن يتلاعب الإنسان بالحكم الشرعي لصالحه، فيقبله إذا وافق هواه ويلتفت عنه إذا خالفه. هذه الآية تدعو إلى النزاهة في التعامل مع النصوص الشرعية.

خامسًا: الأبعاد الفكرية والحضارية

1. بناء الحضارة على الإذعان للحق لا للأهواء

أي حضارة تنهض لا بد أن يكون أساسها تقدير الحق فوق المصالح. الحضارة الإسلامية قامت لأن المسلمين كانوا يذعنون لحكم الله ورسوله حتى لو كان على أنفسهم. عندما يتحول الأمر إلى أن الحق يُقبل فقط إذا وافق المصلحة، تنهار الحضارة من داخلها.

2. النزاهة والشفافية

الآية تعلم الإنسان أن يكون نزيهًا في تعامله مع الحق. النزاهة أن تذعن للحق ولو كان عليك، والشفافية أن يكون موقفك من الحق واحدًا لا يتغير بتغير مصلحتك.

3. تحرير العقل من عبودية الهوى

الإنسان الذي يجعل مصلحته معيارًا لقبوله الحق يكون عبدًا لهواه. الآية تحرر عقلك من هذه العبودية، وتجعلك سيدًا على هواك، تذعن لله وحده.

سادسًا: دور الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

1. بناء الإنسان:

· تزرع فيه الصدق مع الذات: لا يخدع نفسه بأنه يطلب الحق، بينما هو يطلب ما يوافق هواه.

· تنمي فيه الاستقامة: أن يكون موقفه من الحق ثابتًا لا يتغير بتغير الظروف.

· تعلمه المسؤولية الأخلاقية: أن يقبل الحكم الشرعي ولو كان عليه، لأنه يعلم أن الله لا يأمر إلا بالعدل.

2. بناء المجتمع:

· تعزز الثقة بين أفراده: حين يعلم الناس أن بعضهم يذعن للحق في كل الأحوال، تزداد الثقة.

· تحقق العدل الاجتماعي: لأن الجميع يخضعون لنظام واحد، لا يتغير بتغير الأشخاص أو المصالح.

· تقضي على النفاق الاجتماعي الذي يتخذ من الدين وسيلة للمصالح الشخصية.

3. بناء الحضارة:

· تضع أساس الحضارة القوية: الذي هو سيادة الحق لا سيادة المصالح.

· تحمي الدولة من الانتهازيين الذين يدخلون في الدين إذا نفعهم ويخرجون إذا ضرهم.

· تضمن استمرارية النهضة: لأن المجتمعات التي تذعن للحق ولو كان عليها هي مجتمعات تستطيع الصمود في الأزمات.

سابعًا: العلاقة بين الآيات (47-50) وتطبيقاتها العملية

هذه الآيات الأربع (47-50) تشكل ملامح المنافق الحقيقي:

· الآية 47: يقولون آمنا وأطعنا ثم يتولون.

· الآية 48: إذا دُعوا إلى حكم الله يتولى فريق منهم معرضون.

· الآية 49: وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين.

· الآية 50: في قلوبهم مرض أو يرتابون أو يخافون أن يحيف الله عليهم.

كيف تطبق هذه الآية (49) في حياتك اليومية؟

1. عند وقوع خصومة: لا تسعَ إلى من يحكم لك بغير الحق. بل اطلب الحكم الشرعي العادل، وارضَ به ولو كان عليك.

2. عند سماع فتوى: لا تقبلها فقط لأنها توافق هواك، ولا ترفضها لأنها تخالفه. انظر: هل هذا هو حكم الله ورسوله؟ فإن كان، فاقبله ولو كان ثقيلا ً على نفسك.

3. في معاملاتك المالية: لا تبحث عن الثغرات الشرعية لتأخذ حقوقًا ليست لك. بل التزم بالحق ولو كان عليك.

4. في علاقاتك الأسرية: لا تطلب تحكيم الشرع فقط عندما تكون أنت صاحب الحق، بل اقبل التحكيم الشرعي في كل الأ حوال.

ثامنًا: لماذا ختم الله هذه الآيات بقوله {أفِي قلُوبِهِمْ مَرَضٌ} (الآية 50)؟

بعد أن وصف الله المنافقين بهذه الصفات الذميمة (يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن الحكم، يذعنون فقط إذا كان الحق لهم)، يسأل سؤالا ً استنكاريًا: {أفِي قلُوبِهِمْ مَرَضٌ أمِ ارتَابُوا أمْ يَخَافُونَ أنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ؟}.

هذا السؤال يضع يدك على السبب الحقيقي لهذا السلوك المنافق: إما مرض في القلب (كالحسد والكبر وحب الدنيا)، وإما شك وارتياب في نبوة الرسول، وإما خوف ظالم من أن يجور الله ورسوله في الحكم. وكلها أمراض خطيرة.

الرسالة لك: عندما تجد نفسك تميل إلى قبول الحق إذا وافق هواك ورفضه إذا خالفك، فاتهم قلبك. اسأل: هل في قلبي مرض؟ هل أنا أرتاب في ديني؟ هل أخاف أن يكون الله ظالمًا؟ هذه مراجعة ذاتية يجب أن تكون دائمة.

خلاصة القول

الآية 49 من سورة النور تكشف عن أخطر صفات المنافق: الانتهازية الدينية، حيث يجعلون مصلحتهم الشخصية معيارًا لقبول الحق. إنهم إن كان الحكم لصالحهم أتوا إليه خاضعين منقادين، وإن كان عليهم أعرضوا وتولوا.

هذه الآية تدعوك إلى أن تكون مؤمنًا حقًا، لا يذعن للحق لأنه يوافق هواه، بل يذعن له لأنه حق من الله. وهي تبني فيك:

· صدقًا مع نفسك لا ينخدع بادعاءات الإيمان الزائفة.

· استقامة لا تتزعزع بتبدل المصالح.

· عدلا ً تقبله ولو كان عليك.

وتدعو مجتمعك إلى أن يكون مجتمعًا قائمًا على الحق لا على المصالح، وأن تكون مؤسساته عادلة، وأن يثق أفراده بأن دينهم ليس مطية للنفع الشخصي، بل هو طريق إلى رضوان الله.

وأنت الآن أمام هذا السؤال المصيري: هل أنت ممن يقبل الحق إذا كان له ويعرض إذا كان عليه؟ أم أنك ممن أذعن لله في كل حال، فكان من الصادقين؟

هذا هو جوهر الإيمان.

رابعا

{أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ} (النور: 50)

المقدمة: لحظة الحقيقة والمواجهة

بعد أن كشفت الآيات السابقة (47-49) عن ملامح المنافقين: يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن حكم الله إذا دُعوا إليه، و لا يأتون إليه مذعنين إلا إذا كان الحق لهم – تأتي هذه الآية (50) لتطرح سلسلة من الأسئلة الحاسمة، تخترق جدار النفاق وتصل إلى الأعماق، لتكشف عن السبب الجذري لهذا السلوك المنحرف.

تأمل معي هذا المشهد القرآني العظيم: الله سبحانه وتعالى – وهو العليم بخفايا الصدور – يطرح أسئلة على المنافقين، ليس لأنه يجهل الإجابة، بل ليفضح حقيقتهم، وليضع أمامهم مرآة يرون فيها وجوههم القبيحة، وليكون ذلك درسًا للمؤمنين في كل زمان.

ثلاثة أسئلة متتالية، كل منها يحمل أسلوبًا بلاغيًا مختلفًا، وكل منها يكشف عن بعد من أبعاد مرض النفاق. ثم تأتي الخاتمة الحاسمة التي تنفي عنهم كل عذر، وتصفهم بأشنع صفة: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

أولا ً: دلالات الأسئلة الثلاثة: بين الإثبات والتعجب والاستنكار

} .1أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ {– سؤال إثباتي) للتقرير والتوبيخ(

الهمزة في أول السؤال للاستفهام، والفاء للعطف على ما سبق من وصفهم. هذا السؤال ليس عن جهل، بل هو سؤال تقريري، معناه: هل الأمر كما يظهر من سلوكهم أن في قلوبهم مرضًا؟ والإجابة مقررة: نعم، في قلوبهم مرض.

ما هو مرض القلب الذي يشير إليه القرآن؟

· مرض الشك والارتياب: عدم استقرار الإيمان في القلب.

· مرض حب الدنيا: الذي يجعل الإنسان يفضل مصلحته على دينه.

· مرض الكبر والاستكبار: عن الخضوع للحق والانقياد لله ورسوله.

· مرض الحسد والبغض: للمؤمنين وللحق الذي جاءوا به.

الدلالة البلاغية: السؤال بـ "أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ" يحمل توبيخًا شديدًا. كأن الله يقول: انظروا إلى سلوكهم، أليس هذا دليلا ً على مرض في قلوبهم؟ أي عذر بعد هذا؟

} .2أَمِ ارْتَابُوا {– سؤال تعجبي) للاستبعاد والاستنكار(

"أم" هنا للإضراب بمعنى "بل"، والاستفهام للتعجب والاستنكار. والمعنى: بل أهو الارتياب والشك في نبوة محمد ﷺ وفي صدق رسالته؟

هذا السؤال يحمل تعجبًا واستنكارًا شديدًا: كيف يرتابون بعد كل هذه الآيات المبينات؟ كيف يشكون بعد أن جاءهم الحق الواضح؟

الارتياب أخطر من المرض: لأن المريض قد يرجى شفاؤه، أما المرتاب ففي ظلمات الشك، لا يصل إلى اليقين. والارتياب هو أن يدخل الشك إلى القلب فيصدق تارة ويكذب تارة، وهذا من أعظم أمراض النفاق.

} .3أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ {– سؤال استنكاري) للتوبيخ والإنكار(

"أم" هنا أيضًا للإضراب، والاستفهام للإنكار والتوبيخ. المعنى: بل أهو الخوف من أن يجور الله ورسوله في الحكم عليهم؟

هذا أشنع الأسباب وأقبحها: أن يظنوا بالله – وهو العدل الذي لا يجور – أو برسوله – وهو الصادق الأمين – أن يحيفا (أي يجورا) في الحكم. هذا الخوف نابع من سوء ظن بالله، وهو من أعظم الذنوب.

الدلالة البلاغية: السؤال بهذا الشكل يحمل أعلى درجات الاستنكار. وكأن الله يقول: كيف يظنون بي وبرسولي هذا الظن؟ أنا العادل الذي لا أجور، ورسولي الأمين الذي لا يحيف.

ثانيًا: تحليل أسباب النفاق الثلاثة (مرض القلب، الارتياب، سوء الظن)

.1مرض القلب: الداء الخفي

القلب هو ملك الجوارح، فإذا صلح صلح الجسد كله، وإذا فسد فسد كله. مرض القلب الذي ذكره الله هنا هو:

· مرض الشبهات: الذي يجعل القلب لا يميز بين الحق والباطل.

· مرض الشهوات: الذي يجعل الإنسان يتبع هواه حتى لو كان على حساب دينه.

الرسالة لك: عندما تجد نفسك تثقل عليك الطاعة، أو تميل إلى المعصية، أو لا تنقاد لحكم الله بسهولة – فاتهم قلبك. ربما فيه مرض خفي لا تشعر به، وعلاجه هو التوبة والاستغفار والإكثار من ذكر الله.

.2الارتياب: الشك الذي يقتل اليقين

الارتياب هو الوقوف بين الإيمان والكفر، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء. وهو أخطر من الكفر المعلن، لأنه يظلم صاحبه فلا يعرف أين يقف.

· الارتياب في النبوة: أن يشك في أن محمدًا ﷺ رسول من الله حقًا.

· الارتياب في القرآن: أن يشك في أنه كلام الله.

· الارتياب في الأحكام: أن يشك في عدالة حكم الله ورسوله.

الرسالة لك: لا تترك باب الشك يدخل إلى قلبك. إذا جاءك شك، فاطرده باليقين، وتذكر أن الله أنزل آيات مبينات لا لبس فيها. استعذ بالله من الشيطان الرجيم، وأكثر من الدعاء: "اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلا ً وارزقنا اجتنابه".

.3الخوف من الحيف) الجور(: سوء الظن بالله

هذا أخطر الأسباب وأشدها استنكارًا. أن يظن المنافقون أن الله ورسوله قد يجوران في الحكم، أي يظلمان أو لا يعدلان.

· هذا سوء ظن بالله: والله يقول: {أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي}.

· وهو جهل بالله: فالله هو العدل المطلق الذي لا يجور.

· وهو جهل بالرسول: فالرسول ﷺ هو الصادق الأمين، لا يحيف في حكمه.

الرسالة لك: تأمل ظنك بالله. هل أنت ممن يظن بالله الخير، أم أن في نفسك شيئًا من سوء الظن عندما لا يوافق حكم الله هواك؟ المؤمن الحق يوقن أن حكم الله هو العدل كله، ولو لم يفهمه بعقله.

ثالثًا: الخاتمة الحاسمة: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}

بعد أن طرح الله الأسئلة الثلاثة التي تكشف الأعذار الوهمية للمنافقين، يأتي الرد الحاسم: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}.

دلالات هذه الخاتمة:

· "بَلْ" للإضراب: أي ليس الأمر كما يظنون أو كما يدّعون، بل الحقيقة أنهم ظالمون.

· "أُولَئِكَ" للإشارة البعيدة: كأن الله يبعدهم عنه وعن رحمته، ويشير إليهم كأنهم قوم لا يعرفهم.

· "هُمُ الظَّالِمُونَ" بالتعريف والحصر: أي هم الظالمون حصرًا، لا غيرهم. الظلم هنا أعظم ظلم: ظلم النفس، وظلم الحق، وظلم الله.

معنى الظلم في هذه الآية:

الظلم هنا ليس ظلمًا عاديًا، بل هو:

· ظلم النفس: بتعريضها لغضب الله وعذابه.

· ظلم الحق: بإعراضهم عنه وعدم انقيادهم له.

· سوء الظن بالله: وهو أشد الظلم.

رابعًا: الأبعاد التربوية والنفسية

1. اختبار النفس بأسئلة الآية

هذه الآية تضعك أمام مرآة صافية. اسأل نفسك بصدق:

· هل في قلبي مرض؟ هل أثقلت عليّ الطاعة؟ هل استكبرت عن الحق؟

· هل أرتاب؟ هل يدخل الشك إلى قلبي في دين الله وصدق رسوله؟

· هل أخاف أن يحيف الله عليّ؟ هل في نفسي سوء ظن بالله عندما لا يأتيني ما أريد؟

2. معالجة أمراض القلوب

الآية تدعوك إلى علاج أمراض قلبك:

· مرض القلب: علاجه الإيمان والعلم النافع والعمل الصالح.

· الارتياب: علاجه اليقين، والبحث عن الحق، والدعاء بثبات القلب.

· سوء الظن بالله: علاجه معرفة أسماء الله الحسنى (العدل، الحكيم، الرحيم) والثقة بأن الله لا يأمر إلا بالعدل.

3. غرس قيمة الإذعان المطلق لله

الآية تربي فيك أن الإيمان الحقيقي هو إذعان كامل لله ولرسوله، لا يتزعزع بتبدل المصالح، ولا يتأثر بالأهواء. المؤمن الحق هو من يذعن لحكم الله ورسوله في كل الأحوال.

خامسًا: الأبعاد الاجتماعية

.1تحصين المجتمع من النفاق

هذه الآية تكشف عن أخطر أمراض المجتمع: النفاق. فالمجتمع الذي يكثر فيه المنافقون يضعف من الداخل، وتنهار ثقته بنفسه وقيادته. الآية تعلم المؤمنين كيف يتعرفون على المنافقين: من خلال موقفهم من حكم الله ورسوله.

.2معيار الولاء والبراء

الآية تحدد معيارًا واضحًا للانتماء: الإيمان الصادق الذي يظهر في الانقياد لحكم الله. من كان على هذا النهج فهو المؤمن، ومن كان على غيره فهو الظالم.

.3العدالة الاجتماعية

المجتمع الذي يقبل أفراده حكم الله ورسوله في كل الأحوال هو مجتمع يسوده العدل والإنصاف. أما المجتمع الذي يقبل الحكم فقط إذا كان في صالحه، فهو مجتمع مريض.

سادسًا: الأبعاد الفكرية والحضارية

.1بناء الحضارة على اليقين لا على الشك

أي حضارة تنهض لا بد أن تقوم على يقين راسخ. الآية تحارب مرض الارتياب لأنه يضعف العزائم ويشل الحركة. الحضارة الإ سلامية قامت لأن المؤمنين كانوا على يقين من دينهم، لم يشكوا فيه.

.2تحرير العقل من سوء الظن بالله

سوء الظن بالله هو أكبر عائق أمام الإبداع الحضاري. من يظن بالله سوءًا يظل محبوسًا في خوفه، لا ينطلق إلى العمل. المؤمن الحق يثق بالله، ويعلم أن أمره كله خير.

.3ترسيخ مبدأ المسؤولية

الآية تضع النفاق في دائرة الظلم، مما يجعل كل إنسان مسؤولا ً عن تطهير قلبه من النفاق، وعن صدق إيمانه وانقياده لله.

سابعًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

.1كيف تتأكد من سلامة قلبك؟

· راقب موقفك من الطاعة: هل تؤديها بخشوع أم بثقل؟

· راقب موقفك من المعصية: هل تجد لذة فيها أم تبغضها؟

· راقب موقفك من حكم الله: هل تقبله ولو كان على نفسك؟

.2كيف تطرد الشك والارتياب؟

· أكثر من قراءة القرآن بتدبر.

· أكثر من الدعاء: "اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه".

· اجلس مع العلماء الثقات الذين يزيدونك يقينًا.

.3كيف تحسن الظن بالله؟

· تذكر أن الله عدل لا يجور، رحيم لا يعذب بغير ذنب.

· تذكر أن حكم الله هو الحكمة كلها، حتى لو لم تفهمه.

· تذكر أن الله أرحم بك من نفسك، وأعلم بمصلحتك.

.4كيف تفرق بين المؤمن والمنافق في واقعك؟

· المؤمن: ينقاد لحكم الله في السر والعلن، في الرخاء والشدة، فيما له وفيما عليه.

· المنافق: ينقاد إذا وافقه الهوى، ويتولى إذا خالفه.

ثامنًا: لماذا جمعت الآية بين المرض والارتياب والخوف؟

هذه الثلاثة تمثل المراحل المتدرجة للنفاق:

· المرض: بداية الخلل في القلب.

· الارتياب: تطور المرض إلى شك في أصل الدين.

· الخوف من الحيف: ذروة المرض حيث يسوء الظن بالله.

وكلها تؤدي إلى نتيجة واحدة: الظلم. فالمنافق ظالم لنفسه، ظالم للحق، ظالم في ظنه بالله.

تاسعًا: العلاقة بين الآية 50 وما قبلها (47-49)

الآيات السابقة وصفت سلوك المنافقين، وهذه الآية تكشف سبب هذا السلوك. وكأن الله يقول: سبب توليهم وإعراضهم وعدم إذعانهم إلا لمصلحتهم هو أحد هذه الأمور: إما مرض قلبي، وإما شك في الرسالة، وإما سوء ظن بالله ورسوله. وهذه كلها أمراض خطيرة تستوجب العلاج، وإلا فالنتيجة هي الظلم.

خلاصة القول: أنت أمام لحظة حاسمة

الآية 50 من سورة النور تضعك أمام لحظة الحقيقة. إنها تدعوك إلى أن تتوقف طويلا ً أمام مرآة قلبك، وتتأمل:

· هل من مرض في قلبي؟ هل أنا ممن يستكبر عن الحق؟

· هل من ريب في ديني؟ هل أنا ممن يشكون في صدق ما جاء به الرسول؟

· هل في نفسي سوء ظن بالله؟ هل أخاف أن يجور الله عليّ في حكمه؟

هذه الأسئلة ليست للتسلية، بل للعلاج. فالآية تريدك أن تكون مؤمنًا حقًا، منقادًا لله ورسوله في كل الأحوال، ذا قلب سليم لا مرض فيه، ويقين راسخ لا ريب معه، وظن جميل بالله لا سوء فيه.

وأنت الآن أمام هذا السؤال المصيري: أيهما أقرب إليك؟ أن تكون من المؤمنين الصادقين الذين يذعنون لله في كل حال، أم من الظالمين الذين يتخبطهم المرض والريب وسوء الظن؟

اختر لنفسك، فالآية قد أوضحت لك الطريق

المشهد الثاني

مقدمة الآيتين 51 و 52 من سورة النور

من مرض القلوب إلى نور الإيمان.. رحلة التطهير

بعد أن استعرضت الآيات السابقة (47-50) مشاهد متعددة من نفاق المنافقين، وكشفت عن حقيقتهم في أبهى صور التصوير القرآني: يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن حكم الله، لا يأتون إليه مذعنين إلا إذا كان الحق لهم، يقسمون أغلظ ا لأيمان وهم كاذبون، وفي قلوبهم مرض أو ارتياب أو سوء ظن بالله ورسوله. بعد كل هذا المشهد القاتم، الذي يمثل أزمة النفاق والمرض القلبي، يأتي هذا التحول البهي، هذا المشهد المشرق الذي يريح القلوب ويطمئن النفوس.

تأمل معي هذا الانتقال العجيب. كأن الله يريد أن يريكم الفرق بين فريقين لا يستويان: فريق يقول آمنا بألسنتهم وقلوبهم خاوية، وفريق إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم قالوا سمعنا وأطعنا. فريق يتولون ويعرضون، وفريق يسمعون ويطيعون. فريق وُصِف بأن في قلوبهم مرضًا، وفريق وُصِف بأنهم المفلحون ثم الفائزون.

الآية 51 تأتي لتضع المعيار الحقيقي للإيمان، ليس في كثرة الأقوال ولا في شدة الأيمان، بل في الاستجابة السريعة لدعوة الله ورسوله. إنها تقدم لنا النموذج العملي للمؤمن الصادق: إذا دُعي إلى الله ورسوله ليحكم بينهم، لا يتردد، لا يتلكأ، لا يبحث عن أعذار، بل يقول: سمعنا وأطعنا. هذه الكلمتان هما مفتاح الفلاح، وهما عنوان الصدق، وهما البرهان على سلامة القلب من مرض النفاق.

ثم تأتي الآية 52 لترتقي بالمؤمن إلى مرتبة أعلى. ليس فقط أن يسمع ويطيع، بل أن يضيف إلى طاعته الخشية والتقوى. أن يصل إلى مقام لا يخاف فيه إلا الله، ولا يرجو فيه إلا الله، وأن تكون خشيته لله هي التي تحرك سلوكه، وتقواه هي التي تضبط تصرفاته. وهؤلاء – الذين جمعوا بين الطاعة والخشية والتقوى – هم الفائزون حقًا.

العلاقة بين الآيتين وما قبلهما

هاتان الآيتان تشكلان الرد الإلهي على مشهد النفاق الذي سبق. وكأن الله يقول: هؤلاء المنافقون حالهم كذا وكذا، لكن المؤمنين الصادقين حالهم كذا وكذا. فالآية 51 تقدم لنا صورة المؤمن المستجيب، والآية 52 تقدم لنا صورة المؤمن الكامل الذي جمع إلى الاستجابة الخشية والتقوى.

وهناك تناسب بديع بين خاتمة الآية 50 وبداية الآية 51. الآية 50 انتهت بالقول عن المنافقين: {بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}. وا لآية 51 تبدأ: {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ...}. إنها مقابلة بين فريقين: فريق ظالمون، وفريق مؤمنون. فريق يخالفون أمر الله، وفريق إذا دُعوا قالوا سمعنا وأطعنا.

كما أن هناك تدرجًا في الجزاء: الآية 51 وعدت المؤمنين المستجيبين بـ الفلاح، والآية 52 وعدت الذين أضافوا إلى الطاعة الخشية والتقوى بـ الفوز. والفلاح هو النجاح والظفر بالمطلوب، أما الفوز فهو الظفر بالغاية القصوى – الجنة والرضوان. فمن قال سمعنا وأطعنا، فله الفلاح. ومن أضاف إلى ذلك الخشية والتقوى، فله الفوز الأكبر.

الأسلوب القرآني في الانتقال

لاحظ جمال النظم القرآني: بعد أن وصف الله المنافقين في أربع آيات (47-50) بصفاتهم الذميمة، جاءت هاتان الآيتان لتصفا المؤمنين بصفاتهم الحميدة. إنها المقابلة بين الظلمات والنور، بين مرض القلب وسلامته، بين التولي والاستجابة، بين الظلم والفلاح.

وهذا الانتقال ليس مجرد سرد قصصي، بل هو توجيه إلهي لكل من يقرأ هذه الآيات. إنه يقول لك: انظر إلى الفريقين، واختر لنفسك أي الفريقين تريد أن تكون. هل تريد أن تكون من المنافقين الذين يتولون ويعرضون، أم من المؤمنين الذين إذا دُعوا

قالوا سمعنا وأطعنا؟ هل تريد أن تكون من الظالمين أم من المفلحين؟ هل تريد أن تقف عند حد الطاعة الظاهرة، أم ترتقي إلى مقام الخشية والتقوى لتصير من الفائزين؟

ما تحمله هذه المقدمة من معانٍ

هذه المقدمة تحمل في طياتها:

1. الربط العضوي بين الآيات السابقة47) - (50وهاتين الآيتين، وإبراز أن الآيتين جاءتا كرد ومقابلة.

2. التمييز بين فريقين: فريق المنافقين وفريق المؤمنين، وفريق الظالمين وفريق المفلحين.

3. بيان التدرج بين الآية 51 والآية52 : من الاستجابة إلى الفلاح، ومن الخشية والتقوى إلى الفوز.

4. إبراز القيم العليا التي تدعو إليها الآيتان: الاستجابة السريعة، الخشية، التقوى.

5. توجيه الخطاب إلى القارئ ليجعله يتفاعل مع الآيتين، ويختار موقفه منها.

اولا

{إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (النور: 51)

المقدمة: أنت مدعو إلى مشهدين.. فأيهما تختار؟

توقف للحظة. تخيل أنك واقف في مشهدين متتاليين:

المشهد الأول: رأيته في الآية السابقة (48). مجموعة من الناس يُدعَون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم. فإذا بهم يعرضون، يتثاقلون، يبحثون عن مخرج. هم يقولون "آمنا" ولكن دعوة الحق تثقل عليهم.

المشهد الثاني: وهذه الآية (51) تعرضه عليك الآن. نفس الدعوة، نفس الموقف، ولكن قومًا آخرين. يُدعَون إلى الله ورسوله، فما يكون ردهم؟ {أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}. لا تردد، لا تأخير، لا بحث عن أعذار. مجرد كلمتين: سمعنا وأطعنا.

والآن.. اسأل نفسك بصدق: في أي المشهدين تجد نفسك؟ هل أنت من الفريق الذي يثقل عليه حكم الله إذا دعى إليه؟ أم أنت من أولئك الذين إذا سمعوا الحق قالوا: سمعنا وأطعنا؟

هذه الآية ليست تحكي عن قوم مضوا. إنها تخاطبك أنت الآن. إنها تضع يدك على صفة المؤمنين الحقيقية، وتمد أمامك طريق الفلاح. وتريد منك أن تقف مع نفسك وقفة صادقة: هل أنا من هؤلاء؟ أم أنني أتخبط بين هذا وذاك؟

تعال معي نتأمل هذه الآية كأنها نزلت للتو، وكأن الله يحدثك أنت شخصيًا.

أولا ً: تأمل البداية {إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ}

1. إنّمَا {– حصر وتمييز }

هل لاحظت كيف بدأ الله الآية بـ {إِنَّمَا}؟ هذه الكلمة تفيد الحصر والقصر. كأن الله يقول: هذه هي صفة المؤمنين، لا غير. ليس للمؤمن قول آخر في هذا الموقف. فإذا دُعي إلى الله ورسوله، ليس له إلا كلمة واحدة: السمع والطاعة.

هنا سؤال يخترق قلبك: عندما تُدعى إلى حكم الله في أمر من أمور حياتك، هل تجد في نفسك كلمات أخرى غير "سمعنا وأطعنا"؟ هل تجد نفسك تبحث عن تأويلات تريحك، أو تتردد، أو تسأل: "هل هذا مناسب لوضعي؟"، أو "هل هناك رخصة؟"، أو "ربما هذا الحكم ليس مقصودًا بي"؟

الآية تقول: المؤمن الحقيقي ليس عنده هذه الأسئلة. عنده كلمة واحدة: سمعنا وأطعنا.

2. كانَ قَوْلَ المُؤْمِنِينَ {– صفة ثابتة

الفعل "كان" يدل على الثبات والاستمرار. أي أن هذه ليست حالة طارئة، بل هي طبيعة راسخة في المؤمن. كلما دُعي، قال: سمعنا وأطعنا. في السر والعلن، في الرخاء والشدة، فيما له وفيما عليه.

اسأل نفسك: هل هذه الطبيعة راسخة فيّ؟ أم أن طاعتي مشروطة؟ أطيع إذا وافق هواي، وأتملص إذا خالفني؟

ثانياً: تأمل الدعوة {إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ}

1. نفس الدعوة، رد مختلف

تأمل: هذه هي نفس الدعوة التي وردت في الآية السابقة (48). هناك، كان الرد: {إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ}. هنا، الرد: {أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}.

نفس الدعوة، لكن ردين مختلفين تمامًا. لماذا؟ لأن القلوب مختلفة. فالدعوة إلى الله ورسوله تكشف ما في القلوب. إنها ميزان الإيمان الحقيقي.

هل شعرت يومًا أن الدعوة إلى الحق تثقل عليك؟ هذا مؤشر على أن هناك شيئًا في قلبك يحتاج إلى علاج. أما إذا وجدت نفسك تفرح بدعوة الحق، وتشتاق إليها، فهذه علامة على سلامة القلب.

2. لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ {– الغاية العظمى

لماذا يُدعَون؟ ليحكم الله ورسوله بينهم. أي ليفصل في خصوماتهم، ويبيّن لهم الحق فيما اختلفوا فيه. المؤمنون لا يريدون حكمًا غير حكم الله. إنهم يعلمون أن حكم الله هو العدل المطلق، وهو الخير كله.

تأمل: هل تشعر بالارتياح عندما يُحكم في أمر من الأمور بشرع الله؟ أم أنك تفضل أن تبتعد عن هذا الموضوع كي لا تلتزم

ثالثاً: تأمل الرد {أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}

1. سَمِعْنَا {– استماع وانقياد

"سمعنا" في لغة القرآن ليست مجرد إدراك بالأذن. إنها سمع القبول والانقياد. أي: سمعنا ما أمرت به، وفهمناه، وقبلناه. لا نبحث عن تأويل يخرجنا من التكليف، ولا عن رخصة تريحنا من الالتزام.

هنا سؤال إلى أعماقك: عندما تسمع آية من القرآن أو حديثًا من السنة، هل تقبله كما هو؟ أم تبدأ فورًا في البحث: "هل هذا محكم أم متشابه؟"، "هل فيه نسخ؟"، "هل ينطبق عليّ؟"، "ربما كان في ظرف خاص"؟

المؤمن إذا سمع قال: سمعنا. وانتهى الأمر.

2. وأَطَعْنَا {– طاعة عملية

"أطعنا" هي ثمرة "سمعنا". فإذا سمع القلب واستقر فيه الحق، تحرك الجسد بالطاعة. الإيمان الحقيقي لا ينفصل عن العمل. هو تصديق بالقلب، وقول باللسان، وعمل بالجوارح.

اسأل نفسك: هل تطيع كما تسمع؟ أم أن هناك فجوة بين ما تؤمن به وما تفعله؟ هل تقرأ أمرًا في الدين ثم تجد نفسك تتردد في تنفيذه؟

.3لماذا حُذف الفاعل؟) يَقولوا(

صيغة الفعل "يَقولوا" بدون ذكر فاعل خاص. كأنه يقول: ليس المهم من قال، المهم أن هذا هو القول الذي يصدر عن المؤمن. أي أن المؤمن لا يعرف قولا ً آخر في هذا الموقف.

} .4سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا {– سرعة واستجابة

لاحظ أن الآية لم تقل "سوف نسمع ونطيع"، ولا "ربما نسمع ونطيع". قالت: {يَقولوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا} بصيغة الماضي، وكأن الطاعة قد حدثت بالفعل. هذا يدل على السرعة والاستجابة الفورية. المؤمن لا يؤجل الطاعة، ولا ينتظر ظروفًا أفضل. إذا دُعي إلى حكم الله، قالها فورًا.

رابعاً: تأمل الخاتمة {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}

} .1وَأُولَئِكَ {– إشارة إلى البعد والتمييز

كلمة "أولئك" تستخدم للبعيد. لماذا؟ ليرفعهم الله إلى مقام عال، وكأنه يقول: انظروا إلى هؤلاء، هم الذين يستحقون أن يُشار إليهم بالبنان. هم المميزون، هم الفائزون.

هل تريد أن تكون ممن يُشار إليهم بالفلاح؟ الآية تفتح لك الباب.

} .2هُمُ الْمُفْلِحُونَ {– الفلاح الكامل

"الفلاح" في القرآن هو الفوز الكامل، وهو بلوغ المطلوب والنجاة من المرهوب. الفلاح هو الفوز برضا الله، ودخول الجنة، و النجاة من النار. وهو أيضًا الفلاح في الدنيا: الطمأنينة، والبركة، والنجاح الحقيقي.

وقد جاء بصيغة الحصر {هُمُ الْمُفْلِحُونَ} أي هم وحدهم الفائزون. ليس الفلاح لمن يكثر المال، ولا لمن يعلو المنصب، ولا لمن يقول آمنا بألسنتهم. الفلاح لمن إذا دُعي إلى الله ورسوله قال: سمعنا وأطعنا.

هنا سؤال مصيري: ما هو مفهومك للفلاح؟ هل تظن أن الفلاح في جمع المال، أو في تحقيق الشهرة، أو في إشباع الرغبات؟ أم أنك أيقنت أن الفلاح الحقيقي هو أن تكون من الذين إذا دُعوا إلى الله قالوا سمعنا وأطعنا؟

خامسًا: الأبعاد التربوية والنفسية (مخاطبة الوجدان)

.1الآية تختبر صدق إيمانك

هذه الآية تضعك أمام اختبار يومي. كل مرة تُدعى فيها إلى حكم الله، تعرض عليك الآية سؤالا ً: أين أنت من هؤلاء؟ هل كلمتك "سمعنا وأطعنا" أم أنك تبحث عن مخرج؟

تأمل مواقف حياتك:

· عندما تسمع آية في الحجاب: هل تقول سمعنا وأطعنا، أم تبحث عن آراء تخفف؟

· عندما تسمع حديثًا في الربا: هل تقول سمعنا وأطعنا، أم تبحث عن فتاوى تحلل؟

· عندما تسمع أمرًا بالعدل مع من تخاصمه: هل تقول سمعنا وأطعنا، أم تبحث عن أعذار؟

.2علاج ثقل الطاعة

قد تشعر أحيانًا أن الطاعة تثقل عليك. هذا شعور طبيعي في النفس البشرية. ولكن الآية تعلمك أن المؤمن لا ينتظر حتى

تخف الطاعة، بل يسمع ويطيع، ثم يطلب من الله أن يشرح صدره.

كيف تصل إلى هذه الحالة؟

· تعلم: اعلم أن الله لا يأمر إلا بما هو خير لك. حتى لو لم تفهم الحكمة، فثق أن الخير في طاعته.

· احتسب: اجعل نيتك في الطاعة ابتغاء رضوان الله.

· ادع: قل دائمًا: "اللهم اجعلني ممن يقولون سمعنا وأطعنا".

.3معالجة الانفصام بين القول والعمل

الآية تعالج أشد الأمراض النفسية: الانفصام بين ما يقوله الإنسان وما يفعله. تجد إنسانًا يقول "آمنت بالله ورسوله"، ولكن حين يُدعى إلى ما يقتضيه هذا الإيمان، يتردد. هذه الآية تطلب منك أن تكون شخصًا واحدًا، لا ازدواجية فيه. ما تقوله هو ما تفعله، وما تؤمن به هو ما تطبقه.

سادسًا: الأبعاد الاجتماعية

.1بناء مجتمع السمع والطاعة

المجتمع الذي يسوده قول "سمعنا وأطعنا" هو مجتمع متماسك، قوي، عادل. لأنه حين يُدعى أفراده إلى حكم الله، لا يتخلفون، لا يجادلون، لا يبحثون عن ثغرات. يسلمون، ثم ينقادون.

تأمل: لو كان كل مسلم إذا دُعي إلى حكم الله قال سمعنا وأطعنا، كيف سيكون حال المجتمع؟ ستختفي الخصومات، وتنتهي المشكلات، وينتشر العدل.

.2القيادة والحكم

الآية تضع أساسًا للقيادة الرشيدة: أن تكون القيادة التي تدعو إلى الله ورسوله، وأن تكون الأمة التي تستجيب بـ "سمعنا وأطعنا". هذا هو النموذج القرآني للمجتمع المسلم.

.3محاربة روح الجدال والعناد

الآية تحارب ثقافة الجدال العقيم الذي يدور حول أحكام الله. تجد من يدعي الإيمان، ثم إذا جاء حكم الله بدأ يجادل: "لماذا ؟"، "كيف؟"، "هل ينطبق علينا؟". المؤمن الحقيقي إذا جاءه الحكم قال: سمعنا وأطعنا. ثم إن فهم الحكمة زاده إيمانًا، وإن لم يفهم، لم يمنعه ذلك من الطاعة.

سابعًا: الأبعاد الفكرية والحضارية

.1أساس النهضة: الانقياد للحق

أي نهضة حقيقية تقوم على انقياد الأمة لمنهجها. إذا كانت الأمة تسمع الحق ثم تبحث عن مخرج، فلن تقوم لها قائمة. أما إذا كانت أمة {سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا}، فإنها تنطلق بقوة وثبات.

هل تذكر كيف كانت الحضارة الإسلامية؟ كانت قائمة على هذا المبدأ. الصحابة إذا سمعوا أمرًا من رسول الله قالوا: سمعنا وأطعنا. هذه الروح هي التي صنعت أعظم حضارة عرفها التاريخ.

.2تحرير العقل من عبودية الهوى

الآية تحررك من أشد أنواع العبودية: عبودية الهوى. عندما تكون أسيرًا لهواك، فإنك تسمع الحق فلا تطيعه لأنه يخالف ما تريد. أما عندما تقول "سمعنا وأطعنا"، فإنك تتحرر من هوى نفسك، وتكون عبدًا لله وحده.

.3استمرارية الحضارة

المجتمعات التي تستمر هي التي تحافظ على مبدأ السمع والطاعة لله ورسوله. أما التي تنتقي من الدين ما يوافقها وتترك ما يخالفها، فإنها تفقد بوصلتها، وتتفرق، وتضعف.

ثامنًا: الفرق بين المؤمنين والمنافقين في سياق الآيات

لنقف مع الفرق الكبير الذي رسمته الآيات (47-51):

المنافقون (47-50) المؤمنون (51)

يقولون آمنا وأطعنا ثم يتولون إذا دُعوا قالوا سمعنا وأطعنا

إذا دُعوا إلى حكم الله أعرضوا إذا دُعوا إلى حكم الله استجابوا

إن يكن لهم الحق أتوا مذعنين يطيعون في كل الأحوال، لا يشترطون

في قلوبهم مرض أو ريب أو سوء ظن قلوبهم سليمة، يقينهم راسخ

هم الظالمون هم المفلحون

انظر إلى الفرق: المنافقون يسمعون ثم يتولون. المؤمنون يسمعون ثم يطيعون. المنافقون يطلبون حكم الله إذا كان لهم، المؤمنون يطلبونه في كل الأحوال. المنافقون مرضى القلب، المؤمنون أصحاء القلب. المنافقون ظالمون، المؤمنون مفلحون.

وأين أنت من هذا الميزان؟

تاسعًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

.1في قراراتك اليومية

كل يوم تمر بك قرارات: هل أشتري هذا أم لا؟ هل أسافر أم لا؟ هل أقبل هذه الوظيفة أم لا؟ هل أتزوج هذه أم لا؟ اسأل نفسك: هل رجعت إلى حكم الله في هذا الأمر؟ هل قلت: سمعنا وأطعنا؟

.2في خصوماتك مع الناس

عندما يحدث بينك وبين أحد خلاف، لا تذهب إلى محامٍ يبحث عن ثغرات، ولا تسعَ إلى من يحكم لك بغير الحق. اذهب إلى من يحكم بشرع الله، وقل: سمعنا وأطعنا، ولو كان الحكم عليك.

.3في علاقتك بالعلماء

إذا قال لك عالم ثقة: هذا حكم الله في مسألة كذا، لا تقل: "هل هو مجتهد؟"، "هل هناك رأي آخر؟"، "أنا أتبع فلانًا". بل قل: سمعنا وأطعنا، ثم اسأل الله الثبات.

.4في تربيتك لأولادك

علم أولادك أن المؤمن إذا سمع أمرًا من الله قال: سمعنا وأطعنا. لا تربيهم على الجدال في الأحكام الشرعية، بل على الانقياد

مع التعقل. قل لهم: الله أعلم بما يصلحكم، فإذا قال لكم شيئًا فافعلوه.

.5في دعائك

اجعل من دعائك كل يوم: "اللهم اجعلني ممن إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا سمعنا وأطعنا. اللهم ثبتني على هذا، ولا تجعل في قلبي حرجًا من حكمك."

عاشرًا: كيف تجعل هذه الآية واقعًا في حياتك؟

الخطوة الأولى: تغيير نظرتك إلى الطاعة

لا تنظر إلى الطاعة على أنها ثقل، بل على أنها مفتاح الفلاح. الآية تربط السمع والطاعة بالفلاح. فكلما ثقلت عليك طاعة، تذكر أن وراءها فلاحًا عظيمًا.

الخطوة الثانية: التدرب على السرعة في الاستجابة

إذا سمعت أمرًا شرعيًا، لا تؤجل. قل: سمعنا وأطعنا. وابدأ في التنفيذ فورًا. السرعة في الطاعة تزرع في نفسك حلاوة الإ يمان.

الخطوة الثالثة: مراجعة النفس باستمرار

في نهاية كل يوم، اسأل نفسك: هل مر بي اليوم موقف دُعيت فيه إلى حكم الله؟ كيف كان ردي؟ هل قلت سمعنا وأطعنا أم ترددت؟ وإن ترددت، فما السبب؟

الخطوة الرابعة: الدعاء بالثبات

اسأل الله دائمًا أن يثبتك على السمع والطاعة. فالثبات ليس بالتمني، بل بالدعاء والعمل.

خلاصة القول: أنت مدعو الآن.. فما قولك؟

هذه الآية تضعك أمام لحظة حاسمة. إنها تقول لك: أنت مدعو إلى الله ورسوله. كل يوم تُدعى في مواقف كثيرة. الموقف الذي أمامك الآن: أنت تقرأ هذه الكلمات، وتسمع نداء الله في كتابه. ما قولك؟

هل ستكون ممن يقول: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا، فتكون من المفلحين؟

أم ستكون ممن يعرضون، أو يشترطون، أو يبحثون عن أعذار؟

تذكر: الفلاح الحقيقي ليس في جمع المال، ولا في تحقيق الشهرة، ولا في إشباع الشهوات. الفلاح الحقيقي هو أن تكون ممن إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا.

وأنت الآن.. ماذا تقول؟

هل تستطيع أن تقف أمام الله وتقول: سمعت ما أمرت به، وأطيعك فيه، وأسألك الثبات؟

إن كنت تستطيع، فأنت على طريق الفلاح. وإن وجدت في نفسك ترددًا، فاسأل الله أن يصلح قلبك، وأن يجعلك من أولئك الذين هم المفلحون.

ثانيا

{وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} (النور: 52)

المقدمة: بعد السمع والطاعة.. ماذا ينتظرك؟

هل تذكر ما مر بنا في الآية السابقة (51)؟ لقد وقفت هناك مع المؤمنين الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا. وقلت لك: هذه هي بوابة الدخول إلى رحاب الإيمان الصادق.

لكن السؤال الذي يفرض نفسه الآن: بعد أن تقول "سمعت وأطعت"، فماذا بعد؟ هل يكفي أن تسمع وتطيع؟ أم أن هناك مراحل أخرى تنتظرك؟ وهل الطاعة وحدها كافية لتحقيق الفلاح الكامل؟

هذه الآية (52) تأتي لترسم لك خريطة الطريق بعد السمع والطاعة. إنها تأخذ بيدك خطوة إلى الأمام، لتريك أن المؤمن الحقيقي لا يقف عند حد الطاعة الظاهرة، بل يرتقي إلى مقام أعلى: مقام الخشية والتقوى. ثم تفتح لك أبواب الفلاح الحقيقي.

تأمل معي هذه الآية كأنها تنزل عليك الآن، وكأن الله يحدثك شخصيًا: يا عبدي، أنت قلتَ سمعنا وأطعنا، وهذا عظيم. ولكن هل تريد أن تكون من الفائزين حقًا؟ إذن فلتكن خطوتك التالية: الخشية والتقوى.

تعال نغوص في هذه الآية، لنفهم ما تريد منك، وما تريد أن تصير إليه.

أولا ً: تأمل البنية العجيبة للآية

الآية مكونة من أربع كلمات رئيسية، لكنها ترسم رحلة روحية كاملة:

المرحلة الأولى: {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ} – الطاعة والانقياد.

المرحلة الثانية: {وَيَخْشَ اللهَ} – الخشية في القلب.

المرحلة الثالثة: {وَيَتَّقْهِ} – التقوى التي تتحول إلى سلوك.

النتيجة: {فَأُولَئِكَ هُمُ الفَائِزُونَ} – الفوز العظيم.

هذه الآية تأخذك في رحلة من الظاهر إلى الباطن، ومن الفعل إلى القلب، ومن القلب إلى الثمرة. إنها تريد منك ألا تكتفي بأن تكون مسلمًا مطيعًا، بل تريدك أن تكون مؤمنًا خاشيًا تقيًا، وهذا هو طريق الفائزين.

ثانياً: تأمل المرحلة الأولى {وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ}

.1الطاعة: بوابة الدخول

لاحظ أن الآية بدأت بـ "من يطع الله ورسوله". هذه هي المرحلة الأساسية التي لا غنى عنها. فمن لم يطع الله ورسوله، فلا حديث عن الخشية والتقوى، ولا عن الفلاح.

اسأل نفسك: هل أنت من المطيعين؟ هل تطيع الله في أوامره ونواهيه؟ هل تطيع الرسول ﷺ فيما جاء به؟ هذه هي البداية. بدونها، الطريق مسدود.

.2الطاعة: انقياد وليس اختيارًا

الطاعة في القرآن ليست رأيًا نأخذه أو نتركه. إنها انقياد كامل لمنهج الله. المؤمن لا يقول: "أنا أختار ما أطيعه وما لا أطيعه". المؤمن يطيع في كل شيء، لأنه يعلم أن من أطاع الرسول فقد أطاع الله.

تأمل: هل في حياتك مساحات لا تطيع فيها الله؟ هل هناك أوامر شرعية تشعر أنها "ثقيلة" عليك فتهرب منها؟ الطاعة الحقيقية أن تطيع في السر والعلن، فيما تحب وفيما تكره.

3.الطاعة: استمرارية وثبات

الفعل "يطع" مضارع، يدل على الاستمرارية والتجدد. ليس أن تطيع يومًا وتعصي يومًا، بل تكون الطاعة صفة دائمة في حياتك. كل يوم، في كل موقف، أنت مطيع لله ورسوله.

ثالثاً: تأمل المرحلة الثانية {وَيَخْشَ اللهَ}

1.ما الفرق بين الخوف والخشية؟

قد تظن أن الخشية هي مجرد خوف من الله. ولكن هناك فرقًا عميقًا:

· الخوف: قد يكون خوفًا من العقاب، وقد يكون خوفًا طارئًا.

· الخشية: هي خوف ممزوج بتعظيم وإجلال. إنها الخوف الذي يولد في القلب عندما تعرف عظمة الله وجلاله.

تأمل هذه القاعدة: {إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} (فاطر: 28). أي أن الخشية ثمرة العلم بالله. كلما عرفت الله أكثر، خشيته أكثر. الخشية ليست خوفًا من عقاب فقط، بل هي هيبة وجلال يملأ القلب.

2.الخشية: ثمرة الطاعة

لاحظ الترتيب: الطاعة أولاً، ثم الخشية. لماذا؟ لأن الطاعة تفتح القلب لمعرفة الله. فكلما أطعت الله أكثر، عرفته أكثر، وكلما عرفته أكثر، خشيته أكثر. الطاعة والخشية في علاقة طردية: تزيد الطاعة فتزيد الخشية، وتزيد الخشية فتزيد الطاعة.

اسأل نفسك: هل تشعر بخشية الله في قلبك؟ هل تعظمه حق تعظيمه؟ هل إذا هممت بمعصية، تذكر عظمة الله فتتركها؟ أم أن الطاعة عندك مجرد عادات؟

3.الخشية: خوف يولد حياء

الخشية الحقيقية تولد حياءً من الله. أن تستحي من الله أن يراك حيث نهاك، أو يفقدك حيث أمرك. هذا هو مقام الإحسان الذي أخبر عنه النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".

هل وصلت إلى هذه المرحلة؟ هل تستحي من الله أن تفعل المعصية في الخلوات كما تستحي أن يراك الناس؟

رابعاً: تأمل المرحلة الثالثة {وَيَتَّقْهِ}

1.التقوى: من القلب إلى الواقع

بعد الخشية التي هي حالة قلبية، تأتي التقوى التي تترجم هذه الخشية إلى سلوك عملي. التقوى هي أن تجعل بينك وبين عذاب الله وقاية بفعل الأوامر واجتناب النواهي.

تأمل هذه القاعدة الذهبية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ} (آل عمران: 102). التقوى ليست مجرد مشاعر، بل هي التزام عملي بمنهج الله في كل تفاصيل الحياة.

2.الفرق بين الخشية والتقوى

· الخشية: حالة قلبية، شعور بالتعظيم والإجلال.

· التقوى: سلوك عملي، التزام بأوامر الله واجتناب نواهيه.

الآية جمعت بينهما لتخبرك أن المؤمن الكامل لا يكفيه أن يشعر بخشية في قلبه، بل لابد أن تظهر هذه الخشية في سلوكه. وإ لا، فما فائدة الخشية إن لم تمنعك من المعصية؟

3. {– الضمير يعود على الله وَيَتَّقْهِ}

لاحظ أن الآية قالت: {وَيَخْشَ اللهَ وَيَتَّقْهِ} أي يتق الله. الضمير يعود على الله، وهذا يدل على أن التقوى لا تكون إلا لله وحده. لا تتق الناس، لا تتق الأهواء، لا تتق المصالح. اتق الله وحده.

اسأل نفسك: هل تقوى الله هي التي تحكم قراراتك؟ أم أنك تتقي الناس أكثر مما تتقي الله؟ هل تترك معصية لأن الله نهاك، أم لأن الناس يرونك؟

خامساً: تأمل النتيجة {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ}

1. الفلاح والفوز: ما الفرق؟

في الآية السابقة (51) قال: {وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} (المفلحون). وهنا قال: {فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ} (الفائزون). هل هناك فرق ؟

· الفلاح: هو النجاح والظفر بالمطلوب. وهو يشير إلى النجاح في الدنيا والآخرة.

· الفوز: هو الظفر بالغاية القصوى، وهو دخول الجنة والنجاة من النار.

كأن الآية تقول: المطيعون الذين قالوا سمعنا وأطعنا هم المفلحون (الآية 51). ولكن الذين أضافوا إلى الطاعة الخشية و التقوى، هم الفائزون بالدرجة الأعلى، الفوز الكامل الذي لا يشوبه نقص.

2. {– إشارة إلى البعد والتمييز أُولَئِكَ}

مرة أخرى، نرى كلمة "أولئك" للإشارة إلى البعد. لماذا؟ ليرفع الله هؤلاء المؤمنين إلى مقام عال، وكأنه يقول: انظروا إلى هؤلا ء، إنهم في منزلة عالية، هم المميزون، هم الفائزون حقًا.

3. {– حصر الفوز هُمُ الْفَائِزُونَ}

"هم" للحصر، والفوز معرف بـ "ال" للجنس. أي أن الفوز الحقيقي الكامل لا يكون إلا لهؤلاء. ليس الفوز لمن جمع مالا ً، ولا لمن بنى صروحًا، ولا لمن نال جاهًا. الفوز الحقيقي هو لمن جمع بين الطاعة والخشية والتقوى.

سادساً: الرسائل والتوجيهات الربانية في هذه الآية

الرسالة الأولى: الطاعة وحدها لا تكفي

قد تظن أنك إذا أطعت الله في الصلاة والصيام والحج، فقد بلغت الغاية. ولكن الآية تخبرك أن هناك مرحلة أعلى: الخشية و التقوى. الطاعة الظاهرة مهمة، ولكن الأهم هو أن تصل الطاعة إلى قلبك فتولد خشية، وأن تترجم هذه الخشية إلى تقوى في سلوكك.

الرسالة الثانية: طريق الفوز يبدأ من القلب

الفوز الحقيقي ليس في كثرة الأعمال فقط، بل في صلاح القلب. فالخشية حالة قلبية، والتقوى ثمرة هذه الحالة. لذلك، لا تكتفِ بأن تكون إنسانًا مطيعًا ظاهريًا، بل اجتهد في تطهير قلبك حتى يخشع لله.

الرسالة الثالثة: العلاقة بين الطاعة والمعرفة

الطاعة تزيدك معرفة بـالله، والمعرفة تزيدك خشية، والخشية تزيدك تقوى، والتقوى توصلك إلى الفوز. هذه سلسلة متصلة لا يمكن أن تنقطع. فإذا شعرت أن خشيتك لله ضعيفة، فزد من طاعتك له. وإذا شعرت أن تقواك ضعيفة، فازدد معرفة بـالله.

الرسالة الرابعة: الفوز ثمرة الجمع بين الثلاثة

لاحظ أن الآية لم تكتفِ بذكر الطاعة فقط، ولا الخشية فقط، ولا التقوى فقط. بل جمعت بين الثلاثة. فالفوز الحقيقي لا يتحقق إلا باجتماع:

· طاعة ظاهرة (يطع الله ورسوله)

· خشية باطنة (يخش الله)

· تقوى عملية (يتقه)

من فقد واحدة، فقد جزءًا من الفوز.

سابعًا: القيم والمبادئ التي تغرسها الآية في النفس

1. قيمة الاستمرارية في الطاعة

الآية تعلمك أن الطاعة ليست حدثًا عابرًا، بل هي حياة مستمرة. من يطع الله ورسوله في كل لحظة.

2. قيمة تعظيم الله) الخشية(

الآية تغرس في قلبك عظمة الله وجلاله. أن تعرف أن الله أكبر من كل شيء، وأن هذه المعرفة تتحول إلى خوف وإجلال يملأ قلبك.

3. قيمة الورع والانضباط) التقوى(

التقوى هي أن تجعل بينك وبين المعصية وقاية. الآية تعلمك الانضباط الذاتي، أن تلتزم بأوامر الله حتى في أصغر التفاصيل.

4. قيمة الطموح الروحي

الآية تدفعك إلى عدم القناعة بالقليل. لا تقل: أنا أطيع، هذا يكفي. بل اسعَ إلى مقام الخشية، ثم إلى مقام التقوى، ثم إلى الفوز العظيم.

5. قيمة النزاهة والإخلاص

الطاعة لله وحده، والخشية منه وحده، والتقوى له وحده. الآية تطهر قلبك من الرياء والنفاق، وتجعلك تعبد الله كأنك تراه.

ثامنًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في عباداتك

لا تكتفِ بأداء الصلاة فقط، بل اجتهد أن تكون صلاتك بخشوع وخشية. اشعر وأنت تقف بين يدي الله أنك في مقام العبودية، وأن الله يراك. هذا هو الفرق بين صلاة المطيعين وصلاة الخاشعين.

.2في معاملاتك

عندما تبيع أو تشتري، لا تكتفِ بأن تكون صادقًا فقط (وهذه طاعة). بل اجتهد أن تشعر بخشية الله في قلبك، فتتقي الله في كل تفصيل، فلا تظلم، ولا تغش، ولا تحتال. هذه هي التقوى.

.3في خلواتك

حين تكون وحدك، لا يراك الناس، هل تشعر بخشية الله؟ هل تترك المعصية لأن الله يراك؟ هذا هو معيار خشيتك الحقيقية.

.4في قراراتك المصيرية

عندما تختار طريقًا في حياتك (زواج، وظيفة، هجرة)، لا تسأل فقط: هل هذا حلال؟ (وهذه طاعة). بل اسأل: هل هذا يقربني إلى الله؟ هل سيزيدني خشية؟ هل هو من التقوى؟ هذه معايير أعلى.

.5في علاقتك بالقرآن

لا تكتفِ بقراءة القرآن (وهذه طاعة). بل اجتهد أن تتأمل آياته حتى تزيد معرفتك بالله، فتزيد خشيتك، ثم تتحول هذه الخشية إلى تقوى في سلوكك.

تاسعًا: الفرق بين المؤمنين في الآيات (51) و(52)

الآية 51 تحدثت عن المؤمنين المستجيبين الذين قالوا: سمعنا وأطعنا. وهؤلاء هم المفلحون.

الآية 52 تحدثت عن المؤمنين الكاملين الذين جمعوا إلى الطاعة الخشية والتقوى. وهؤلاء هم الفائزون.

أنت الآن أمام خيار: هل تريد أن تكون من المفلحين فقط؟ أم تريد أن ترتقي إلى مقام الفائزين؟

عاشرًا: دروس مستفادة من الآية في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1في بناء الإنسان

الآية تربي فيك الإنسان المتكامل:

· الذي يطيع الله ظاهرًا (طاعة)

· ويخشى الله باطنًا (خشية)

· ويترجم هذه الخشية إلى سلوك (تقوى)

هذا هو الإنسان الذي وصل إلى مرحلة الإحسان، التي قال عنها النبي ﷺ: "أن تعبد الله كأنك تراه".

.2في بناء المجتمع

المجتمع الذي يسوده أفراد بهذه الصفات هو مجتمع:

· مطيع لله: فيلتزم بحدوده.

· خاش لله: فيشعر بالرقابة الذاتية، فلا يحتاج إلى شرطي يراقبه.

· تقي: فيبتعد عن الفواحش والظلم والغش.

هذا المجتمع هو المجتمع الذي يستحق أن يُسمى المجتمع الفائز.

.3في بناء الحضارة

أي حضارة تنهض لا بد أن تقوم على:

· الانضباط الأخلاقي: وهو ثمرة الطاعة.

· النزاهة والشفافية: وهما ثمرة الخشية.

· العدل والإحسان: وهما ثمرة التقوى.

الحضارة الإسلامية في عصرها الذهبي قامت على رجال كانوا يجمعون بين الطاعة والخشية والتقوى. عُمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يطوف ليلا ً يتفقد الرعية، وكان يخشى الله حتى أنه كان يُرى الخيط الأسود في خده من كثرة البكاء. هذا هو الفائزون.

حادي عشر: كيف تجعل هذه الآية واقعًا في حياتك؟

الخطوة الأولى: ابدأ بالطاعة

لا تنتظر أن تصل إلى مقام الخشية والتقوى ثم تطيع. ابدأ بالطاعة الآن، ولو كانت جافة. فالطاعة هي التي ستفتح قلبك للخشية.

الخطوة الثانية: اطلب العلم

الخشية تأتي من العلم بالله. اقرأ في أسماء الله الحسنى، وتأمل في عظمة الله، وفي خلقه، وفي رحمته. كلما عرفت الله أكثر، خشيته أكثر.

الخطوة الثالثة: راقب قلبك

في كل لحظة، اسأل نفسك: هل قلبي خاشع لله؟ هل أشعر بهيبته؟ إن شعرت بجفاف، فاجتهد في الطاعة والدعاء.

الخطوة الرابعة: طبّق التقوى في التفاصيل

لا تنتظر مواقف كبيرة لتظهر تقواك. اجعل التقوى في أصغر الأمور: في كلمتك، في نظرتك، في أكلتك، في شربتك. من اتقى الله في الصغائر، أعانه الله على الكبائر.

الخطوة الخامسة: ادعُ بالثبات

اسأل الله دائمًا: "اللّهم اجعلني من الذين يطيعونك ويخشونك ويتقونك، واجعلني من الفائزين".

خلاصة القول: أنت مدعو إلى مقام الفائزين

هذه الآية ترفع سقف طموحك الإيماني. لا تكتفِ بأن تكون مجرد مسلم مطيع. هذه مرحلة، ولكنها ليست النهاية. الله يدعوك إلى مقام أعلى: أن تخشاه في قلبك، وأن تتقيه في سلوكك، وأن تكون من الفائزين.

تأمل هذه الكلمات: الطاعة وحدها قد لا تكفي لتكون من الفائزين. ولكن الطاعة التي تلد خشية، والخشية التي تلد تقوى، هي التي توصل إلى الفوز.

وأنت الآن.. أين أنت من هذه المراحل؟

· هل أنت في مرحلة الطاعة؟ مبارك، ولكن لا تقف.

· هل وصلت إلى مرحلة الخشية؟ عظيم، ولكن هناك خطوة أخرى.

· هل أنت في مرحلة التقوى؟ هذا هو الطريق إلى الفوز.

لا تكن ممن يكتفون بالقليل. كن من الذين يريدون الفوز الكامل.

القسم الثالث

مقدمة الآيات (53-57) من سورة النور

من أقسم الأيمان.. إلى وعد الاستخلاف.. رحلة المواجهة والحسم

بعد أن رسمت الآيات السابقة (47-52) خطًا فاصلًا لا يقبل اللبس بين فريقين: فريق المنافقين الذين يقولون آمنا بألسنتهم ثم يتولون عن حكم الله، ولا يأتون إليه مذعنين إلا إذا كان الحق لهم، وفي قلوبهم مرض أو ريب أو سوء ظن بالله ورسوله – وفريق المؤمنين الصادقين الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا: سمعنا وأطعنا، ثم ارتقوا إلى مقام الخشية والتقوى فكانوا من الفائزين.

هذا التمايز الحاد بين الفريقين يقودنا إلى مشهد جديد، مشهد لا يقل خطورة: مشهد الأيمان الكاذبة والوعود المنمقة. فـ المنافقون – بعد أن فضحهم الله وأظهر أمرهم – لم يكتفوا بالتولي والإعراض، بل أخذوا يلفقون الأعذار، ويبذلون أغلظ الأ يمان، ويقسمون بالله جهد أيمانهم: لو أمرتنا لخرجنا، لو كلفتنا لفعلنا.

هنا تأتي الآية (53) لتكشف عن هذه المناورة الخبيثة، وتضع يدها على جرح النفاق العملي: أن تجعل الأيمان غطاءً للتخلف، والوعود ستارًا للتقصير. إنها تفضح المفارقة العجيبة بين قولهم "لو أمرتنا لخرجنا" وفعلهم أنهم لم يخرجوا حين أمرهم الله ورسوله حقًا. وفي لمسة بيانية بديعة، يرد الله عليهم: {قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ}. أي: لا حاجة لكم بهذه الأيمان، فـ المطلوب منكم طاعة معروفة واضحة، تظهر في السلوك لا في الأقوال. ثم يختم الآية بجملة مرعبة: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}، ليقطع عليهم كل عذر، وليذكرهم أن الله يعلم حقيقة أعمالهم، لا أقوالهم.

ثم تنتقل الآية (54) إلى الموقف الحاسم، الموقف الذي يضع كل شيء في نصابه. إنها تأمر النبي ﷺ أن يقول للناس: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}. هذا هو الطريق الواضح، لا طريق غيره. ثم تضع الآية قاعدة المسؤولية العظيمة: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ}. أي: لكل مسؤوليته. الرسول عليه البلاغ المبين، وأنتم عليكم الطاعة أو التولي بمسؤوليته. لا يحمل أحد وزر الآخر. ثم تقدم وعدًا إلهيًا بليغًا: {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}، لتعلم أن الطاعة هي الطريق الوحيد إلى الهداية. وتختم بتذكير أن الرسول ليس عليه إلا البلاغ المبين، فلا عذر لأحد بعد أن بلغ.

وبعد هذا التحديد الواضح للمسؤوليات، تأتي الآية (55) لتفتح أفقًا جديدًا من الأمل والطموح. إنها ليست مجرد تهديد للمخالفين، بل هي وعد عظيم للمؤمنين. إنها تقول لمن آمنوا حقًا وعملوا الصالحات: إن الله وعدكم – وهو لا يخلف وعده – أن يجعل منكم خلفاء في الأرض، وأن يمكن لدينكم الذي ارتضاه لكم، وأن يبدل خوفكم أمنًا، حتى تعبدوه لا تشركوا به شيئًا. هذه الآية هي دستور الاستخلاف في الأرض، وهي النموذج القرآني للنهضة الحضارية: إيمان وعمل صالح يؤديان إلى تمكين واستخلاف وأمن، وغايته العبادة الخالصة لله.

إنها تضع أمام المؤمنين أفقًا لا حدود له: أن يكونوا قادة للبشرية، وأن يقيموا دين الله في الأرض، وأن يعيشوا في أمن

وطمأنينة. ولكنها تحذر في الوقت نفسه: {وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ}. فمن نكث العهد بعد هذا الوعد العظيم، فهو من الفاسقين الخارجين عن طاعة الله.

ثم تأتي الآية (56) لتذكر بـ المفاتيح العملية لهذا الوعد العظيم. إنها لا تترك المؤمنين في انتظار سلبي، بل تأمرهم: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}. هذه هي الأعمال التي بها تستحقون الرحمة، وبالرحمة تصلون إلى الاستخلاف والتمكين والأمن. إنها ثلاث ركائز: صلة بـالله (الصلاة)، وتكافل مع المجتمع (الزكاة)، وانضباط مع القيادة (طاعة الرسول). فإذا أقمتم هذه الثلاث، رحمكم الله، وإذا رحمكم الله، استخلفكم في الأرض ومكن لدينكم وأبدل خوفكم أمنًا.

وأخيرًا، تأتي الآية (57) لتقطع الطريق على كل من يظن أن قوة الكافرين تعجز الله، أو أنهم سيفلتون من عقابه. إنها تخاطب النبي ﷺ والمؤمنين: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}. لا تظنوا أنهم فاتوا الله، أو أنهم سينتصرون في النهاية. مهما أوتوا من قوة وجنود وأموال، فهم في قبضة الله، لا يخرجون عن قدرته. ومصيرهم {النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. إنها طمأنة للمؤمنين بأن النصر آتٍ لا محالة، وأن العاقبة للمتقين، وأن الكافرين وإن طغوا فإن مصيرهم النار وبئس المصير.

العلاقة بين الآيات (53-57)

هذه الآيات الخمس تشكل وحدة موضوعية متكاملة، تبدأ بكشف مناورة المنافقين بالأيمان الكاذبة، ثم تحدد المسؤوليات بوضوح، ثم تفتح وعد الاستخلاف والتمكين للمؤمنين، ثم تذكرهم بالمفاتيح العملية لهذا الوعد، وتختم بطمأنتهم أن الكافرين لن يعجزوا الله. إنها رحلة متكاملة:

· آية 53: كشف الغطاء عن المنافقين الذين يتخذون الأيمان ستارًا لتخلفهم.

· آية 54: تحديد المسؤوليات بوضوح: على الرسول البلاغ، وعلى الناس الطاعة.

· آية 55: فتح أفق الأمل والوعد العظيم بالاستخلاف والتمكين والأمن.

· آية 56: تذكير بالمفاتيح العملية لتحقيق هذا الوعد: الصلاة والزكاة وطاعة الرسول.

· آية 57: طمأنة المؤمنين بأن الكافرين لن يعجزوا الله، وأن مصيرهم النار.

إنها بمثابة برنامج عمل متكامل: تطهير الصف من المنافقين (53)، وتحديد الواجبات (54)، ثم وضع الهدف الأسمى (55)، ثم بيان وسائل تحقيق الهدف (56)، ثم طمأنة القلوب من عوائق الطريق (57).

الأسلوب القرآني في الانتقال

لاحظ جمال النظم القرآني في هذا المقطع: بعد أن كان الحديث في الآيات السابقة (47-52) عن صفات المنافقين والمؤمنين ، ينتقل هنا إلى مواجهة المنافقين في سلوكهم العملي (الأيمان الكاذبة)، ثم ينتقل إلى تحديد الواجبات بصيغة الأمر المباشر، ثم إلى فتح أفق الوعد الذي يبعث الأمل، ثم إلى التذكير بالوسائل العملية، ثم إلى الطمأنينة والتحذير في الختام.

وهذا الانتقال يعكس شمولية المنهج القرآني، الذي لا يكتفي بالكشف والتحليل، بل يقدم الحلول، ويرسم الأهداف، ويذكر بـ الوسائل، ويطمئن القلوب.

ما تحمله هذه المقدمة من معانٍ

هذه المقدمة تحمل في طياتها:

1. الربط العضوي بين الآيات الخمس، وإبراز أنها تشكل وحدة موضوعية متكاملة.

2. بيان التدرج في الآيات من كشف المنافقين إلى تحديد الواجبات إلى فتح الأفق إلى التذكير بالوسائل إلى الطمأنينة.

3. إبراز القيم الكبرى التي تدعو إليها هذه الآيات: الصدق في الأيمان، والطاعة لله والرسول، والاستخلاف في الأرض، والصلا ة والزكاة، والأمن، والثقة بوعد الله.

4. توجيه الخطاب إلى القارئ ليجعله يتفاعل مع هذه الآيات، ويشعر أنه مدعو إلى تطهير نفسه من النفاق، والالتزام بالطاعة، والسعي إلى الاستخلاف، والمبادرة إلى الصلاة والزكاة، والثقة بأن النصر للمؤمنين.

5. التمهيد للتفسير التفصيلي لكل آية على حدة، مع استحضار الأسلوب الذي يخاطب العقل والوجدان، ويجعل القارئ يشعر أن الآيات تنزل عليه الآن.

وبهذا تكون المقدمة قد أعدت القارئ لرحلة تفسيرية عميقة، تجعله يعيش مع كل آية، ويتفاعل مع معانيها، ويستشعر أنها تخاطبه هو شخصيًا، وتدعوه إلى أن يكون من المؤمنين الصادقين الذين يستحقون وعد الله بالاستخلاف والتمكين والأمن.

اولا

{وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ} (النور: 53)

المقدمة: عندما تصبح الأيمان غطاءً للنفاق

هل تعرف ذلك المشهد؟ أن ترى إنسانًا يقف أمامك، يرفع يده إلى السماء، يقسم أغلظ الأيمان، يكرر الوعود، يقطع العهود. كلماته تنمّ عن صدق، ووجهه يفيض ثقة، وصوته يحمل إصرارًا. ولكن في داخلك، تشعر بشيء لا تستطيع تفسيره. تشعر أن هناك فجوة بين هذه الأيمان وبين ما تعرفه عن هذا الإنسان. تشعر أن هذه الأيمان ليست صادقة، وأنها مجرد ستار يخفي وراءه شيئًا آخر.

هذا المشهد الذي قد تمر به في حياتك، هو نفسه المشهد الذي تصوره لنا هذه الآية. المنافقون الذين كشف الله أمرهم في الآ يات السابقة، الذين يقولون آمنا ثم يتولون، الذين يعرضون عن حكم الله، الذين لا يأتون إلا إذا كان الحق لهم، الذين في قلوبهم مرض أو ريب أو سوء ظن بالله – هؤلاء أنفسهم، يأتون الآن بأغلظ الأيمان. يقسمون بالله جهد أيمانهم: لو أمرتهم بالخروج للجهاد، ليخرجن. إنهم يحاولون أن يظهروا بمظهر المخلصين الأوفياء.

لكن الله – وهو العليم بخفايا الصدور – يفضحهم. لا بكشف مباشر فقط، بل بجملة واحدة حاسمة: {قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ}. وكأنه يقول: لا تحتاجوا إلى الأيمان. الطاعة المعروفة لا تحتاج إلى قسم. الذي يطيع حقًا، يُعرف بطاعته، لا بأقسمه. ثم يختم الآية بجملة مرعبة: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}.

تأمل هذه الآية كأنها تنزل عليك الآن. لا تمر عليها مرورًا. قف عندها. فهي ليست عن المنافقين فقط. إنها عنك وعني. كم مرة أقسمنا على أشياء، وقلوبنا ليست مع الأيمان؟ كم مرة وعدنا وقطعنا عهودًا، ثم تخلينا عنها عندما جاء وقت التنفيذ؟ كم مرة أظهرنا لأنفسنا وللآخرين أننا على استعداد للتضحية، ولكن عندما جاء الاختبار الحقيقي، وجدنا أنفسنا نتراجع؟

هذه الآية تضع يدك على جرح عميق في النفس البشرية: التفريق بين الادعاء والصدق، بين القول والفعل، بين الأيمان و الطاعة.

تعال نغوص في هذه الآية. لن نقرأها فقط، بل سنعيشها. سنتأمل ألفاظها، ونحلل تراكيبها، ونتذوق جمالها البياني، ونتدبر دلا لاتها التجويدية، لنخرج منها برسالة تغير حياتنا.

أولا ً: تأمل المشهد الأول {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}

1/(ويحلفون) فعل مضارع يدل على الاستمرار

الفعل المضارع "يحلفون" ليس حدثًا عابرًا. إنه سلوك مستمر لهم. كلما دُعوا إلى طاعة، أتوا بأيمانهم. هذه صفة راسخة فيهم:

يستخدمون الأيمان كغطاء لضعف إيمانهم.

اللمسة البلاغية: الفعل المضارع هنا يفيد التكرار والاستمرار. إنها ليست حادثة واحدة، بل هي أسلوب حياة. كلما احتاجوا إلى إظهار الإخلاص، أخرجوا أيمانهم من جعبتهم.

اسأل نفسك: هل أنت ممن يكثرون الأيمان في كلامهم؟ هل تجد نفسك مضطرًا إلى أن تقسم لتثبت صدقك؟ المؤمن الصادق يُعرف بصدقه، لا بأقسامه.

2. {جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ بِاللَّهِ} – أشد الأيمان وأغلظها

"جهد أيمانهم" يعني أقصى ما يمكن من الاجتهاد في الأيمان، أي أشدها وأغلظها. إنهم لا يقسمون قسمًا عاديًا، بل يأتون بأغلظ الأيمان التي يمكن أن يقسم بها إنسان. يقولون: "والله العظيم، رب السماوات والأرض، الذي لا إله إلا هو، إن أمرتنا لنخرجن".

اللمسة البلاغية: جاءت "جهد أيمانهم" نكرة في سياق الإضافة، للدلالة على المبالغة. كأنه يقول: هم يبذلون غاية جهدهم في الأيمان. وهذا يدل على أنهم يعلمون أنهم كاذبون، فيحاولون تعويض الكذب بغلظة القسم.

تأمل: لماذا يحتاج الإنسان إلى أغلظ الأيمان؟ لأنه يعلم أن الناس قد لا يصدقونه. فإذا كان صادقًا، فصدقه يكفيه. أما الكاذب، فيحتاج إلى غطاء ثقيل ليخفي كذبه.

3. بيان اللمسات التجويدية

عند تلاوة {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ}، تأمل:

· إدغام النون في الواو في "يحلفون بالله" – صوت متصل يخرج من الخيشوم، كأنه يعطي إحساسًا باستمرارية هذا السلوك، وكأنه يتصل بعضه ببعض.

· تفخيم لفظ الجلالة "الله" – عند النطق باسم الله في هذا السياق، هناك تناقض عجيب: هم يقسمون باسمه العظيم وهم كاذبون. هذا التفخيم في التلاوة يزيد من وقع المفارقة: كيف يقسمون بهذا الاسم العظيم وهم لا يخافونه؟

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات التجويدية تجعل السامع يشعر بثقل الموقف. أن يقسم الإنسان بالله – وهذا الاسم المفخم المعظم – ثم يكون كاذبًا. إنها جريمة في حق عظمة الله.

ثانياً: تأمل المشهد الثاني {لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ}

1. {لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ} – الشرط الذي لا ينوي تحقيقه

هؤلاء المنافقون يقسمون: لو أمرتهم – يا محمد – بالخروج للجهاد، ليخرجن. إنهم يضعون شرطًا، ويؤكدون الجواب بـ "لام القسم" و "نون التوكيد الثقيلة". كل هذا التأكيد ليظهروا بمظهر المطيعين المخلصين.

اللمسة البلاغية: لاحظ التوكيدات المتتالية:

· اللام في "لئن" (لام القسم)

· اللام في "ليخرجن" (لام جواب القسم)

· نون التوكيد الثقيلة في "ليخرجن"

هذه التوكيدات الثلاثة في جملة واحدة تعطي أعلى درجات التأكيد. ولكن المفارقة أن كل هذا التأكيد على كذب. إنه أسلوب بلاغي رائع يظهر فجوة بين قوة الألفاظ وضعف المعنى.

تأمل: أحيانًا نجد أنفسنا نؤكد كلامنا أكثر مما ينبغي. لماذا؟ لأننا نشعر داخليًا أن هناك ضعفًا، فنحاول تعويضه بالتوكيد. المؤمن الصادق لا يحتاج إلى هذا كله.

2. {لَيَخْرُجُنَّ} – نون التوكيد الثقيلة

نون التوكيد الثقيلة من أقوى أدوات التأكيد في اللغة العربية. إنها تأتي في الأفعال لتؤكد وقوعها تأكيدًا لا يقبل الشك. ولكن هنا، هذا التأكيد على شيء لن يحدث. المفارقة قوية جدًا: أقوى أدوات التأكيد تستخدم لتأكيد الكذب.

اللمسة التجويدية: نون التوكيد الثقيلة تُنطق بتشديد كبير، وكأنها تريد أن تغرس في السامع أن هذا الفعل سيحدث حتمًا. ولكن حين يعلم السامع (من خلال الآية) أنهم كاذبون، فإن هذا التشديد يصبح مأساة: كل هذا التأكيد، وكل هذه العظمة اللفظية، تذهب هباءً.

3. ما الذي يقسمون عليه؟ الخروج للجهاد

السياق الذي نزلت فيه الآية هو غزوة تبوك، حيث أمر النبي ﷺ المسلمين بالخروج للجهاد في وقت شاق: حر شديد، قلة زاد، بعد قطوف الثمار. تخلف كثير من المنافقين، ثم جاءوا يعتذرون ويحلفون. فقال الله هذه الآية.

الرسالة: أسهل شيء هو القول: "لو أمرتنا لخرجنا". ولكن الفعل الحقيقي هو أن تخرج حين يُطلب منك. الأيمان لا تسقط التكليف. الطاعة الحقيقية هي التي تظهر في الميدان، لا في الكلام.

ثالثًا: تأمل الأمر الإلهي {قُلْ لَا تُقْسِمُوا}

1. {قُلْ} – أمر للنبي، وتوجيه للأمة

الله يأمر نبيه أن يقول للمنافقين: {لَا تُقْسِمُوا}. هذا أمر بالكف عن الأيمان. إنه تعليم لكل من يتخذ الأيمان غطاءً لنفاقه.

الرسالة لك: عندما تجد نفسك مضطرًا إلى كثرة الأيمان لتثبت صدقك، فتوقف. اعلم أن هناك خللاً في صدقك. المؤمن الصادق يعرفه الناس بصدقه، لا بأقسامه.

2. {لَا تُقْسِمُوا} – النهي عن الأيمان

لماذا نهاهم الله عن الأيمان؟ لأن الأيمان في هذا الموضع أصبحت غطاءً للنفاق، وأداة للخداع. وقد ورد في الحديث: "من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت". ولكن هنا النهي أشد: لا تقسموا مطلقًا. لأن أيمانهم ليست لله، بل لأغراضهم الدنيوية.

3. اللمسة البلاغية: النهي المطلق

جاء النهي بصيغة المضارع المجزوم "لا تقسموا"، وهو نهي مطلق. لا تتركوا نوعًا من الأيمان، ولا تقسموا في هذا الموقف أبدًا. هذا النهي يقطع الطريق على كل من يريد أن يتخذ الأيمان وسيلة للهروب من التكليف.

رابعًا: تأمل التعقيب الحاسم {طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ}

هذه العبارة هي قلب الآية وروحها. إنها جملة قصيرة، ولكنها تحمل أعمق المعاني.

} .1طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ {– خبر لمبتدأ محذوف

التقدير: "طاعتكم طاعة معروفة" أو "المطلوب منكم طاعة معروفة". أي أن الله لا يطلب منكم أيمانًا، إنما يطلب منكم طاعة معروفة ظاهرة، لا تحتاج إلى قسم ولا إلى توكيد.

اللمسة البلاغية: حذف المبتدأ وإبقاء الخبر يفيد الحصر والاختصار. كأنه يقول: ليس المطلوب أيمانًا، المطلوب طاعة. وليست أي طاعة، بل طاعة معروفة واضحة لا لبس فيها.

} .2مَعْرُوفَةٌ {– صفة الطاعة الحقيقية

"معروفة" تحمل معانٍ متعددة:

· معروفة بالعقل: يعرفها الناس ولا ينكرونها.

· معروفة بالشرع: واضحة في دين الله.

· معروفة بالواقع: يراها الناس في سلوكك، لا يسمعونها فقط في أيمانك.

الرسالة العظيمة: الطاعة الحقيقية لا تحتاج إلى إعلان ولا إلى قسم. هي معروفة من سلوكك. لا تقل: "أنا على استعداد للتضحية"، بل أظهر التضحية في أفعالك. لا تقل: "لو أمرتني لفعلت"، بل افعل حين يؤمر.

.3الفرق بين "طاعة معروفة" و "أيمان مؤكدة"

هذه الآية تضع أمامك معيارًا حاسمًا للتمييز بين المؤمن الصادق والمنافق:

· المنافق: يقول "والله لو أمرتني لفعلت" – كثير الأيمان، قليل العمل.

· المؤمن: يُعرف بطاعته، لا بأقسامه. لا يحتاج إلى أن يقسم لأنه معروف بالصدق.

اسأل نفسك: هل أنت ممن يعرفون بطاعتك؟ أم أنك ممن يحتاج إلى أن تقسم لتثبت أنك مطيع؟

خامسًا: تأمل الخاتمة المرعبة {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}

} .1خَبِيرٌ {– أعلى درجات العلم

"خبير" صيغة مبالغة من الخبرة. وهي تدل على أن الله عالم بدقائق أعمالكم، بما تظهرون وبما تبطنون. هو يعلم:

· ما في قلوبكم من مرض أو ريب.

· ما في ألسنتكم من أيمان كاذبة.

· ما في جوارحكم من تقصير وتخلف.

اللمسة البلاغية: اختيار لفظ "خبير" بدلًا من "عليم" أو "سميع" أو "بصير". "خبير" تدل على العلم بدقائق الأمور وخباياها. والله خبير بأعمالهم: يعلم أنها ليست طاعة، بل هي أقوال تخالف أفعالًا.

} .2بِمَا تَعْمَلُونَ {– عمل وليس قولًا

لاحظ أن الله قال: {بِمَا تَعْمَلُونَ} (بما تعملون) وليس "بما تقولون". لأن الأيمان التي يقسمونها هي من القول، ولكن الله

يخبرهم أنه خبير بأعمالهم. فالأيمان وحدها لا تنفع إذا كانت الأعمال تخالفها.

الرسالة القوية: يوم القيامة، لن يُسأل الإنسان: ماذا كنت تقول؟ بل يُسأل: ماذا كنت تعمل؟ الأيمان الكثيرة لا تنفع إذا كانت الأ عمال خالية. والعمل الصالح هو الذي ينفع، ولو لم تقسم عليه.

3.اللمسة التجويدية في الخاتمة

عند تلاوة {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}:

· إدغام النون في اللام في "إِنَّ اللَّه" – صوت متصل كأنه يؤكد على أن علم الله محيط بكل شيء.

· المد الطبيعي في "خَبِيرٌ" – يمد الصوت قليلا ً، وكأنه يوسع دائرة العلم الإلهي ليشمل كل شيء.

· الوقف على "تَعْمَلُونَ" – الوقف هنا يترك في النفس أثرًا من الخوف والمراقبة. وكأن الله يقول: انتهى الكلام، وتبقى أنت تحت مراقبتي.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل السامع يشعر بأن الله مطلع عليه، عليم بدقائق عمله، خبير بكل ما يفعله. وهذا يولد في النفس خشية عظيمة.

سادساً: المفاهيم والدروس المستفادة من الآية

1.مفهوم النفاق العملي: بين القول والفعل

الآية تكشف أن النفاق ليس فقط في الكفر الباطن، بل في الفجوة بين القول والفعل. هؤلاء قالوا: "لو أمرتنا لخرجنا"، لكنهم لم يخرجوا حين أمرهم. هذا هو النفاق العملي.

التطبيق في حياتك: كم مرة وعدت نفسك أو وعدت الله أن تفعل شيئًا ثم تخلفت؟ كم مرة قلت: "لو أن الله أمرني لفعلت" وأنت تعلم أنه أمرك فلم تفعل؟ كن صادقًا مع نفسك: هل تقول ما لا تفعل؟

2.مفهوم الأيمان: غطاء أم دليل؟

الأيمان في الإسلام لها مكانة عظيمة، وقد أمر الله أن نحلف به. ولكن الآية تحذر من أن تصبح الأيمان غطاءً للنفاق، أو وسيلة للهروب من التكليف.

التطبيق: لا تكن ممن يكثرون الأيمان في معاملاتهم. كن صادقًا حتى تعرف بصدقك، فلا تحتاج إلى أن تقسم. وإذا احتجت إلى القسم، فاجعله لله، ولا تجعله غطاءً لكذب.

3.مفهوم الطاعة المعروفة: الشفافية في الدين

"طاعة معروفة" تعني أن تكون طاعتك واضحة، ظاهرة، لا تحتاج إلى تفسير. لا تكن من الذين يطيعون في الخفاء ويعصون في العلن. اجعل طاعتك معروفة للناس، ليس رياءً، بل لتكون قدوة.

التطبيق: هل طاعتك معروفة؟ هل الناس يعرفون أنك تصلي؟ أنك تصوم؟ أنك تلتزم بأخلاق الإسلام؟ أم أنك مسلم في الخفاء، وعندما تخرج إلى الناس، تخلع إسلامك؟

4.مفهوم علم الله: الخبرة بما نعمل

الله ليس فقط عالماً بأعمالنا، بل خبير بها. يعلم دوافعنا، ونياتنا، وأسرارنا. هذا يضعنا أمام مسؤولية عظيمة: أن نراقب الله

في أعمالنا.

التطبيق: كلما أردت أن تفعل شيئًا، تذكر أن الله خبير بما تعمل. لا تخف من الناس، بل اخف الله. واعلم أن الله يعلم ما تخفي صدورك.

سابعًا: اللمسات البلاغية والتجويدية ودورها في خدمة المعاني

1. التوكيدات المتتالية

استخدمت الآية أعلى درجات التوكيد (القسم، لام القسم، نون التوكيد) لتؤكد على كذبهم. هذا أسلوب بلاغي بديع: كلما زاد التأكيد في اللفظ، زادت المفارقة مع الواقع. وهذا يزيد في توبيخهم وتعريتهم.

2. النهي المطلق عن الأيمان

جاء النهي بصيغة المضارع المجزوم "لا تقسموا" وهو أقوى صيغ النهي. هذا يدل على أن الله يريد قطع هذه الظاهرة من جذورها. لا أيمان في هذا المقام، بل طاعة.

3. الإيجاز في "طاعة معروفة"

جملة قصيرة، ولكنها تحمل معاني عظيمة. هذا من إعجاز القرآن البلاغي: الإيجاز الذي لا يخل بالمعنى، بل يزيده قوة وإحكامًا.

4. اختيار لفظ "خبير" بدلًا من "عليم"

"خبير" تفيد العلم بدقائق الأمور. وهذا مناسب جدًا للمقام، لأنهم يحاولون إخفاء كذبهم خلف أيمان غليظة، فالله يخبرهم أنه خبير بما يبطنون.

5. دلالات التجويد

· إدغام النون في الواو في "يحلفون بالله" : يخلق إحساسًا بالاستمرارية والاتصال، وكأن هذا السلوك ملتصق بهم.

· تفخيم لفظ الجلالة : يؤكد عظمة من يقسمون به وهم كاذبون.

· نون التوكيد الثقيلة : تترك في النفس إحساسًا بالثقل، وكأن الكذب يثقل على القائل.

· المد في "خبير" : يوسع دائرة العلم الإلهي.

· الوقف على "تعملون" : يترك أثرًا من الخوف والمراقبة في نفس السامع.

ثامنًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في وعودك للناس

عندما تعد أحدًا بشيء، لا تكثر الأيمان. كن صادقًا حتى يعرف الناس أن وعدك هو دين. قال النبي ﷺ: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان". فلا تكن من الذين يكثرون الأيمان ليغطوا على إخلالهم بالوعود.

2. في التزاماتك الدينية

لا تقل: "لو أن الله أمرني بكذا لفعلت". الله قد أمرك بالصلاة، فهل تصلي؟ أمرك بالزكاة، فهل تؤديها؟ أمرك بغض البصر، فهل

تغض؟ لا تنتظر أمرًا جديدًا، بل أنفذ ما أمرك به الآن.

.3في اختبارات الحياة

قد يمر بك موقف صعب، وتشعر أنك مضطر إلى أن تقسم لتثبت موقفك. تذكر هذه الآية: {لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ}. الصدق معروف، والطاعة معروفة. لا تحتاج إلى قسم إذا كنت صادقًا.

.4في مراقبة الله

كلما أردت أن تفعل شيئًا في الخفاء، تذكر: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. لا يخفى عليه شيء. هذه الآية تربي فيك المراقبة الذاتية، أن تشعر بأن الله معك في كل لحظة.

.5في توبتك من النفاق

إن كنت تجد في نفسك شيئًا من هذه الصفات – كثرة الأيمان، أو الفجوة بين القول والفعل – فتب إلى الله. النفاق ليس قدرًا محتومًا، بل هو مرض يشفى بالتوبة والصدق والعمل.

تاسعًا: دروس في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء الإنسان الصادق

الآية تربي في الإنسان الصدق الذي يغنيه عن الأيمان. الإنسان الصادق هو الذي:

· لا يحتاج إلى قسم لأن صدقه معروف.

· لا يتكلف في الكلام لأنه يعيش الحقيقة.

· لا يخاف من كشف أمره لأنه لا يخفي شيئًا.

.2بناء المجتمع الشفاف

المجتمع الذي يسوده الصدق هو مجتمع لا يحتاج إلى أيمان وعقود معقدة. الناس يثقون ببعضهم، وتقل الخصومات، وتنمو الثقة. هذه هي الشفافية الاجتماعية التي تغرسها الآية.

.3بناء الحضارة على العمل لا على الأقوال

أي حضارة تنهض لا بد أن تقوم على العمل، لا على الشعارات والأقوال. الآية تعلمنا أن الطاعة المعروفة هي التي تظهر في الواقع، لا في الأقوال والأيمان. هذا هو أساس النهضة الحقيقية.

عاشرًا: العلاقة بين الآية 53 وما قبلها

الآيات السابقة (47-52) رسمت صورة المنافق:

· 47: يقول آمنا ثم يتولى.

· 48: إذا دُعي إلى حكم الله أعرض.

· 49: إن كان الحق له جاء مذعنًا.

· 50: بسبب مرض أو ريب أو سوء ظن.

· 51: المؤمنون يقولون سمعنا وأطعنا.

· 52: المؤمنون الكاملون يضيفون الخشية والتقوى.

ثم تأتي هذه الآية (53) لتكشف عن أداة المنافقين في تغطية نفاقهم: الأيمان الغليظة. إنها تتوج الصورة: منافقون، يتولون عن الطاعة، ويعرضون عن الحكم، ويدفعون عن أنفسهم بالأيمان الكاذبة.

خلاصة القول: أنت أمام خيارين

هذه الآية تضعك أمام خيارين واضحين:

الخيار الأول: أن تكون ممن يكثرون الأيمان ليغطوا على تقصيرهم. تقول: "لو أمرتني لفعلت" وأنت لم تفعل. تقسم بالله وأنت تعلم أنك لن تفي. هذا طريق المنافقين.

الخيار الثاني: أن تكون ممن تعرف طاعتهم، فلا تحتاج إلى أيمان. أن تكون صادقًا حتى يعرف الناس صدقك. أن تكون ممن يطيع الله في السر والعلن، فلا يحتاج إلى أن يقسم لأنه معروف بالطاعة.

أيهما تختار؟

تذكر: {إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ}. هو يعلم ما في قلبك. يعلم إن كنت صادقًا أم كاذبًا. يعلم إن كنت ممن يقولون "لو أمرتنا لخرجنا" أم ممن يخرجون حين يؤمرون.

لا تجعل الأيمان غطاءً لنفاقك. كن صادقًا مع الله، ومع نفسك، ومع الناس. واجعل طاعتك معروفة، لا محتاجة إلى قسم. وثق أن الله خبير بك، وهو سيجازيك على صدقك أو كذبك.

اللهم اجعلنا من الصادقين، الذين تُعرف طاعتهم، ولا يحتاجون إلى أيمان. اللهم اجعلنا من الذين يطيعونك في السر والعلن. اللهم إنا نسألك صدق اللسان، وصدق القلب، وصدق العمل. إنك خبير بما نعمل.

ثانيا

{قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ} (النور: 54)

المقدمة: رسالة ختامية تفصل الخطاب

بعد أن استعرضنا في الآيات السابقة (47-53) مشاهد متعددة من نفاق المنافقين: يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن حكم الله، لا يأتون إلا إذا كان الحق لهم، يقسمون أغلظ الأيمان أنهم لو أمروا لخرجوا. بعد كل هذا، تأتي هذه الآية لتكون الفاصلة الحاسمة، والخطاب الختامي الذي يقطع الطريق على كل من يدعي الإيمان بقلبه ويخالفه بفعله.

تأمل معي هذه الآية كأنها نزلت الآن، تخاطبك أنت شخصيًا. إنها تأمرك بأمرين واضحين: {أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}. ثم تخبرك بنتيجة التولي: أن كلًا سيتحمل تبعاته. ثم تبشرك بنتيجة الطاعة: الهداية. ثم تريحك: الرسول عليه البلاغ فقط، وأنت عليك المسؤولية.

هذه الآية هي منظومة متكاملة للحياة الإسلامية: طاعة، مسؤولية، هداية، وتبليغ. إنها تعالج القلق الذي قد يشعر به المؤمن تجاه من يتولون، وتضع الأمور في نصابها: أنت مطالب بالطاعة، والرسول مطالب بالبلاغ، والله هو المحاسب.

تعال نغوص في هذه الآية. لن نمر عليها مرورًا سريعًا. بل سنقف عند كل كلمة، ونتأمل كل حرف، ونعيش كل معنى، لنخرج منها ببوصلة تهدينا في حياتنا.

أولا ً: تأمل البداية {قلْ أطِيعُوا اللهَ وأَطِيعُوا الرّسُولَ}

} .1قلْ {– توجيه إلهي للنبي، وتعليم للأمة

الله يأمر نبيه أن يقول. وهذا يعني أن هذا الخطاب ليس خاصًا بالنبي ﷺ، بل هو خطاب موجه منه إلى الأمة كلها. {قلْ} تفيد أن هذا هو المنهج الرسمي الذي يجب أن يقال للناس، وأنه ليس هناك خيار آخر.

اللمسة البلاغية: الأمر "قل" يدل على أن هذا هو الموقف الرسمي الذي يجب أن يتخذه الداعية. لا تهاون، ولا تردد. قل للناس بوضوح: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

} .2أطِيعُوا اللهَ {– الطاعة المطلقة لله

"أطيعوا" فعل أمر، يدل على الوجوب والإلزام. ليس خيارًا، بل هو تكليف. وطاعة الله تشمل كل ما أمر به ونهى عنه.

اسأل نفسك: هل أنت ممن يطيعون الله في أوامره ونواهيه؟ أم أن طاعتك مشروطة؟ هل تطيع إذا وافق هواك، وتعصي إذا خالفك؟

} .3وأَطِيعُوا الرّسُولَ {– طاعة الرسول جزء من طاعة الله

لاحظ أن الله فصل طاعة الرسول عن طاعته، مع أن طاعة الرسول هي طاعة لله. لماذا؟ للإشعار بأن طاعة الرسول واجبة مستقلة، وأن من يزعم أنه يطيع الله ولا يطيع الرسول فهو كاذب. كما قال تعالى: {مَنْ يُطِعِ الرّسُولَ فَقدْ أَطاعَ اللهَ}.

اللمسة البيانية: تكرار الفعل "أطيعوا" للتأكيد على أن طاعة الرسول ليست تابعة لطاعة الله، بل هي واجب مستقل. وهذا رد على المنافقين الذين كانوا يقولون: نطيع الله ولا نطيع الرسول.

الرسالة لك: لا يمكن أن تكون مطيعًا لله وأنت عاصٍ لرسوله. فمن يطع الرسول فقد أطاع الله. ومن يتولى عن الرسول فقد تولى عن الله.

ثانيا: تأمل النتيجة الأولى {فَإِنْ توَلّوْا فَإِنمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكمْ مَا حُمِّلْتمْ}

} .1فَإِنْ توَلّوْا {– فرضية الإعراض

"تولوا" أي أعرضوا عن الطاعة. هذه فرضية وقعت بالفعل في عهد النبي ﷺ، وهي متوقعة في كل زمان. هناك من سيسمع ا لأمر بالطاعة ثم يتولى. الآية تعالج هذه الحقيقة بواقعية.

اللمسة البلاغية: الفاء في "فإن تولوا" تفيد السببية والترتيب، أي إذا حصل التولي من بعض الناس، فهذه هي النتيجة.

اسأل نفسك: كيف تتعامل مع من يتولى عن الحق؟ هل تحزن حزنًا يدفعك إلى اليأس؟ أم تعلم أن لكل مسؤولية؟

} .2فَإِنمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ {– مسؤولية الرسول

"عليه" أي على الرسول. "ما حُمِّلَ" أي ما كلف به من تبليغ الرسالة. هذا يعني أن الرسول ليس مسؤولا ً عن استجابة الناس. مسؤوليته تنتهي عند البلاغ المبين.

اللمسة البيانية: استخدام "إنما" للحصر. أي ليس عليه إلا ما حمل، وليس عليه هدايتهم ولا محاسبتهم. هذا يريح قلب النبي

ﷺ وقلب كل داعية.

الرسالة النفسية العظيمة: كم منا يحمل هم استجابة الناس! كم منا يشعر بالفشل عندما لا يستجيب من يدعوهم! هذه الآية تخبرك: أنت لست مسؤولا ً عن النتائج. أنت مسؤول عن البلاغ، والله مسؤول عن الهداية.

} .3وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ {– مسؤولية المكلفين

"عليكم" أي على الناس الذين سمعوا البلاغ. "ما حُمِّلْتُمْ" أي ما كلفتم به من الإيمان والطاعة. فإذا توليتم، فأنتم تتحملون تبعات توليكم.

اللمسة البيانية: المقابلة بين "عليه" و "عليكم" تعطي توازنًا رائعًا: لكل مسؤولية. الرسول له مسؤوليته (البلاغ)، وأنتم لكم مسؤوليتكم (الطاعة أو التولي). لا يحمل أحد وزر الآخر.

الرسالة التربوية: هذه الآية تغرس فيك المسؤولية الفردية. لا تقل: "فلان لم يطع، فلماذا أطيع؟". أنت مسؤول عن نفسك. لا تنتظر الناس لتهتدي. اهتدِ أنت أولا ً.

ثالثاً: تأمل النتيجة الثانية {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}

} .1وَإِنْ تُطِيعُوهُ {– شرط الطاعة

"تطيعوه" يعود على الرسول. الطاعة هنا مقرونة بالرسول تحديدًا، لأنها المفتاح. من أطاع الرسول فقد اهتدى.

اللمسة البلاغية: حذف الفاعل في "تهتدوا" يدل على أن الهداية من الله، لكنها مشروطة بطاعة الرسول. فالمؤمن يعلم أن الهداية من عند الله، ولكنها لا تأتي إلا بسلوك طريقها.

} .2تَهْتَدُوا {– نتيجة الطاعة

الهداية هنا هي الهداية إلى الصراط المستقيم، وهي الفلاح في الدنيا والآخرة. الآية تقدم وعدًا إلهيًا: الطاعة تؤدي إلى الهداية.

الرسالة التربوية: هذه الآية تعالج مشكلة كثير من الناس: يريدون الهداية دون طاعة. يريدون أن يهديهم الله وهم لا يطيعون. الآية تقول: الهداية ثمرة الطاعة. أطع، تهتد.

اسأل نفسك: هل تبحث عن الهداية في كثرة الدعاء وحدها، أم تسعى إليها بطاعة الله ورسوله؟ الطاعة هي طريق الهداية.

رابعاً: تأمل الخاتمة {وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ}

} .1وَمَا عَلَى الرَّسُولِ {– نفي لأي تكليف زائد

"ما" نافية، تنفي أن يكون على الرسول أي شيء آخر غير البلاغ. ليس عليه إكراه الناس، ولا جبرهم على الإيمان، ولا محاسبتهم.

اللمسة البلاغية: الإتيان بـ "ما" النافية و "إلا" الحاصرة يفيد الحصر والنفي القاطع. ليس عليه إلا البلاغ، ولا شيء غيره.

} .2إِلَّا الْبَلَاغُ {– التكليف الوحيد للرسول

البلاغ هو إيصال الرسالة بوضوح، دون زيادة أو نقصان. وليس عليه أن يجعل الناس يقبلونها.

} .3الْمُبِينُ {– البلاغ الواضح

"المبين" أي الواضح الذي لا لبس فيه. هذا هو البلاغ الذي قام به الرسول ﷺ: بلغ القرآن كله، وبيّن أحكامه، ووضح طريق الهدى من الضلال.

الرسالة للدعاة: هذه الآية تخاطب كل من يقوم بالدعوة إلى الله. تقول له: مسؤوليتك هي البلاغ المبين فقط. لا تثقل على نفسك بهداية الناس. فأنت لست مسؤولاً عن قلوبهم. بلغ بوضوح، واترك النتائج لله.

الرسالة للمؤمنين: هذه الآية تعلمك ألا تيأس إذا لم يستجب الناس. فالرسول نفسه – وهو أعظم الخلق – لم يكن عليه إلا البلاغ. فكيف بك أنت؟

خامساً: الأبعاد المختلفة للآية

أولاً: البعد التربوي

1.تربية الإنسان على الطاعة المطلقة

الآية تربيك على أن الطاعة لله والرسول هي أساس الإيمان. لا إيمان بدون طاعة. وهي تخلصك من مرض "الطاعة المشروطة" التي تجعل الإنسان يطيع إذا وافق هواه، ويعصي إذا خالفه.

2.تربية الإنسان على المسؤولية الفردية

الآية تزرع فيك أنك مسؤول عن نفسك وحدك. لا تنتظر الناس ليصلحوا، ولا تعتذر بتقصير غيرك. "عليكم ما حملتم".

3.تربية الداعية على التوكل وعدم اليأس

من أعظم الدروس التربوية في هذه الآية: أن الداعية ليس مسؤولاً عن النتائج. هذا يريح قلبه، ويدفعه إلى الاستمرار دون إحباط.

ثانياً: البعد النفسي

1.تخفيف القلق والهم

الآية تعالج القلق النفسي الذي يصيب الداعية عندما لا يستجيب الناس. تقول له: عليك البلاغ فقط. لا تحمل هم الهداية، فهي بيد الله.

2.غرس الطمأنينة

المؤمن يطمئن عندما يعلم أن الطاعة تؤدي إلى الهداية. ليس هناك تعقيد: أطع، تهتد. هذا يبسط الطريق ويزيل الحيرة.

3.معالجة الشعور بالذنب

قد يشعر الداعية بالذنب إذا لم يستجب الناس. الآية تخفف عنه: أنت لست مسؤولاً. لقد بلغت، وهذا يكفي.

ثالثاً: البعد الفكري

1.توضيح العلاقة بين طاعة الله وطاعة الرسول

الآية تقرر أن طاعة الرسول ليست خياراً، بل هي جزء من طاعة الله. هذا يرد على أي فكر يحاول الفصل بينهما.

2.تحديد مفهوم الهداية

الآية تربط الهداية بالطاعة. ليس هناك هداية بدون طاعة. هذا يصحح المفاهيم الخاطئة التي تظن أن الهداية تأتي بالتمني فقط.

3.تحديد مسؤولية الرسول ومسؤولية الأمة

الآية ترسم حدود المسؤولية بدقة: الرسول عليه البلاغ، والأمة عليها الطاعة. هذا التحديد يمنع الالتباس.

رابعاً: البعد التوعوي

1.التوعية بخطورة التولي

الآية تحذر من التولي عن طاعة الله والرسول. من يتول، فإنما يتول على نفسه. "عليكم ما حملتم".

2.التوعية بسهولة الطريق

الآية توعي الناس بأن طريق الهداية واضح: طاعة الله والرسول. لا تعقيد، لا غموض. أطع، تهتد.

3.التوعية بدور الداعية

الداعية ليس مسؤولا ً عن النتائج، بل عن البلاغ. هذا يوعي الناس ألا يطلبوا من الداعية المستحيل، وألا يحملوه ما لا يطيق.

خامساً: البعد الثقافي

1.ترسيخ ثقافة الطاعة

المجتمع المسلم ثقافته الأساسية هي طاعة الله والرسول. هذه الآية تغرس هذه الثقافة في النفوس، وتجعلها القيمة العليا.

2.ترسيخ ثقافة المسؤولية الفردية

لا مكان لثقافة "الكل يفعل كذا" أو "الناس تخلت". كل فرد مسؤول عن نفسه. هذه ثقافة النضج والوعي.

3.ترسيخ ثقافة التوكل مع الأخذ بالأسباب

الآية تجمع بين الأخذ بالأسباب (البلاغ) والتوكل (ترك النتائج لله). هذه ثقافة إسلامية أصيلة.

سادساً: البعد الاجتماعي

1.تنظيم العلاقة بين الداعية والمدعوين

الآية تحدد العلاقة: الداعية يبلغ بوضوح، والمدعو إما يطيع أو يتولى. لا إكراه، ولا عداوة بسبب عدم الاستجابة.

2.منع الفوضى الاجتماعية

لو كان كل فرد يتولى عن الطاعة دون محاسبة، لانتشرت الفوضى. الآية تذكر كل فرد بأنه مسؤول عن طاعته، وهذا يخلق ضبطًا اجتماعيًا.

3.تحقيق التماسك المجتمعي

عندما يطيع أفراد المجتمع الله والرسول، يتحقق التماسك. وعندما يتولى بعضهم، يتحملون وزر أنفسهم، ولا يتحمل المجتمع

كله وزرهم.

سابعًا: البعد السياسي

.1تحديد مسؤولية الحاكم والمحكوم

الآية تضع مبدأ سياسيًا عظيمًا: الحاكم عليه البلاغ المبين، والمحكوم عليه الطاعة أو التولي بمسؤوليته. هذا هو الأساس في العلاقة بين الحاكم والمحكوم في الإسلام.

.2رفض الإكراه في الدين

الآية تؤكد أن الحاكم (الرسول) ليس عليه إكراه الناس. دوره هو البلاغ فقط. هذا يرسي مبدأ لا إكراه في الدين.

.3شرعية الاختلاف في الاستجابة

الآية تعترف بأن بعض الناس سيتولون، وهذا وارد. هذا يعطي صورة واقعية عن المجتمعات: لا يمكن إجبار الجميع على الطاعة.

.4العدل في المسؤولية

الآية تؤسس لمبدأ العدالة: كل يتحمل ما حمل. الحاكم لا يتحمل وزر المحكوم، والمحكوم لا يتحمل وزر الحاكم. هذا يمنع الظلم.

سادساً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

.1التكرار في} أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ{

تكرار الفعل "أطيعوا" مع اختلاف المفعول يفيد التأكيد والاهتمام. كل طاعة مستقلة في وجوبها، مع أنهما في الحقيقة طاعة واحدة. هذا أسلوب بلاغي يرسخ المعنى في النفس.

.2المقابلة بين} عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ {و} عَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ{

المقابلة هنا تخلق توازنًا رائعًا في الجملة. كل طرف له مسؤوليته. وهذا من بديع النظم القرآني.

.3الحصر في} فَإِنَّمَا عَلَيْهِ {و} مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا{

استخدام أدوات الحصر (إنما، ما.. إلا) يفيد القصر والتوكيد. ليس عليه شيء غير البلاغ. هذا يقطع الطريق على كل من يظن أن الرسول مسؤول عن هداية الناس.

.4الإيجاز في} وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا{

جملة قصيرة، ولكنها تحمل أعظم معاني البشرية. الإيجاز هنا يعطي قوة وثقة. الطريق ليس طويلا ً معقدًا، بل هو طاعة تؤدي إلى هداية.

.5اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية الكريمة:

· إظهار النون في "أطيعوا الله" و"أطيعوا الرسول" – الإظهار هنا يعطي وضوحًا في النطق، كأنه يؤكد على وضوح الأمر بـ

الطاعة.

· المد في "الرسول" و"تهتدوا" – المد الطبيعي يعطي امتدادًا صوتيًا يريح النفس، وكأنه يوسع أفق الطاعة وأفق الهداية.

· الوقف على "ما حملتم " – الوقف هنا يترك أثرًا من التأنيب لمن تولى، ثم يستأنف بوعد الطاعة.

· التنغيم في ختام الآية – الختام بـ {البَلَاغُ المُبِينُ} بصوت منخفض قليلا ً، يعطي إحساسًا بأن الأمر قد انتهى، وكل شيء واضح.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل السامع يشعر بوضوح الأمر، وتوازن المسؤوليات، ويسر الطريق، وحسم النهاية.

سابعًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

.1في طاعتك لله والرسول

اجعل شعارك في الحياة: {أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}. كل قرار تتخذه، اسأل: هل هذا يرضي الله ورسوله؟ كل فعل تفعله، اسأل: هل هذا موافق لأمر الله ورسوله؟

.2في دعوتك للآخرين

إذا دعوت أحدًا إلى الخير، فبلغ بوضوح، ثم لا تحمل هم استجابته. تذكر: {مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا البَلَاغُ المُبِينُ}. أنت لست مسؤو لا ً عن قلبه. بلغ، واترك الهداية لله.

.3في ردك على من يتولى

إذا رأيت من يتولى عن الحق، لا تحزن، ولا تيأس. تذكر: {فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ}. هو يتحمل تبعاته، وأنت تتحمل تبعاتك. لا يضرك توليه إن أنت أطعت.

.4في سعيك للهداية

إذا أردت الهداية، فابحث عنها في الطاعة. لا تنتظر هداية تنزل عليك من السماء دون عمل. {وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا}. أطع، تهتد.

.5في تربيتك لأولادك

علم أولادك أن الطاعة لله والرسول هي الأساس. وعلمهم أنهم مسؤولون عن أنفسهم. لا يعتذروا بتقصير غيرهم. وعلمهم ألا يحملوا هم استجابة الناس، بل يبلغوا الحق بوضوح.

.6في موقفك من الحاكم

إذا كان الحاكم يأمر بطاعة الله والرسول، فأطعه. وإذا كان لا يأمر بذلك، فأنت مسؤول عن طاعتك لله، وهو مسؤول عن نفسه. لا تخلط الأمور.

ثامنًا: دروس في بناء الإنسان والمجتمع والحضارة

.1بناء الإنسان الموحد

الآية تبني إنسانًا موحدًا في طاعته، لا يفرق بين طاعة الله وطاعة الرسول. هذا هو الإنسان الذي يستقر إيمانه ولا يتزعزع.

.2بناء المجتمع المتوازن

المجتمع الذي يفهم هذه الآية هو مجتمع:

· يعرف كل فرد مسؤوليته: الداعية يبلغ، والمستجيب يطيع، والمتولي يتحمل.

· لا يلوم أحدًا بذنب غيره: كل يتحمل ما حمل.

· يسعى للهداية بالطاعة: لا ينتظر الهداية بالتمني.

.3بناء الحضارة على الطاعة والمسؤولية

أي حضارة تنهض لا بد أن تقوم على:

· الطاعة للقيم العليا (وهي في الإسلام طاعة الله والرسول).

· المسؤولية الفردية التي تجعل كل فرد محاسبًا على نفسه.

· الوضوح في التكليف (البلاغ المبين) الذي لا يترك مجالا ً للبس.

تاسعًا: العلاقة بين الآية 54 وما قبلها

الآيات السابقة (47-53) كانت تفصيلا ً في صفات المنافقين: يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن الحكم، يقسمون أغلظ ا لأيمان. ثم تأتي هذه الآية (54) كـ خلاصة وتوجيه عام:

· للمنافقين: قل لهم أطيعوا الله والرسول. فإن تولوا، فأنتم تتحملون.

· للمؤمنين: أطيعوا تهتدوا. ولا تحملوا هم المنافقين.

· للرسول ﷺ: عليك البلاغ فقط. لا تحمل هم استجابتهم.

إنها بمثابة الختام المناسب لهذا المقطع، الذي يضع كل شيء في نصابه.

خلاصة القول: أنت أمام منهج حياة

هذه الآية ليست مجرد آية تقرأ، بل هي منهج حياة متكامل. تقدم لك:

.1مرجعية: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول.

.2واقعية: هناك من سيتولى، وهذا أمر واقع.

.3مسؤولية: كل يتحمل ما حمل .لا تحمل هم غيرك.

.4وعد: إن تطيعوا تهتدوا.

.5راحة: الرسول عليه البلاغ فقط، وأنت لست مسؤولا ً عن استجابة الناس.

وأنت الآن.. كيف ستتعامل مع هذه الآية؟

هل ستجعلها منهجًا في حياتك؟ ستطيع الله ورسوله في كل أمر؟ ستتحمل مسؤوليتك ولا تنتظر غيرك؟ ستسعى للهداية بـ الطاعة لا بالتمني؟ ستُبلغ الحق دون أن تحمل هم استجابة الناس؟

تذكر: الطاعة تؤدي إلى الهداية. والهداية هي الفلاح في الدنيا والآخرة. فاختر الطريق

ثالثا.

{وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنّهُمْ فِي الأَرْضِ كمَا اسْتَخْلفَ الذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِنَنّ لهُمْ دِينَهُمُ الذِي ارْتضَى لهُمْ وَلَيُبَدّلَنّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ} (النور: 55)

المقدمة: وعد لا يتخلف.. وطريق لا ينتهي

هل شعرت يومًا وأنت تقرأ التاريخ الإسلامي، حين كانت الدنيا كلها تحت أقدام المؤمنين، وحين كان الخوف يُبدل أمنًا، و الضعف قوة، والتشتت تمكينًا، أن هذا ليس مجرد حدث تاريخي، بل هو وعد إلهي لا يتخلف؟ وأن هذا الوعد ليس خاصًا بقوم مضوا، بل هو باب مفتوح لكل من يستوفي الشروط؟

هذه الآية التي بين يديك هي دستور الاستخلاف في الأرض. إنها تضع أمامك رؤية كاملة: كيف تنتقل أمة من الخوف إلى الأ من، من الضعف إلى التمكين، من التشرذم إلى الاستخلاف. ولكنها ليست بطاقة دخول مجانية. إنها وعد مشروط، بشرطان اثنان: الإيمان و العمل الصالح. ثم تأتي النتائج: استخلاف، تمكين، أمن، وعبادة خالصة لله.

تأمل هذه الآية كأنها نزلت عليك أنت، وعلى أمتك اليوم. إنها تقول لك: الطريق إلى النهضة ليس معقدًا. هو إيمان صادق وعمل صالح. فإذا تحقق هذان الشرطان، فإن الله – الذي لا يخلف وعده – سيجعل منكم خلفاء في الأرض، ويمكن دينكم، ويبدل خوفكم أمنًا، حتى تعبدوه لا تشركوا به شيئًا.

تعال نغوص في هذه الآية العظيمة. لن نقرأها فقط، بل سنعيشها، ونتأملها، ونسأل أنفسنا: هل نحن من الذين يستحقون هذا الوعد؟ أم أننا ممن كفروا بعده، فكانوا من الفاسقين؟

أولا ً: تأمل البداية {وَعَدَ اللهُ الذِينَ آمَنُوا مِنكمْ وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ}

1. {وَعَدَ اللهُ} – ثقة في الوعد الإلهي

البدء بـ "وعد الله" يحمل أعلى درجات الثقة. فالله لا يخلف وعده. هذه ليست أمنية، ولا احتمال، ولا خيار. إنها حقيقة مؤكدة لمن استوفى الشرط.

اللمسة البلاغية: الفعل "وعد" في صيغة الماضي للدلالة على الثبات والتحقق. وكأن الوعد قد تم، لأنه صادر ممن لا يخلف الميعاد.

اسأل نفسك: هل تثق في وعد الله كما تثق في شروق الشمس؟ الآية تدعوك إلى يقين مطلق بأن هذا الوعد سيتحقق متى تحققت شروطه.

2. {الذِينَ آمَنُوا مِنكمْ} – الشرط الأول: الإيمان

"آمنوا" ليس مجرد قول باللسان، بل هو إيمان بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالجوارح. وهو الإيمان الذي مر معنا في الآيات السابقة: إيمان يظهر في الطاعة، وليس في الأيمان الكاذبة.

"منكم" خطاب موجه إلى الصحابة، وإلى كل من يقرأ هذه الآية إلى يوم القيامة. أنت داخل في هذا الخطاب.

3. {وَعَمِلُوا الصّالِحَاتِ} – الشرط الثاني: العمل الصالح

العمل الصالح هو ثمرة الإيمان الصادق. وهو يشمل:

· فعل الواجبات (الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الجهاد، الأمر بالمعروف).

· ترك المحرمات (الشرك، الكبائر، الذنوب).

· الإحسان في المعاملات (الصدق، العدل، الأمانة، الإخلاص).

اللمسة البيانية: الجمع بين الإيمان والعمل الصالح في القرآن يعني أن الإيمان بدون عمل ليس إيمانًا كاملا ً. ومن ادعى الإ يمان وترك العمل الصالح، فقد خسر الوعد.

اسأل نفسك: هل أنت من الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح؟ أم أن هناك فجوة بين ما تؤمن به وما تفعله؟

ثانيا: تأمل النتائج الثلاث الكبرى

الآية تقدم ثلاث نتائج مترتبة على الإيمان والعمل الصالح، كلها مؤكدة ب- "لام القسم" و "نون التوكيد" لتأكيد تحقيقها.

النتيجة الأولى: {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ}

1. {لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ} – القسم المؤكد على الاستخلاف

اللام في "ليستخلفنهم" هي لام القسم، والنون هي نون التوكيد الثقيلة. هذا أعلى درجات التأكيد على أن هذا الوعد سيتحقق بلا شك.

"يستخلفنهم" من الاستخلاف، وهو جعلهم خلفاء في الأرض يتصرفون فيها بإذن الله، ويملكون زمام الأمور، ويقودون البشرية.

2. {فِي الْأَرْضِ} – الاستخلاف يشمل الأرض كلها

الأرض هنا عامة: الأرض التي يعيشون فيها، ثم الأرض كلها بالتمكين والفتح. وقد تحقق هذا في عصر الصحابة والتابعين، وهو وعد متجدد لكل من يستوفي الشروط.

3. معنى الاستخلاف

الاستخلاف في القرآن له معنيان:

· خلافة عن الأمم السابقة: يأتي قوم بعد قوم، فيخلفونهم في العمران والسلطان.

· خلافة عن الله في الأرض: أي أنهم يتولون أمرها وفق شرع الله، فيكونون خلفاء لله في إقامة دينه.

الرسالة العظمى: هذه الآية تقول لك: أنت مدعو لأن تكون خليفة الله في الأرض. ليس بالسلطان فقط، بل بإقامة دينه، وتحكيم شرعه، وعمارة الأرض بطاعته.

النتيجة الثانية: {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ}

1. {وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ} – التمكين بعد الاستخلاف

التمكين هو إعطاء القوة والثبات والنفوذ للدين في الأرض. أن لا يكون المسلمون مستضعفين، بل يكون الدين هو الغالب، وأهله هم الأعزة.

2. {دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ} – دين الرضا

هو الإسلام الذي ارتضاه الله لعباده. ليس دينًا بشريًا، ولا اجتهادًا محدودًا. إنه الدين الكامل الذي يرضاه الله.

اللمسة البيانية: وصف الدين بأنه "الذي ارتضى لهم" فيه طمأنينة للمؤمنين: أن هذا الدين هو خير الأديان، وهو المرضي عند الله. فلا يبحثوا عن بديل.

3. التمكين السياسي والاجتماعي

التمكين ليس فقط تمكينًا عسكريًا، بل هو تمكين تشريعي وثقافي واجتماعي. أن يكون للمسلمين دولتهم التي تحكم بشريعتهم، ويعيشون فيها أعزاء.

النتيجة الثالثة: {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا}

1. {وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ} – تبديل شامل

"يبدلنهم" من التبديل، وهو تغيير الحال إلى حال أفضل. ليس أمنًا مؤقتًا، بل تبديلًا كليًا.

2. {مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ} – واقع كانوا فيه

كان المسلمون في مكة وفي بداية الهجرة في حالة خوف دائم: يخافون على أنفسهم، على دينهم، على أموالهم. الآية تعدهم بأن هذا الخوف سيزول.

3. {أَمْنًا} – الغاية المنشودة

الأمن هو أعلى درجات الاستقرار: أمن على النفس، والدين، والمال، والعرض. وهو أساس أي حضارة.

اللمسة البلاغية: المقابلة بين "خوفهم" و "أمنًا" تعطي إحساسًا قويًا بالتحول الكبير. وكأن الله يقول: سأقلب المعادلة رأسًا على عقب. الخوف الذي كان يملأ قلوبكم سأبدله بالأمن الذي يملأها.

ثالثاً: تأمل الغاية النهائية {يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا}

1. {يَعْبُدُونَنِي} – العبادة الخالصة

العبادة هنا تشمل كل أنواع العبادة: الصلاة، الزكاة، الصوم، الحج، الدعاء، التوكل، الخوف، الرجاء. كلها لله وحده.

2. {لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا} – التوحيد الكامل

نفي الإشراك بكل أنواعه:

· الإشراك الأكبر: عبادة غير الله.

· الإشراك الأصغر: الرياء، والحلف بغير الله، وقول "ما شاء الله وشئت".

· الإشراك الخفي: الاعتماد على الأسباب مع نسيان المسبب.

3. لماذا جاءت هذه الجملة بعد التمكين؟

هذه هي الغاية القصوى من الاستخلاف والتمكين والأمن: أن يعبد الله وحده لا شريك له. الدولة الإسلامية لا تُبنى لأجل السلطة، ولا لأجل الثروة، بل لأجل تحقيق التوحيد في الأرض، وإقامة العبودية الخالصة لله.

الرسالة العظيمة: أي نهضة، أي تمكين، أي أمن، إذا لم يقصد به تحقيق العبودية لله، فهو فارغ من مضمونه. الآية تربط بين الأ من المادي والأمن الروحي: الأمن الحقيقي هو أن تعبد الله دون خوف من أحد.

رابعاً: تأمل الخاتمة التحذيرية {وَمَنْ كفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقونَ}

1. {وَمَنْ كفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ} – التحذير من نكث العهد

"بعد ذلك" أي بعد هذا الوعد العظيم، وبعد تحققه، وبعد أن رأى نعم الله عليه من تمكين وأمن. من كفر بعد هذا، أي جحد النعمة، وخرج عن الطاعة، فمصيره وخيم.

2. {فَأُولئِكَ هُمُ الفَاسِقونَ} – الفسق هو الخروج عن الطاعة

الفسق هو الخروج عن طاعة الله، وهو أعم من الكفر. الفاسق قد يكون كافرًا، وقد يكون عاصيًا. الآية تحذر من أن من نكث عهد الله بعد هذا التمكين يكون من الفاسقين الخارجين عن أمره.

اللمسة البلاغية: حصر الفسق فيهم ب- "أولئك هم الفاسقون" فيه تهديد شديد: من كفر بعد هذه النعم، لا عذر له، وهو الفاسق حقًا.

الرسالة للأمة: هذه الآية تحذر الأمة الإسلامية من الانقلاب على الدين بعد التمكين. كم من أمم استخلفت في الأرض ثم كفرت، فذهبت. فلا تكونوا مثلهم.

خامساً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. التوكيدات المتتالية

استخدمت الآية ثلاث توكيدات على النتائج:

· لام القسم في "ليستخلفنهم"، "ليمكنن"، "ليبدلنهم".

· نون التوكيد الثقيلة في نفس الأفعال.

· تكرر اللام والنون ثلاث مرات، مما يعطي إحساسًا بأن الوعد مؤكد لا ريب فيه.

2. الترتيب البديع للنتائج

جاءت النتائج في ترتيب منطقي:

1. استخلاف – يكونون قادة في الأرض.

2. تمكين – يقوى دينهم وينتشر.

3. أمن – يزول الخوف الذي كانوا فيه.

4. عبادة خالصة – الغاية من كل ما سبق.

هذا الترتيب يعكس نظرية قرآنية متكاملة في بناء الدولة: الاستخلاف أولا ً، ثم التمكين، ثم الأمن، وكلها تصب في العبادة الخالصة.

3. الإيجاز في الشرط والتوسع في النتائج

الشرط جاء موجزًا: "آمنوا وعملوا الصالحات". والنتائج جاءت مفصلة. هذا يدل على أن الثمرة عظيمة بالنسبة للعمل، وأن الله يريد أن يحفز المؤمنين على العمل بهذا الوعد العظيم.

4. التعبير بـ "من بعد خوفهم أمنًا"

"من بعد" تفيد أن الخوف كان سابقًا، وأن الأمن سيأتي بديلا ً كاملا ً، لا مجرد تخفيف. والتنكير في "أمنًا" يفيد التعظيم، أي أمنًا عظيمًا لا نظير له.

5. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية العظيمة:

· إدغام النون في الميم في "منكم وعملوا" – يعطي إحساسًا بالاتصال بين الإيمان والعمل، وكأنهما شيء واحد.

· المد في "ليستخلفنهم" و"ليمكنن" و"ليبدلنهم" – هذه المدود الطويلة تعطي إحساسًا بالامتداد والثبات، وكأن الوعد ممتد في الزمان.

· تفخيم لفظ "الذين" و"الأرض" – يعطي إحساسًا بالعظمة والجلال.

· الوقف على "أمنًا" – وقفة لطيفة تعطي النفس فرصة لتذوق معنى الأمن بعد الخوف.

· الوقف على "شيئًا" – ثم الاستئناف بـ "ومن كفر" بشكل مفاجئ، يحمل إحساسًا بالتحذير الشديد.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بثبات الوعد، وعظمة النتائج، وضرورة الاستمرار على الشرط، و الخوف من نكث العهد.

سادسا: الأبعاد المختلفة للآية (محورية في بناء الدولة الإسلامية)

أولا ً: البعد السياسي (دستور الاستخلاف)

1. شرعية الدولة الإسلامية

الآية تقدم الأساس الشرعي لقيام الدولة الإسلامية: الإيمان والعمل الصالح يؤديان إلى الاستخلاف والتمكين. الدولة ليست غاية في نفسها، بل هي وسيلة لتحقيق العبودية لله.

2. مواصفات أصحاب الخلافة

من خلال الآية، يمكن استخلاص مواصفات من يستحقون الاستخلاف:

· إيمان صادق بالله ورسوله.

· عمل صالح شامل للفرد والمجتمع.

· هدفهم العبادة الخالصة لا الحكم للذات.

· يُبدلون الخوف أمنًا لأنهم يثقون في وعد الله.

3. العلاقة بين الحكم والعبادة

الآية تؤسس لمبدأ أن الحكم في الإسلام ليس ملكًا، بل هو تكليف وعبادة. المستخلفون يعبدون الله بحكمهم، ويقيمون شرعه ، ولا يشركون به شيئًا.

ثانيا: البعد الاجتماعي

1. الأمن الاجتماعي

الآية تعد بـ تبديل الخوف أمنًا. وهذا الأمن يشمل:

· الأمن على النفس: لا يقتل الناس ظلمًا.

· الأمن على الدين: يُعبد الله بحرية.

· الأمن على المال: تُحرم السرقة والنهب.

· الأمن على العرض: تُحرم الفواحش.

2. التماسك الاجتماعي

عندما يتحقق الأمن، يتحقق التماسك. والمجتمع الذي يعبد الله لا يشرك به شيئًا هو مجتمع متحد على القيم، لا ينقسم على أهواء.

3. العدالة الاجتماعية

الاستخلاف في الأرض يقتضي العدل بين الناس، وإعطاء كل ذي حق حقه، وهو أساس الاستقرار الاجتماعي.

ثالثا: البعد الاقتصادي

1. الأمن الاقتصادي

الأمن الذي وعدت به الآية يشمل الأمن الاقتصادي: يستطيع الناس أن يعملوا، ويتاجروا، ويزرعوا، دون خوف من سلب أو نهب.

2. التنمية الاقتصادية

الاستخلاف في الأرض يعني عمارة الأرض بالزراعة والصناعة والتجارة. فالإنسان خليفة الله في الأرض، وعليه أن يعمرها بما يرضي الله.

3. تحريم الفساد المالي

من "لا يشركون بي شيئًا" أن لا يجعلوا المال شريكًا لله، فيغشون ويحتكرون ويربون. الاقتصاد الإسلامي يقوم على العدل و الصدق، وهو ما يحقق البركة.

رابعا: البعد الثقافي

1. بناء هوية ثقافية قوية

الآية ترسي هوية الأمة: أنتم الذين آمنتم وعملتم الصالحات، وأنتم المستخلفون الممكن لهم. هذه الهوية تمنع الذوبان في الثقافات الأخرى.

2. حرية الفكر في إطار التوحيد

"يعبدونني لا يشركون بي شيئًا" يعني أن الفكر والثقافة يجب أن تكون في إطار التوحيد، لا إشراك ولا إلحاد.

3. نشر العلم والمعرفة

الاستخلاف في الأرض يقتضي العلم والقدرة على إدارتها. فالدولة الإسلامية تشجع العلم والتعليم، لأنه أساس التمكين.

خامساً: البعد التربوي

1. تربية الأمة على شروط التمكين

الآية تربي الأمة على أن التمكين ليس مجانيًا، بل يحتاج إلى إيمان وعمل صالح. هذا يمنع الاتكالية والانتظار السلبي.

2. تربية الأفراد على المسؤولية

كل فرد في هذه الأمة هو خليفة في موقعه. التربية الإسلامية تربي الإنسان على أنه مسؤول عن الأرض التي استخلفه الله فيها.

3. تربية القادة

القادة الذين يستحقون الاستخلاف هم من يجمعون بين الإيمان والعمل الصالح، وهدفهم عبادة الله لا السلطة.

سادساً: البعد النفسي

1. تبديل الخوف بالأمن

الآية تعد بأن الخوف الذي يملأ القلوب سيزول. هذا الوعد يعالج القلق والاضطراب النفسي، ويمنح المؤمن طمأنينة.

2. الثقة في وعد الله

المؤمن يعيش بثقة أن الله سيمكنه مهما طال الزمن. هذه الثقة تمنحه صبرًا وقوة في مواجهة التحديات.

3. الشعور بالعزة

عندما يتحقق الاستخلاف والتمكين، يشعر المؤمنون بـ العزة والكرامة التي وعدهم الله بها.

سابعاً: البعد الحضاري والتنموي

1. التنمية البشرية المستدامة

الآية تقدم نموذجًا للتنمية البشرية: إيمان + عمل صالح = استخلاف وتمكين وأمن. التنمية الحقيقية تبدأ من الإنسان المؤمن العامل، ثم تنعكس على الأرض.

2. بناء الحضارة على التوحيد

أي حضارة تبنى على غير التوحيد تكون هشة، لأنها تفتقر إلى القيم الثابتة. الحضارة الإسلامية قامت على هذا الأساس: يعبدون الله لا يشركون به شيئًا.

3. التوازن بين المادة والروح

الآية تجمع بين التمكين المادي (استخلاف في الأرض، أمن) و التمكين الروحي (عبادة الله، توحيد). هذا هو التوازن المطلوب في أي نهضة.

4. التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتكاملة

الاستخلاف يقتضي عمارة الأرض، والتمكين يقتضي قدرة على إدارة الدولة، والأمن يقتضي استقرارًا يعزز التنمية. هذه عناصر متكاملة للنهضة الشاملة.

سابعاً: تطبيقات عملية في حياتنا المعاصرة

1. في بناء الفرد

· حقق الإيمان الصادق: لا تكن من الذين يقولون آمنا بألسنتهم وقلوبهم خالية. جدد إيمانك، وتفقه في دينك.

· اعمل الصالحات: لا تكتفِ بالإيمان، بل اجعل له أثرًا في سلوكك. صل، صم، زك، واصنع الخير.

· اهدُف إلى عبادة الله: اجعل كل أعمالك – حتى العمل والدراسة – عبادة لله.

2. في بناء الأسرة

· ربِّ أبناءك على الإيمان والعمل: علمهم أن النجاح الحقيقي في الإيمان والعمل الصالح.

· اجعل بيتك آمنًا مطمئنًا: الأمن يبدأ من البيت. كن قدوة في الطاعة، واجعل بيتك يعبد الله لا يشرك به شيئًا.

3. في بناء المجتمع

· اسعَ لتحقيق شروط التمكين: لا تنتظر الدولة فقط، بل ابدأ من نفسك. إيمانك وعملك الصالح هما أساس التمكين.

· انشر ثقافة التوحيد: اجعل شعارك "يعبدونني لا يشركون بي شيئًا". حارب الشرك بأنواعه، وادعُ إلى التوحيد الخالص.

4. في بناء الدولة

· اعرف أن الاستخلاف مسؤولية: إذا كنت في موقع قيادة، فتذكر أنك خليفة الله في الأرض. احكم بشرعه، واعمل لعبادته.

· اعمل على تبديل الخوف أمنًا: الأمن ليس مجرد غياب الحرب، بل هو طمأنينة الناس على دينهم وأنفسهم وأموالهم.

· اجعل العبادة غاية الدولة: لا تبنِ الدولة لأجل السلطة، بل لأجل إقامة دين الله

ثامناً: دروس مستفادة من الآية في النهضة الحضارية

1. النهضة تبدأ من الداخل

الآية تؤكد أن التغيير يبدأ من الإيمان والعمل، ثم يأتي التمكين من الله. لا تنتظر النهضة من الخارج، بل ابدأ من نفسك.

2. الأمن أساس التنمية

لا تنمية بدون أمن. الآية تجعل الأمن ثمرة من ثمار الإيمان والعمل الصالح. فالأمن الحقيقي ليس بالقوة فقط، بل بالطمأنينة التي يزرعها الإيمان.

3. الحضارة توحيد وعبادة

أعظم الحضارات هي التي تجعل التوحيد أساسها. عندما يعبد الناس الله ولا يشركون به شيئًا، تستقر القيم، وينتشر العدل، وتزدهر الحياة.

4. الاستخلاف تكليف لا تشريف

الاستخلاف في الأرض يعني المسؤولية، ليس فقط السلطة. الخليفة مسؤول عن رعيته، وعن الأرض التي استخلفه الله فيها.

تاسعاً: العلاقة بين الآية 55 وما قبلها

الآيات السابقة (47-54) كانت في فضح المنافقين وتحديد صفاتهم: يقولون آمنا ثم يتولون، يعرضون عن حكم الله، يقسمون أغلظ الأيمان. ثم تأتي هذه الآية (55) لترسم الصورة المقابلة: المؤمنون الصادقون الذين جمعوا بين الإيمان والعمل الصالح هم الذين يستحقون الاستخلاف والتمكين والأمن.

إنها الفارق الحاسم بين من يدعي الإيمان بلا عمل، وبين من يحقق الإيمان بالعمل الصالح. الأولى طريق النفاق، والثانية طريق التمكين.

خلاصة القول: أنت مدعو للاستخلاف

هذه الآية تضعك أمام أعظم فرصة في حياتك. إنها تخبرك أن الله – الذي لا يخلف وعده – قد وعد الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن يجعلهم خلفاء في الأرض، ويمكن دينهم، ويبدل خوفهم أمنًا، ليعبدوه لا يشركوا به شيئًا.

هذا وعد لا يتخلف. ولكن له شرطان: إيمان صادق، وعمل صالح.

وأنت الآن.. أين أنت من هذا الوعد؟

· هل أنت من الذين آمنوا حقًا، أم أن إيمانك مجرد كلام؟

· هل عملت الصالحات، أم أن عملك لا يتناسب مع إيمانك؟

· هل تريد أن تكون من المستخلفين في الأرض، أم أنك راضٍ بالذل والضعف؟

تذكر: التمكين ليس حكرًا على جيل الصحابة. إنه وعد متجدد لكل من يحقق الشروط. إذا أصلحت إيمانك، وأخلصت عملك، فاستعد للتمكين. وإذا كفرت بعد ذلك، فأنت من الفاسقين.

اللهم اجعلنا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات. اللهم استخلفنا في الأرض، ومكن لديننا، وأبدل خوفنا أمنًا. اللهم اجعلنا نعبدك لا نشرك بك شيئًا. اللهم لا تجعلنا من الفاسقين

رابعا.

{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} (النور: 56)

المقدمة: بعد الوعد العظيم.. تأتي التكاليف العملية

بعد أن سمعت ذلك الوعد العظيم في الآية السابقة: الاستخلاف في الأرض، والتمكين للدين، وتبديل الخوف أمنًا، وعبادة الله وحده لا شريك له – بعد أن سمعت هذه البشارة التي تملأ القلب أملا ً والروح طموحًا، يأتي السؤال الذي لا بد أن يطرق ذهنك: كيف نصل إلى هذا؟ ما هو الطريق الذي يوصلنا إلى هذا التمكين وهذا الأمن؟

هذه الآية (56) هي الإجابة العملية. إنها الدستور التفصيلي للوصول إلى ذلك الوعد العظيم. ثلاث تكاليف واضحة، إذا قامت

بها الأمة، كانت مستحقة للاستخلاف والتمكين والأمن. وإذا تخلت عنها، ضاعت منها البشارة.

تأمل معي هذه الآية كأنها تخاطبك أنت شخصيًا. إنها لا تقول لك: "تمنّ وانتظر". إنها تقول لك: اعمل. أقِم الصلاة، وآت الزكاة ، وأطع الرسول. هذه هي المفاتيح الثلاثة لرحمة الله. وهذه الرحمة هي التي تفتح لك أبواب التمكين في الدنيا والفلاح في ا لآخرة.

تعال نغوص في هذه الآية. لن نقرأها فقط، بل سنعيشها، ونتأمل كيف أن هذه التكاليف الثلاثة ليست مجرد عبادات فردية، بل هي منظومة متكاملة لبناء الفرد والمجتمع والدولة، وهي الطريق العملي لتحقيق ذلك الوعد العظيم.

أولا ً: تأمل البداية {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ}

1. {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} – الصلاة: عماد الدين ورأس العبادة

أ. {أَقِيمُوا} – إقامة لا مجرد أداء

لاحظ أن الله لم يقل "صلوا"، بل قال {أَقِيمُوا الصَّلَاةَ}. الإقامة أعلى من مجرد الأداء. إقامة الصلاة تعني:

· أداؤها في أوقاتها بخشوع وحضور قلب.

· أداؤها بأركانها وشروطها كاملة.

· المحافظة عليها في السر والعلن.

· أن تكون الصلاة هي محور الحياة، تؤثر في سلوك الإنسان وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

اللمسة البلاغية: اختيار لفظ "أقيموا" بدلا ً من "صلوا" يدل على أن المطلوب هو الاستمرارية والكمال في العبادة، لا مجرد الفعل العرضي.

اسأل نفسك: هل تقيم الصلاة أم تؤديها فقط؟ هل تخشع فيها، أم أن جسدك يصلي وقلبك سارح؟ هل تتركها في الشدة كما في الرخاء؟

ب. الصلاة: الصلة بين العبد وربه

الصلاة هي الصلة المباشرة بين العبد وربه. خمس مرات في اليوم، يقف العبد بين يدي ربه، يناجيه، يسأله، يخشع له. هذه الصلة هي التي تذكره بالله في كل لحظة، وتمنعه من الانزلاق إلى المعاصي.

ج. الصلاة: البعد الروحي للتمكين

قبل أن يعد الله المؤمنين بالاستخلاف في الأرض، أمرهم بإقامة الصلاة. لأن التمكين الحقيقي يبدأ من التمكين الروحي. من لا يملك صلة بالله، لا يمكن أن يملك الأرض. الصلاة هي التي تربي في المؤمن:

· الانضباط: أن يأتي في أوقات محددة.

· الخشوع: أن يخضع لله وحده.

· التوكل: أن يطلب العون من الله لا من غيره.

2. {وَآتُوا الزَّكَاةَ} – الزكاة: تطهير المال وتراحم المجتمع

أ. {آتوا} – إيتاء يعني إعطاء مع رضا

"آتوا" تعطي بمعنى الإعطاء عن طيب خاطر، ليس عن إكراه. الزكاة في الإسلام ليست ضريبة مفروضة فقط، بل هي عبادة م الية يخرجها المؤمن تطهيرًا لماله ونفسه.

ب. الزكاة: البعد الاجتماعي للتمكين

الزكاة هي الركن الاجتماعي في الإسلام. إنها:

· تطهير للمال: من شوائب الحرام والبخل.

· تطهير للنفس: من حب المال والأنانية.

· سد لحاجة الفقراء: فلا يبقى في المجتمع جائع ولا محتاج.

· تقوية للروابط الاجتماعية: يشعر الغني بمسؤوليته تجاه الفقير، والفقير لا يحسد الغني.

ج. الزكاة: أساس العدالة الاقتصادية

لا يمكن أن يقوم تمكين للأمة مع وجود فقر مدقع، وتراكم للثروات في أيدي قلة. الزكاة هي آلية إعادة التوزيع العادل للثروة في المجتمع الإسلامي. وهي التي تخلق مجتمعًا متماسكًا، لا يحسد فيه غني فقيره، ولا يكره فقير غنيه.

اللمسة البلاغية: الأمر بإيتاء الزكاة جاء بعد الأمر بإقامة الصلاة. لأن الصلاة تصلح الفرد مع ربه، والزكاة تصلح المجتمع مع بعضه. وهذا هو التوازن المطلوب.

اسأل نفسك: هل تؤتي الزكاة كما أمر الله، محتسبًا الأجر، مطمئنًا أن هذا المال ليس بخسارة بل هو استثمار عند الله؟ أم أنك تخرجها متثاقلًا، أو تتأخر فيها، أو تبحث عن مخرج منها؟

3. {وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ} – طاعة الرسول: الانضباط بالقيادة النبوية

أ. {أَطِيعُوا الرَّسُولَ} – طاعة مستقلة

لاحظ أن الله عطف طاعة الرسول على الصلاة والزكاة. وهذا يدل على أن طاعة الرسول ركن أساسي في دين الإسلام، لا يقل عن الصلاة والزكاة. فمن صلى وزكى وعصى الرسول، فقد ضل الطريق.

ب. طاعة الرسول: البعد القيادي للتمكين

لا يمكن أن تقوم دولة بدون قيادة. وقيادة الأمة الإسلامية هي الرسول ﷺ، ومن بعده ولاة الأمور الذين يتبعون سنته. طاعة الرسول تعني:

· الانضباط بالقيادة: أن تكون للأمة قيادة تطاع.

· الوحدة: ألا يتفرقوا عن قيادتهم.

· الالتزام بالمنهج: ألا يبتدعوا في الدين ما لم يأذن به الله.

اللمسة البلاغية: تأخير طاعة الرسول بعد الصلاة والزكاة فيه إشارة إلى أن هذه الطاعة هي التي تضبط الصلاة والزكاة. فبدون طاعة الرسول، قد تقام الصلاة على غير هديه، وقد تؤتى الزكاة على غير سنته.

اسأل نفسك: هل تطيع الرسول ﷺ فيما جاء به؟ هل تتبع سنته في عباداتك ومعاملاتك؟ أم أنك تختار من الدين ما يوافق هواك، وتترك ما يخالفك؟

ثانياً: تأمل الغاية {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}

1. {لَعَلَّكُمْ} – الرجاء الذي يبعث الأمل

"لعل" تفيد الترجي، وهو في حق الله معنى التحقيق، ولكنه يأتي بصيغة الرجاء ليبقى العبد بين الرجاء والخوف، لا يأمن مكر الله، ولا ييأس من رحمته.

2. {تُرْحَمُونَ} – الرحمة هي الغاية

الرحمة هي أعلى ما يطلبه العبد من ربه. رحمة الله في الدنيا: توفيق، وهداية، ونصر، وتمكين، وأمن. ورحمته في الآخرة: الجنة والرضوان.

الآية تربط بين الأعمال الثلاثة (الصلاة، الزكاة، طاعة الرسول) وبين رحمة الله. وكأنها تقول: إن أردتم رحمتي، فافعلوا هذه ا لأعمال. وإن أردتم الاستخلاف والتمكين والأمن الذي وعدتكم به في الآية السابقة، فاعلموا أنه ثمرة رحمتي، ورحمتي تأتي بهذه الأعمال.

3. العلاقة بين الآية 55 والآية 56

الآية 55 قالت: {وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ...}. والآية 56 تقول: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ}. وكأن الآية الثانية تفسر ما هو العمل الصالح الذي يوصل إلى ذلك الوعد: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول.

الرسالة العظيمة: الطريق إلى التمكين ليس معقدًا. إنه واضح ومباشر: صلاة صحيحة، وزكاة واجبة، وطاعة للرسول. إذا قامت الأمة بهذه الثلاثة، استحقت رحمة الله، ورحمة الله تجلب لها الاستخلاف والتمكين والأمن.

ثالثاً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. الترتيب البديع: فردي ثم اجتماعي ثم قيادي

جاءت التكاليف في ترتيب عجيب:

· الصلاة: علاقة الفرد بربه (فردي).

· الزكاة: علاقة الفرد بالمجتمع (اجتماعي).

· طاعة الرسول: علاقة الأمة بقيادتها (سياسي).

هذا الترتيب يعكس منظومة متكاملة: لا يكفي أن تكون صلاتك صحيحة إذا لم تكن زكاتك واجبة، ولا يكفي أن تكون صلاتك وزكاتك إذا لم تكن طائعًا للرسول. هذه الثلاثة تشكل دين الإسلام كاملا ً.

2. التعبير بـ {أَقِيمُوا} و {آتُوا} و {أَطِيعُوا}

كل فعل من هذه الأفعال يحمل دلالة خاصة:

· أقيموا: إقامة تستمر وتكمل.

· آتوا: إعطاء عن رضا وطواعية.

· أطيعوا: انقياد وإذعان.

هذه الأفعال الثلاثة ترسم صورة المؤمن الكامل: من يقيم عبادته، ويعطي ماله، وينقاد لقيادته.

3. الإيجاز في العبارة والغنى في المعنى

الآية جاءت موجزة في اللفظ، ولكنها غنية في المعنى. ثلاث كلمات (أقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة، وأطيعوا الرسول) تحمل كل معاني الإسلام. وهذا من إعجاز القرآن البلاغي: الإيجاز الذي لا يخل بالمعنى.

4. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية الكريمة:

· إظهار النون في "وآتوا الزكاة" – الإظهار يعطي وضوحًا في النطق، كأنه يؤكد على وجوب إيتاء الزكاة بوضوح وعلانية.

· المد في "الرسول" – مد طبيعي يعطي امتدادًا صوتيًا، كأنه يوسع معنى طاعة الرسول لتشمل كل جوانب الحياة.

· الوقف على "الرسول" – وقفة قصيرة، وكأن الله يريدك أن تتأمل هذه الطاعة قبل أن تنتقل إلى غايتها.

· التنغيم في "لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ" – نغمة فيها رجاء وأمل، تبعث في النفس الطمأنينة بأن الأعمال الصالحة تؤدي إلى رحمة الله.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بوضوح التكاليف، وترابطها، وأنها تؤدي إلى غاية عظيمة هي رحمة الله.

رابعاً: الأبعاد المختلفة للآية

أولاً: البعد التربوي

1. تربية الفرد على العبادة العملية

الآية تربيك على أن الإيمان ليس مجرد شعور، بل هو عبادة عملية: صلاة، وزكاة، وطاعة. هذه هي التربية الإسلامية الحقيقية: أن تترجم إيمانك إلى أفعال.

2. تربية الفرد على التوازن

الآية تجمع بين:

· العبادة الروحية (الصلاة)

· العبادة المالية (الزكاة)

· العبادة القيادية (طاعة الرسول)

هذا يربي إنسانًا متوازنًا، لا تغلب عليه الروحانية على حساب المادة، ولا المادة على حساب الروح، ولا الفردية على حساب الجماعة.

3. تربية الفرد على الأمل والرجاء

ختم الآية بـ {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يربي في المؤمن الأمل والرجاء في رحمة الله، مع عدم الأمن من مكره. المؤمن يعمل ويرجو، لا ييأس ولا يأمن.

ثانياً: البعد النفسي

1. الصلاة: طمأنينة وسكينة

الصلاة هي سكينة النفس وطمأنينتها. قال تعالى: {أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ}. من أقام الصلاة بخشوع، وجد فيها راحته وسكينته.

2. الزكاة: علاج للبخل والأنانية

الزكاة تعالج مرض البخل الذي يهلك النفس، وتطهيرها من حب المال والأنانية. من آتى الزكاة، شعر بلذة العطاء، وطهر قلبه من الشح.

3. طاعة الرسول: انضباط وطمأنينة

طاعة الرسول تمنح المؤمن الانضباط النفسي، فلا يتخبط بين الأهواء، بل يمشي على صراط مستقيم. وهذا الانضباط يمنحه طمأنينة واستقرارًا نفسيًا.

ثالثاً: البعد الاجتماعي

1. الصلاة: تجمع الأمة

الصلاة – وخاصة صلاة الجماعة – تجمع المسلمين في مكان واحد، في وقت واحد، خلف إمام واحد. هذا يخلق التماسك الا جتماعي، ويزيل الفروق بين غني وفقير، وأسود وأبيض.

2. الزكاة: تكافل اجتماعي

الزكاة هي أكبر نظام تكافل اجتماعي في التاريخ. إنها تضمن للفقراء حقًا في أموال الأغنياء، وتخلق مجتمعًا لا يوجد فيه فقير مدقع ولا غني طاغ.

3. طاعة الرسول: وحدة الأمة

طاعة الرسول هي ضمان وحدة الأمة. عندما تكون الأمة تحت قيادة واحدة، وتطيع أمرها، تتحد ولا تتفرق. وهذا هو أساس القوة.

رابعاً: البعد السياسي

1. الصلاة: أساس الدولة

الدولة الإسلامية تقوم على إقامة الصلاة. من أول واجبات الحاكم أن يقيم الصلاة في المجتمع، وأن يأمر بها، وأن يتابع عليها.

2. الزكاة: نظام مالي عادل

الزكاة هي النظام المالي الأساسي في الدولة الإسلامية. وهو نظام قائم على العدل والتكافل، لا على الربا والاستغلال.

3. طاعة الرسول: شرعية الحكم

طاعة الرسول تعني شرعية الحكم في الإسلام. الحاكم الذي يحكم بشرع الله، ويتبع سنة الرسول، تجب طاعته. ومن يخرج عن هذه الشرعية، لا تجب طاعته.

خامساً: البعد الاقتصادي

1. الزكاة: تنشيط الاقتصاد

الزكاة تنشط الاقتصاد، لأنها تخرج الأموال من الأيدي المتجمعة إلى الأيدي المتداولة. فهي تزيد من الاستهلاك والاستثمار، وتقلل من الاحتكار والاكتناز.

2. الصلاة: تنظيم الوقت

الصلاة في أوقاتها المحددة تعلم المسلم تنظيم الوقت، وهذا ينعكس على إنتاجيته الاقتصادية.

3. طاعة الرسول: تحريم الربا والاحتكار

طاعة الرسول تعني تحريم الربا والاحتكار والغش، وهذا يخلق اقتصادًا نزيهًا قائمًا على العدل والصدق.

سادساً: البعد الثقافي

1. الصلاة: ثقافة الخشوع

الصلاة تربي في الأمة ثقافة الخشوع لله وحده، لا للبشر ولا للأهواء. هذه الثقافة تجعل الأمة لا تنحني إلا لله.

2. الزكاة: ثقافة العطاء

الزكاة تربي في الأمة ثقافة العطاء والتكافل، لا ثقافة الجمع والاكتناز. وهذا يخلق مجتمعًا كريمًا.

3. طاعة الرسول: ثقافة الانضباط

طاعة الرسول تربي في الأمة ثقافة الانضباط بالقيادة والمنهج، لا ثقافة الفوضى والتمرد.

سابعًا: البعد الحضاري والتنموي

1. المنظومة المتكاملة للنهضة

الآية تقدم منظومة متكاملة للنهضة:

· الصلاة: تزود الفرد بالقوة الروحية.

· الزكاة: تخلق التكافل الاجتماعي.

· طاعة الرسول: تضبط الأمة بالقيادة.

هذه المنظومة هي أساس أي نهضة حقيقية. بدونها، تظل النهضة هشة ومؤقتة.

2. التنمية المستدامة

التنمية الحقيقية لا تكون بالمال فقط، ولا بالقوة فقط، بل ببناء الإنسان المؤمن العامل. الصلاة تربي الإنسان، والزكاة توزع الثروة، وطاعة الرسول تضبط المسيرة. هذا هو طريق التنمية المستدامة.

3. التوازن في التنمية

الآية تجمع بين:

· التنمية الروحية (الصلاة)

· التنمية المالية (الزكاة)

· التنمية القيادية (طاعة الرسول)

هذا هو التوازن المطلوب في أي مجتمع يريد أن ينهض. لا تنمية روحية بلا عدالة اجتماعية، ولا عدالة اجتماعية بلا قيادة رشيدة.

خامساً: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في عبادتك

· أقم الصلاة: لا تكتفِ بأدائها. اجتهد في الخشوع، وحافظ على أوقاتها، وصلها في جماعة إن استطعت. اجعلها صلة بينك وبين ربك، تذكرك به في كل لحظة.

· آت الزكاة: احسب زكاتك بدقة، وأخرجها طيبة بها نفسك. تذكر أنها حق الفقير في مالك، وهي تطهير لمالك ونفسك.

· أطع الرسول: اقرأ سيرته، واتبع سنته، واجعلها منهجًا في حياتك. لا تقدم على شيء إلا إذا علمت أن الرسول أمر به أو فعله.

2. في أسرتك

· أقيموا الصلاة في بيتكم: علم أولادك الصلاة، وشجعهم عليها، واجعلها أساس يومكم.

· آتوا الزكاة من أموالكم: علم أولادك قيمة العطاء، وربهم على أن المال وسيلة للخير، لا غاية في نفسه.

· أطيعوا الرسول في بيوتكم: اجعل بيوتكم تتبع سنة الرسول في الأكل والشرب والنوم والمعاملة.

3. في مجتمعك

· ساهم في إقامة الصلاة: شجع المساجد على العمارة، وحث الناس على الجماعة، وكن قدوة في الخشوع.

· ساهم في نشر ثقافة الزكاة: ذكر الناس بفضلها، وساعد في جمعها وتوزيعها على مستحقيها.

· ساهم في نشر سنة الرسول: علم الناس سنته، وذكرهم بها، وكن قدوة في اتباعها.

4. في دولتك

· اطالب بإقامة الصلاة في المجتمع: أن تكون الصلاة محترمة، والأذان مسموعًا، والمساجد معمورة.

· اطالب بإقامة الزكاة كنظام: أن يكون للفقراء حق في أموال الأغنياء، وأن تكون هناك مؤسسات توزعها بعدل.

· اطالب بطاعة الرسول في التشريع: أن تكون القوانين مستمدة من شريعة الله وسنة رسوله.

سادساً: دروس مستفادة من الآية

1. الطريق إلى التمكين واضح

الآية تعلمنا أن الطريق إلى التمكين ليس سرًا غامضًا، بل هو واضح: إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول. إذا أردت أن تكون من المستخلفين في الأرض، فابدأ بهذه الأعمال.

2. الأعمال الثلاثة متكاملة

لا يمكن أن تقوم الصلاة وحدها بدون زكاة، ولا الزكاة وحدها بدون طاعة الرسول. هذه الأعمال منظومة متكاملة لا تتجزأ.

3. الرحمة هي الغاية

الغاية من هذه الأعمال هي رحمة الله. وكل ما يأتي بعد ذلك من استخلاف وتمكين وأمن، هو من رحمة الله. فالرحمة هي المفتاح، وهي الغاية.

4. الأمل في رحمة الله

ختم الآية بـ {لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ} يعلمنا أن نبقى بين الخوف والرجاء. لا نأمن مكر الله، ولا نيأس من رحمته. نعمل ونجتهد، ونرجو رحمة الله.

سابعاً: العلاقة بين الآية 56 وما قبلها وما بعدها

1. مع الآية 55 (قبلها)

الآية 55 وعدت بالاستخلاف والتمكين والأمن. والآية 56 تأمر بالأعمال التي توصل إلى هذا الوعد. العلاقة: الوعد المشروط بالعمل.

2. مع الآية 57 (بعدها)

الآية 57 تقول: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ}. بعد أن أمر المؤمنين بالأعمال الصالحة، يخبرهم أن الكافرين لن يعجزوا الله، وأن مصيرهم النار. هذه مقابلة بين مصير المؤمنين العاملين ومصير الكافرين.

خلاصة القول: المفاتيح الثلاثة لرحمة الله

هذه الآية تضع بين يديك ثلاثة مفاتيح لرحمة الله:

1. إقامة الصلاة: مفتاح الصلة بالله.

2. إيتاء الزكاة: مفتاح العدالة الاجتماعية.

3. طاعة الرسول: مفتاح الانضباط بالقيادة.

إذا أمسكت بهذه المفاتيح الثلاثة، فتحت لك أبواب رحمة الله. ورحمة الله هي التي تجلب لك الاستخلاف في الأرض، و التمكين للدين، والأمن بعد الخوف.

وأنت الآن.. هل أمسكت بهذه المفاتيح؟

· هل تقيم الصلاة حقًا، أم تؤديها فقط؟

· هل تؤتي الزكاة طيبة بها نفسك، أم تخرجها متثاقلًا؟

· هل تطيع الرسول في كل أمر، أم تختار من سنته ما يوافق هواك؟

تذكر: الرحمة هي الغاية، وهذه الأعمال هي الطريق. فاختر الطريق، تسلكه إلى رحمة الله

خامسا.

{لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ} (النور: 57)

المقدمة: بعد الوعد للمؤمنين.. يأتي الوعيد للكافرين

بعد أن سمعت ذلك الوعد العظيم في الآية (55): الاستخلاف في الأرض، والتمكين للدين، وتبديل الخوف أمنًا، لمن آمن وعمل الصالحات. ثم سمعت المفاتيح العملية لهذا الوعد في الآية (56): إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وطاعة الرسول، لتكونوا من المرحومين. تأتي هذه الآية (57) لتقلب الصفحة، وتنقلنا من حديث البشارة إلى حديث الوعيد والتحذير.

تأمل معي هذه الآية كأنها تنزل عليك الآن. إنها تخاطب الذين كفروا، ولكنها في الوقت نفسه تضع أمام عينيك حقيقة لا تتغير: الكافرون – مهما أوتوا من قوة، ومهما ظنوا أنهم سيفلتون – لن يعجزوا الله في الأرض. هم في قبضته، وتحت إرادته، لا يخرجون عن سلطانه. ومصيرهم النار، وبئس المصير.

هذه الآية ليست فقط خبرًا عن الكافرين، بل هي طمأنينة للمؤمنين، وتثبيت لقلوبهم. هي تقول لهم: لا تحزنوا من قوة الكافرين، ولا تخافوا من كيدهم. إنهم لن يعجزوا الله، ولن يفلتوا من قبضته. وأنتم إن آمنتم وعملتم الصالحات، فلكم الوعد بالاستخلاف والتمكين. وهم إن كفروا، فلهم الوعيد بالنار وبئس المصير.

تعال نغوص في هذه الآية. لن نقرأها فقط، بل سنعيش معانيها، ونتأمل كيف أنها تضع الأمور في نصابها، وتريح قلوب المؤمنين، وتخيف قلوب الكافرين.

أولا ً: تأمل النهي {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}

1. {لَا تَحْسَبَنَّ} – نهي مؤكد عن الظن الخاطئ

أ. {لَا تَحْسَبَنَّ} – النهي مع نون التوكيد

الفعل "تحسبن" مضارع مبني للفاعل، دخلت عليه نون التوكيد الثقيلة، وسبقه "لا" الناهية. هذا أعلى درجات النهي والتأكيد. والمعنى: لا تظنن أبدًا، ولا تخطرن ببالك، أن الذين كفروا...

اللمسة البلاغية: النهي ب ـ "لا تحسبن" مع نون التوكيد يدل على أن هذا الظن قد يخطر ببال بعض الناس، فجاء النهي المؤكد ليقطع هذا الظن من جذوره.

ب. من المخاطب ب ـ "لا تحسبن"؟

الخطاب في الآية موجه إلى النبي ﷺ، والمراد به الأمة كلها. أي: لا تظنوا – أيها المؤمنون – أن الذين كفروا...

الرسالة النفسية: هذه الآية تعالج قلق المؤمنين من قوة الكافرين. قد يظن البعض أن الكفار قد فاتوا الله، أو خرجوا عن قدرته، أو أنهم سينتصرون في النهاية. فالآية تنهى عن هذا الظن وتقطعه.

2. {الَّذِينَ كَفَرُوا} – وصفهم بالكفر

"كفروا" أي جحدوا وحدانية الله، وكذبوا رسوله، واستكبروا عن طاعته. هذا هو الذنب العظيم الذي أوصلهم إلى هذا المصير.

3. {مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ} – لن يعجزوا الله

أ. معنى {مُعْجِزِينَ}

الإعجاز في اللغة هو السبق والفوت. يُقال: أعجزني فلان إذا سبقني وفاتني. ومعنى {مُعْجِزِينَ فِي الأَرْضِ} أي: سابقين الله فائتين منه، أو خارجين عن قدرته وسلطانه.

اللمسة البلاغية: جاءت "معجزين" بصيغة اسم المفعول، للدلالة على أن هذا الظن – لو حصل – يجعلهم كأنهم قد أعجزوا الله. والله ينفي هذا الظن جملة وتفصيلا ً.

ب. {فِي الأَرْضِ}

قيد "في الأرض" يعني أنهم مهما كانوا في الأرض، ومهما أوتوا من قوة وجنود وأموال، فإنهم لن يعجزوا الله. لا يخرجون عن قبضته، ولا يفوتونه. الأرض كلها في قبضته، وهو القاهر فوق عباده.

ج. حقيقة لا تتغير

هذه الآية تقرر حقيقة كونية: الله هو القاهر فوق عباده. لا يمكن لأحد أن يعجزه، لا في الأرض ولا في السماء. مهما بلغت قوة الكافرين، ومهما استكبروا، فإنهم في قبضة الله.

الرسالة للمؤمن: لا تخف من قوة الكافرين. لا تظن أنهم سينتصرون عليك، أو أنهم سيفلتون من عذاب الله. إنهم في قبضته، وسيأتيهم ما وعدهم الله به.

ثانياً: تأمل النتيجة الأولى {وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ}

1. {وَمَأْوَاهُمُ} – المأوى هو المستقر

"المأوى" هو مكان الإقامة الدائمة، والاستقرار الذي لا يتحول عنه صاحبه. ليس مجرد مرور، بل هو المستقر النهائي.

2. {النَّارُ} – المصير المخيف

النار هي جهنم، أعده الله للكافرين. وهي:

· نار عذاب لا تطفأ، ولا تخف.

· دار خزي وذل بعد استكبار في الدنيا.

· دار بؤس وشقاء لا يموت فيها صاحبها ولا يحيا.

اللمسة البيانية: الإتيان بـ "مأواهم النار" دون تعريف النار بـ "ال" للجنس، ولكنها معرفة في السياق. وهذا يفيد التعظيم و التهويل، كأنها النار المعروفة التي لا تخفى شدتها.

الرسالة: كل ما أوتيه الكافرون في الدنيا من قوة وجاه ومال، لن ينفعهم يوم القيامة. مأواهم النار، وهذه هي الحقيقة التي لا مفر منها.-

ثالثاً: تأمل النتيجة الثانية {وَلَبِئْسَ المَصِيرُ}

1. {وَلَبِئْسَ} – اللام للتوكيد، وبئس للذم

اللام في "لبئس" هي لام القسم للتأكيد. و "بئس" فعل ذم، يفيد أعلى درجات التقبيح والاستهجان.

2. {المَصيرُ} – المصير هو المرجع

"المصير" هو المرجع والمنتهى. أي أن منتهى هؤلاء الكافرين ورجعتهم هو النار، وهي بئس المرجع.

اللمسة البلاغية: جاءت الجملة بصيغة القسم المؤكد (اللام) وفعل الذم (بئس) والتعريف في "المصير". هذا كله يفيد التأكيد والتقبيح الشديد. وكأن الله يقول: أقسم لكم، إن مصيرهم النار، وهي أسوأ مصير يمكن أن ينتهي إليه أحد.

رابعاً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. النهي المؤكد في البداية

بدء الآية بـ {لَا تحْسَبَنَّ} بنون التوكيد يعطي قوة في النهي، ويدل على أن هذا الظن خطير، ويجب استئصاله من النفس.

2. نفي الإعجاز {مُعْجِزِينَ}

اختيار لفظ "معجزين" بدلاً من "فائتين" أو "سابقين" له دلالة خاصة. الإعجاز يعني أنهم يظنون أنهم فاتوا الله وأعجزوه. والآية تنفي هذا الظن.

3. التعريف في {النَّارُ} و {المَصِيرُ}

تعريف النار والمصير بـ "ال" يفيد التعظيم والتهويل. إنها النار المعروفة، والمصير المعروف، الذي لا يخفى عظمته.

4. القسم في {وَلَبِئْسَ}

اللام في "لبئس" لام القسم، وهذا تأكيد إضافي على سوء المصير. وكأن الله يقسم ليطمئن المؤمنين، ويخوف الكافرين.

5. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية الكريمة:

· إظهار النون في "لا تحسبن" – النون المشددة في "تحسبن" تُنطق بتشديد، وكأنها تضرب على القلب: لا تظن هذا الظن أبدًا.

· المد في "الذين كفروا" – مد عارض للسكون، يعطي إحساسًا بامتداد صفة الكفر وثباتها.

· إدغام النون في الميم في "معجزين في" – إدغام يعطي إحساسًا بالاتصال، وكأن الإعجاز في الأرض متصل بهم، لكن الله ينفيه.

· الوقف على "الأرض" – وقفة قصيرة، ثم استئناف بـ "ومأواهم النار"، وكأن الله يريد أن يفصل بين حقيقة عجزهم وحقيقة مصيرهم.

· تفخيم لفظ "النار" و"المصير" – تفخيم الصوت عند النطق بهذين اللفظين يعطي إحساسًا بعظمتهما وهولهما.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بقوة النهي عن ظن عجز الكافرين، وهول النار وسوء المصير.

خامساً: الأبعاد المختلفة للآية

أولاً: البعد العقدي والإيماني

1. الإيمان بقدرة الله المطلقة

الآية تؤكد عقيدة أساسية: أن الله قاهر فوق عباده، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء. هذا الإيمان يحرر المؤمن من الخوف من قوة الكافرين.

2. الإيمان بالجزاء

الآية تؤكد أن الكفر له جزاء، وهو النار. وأن هذا الجزاء حتمي لا مفر منه. هذا الإيمان يردع المؤمن عن الكفر، ويزيده ثباتًا على الإيمان.

3. طمأنة المؤمنين

الآية تطمئن المؤمنين بأن الكافرين لن يعجزوا الله، وأن الله سينتقم منهم في الدنيا أو الآخرة. فلا يحزنوا من كيدهم، ولا يخافوا من قوتهم

ثانيًا: البعد التربوي

1. تربية المؤمن على حسن الظن بالله

الآية تربي المؤمن على أن لا يظن بالله ظن السوء، ولا يظن أن الكافرين سينتصرون في النهاية. بل يظن بالله أن نصر المؤمنين آتٍ لا محالة.

2. تربية المؤمن على عدم الخوف من قوة الكافرين

الآية تعالج الخوف النفسي الذي قد يصيب المؤمنين عندما يرون قوة الكافرين. تقول لهم: لا تخافوا، فهم لن يعجزوا الله.

3. تربية المؤمن على اليقين بالعاقبة

الآية تربي في المؤمن اليقين بأن العاقبة للمتقين، وأن مصير الكافرين هو النار وبئس المصير. هذا اليقين يمنحه صبرًا وقوة.

ثالثًا: البعد النفسي

1. معالجة القلق والاضطراب

قد يشعر المؤمن بالقلق عندما يرى الكافرين يعلون في الأرض، ويظن أنهم سينتصرون. الآية تعالج هذا القلق: لا تحسبن أنهم معجزين. هم في قبضة الله.

2. غرس الطمأنينة والسكينة

اليقين بأن الله قادر على كل شيء، وأن الكافرين لن يفلتوا، يغرس في النفس طمأنينة وسكينة، ويزيل التوتر والاضطراب.

3. توجيه الخوف إلى الله وحده

المؤمن لا يخاف من الكافرين، بل يخاف الله وحده. الآية توجه الخوف من المخلوق إلى الخالق.

رابعًا: البعد الأخلاقي

1. تحذير من سوء العاقبة

الآية تحذر من سوء العاقبة للكافرين، وهي النار. هذا التحذير يدفع المؤمن إلى البعد عن الكفر وأسبابه.

2. ترسيخ قيمة العدل الإلهي

الله لا يظلم أحدًا. من كفر فله النار، ومن آمن وعمل صالحًا فله الجنة. هذا هو العدل المطلق.

3. التذكير بالمسؤولية

كل إنسان مسؤول عن اختياره. من اختار الكفر، فليعلم أن مصيره النار. هذه مسؤولية فردية لا تحمل على أحد.

خامسًا: البعد الاجتماعي

1. تمييز الصفوف

الآية تميز بين صف المؤمنين وصف الكافرين. المؤمنون لهم وعد الله بالاستخلاف والتمكين. الكافرون لهم وعيد الله بالنار. هذا التمييز يقوي التماسك داخل الصف المؤمن.

2. تحذير من الانخداع بقوة الكافرين

قد ينخدع بعض المؤمنين بقوة الكافرين فيتبعونهم أو يخافونهم. الآية تحذر من هذا الانخداع.

3. طمأنة المجتمع المؤمن

المجتمع المؤمن قد يضطرب عندما يرى قوة الكافرين. الآية تطمئنه: لا تخافوا، فهم في قبضة الله.

سادسًا: البعد السياسي (في حدود ما تحمله الآية)

1. طمأنة الدولة المؤمنة

الدولة المؤمنة قد تخاف من قوة الدول الكافرة. الآية تطمئنها: لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض. مهما بلغت قوتهم، فهم في قبضة الله.

2. تحديد موقف المؤمنين من الكافرين

المؤمنون لا يخافون الكافرين، ولا ينخدعون بقوتهم، ولا يظنون أنهم سينتصرون في النهاية. هذا الموقف يمنح الدولة المؤمنة قوة وعزة.

ملاحظة: البعد السياسي في هذه الآية ليس مباشرًا، لكن يمكن استخلاص هذه الدلالات في سياق طمأنة الدولة المؤمنة.

سادسًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في يقينك بالله

· لا تظن أن الكافرين سينتصرون: مهما رأيت من قوة للكافرين، فلا يضطرب قلبك. تذكر: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}. الله قادر عليهم، ونصره آتٍ.

· لا تخف من قوتهم: الخوف لله وحده. أما الكافرون، فمهما أوتوا من قوة، فهم في قبضة الله.

2. في مواجهة الفتن

· عندما ترى الفتن تعم: لا تظن أن الكافرين سيفلتون. تذكر أن لهم النار وبئس المصير.

· عندما تشتد المحن: تذكر أن الله مع المؤمنين، وأن الكافرين لن يعجزوه.

3. في دعوتك للكافرين

· لا تخف من دعوتهم: لا تخشى بطشهم، فهم لن يعجزوا الله.

· ذكرهم بمصيرهم: بلغهم أن الكفر عاقبته النار، لعلهم يتوبون.

4. في تربية أولادك

· ربهم على الثقة بالله: علمهم أن الله قادر على كل شيء، وأن الكافرين لن يفلتوا منه.

· ربهم على عدم الخوف من قوة الكافرين: علمهم أن القوة الحقيقية قوة الله، وأن الكافرين مهما أوتوا، فهم في قبضته.

سابعاً: العلاقة بين الآية 57 وما قبلها وما بعدها

1. مع الآية 56 (قبلها)

الآية 56 أمرت المؤمنين بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وطاعة الرسول، لعلهم يرحمون. والآية 57 تخبر الكافرين أنهم لن يعجزوا الله، وأن مصيرهم النار. هذه مقابلة بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين.

2. مع الآية 58 (بعدها)

الآية 58 تبدأ بآداب الاستئذان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ...}. وهذا انتقال إلى أحكام عملية في المجتمع المسلم، بعد أن طمأن الله المؤمنين على مصير الكافرين.

ثامنًا: دروس مستفادة من الآية

1. اليقين بأن العاقبة للمتقين

الآية تعلمنا أن نثق في الله، ولا نضطرب لقوة الكافرين. النصر للمؤمنين في النهاية، والنار للكافرين.

2. عدم الانخداع بالمظاهر

قد يظن البعض أن قوة الكافرين دليل على أنهم على حق. الآية تحذر من هذا الظن: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}. القوة المادية لا تعني أنهم فاتوا الله.

3. طمأنة قلوب المؤمنين

الآية تقدم طمأنينة للمؤمنين في كل زمان ومكان. لا تخافوا من قوة الكافرين، فهم في قبضة الله.

4. التذكير بمصير الكافرين

الآية تذكر الكافرين بمصيرهم لعلهم يرتدعون، وتذكر المؤمنين بعدالة الله.

خلاصة القول: لا تظن.. وثق بالله

هذه الآية تضع أمامك حقيقة لا تتغير: الذين كفروا لن يعجزوا الله في الأرض. مهما بلغت قوتهم، ومهما امتد سلطانهم، فإنهم

في قبضة الله. ومصيرهم النار، وبئس المصير.

وأنت الآن.. هل كنت تظن غير ذلك؟

· هل كنت تخشى قوة الكافرين وتضطرب؟

· هل كنت تظن أنهم سينتصرون في النهاية؟

· هل كان في قلبك ريب من نصر الله؟

تذكر: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}. اقطع هذا الظن من قلبك. وثق بأن الله ناصر دينه، ومتم نوره، ولو كره الكافرون.

اللهم إنا نعوذ بك من أن نظن بك ظن السوء، أو أن نخاف من قوة الكافرين. اللهم ثبت قلوبنا على الإيمان، وأرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، والباطل باطلا ً وارزقنا اجتنابه. اللهم اجعل عاقبتنا إلى الجنة، ولا تجعل مصيرنا إلى النار. إنك على كل شيء قدير.

القسم الرابع

قدمة الآيات (58-61) من سورة النور

من حماية الخصوصية إلى بناء الألفة.. رحلة في رحاب البيوت

بعد أن طمأن الله المؤمنين في الآية السابقة (57) على مصير الكافرين، وأخبرهم أنهم لن يعجزوا الله في الأرض، وأن مأواهم النار وبئس المصير، ينتقل السياق القرآني إلى مشهد جديد، مشهد يمس حياة كل مسلم في كيانه اليومي، في بيته، في علاقته بأهله وأطفاله وخدمه وأقاربه. إنه الانتقال من الحديث عن العدو الخارجي إلى الحديث عن بناء الداخل، من طمأنة القلوب على مصير الكافرين إلى تربية النفوس على آداب التعامل مع من حولهم.

هذه الآيات الأربع (58-61) تنزل لترسم منظومة متكاملة للعلاقات الأسرية والاجتماعية، وتضع حدودًا دقيقة تحفظ الكرامة ، وتزيل الحرج، وتغرس الألفة، وتبني مجتمعًا متماسكًا على أسس من الاحترام والرحمة. إنها تخاطب كل فرد في المجتمع: الصغير قبل أن يبلغ، والكبير بعد أن يبلغ، والمرأة الكبيرة التي تجاوزت سن الزواج، والرجل الذي يريد أن يأكل في بيت قريبه أو صديقه. لا تترك أحدًا إلا وتحدثه بما يناسب حاله.

تأمل معي هذه الآيات كأنها تنزل اليوم، تخاطب بيتك، وتوجه أسرتك، وتعلمك كيف تجعل من بيتك حصنًا للكرامة، ومن علا قاتك الأسرية نموذجًا للمودة والرحمة.

آية 58: حماية الخصوصية في أوقات العورات

تبدأ الآية الأولى (58) بنداء الإيمان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}. إنه نداء يوقظ الشعور بالمسؤولية، ويربط هذه الآداب بالإيمان نفسه. إنها تخاطب الذين آمنوا حقًا، لتقول لهم: من إيمانكم أن تلتزموا بهذه الآداب.

ثم تحدد فئتين يجب أن تستأذن قبل الدخول في ثلاث أوقات محددة: الذين ملكت أيمانكم (الخدم والعبيد) و الذين لم يبلغوا الحلم منكم (الأطفال الصغار). وتحدد الأوقات الثلاثة: قبل صلاة الفجر (وقت النوم والخلوة الزوجية)، ووقت الظهيرة (وقت القيلولة وخلع الثياب للراحة)، وبعد صلاة العشاء (وقت الليل والخلوة الزوجية). إنها أوقات العورات، أوقات الخصوصية التي لا يحب الإنسان أن يفاجأ فيها أحد.

هذه الآية تضع اللبنة الأولى في بناء الأسرة المسلمة: حماية الخصوصية. إنها تعلم الصغار والخدم أن هناك أوقاتًا لا يدخلون فيها إلا بإذن. وتعلم الكبار أن لهم حرمة لا تنتهك.

آية 59: الانتقال من الطفولة إلى الرشد

ثم تأتي الآية الثانية (59) لترسم مرحلة الانتقال، مرحلة البلوغ. بعد أن كبر الأطفال، وبلغوا سن الحلم، تغير حكمهم. لم يعودوا كالصغار الذين يستأذنون في الأوقات الثلاثة فقط. بل صاروا كالكبار: {فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}. يجب أن يستأذنوا في كل وقت، كما يستأذن الآباء والإخوة الكبار.

هذه الآية تحمل أعظم درس تربوي: التدرج في التربية. الطفل الصغير يعلم الاستئذان في أوقات محددة، حتى إذا بلغ واكتمل وعيه، انتقل إلى مرحلة التكليف الكامل. إنها تربية تراعي مراحل النمو، وتعد النشء لتحمل المسؤولية.

آية 60: رحمة الله بكبيرات السن

ثم تأتي الآية الثالثة (60) لتتحدث عن فئة أخرى، فئة النساء الكبيرات اللاتي تجاوزن سن الزواج، ولا يرجون نكاحًا. لهن حكم خاص، رخصة من الله ترفع عنهن الحرج. {لَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ}. يمكن لهن أن يضعن ثياب الزينة – كالخمار والجلباب – أمام من لا يرجون نكاحهم، بشرط ألا يكن متبرجات بقصد إظهار الزينة.

ثم تختم الآية بتوجيه أدبي رقيق: {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ}. إن بقاءهن على الستر الكامل، والعفة التامة، هو خير لهن في الدنيا والآخرة. إنها رخصة لا إلزام، ورحمة مع دعوة إلى الأفضل.

هذه الآية تظهر رحمة الإسلام بالمرأة المسنة، وتخفيف التكاليف عنها مع الحفاظ على كرامتها وعفتها.

آية 61: فتح أبواب الألفة والطعام والسلام

ثم تأتي الآية الرابعة (61) لتفتح أبوابًا واسعة من الألفة، وترفع الحرج عن المؤمنين في علاقاتهم الاجتماعية. إنها تخاطب جميع المؤمنين: ليس عليكم حرج أن تأكلوا من بيوتكم، أو بيوت آبائكم، أو بيوت أمهاتكم، أو بيوت إخوانكم، أو بيوت أخواتكم، أو بيوت أعمامكم، أو بيوت عماتكم، أو بيوت أخوالكم، أو بيوت خالاتكم، أو ما ملكتم مفاتحه، أو بيت صديقكم.

إنها قائمة تطوف بالعلاقات الأسرية، تذكر كل قريب تلو الآخر، ليشعر الإنسان بأن دائرة الأمان الاجتماعي واسعة جدًا. لا حرج، لا إثم، لا إحراج. فكل هذه البيوت هي بيوتكم في المعنى، وأهلها هم أهلكم.

ثم تضيف الآية: {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا}. لا حرج عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين، كل كما يشاء، دون أن يشعر أحد بالحرج.

ثم تأتي التوجيه الختامي الأجمل: {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً}. إذا دخلتم أي بيت – من هذه البيوت أو غيرها – فسلموا على أهله. هذا السلام هو تحية من عند الله، مباركة طيبة. إنه مفتاح الألفة، وباب المحبة.

وتختم الآية: {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}. هكذا يبين الله لكم آياته، لتتدبروها، وتفهموها، وتعملوا بها بعقولكم وبصائركم.

العلاقة بين الآيات (58-61)

هذه الآيات الأربع تشكل وحدة موضوعية متناغمة، تبدأ بحماية الخصوصية، وتنتهي بفتح أبواب الألفة:

· آية 58: حماية الخصوصية في أوقات العورات (للأطفال والخدم).

· آية 59: الانتقال من الطفولة إلى الرشد (الأطفال بعد البلوغ).

· آية 60: رحمة الله بكبيرات النساء (الرخصة للمسنات).

· آية 61: فتح أبواب الألفة والطعام والسلام (للأقارب والأصدقاء).

إنها رحلة متكاملة: من الستر إلى الألفة، من الحماية إلى الانطلاق. تبدأ بالحدود التي تحمي الخصوصية، وتنتهي بالعلاقات التي تبنى على المحبة والثقة.

الأسلوب القرآني في الانتقال

لاحظ كيف ينتقل القرآن من الحديث عن الأطفال والخدم (58) إلى الأطفال بعد البلوغ (59) إلى النساء الكبيرات (60) إلى عموم الناس في آداب الطعام والسلام (61). إنه تدرج يغطي كل الفئات: الصغار، ثم الكبار، ثم النساء المسنات، ثم المجتمع كله.

كما أن هناك تناسبًا بديعًا بين بداية هذه الآيات ونهايتها. بدأت بنداء الإيمان: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}، وختمت بالتذكير بأن الله يبين الآيات لتعقلوا. فالإيمان يقتضي الامتثال، والتعقل يقتضي التدبر والفهم.

ما تحمله هذه المقدمة من معان

هذه المقدمة تحمل في طياتها:

1. الربط العضوي بين الآيات الأربع، وإبراز أنها تشكل وحدة موضوعية متكاملة حول آداب البيوت والعلاقات الأسرية.

2. بيان التدرج في الآيات من حماية الخصوصية (58) إلى الانتقال إلى الرشد (59) إلى رحمة المسنات (60) إلى فتح الأ لفة (61).

3. إبراز القيم الكبرى التي تدعو إليها هذه الآيات: حماية الخصوصية، التدرج في التربية، رحمة المسنات، الألفة بين الأقارب، السلام عند الدخول.

4. توجيه الخطاب إلى القارئ ليجعله يتفاعل مع هذه الآيات، ويشعر أنها تخاطبه هو في بيته، مع أطفاله، مع والديه، مع خدمه، مع أقاربه وأصدقائه.

5. التمهيد للتفسير التفصيلي لكل آية على حدة، مع استحضار الأسلوب الذي يخاطب العقل والوجدان، ويجعل القارئ يشعر أن الآيات تنزل عليه الآن، وتدعوه إلى أن يجعل بيته نموذجًا للتطبيق العملي لهذه الآداب الربانية.

وبهذا تكون المقدمة قد أعدت القارئ لرحلة تفسيرية تمزج بين حماية الخصوصية وبناء الألفة، ليشعر أن الإسلام دين متكامل، يعتني بأدق تفاصيل الحياة الأسرية والاجتماعية، ويربي النفوس على الاحترام والرحمة والمحبة

اولا.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (النور: 58)

المقدمة: أذنٌ على الباب قبل أن تدخل... كيف تحمي حرمة البيت؟

تخيل نفسك في لحظة من أخص لحظات حياتك. ربما تكون قد خلعت ثيابك لتستريح، أو تكون قد نمت في قائلة الظهيرة، أو تكون قد دخلت في هدأة الليل بعد صلاة العشاء. في هذه اللحظات تكون في حالة من الانكشاف والهدوء، لا ترغب أن يفاجئك أحد، ولا تحب أن يدخل عليك شخص دون أن يستأذن.

ثم تخيل أن طفلًا صغيرًا – ربما ابنك أو ابنة أخيك – أو خادمًا في بيتك، يدخل عليك فجأة دون استئذان في إحدى هذه الأ

أوقات. ما شعورك؟ قد تشعر بالحرج، أو بالانزعاج، أو ربما تضطر إلى تغيير جلستك فجأة.

هذه الآية تأتي لتحمي هذا المشهد. إنها تنزل من السماء لترسم حدودًا دقيقة للعلاقات داخل البيت الواحد. إنها تعلمك كيف تحمي حرمتك، وكيف تربي من هم دونك على احترام هذه الحرمة. إنها تجعل من البيت مكانًا للطمأنينة والكرامة، لا مكانًا للفوضى والانتهاك.

تأمل معي هذه الآية كأنها نزلت عليك أنت في بيتك، مع أطفالك، ومع خَدَمك. إنها تقول لك: يا من آمنت بالله ورسوله، هؤلاء الذين في خدمتك – من الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم، ومن العبيد والإماء – يجب أن يستأذنوا قبل الدخول عليك في ثلاث أوقات محددة. هذه الأوقات هي أوقات عوراتكم، أوقات الخلوة والانكشاف.

الآية لا تخاطب الكبار فقط، بل تخاطب الصغار أيضًا. إنها تربي فيهم الحياء والاحترام منذ نعومة أظفارهم. إنها تعلمهم أن هناك حدودًا لا يجوز تجاوزها، وأن حرمة البيت ليست مطلقة، بل لها مواقيت.

تعال نغوص في هذه الآية العظيمة. سنتأمل ألفاظها، ونعيش معانيها، ونشعر كيف أنها تحمي العلاقات الأسرية، وتبني شخصية الطفل منذ الصغر، وتنظم أدق تفاصيل الحياة اليومية.

أولا ً: تأمل المخاطبة {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

1. {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا} – نداء الإيمان

مرة أخرى، يبدأ الله الخطاب بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}. هذا النداء يحمل محبة وتكريمًا. الله ينادي الذين آمنوا ليهتموا بهذا الحكم، لأنه جزء من إيمانهم. من آمن حقًا، عليه أن يلتزم بهذه الآداب.

الرسالة لك: هل أنت من الذين آمنوا حقًا؟ إذن فهذا الخطاب موجه إليك. أنت مطالب بأن تطبق هذه الآداب في بيتك، وأن تربي أبناءك عليها، وأن تعلم من في خدمتك عليها.

ثانياً: تأمل الأمر {لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ}

1. {لِيَسْتَأْذِنْكُمْ} – اللام للأمر والإيجاب

اللام في "ليستأذنكم" هي لام الأمر، تفيد الوجوب. أي: يجب أن يستأذن هؤلاء قبل الدخول عليكم. ليست مجرد سنة أو مستحب، بل هو حكم شرعي واجب.

2. {الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ} – العبيد والإماء والخدم

هذه الفئة تشمل:

· العبيد والإماء: الذين يملكهم الإنسان.

· الخدم: الذين في خدمة البيت، حتى لو كانوا أحرارًا، فإنهم في حكم من يملكهم اليمين من حيث الدخول والخروج.

اللمسة البيانية: التعبير بـ "ملكت أيمانكم" يحمل معنى الملكية والولاية. هؤلاء قريبون منكم، يخدمونكم، وقد يدخلون عليكم في أي وقت. فجاء الحكم ليحدد أوقات استئذانهم.

3. {وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ} – الأطفال قبل البلوغ

هذه الفئة هي الأطفال الذين لم يبلغوا سن الاحتلام، أي لم يصلوا إلى مرحلة الرشد الجنسي. وهم يشملون:

· أبناء الرجل.

· أبناء إخوته.

· أي طفل صغير يتردد على البيت.

اللمسة التربوية العظيمة: الآية تلزم الأطفال – حتى قبل أن يبلغوا – بالاستئذان في هذه الأوقات الثلاثة. هذا يدل على أن التربية على الحياء والاحترام تبدأ من الصغر. لا تنتظر حتى يبلغ الطفل لتعلمه الاستئذان، بل علّمه منذ أن يعقل.

اسأل نفسك: هل علمت أبناءك أن يستأذنوا قبل الدخول عليك في هذه الأوقات؟ هل دربتهم على أن يقرعوا الباب، أو يقولوا "أأدخل"؟ أم أنهم يدخلون عليك في أي وقت دون استئذان؟

ثالثًا: تأمل الأوقات الثلاثة {ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ}

1. {ثَلَاثَ مَرَّاتٍ} – ثلاث أوقات محددة

لم تترك الآية الأمر مطلقًا، بل حددت ثلاثة أوقات فقط يجب فيها الاستئذان من هاتين الفئتين. هذه الأوقات هي أوقات الخلوة والانكشاف، حيث يخلع الإنسان ثيابه، أو يكون في حالة غير مؤهلة لاستقبال أحد.

2. الوقت الأول: {مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ}

هذا الوقت هو وقت السحر، قبل طلوع الفجر. الناس في هذا الوقت:

· يكونون نيامًا.

· يخلعون ثياب النوم.

· قد يكون الرجل مع أهله في فراشه.

· تكون المرأة في حالة غير مهيأة للاستقبال.

هذا الوقت يبدأ من منتصف الليل إلى طلوع الفجر. إنه وقت الخلوة الأسرية، الذي لا يحب أحد أن يفاجأ فيه.

3. الوقت الثاني: {وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ}

"الظهيرة" هي وقت منتصف النهار، وقت القيلولة. "تضعون ثيابكم" أي تخلعونها للراحة والنوم. في الحر الشديد، يخلع الناس ثيابهم الثقيلة، ويلبسون ثيابًا خفيفة، أو يستلقون للقيلولة.

هذا وقت الراحة والاسترخاء، حيث يكون الإنسان في حالة غير رسمية، وقد يكون منكشفًا. فجاء الحكم ليحرم الدخول عليه دون استئذان.

4. الوقت الثالث: {وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ}

وقت العشاء هو وقت الليل، حيث يدخل الناس في هدأة الليل. بعد صلاة العشاء، يكون الناس:

· قد دخلوا إلى بيوتهم.

· خلعوا ثياب النهار.

· استعدوا للنوم.

· قد يكون الرجل مع أهله.

هذا وقت الخلوة الليلية، الذي لا ينبغي أن يدخل فيه أحد دون استئذان.

5. دلالة التنكير في {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ}

بعد ذكر الأوقات الثلاثة، قال الله: {ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ}. "عورات" جمع عورة، وهي مواضع الانكشاف والخلوة. التنكير في "عورات" يفيد التعظيم والتنويع، أي أن هذه الأوقات كلها أوقات عورات، ينبغي أن يحترمها من حولك.

الرسالة: الله يريد أن تحافظ على خصوصيتك. هذه الأوقات الثلاثة هي أوقات ضعفك، أوقات راحتك، أوقات انكشافك. فلا تسمح لأحد – حتى من هم في خدمتك – بأن يدخل عليك فيها دون استئذان.

رابعاً: تأمل الرخصة بعدها {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ}

1. {لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ} – الرخصة في غير هذه الأوقات

بعد هذه الأوقات الثلاثة، لا جناح على هؤلاء – العبيد والأطفال – أن يدخلوا دون استئذان. لأنهم في بقية الأوقات يكون الناس في حالة مهيأة للاستقبال، ولا ضرر من دخولهم.

اللمسة البيانية: نفي الجناح عن الفريقين (عليكم ولا عليهم) فيه رفع للحرج. أنتم لا تتحملون إثمًا إذا دخلوا دون استئذان في غير هذه الأوقات، وهم لا يتحملون إثمًا.

2. {طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ} – وصف طبيعة العلاقة

"طوافون" من الطواف، أي كثيرو التردد والدوران. هؤلاء – العبيد والأطفال – يكثرون الدخول والخروج في البيت، يخدمون، يلعبون، يترددون. فهم في حكم من يكثر دخوله عليك.

"بعضكم على بعض" يعني أن العلاقة بينكم وبينهم هي علاقة تكامل، أنتم تخدمونهم وهم يخدمونكم، أنتم ترعونهم وهم يعينونكم. فهذه الكثرة في التردد لا حرج فيها في غير الأوقات الثلاثة.

الرسالة: الآية تضع توازنًا دقيقًا. من جهة، تحمي خصوصيتك في أوقات محددة. ومن جهة أخرى، تسمح بالدخول والخروج في بقية الأوقات، لأن العلاقة الأسرية قائمة على التكامل والتردد.

خامساً: تأمل الخاتمة {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

1. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ} – البيان الإلهي

"كذلك" أي مثل هذا البيان الواضح، يبين الله لكم آياته. فهو لم يترك الأمر غامضًا، بل بينه بيانًا شافيًا: أوقات محددة، فئات محددة، حكم واضح.

2. {وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} – العلم والحكمة وراء التشريع

"عليم" بما في نفوسكم من حياء، وبما تحتاجون إليه من خصوصية. "حكيم" في تشريعه، فوضع هذه الحدود بدقة، لا زيادة فيها ولا نقصان.

الرسالة: هذا الحكم ليس عشوائيًا. إنه نابع من علم الله بحالك، ومن حكمته في تنظيم حياتك. فالتزم به، وثق أن الله لم

يشرعه إلا لخيرك.

سادساً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. النداء بـ {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا}

النداء يخلق إحساسًا بالمسؤولية. كأن الله يقول: أنتم الذين آمنتم، أنتم الذين ينبغي أن تلتزموا بهذا الأدب. الإيمان يقتضي الحياء.

2. التنكير في {ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ}

التنكير يفيد التعظيم والتهويل، ليشعر الإنسان بخطورة هذه الأوقات، ووجوب احترامها.

3. التعبير بـ {طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ}

صيغة "طوافون" تدل على الكثرة والتكرار. وهي صيغة مبالغة، تعكس واقع الحياة في البيت: كثرة التردد والخدمة.

4. قوله {بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ}

هذا التعبير يخلق شعورًا بالتكامل، ويزيل أي شعور بالتفوق أو الاستعلاء. الكل يخدم الكل، والكل يحتاج إلى الكل.

5. ختم الآية بـ {عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

هذا الاسمان يريان الحكمة البالغة وراء التشريع، والعلم الكامل بأحوال الناس.

6. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية:

· المد في "آمنوا" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالنداء الرحب الواسع.

· إدغام النون في الميم في "منكم" – إدغام يعطي إحساسًا بالاتصال، وكأن الحكم يمس الجميع.

· الوقف على "الفجر" – وقفة تعطي النفس فرصة لتأمل أول وقت.

· الوقف على "الظهيرة" – ثم الاستئناف، ليفصل بين الأوقات.

· التنغيم في "عورات لكم" – نغمة فيها حماية ورعاية، وكأن الله يقول: هذه عوراتكم، فاحفظوها.

· الوقف على "جناح" – ثم الاستئناف بـ "بعدهن"، ليفصل بين الحكم في الأوقات الثلاثة وبقية الأوقات.

· المد في "حكيم" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالحكمة المطلقة.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بأهمية هذه الأوقات، ووضوح الحكم، وحكمة التشريع.

سابعًا: الأبعاد المختلفة للآية

أولاً: البعد التربوي (محور الآية)

1. تربية الأطفال على الحياء والاستئذان

الآية تلزم الأطفال الذين لم يبلغوا بالاستئذان في هذه الأوقات. هذا يعني أن التربية الإسلامية تبدأ من الطفولة المبكرة. الطفل يتعلم:

· أن هناك حدودًا لا يجوز تجاوزها.

· أن حرمة البيت تحتاج إلى احترام.

· أن الحياء من الإيمان.

كيف تطبق هذا في بيتك؟

· علم طفلك منذ صغره أن يقرع الباب قبل الدخول.

· دربه على أن يقول: "أأدخل؟" أو "بأبي أنت وأمي، أأدخل؟".

· علمه أن هذه الأوقات الثلاثة (الفجر، الظهيرة، العشاء) خاصة، لا يدخل فيها دون إذن.

· لا تسمح له بأن يدخل عليك في هذه الأوقات دون استئذان، حتى لو كان صغيرًا.

2. تربية العبيد والخدم على الاحترام

الآية تشمل العبيد والإماء والخدم. هذا يعني أن الخدمة لا تعني إلغاء الحرمات. حتى من يخدمونك، عليهم أن يحترموا خصوصيتك. الإسلام يعلو بكرامة الإنسان، فلا يسقط حق الخصوصية بسبب وظيفة الخدمة.

كيف تطبق هذا؟

· علم من في خدمتك أن هذه الأوقات خاصة.

· لا تسمح لهم بالدخول عليك فيها دون استئذان.

· عاملهم باحترام، فهم بشر لهم حرماتهم أيضًا.

3. بناء شخصية الطفل المحترمة

عندما يعتاد الطفل على الاستئذان، ينشأ شخصًا محترمًا لحدود الآخرين. هذا ينعكس على:

· احترامه لمعلمه في المدرسة.

· احترامه لأصدقائه.

· احترامه للناس في الأماكن العامة.

· احترامه للخصوصية في المستقبل مع زوجته.

4. غرس الحياء كقيمة

الحياء من الإيمان. هذه الآية تغرس الحياء في نفوس الأطفال والكبار. الطفل يتعلم أن هناك أوقاتًا لا ينبغي فيها رؤية عورة الآخرين، ولا الدخول عليهم. وهذا يربي فيه الغيرة على الحرمات.

ثانياً: البعد النفسي

1. الشعور بالأمان والخصوصية

عندما يعرف الإنسان أن من حوله لن يدخلوا عليه في أوقات خلوته، يشعر بالأمان والطمأنينة. هذا الأمان النفسي ضروري للراحة والاستقرار الأسري.

2. عدم الإحراج

كم مرة أحرجك طفل صغير دخل عليك وأنت في حالة غير مهيأة؟ الآية تمنع هذا الإحراج. تحمي شعورك، وتحافظ على كرامتك.

3. الطمأنينة الأسرية

البيت الذي تُحترم فيه الخصوصية هو بيت مطمئن، يشعر فيه أفراده بالراحة. أما البيت الذي لا حدود فيه، فهو بيت مشحون بالتوتر والانزعاج.

ثالثاً: البعد الاجتماعي

1. تنظيم العلاقات داخل البيت

البيت ليس مجرد مكان، بل هو نظام. فيه كبار وصغار، فيه سادة وخدم. هذه الآية تنظم العلاقات بين هذه الفئات، فتحفظ لكل حقه، وتمنع الفوضى.

2. احترام الحرمات

الآية تغرس في المجتمع احترام الحرمات. فكما أن للبيت حرمة، فلكل إنسان حرمة. هذه القيمة تنتقل من البيت إلى الشارع، إلى العمل، إلى العلاقات العامة.

3. تحقيق التكافل دون انتهاك

الآية تسمح بالتردد والخدمة في غير الأوقات الثلاثة ("طوافون عليكم")، وهذا يحقق التكافل والمساعدة. ولكن في الوقت نفسه، تحمي الخصوصية. هذا هو التوازن الاجتماعي المطلوب.

رابعاً: البعد الأخلاقي

1. غرس قيمة الحياء

الحياء من أعظم الأخلاق الإسلامية. الآية تربي في الصغير والكبير الحياء من الدخول دون استئذان في أوقات العورات.

2. غرس قيمة الاحترام

الطفل يتعلم أن يحترِمَ خصوصية الكبار. والخادم يتعلم أن يحترِمَ خصوصية من يخدمهم. والكبار أيضًا يتعلمون أن يحترِمُوا حاجات الصغار والخدم.

3. غرس قيمة العفة

حماية العورات والخصوصية تربي العفة في النفوس. عندما يعتاد الإنسان على ستر العورات واحترامها، ينشأ عفيفًا بعيدًا عن الفواحش.

خامسًا: البعد الفقهي (في حدود ما تحمله الآية)

1. حكم الاستئذان

الآية تدل على وجوب الاستئذان من الأطفال والخدم في هذه الأوقات الثلاثة. وهو حكم شرعي لا يجوز التفريط فيه.

2. الأوقات المحددة

حددت الآية ثلاثة أوقات فقط للوجوب. أما بقية الأوقات، فالاستئذان مستحب وليس واجبًا، لأن كثرة الترداد لا تحتمل الا ستئذان في كل مرة.

3. من يجب عليهم الاستئذان

· الأطفال الذين لم يبلغوا الحلم.

· العبيد والإماء والخدم.

أما غير هؤلاء (كالأبناء الكبار البالغين، والأقارب البالغين)، فعليهم الاستئذان في كل وقت، لأنهم ليسوا في حكم "الطوافين".

ثامنًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في تربيتك لأطفالك

· علمهم الأوقات الثلاثة: قل لهم: قبل صلاة الفجر، وقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، لا تدخلوا علينا إلا إذا استأذنتم.

· دربهم على الاستئذان: اجعلهم يقرعون الباب، أو يقولوا "أأدخل؟" قبل الدخول.

· لا تسمح لهم بالدخول دون استئذان: حتى لو كانوا صغارًا، علمهم أن هذه قاعدة.

· كن قدوة: استأذن أنت أيضًا قبل الدخول عليهم في أوقات خلوتهم.

2. في تعاملك مع الخدم

· علمهم هذه الأوقات: أخبر من في خدمتك أن هذه الأوقات خاصة، عليهم الاستئذان فيها.

· لا تسمح بدخولهم دون استئذان في هذه الأوقات: احترم خصوصيتك، وعلمهم احترامها.

· عاملهم باحترام: هم بشر لهم حرماتهم أيضًا. استأذن أنت قبل الدخول عليهم في أوقات خلوتهم.

3. في بيتك

· اجعل هذه الأوقات أوقات راحة: لا تستقبل فيها زوارًا، ولا تسمح للصغار والخدم بالدخول دون استئذان.

· علم أفراد الأسرة: الكبار أيضًا عليهم الاستئذان في هذه الأوقات.

· احترم خصوصية الآخرين: لا تدخل على زوجتك، أو على أولادك الكبار، في هذه الأوقات دون استئذان.

4. في مجتمعك

· انشر هذه الثقافة: حدث الناس عن هذا الأدب القرآني، كيف يحمي البيت، وكيف يربي الأطفال.

· ذكر به: كثير من الناس يغفلون عن هذه الآداب. ذكرهم بلطف.

· كن قدوة: إذا زرت أحدًا في هذه الأوقات، استأذن قبل الدخول.

تاسعًا: دروس مستفادة من الآية

1. الخصوصية حق مكفول

الآية تؤكد أن للإنسان خصوصية لا يجوز انتهاكها. حتى من هم في خدمتك، حتى أطفالك، عليهم احترام هذه الخصوصية.

2. التربية تبدأ من الصغر

الآية تلزم الأطفال قبل البلوغ بالاستئذان. هذا يعني أن التربية على الأخلاق لا تنتظر البلوغ، بل تبدأ من الطفولة.

3. الحياء من الإيمان

الحياء ليس ضعفًا، بل هو قيمة إيمانية، يربيها الإسلام في النفوس. وهذه الآية من أعظم ما يربي الحياء.

4. التشريع الإلهي حكيم

كل حكم شرعي له حكمة. في هذا الحكم، حماية للخصوصية، وتربية للأطفال، وتنظيم للبيت، وغرس للحياء. فلا تستهن بأي حكم، مهما بدا صغيرًا.

5. البيت المسلم حصن

البيت المسلم هو حصن يحمي أهله. وهذا الحصن لا يكتمل إلا بهذه الآداب: الاستئذان، وستر العورات، واحترام الأوقات.

عاشرًا: العلاقة بين الآية 58 وما قبلها وما بعدها

1. مع الآية 57 (قبلها)

الآية 57 كانت حديثًا عن الكافرين: {لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ}. ثم تأتي هذه الآية لتعود إلى حديث المجتمع المؤمن، وتنظيم شؤونه الداخلية. هذا الانتقال من الحديث عن الكافرين إلى الحديث عن آداب البيت، فيه إشارة إلى أن المؤمنين مشغولون ببناء بيوتهم على المنهج الرباني، بينما الكافرون مشغولون بالكيد.

2. مع الآية 59 (بعدها)

الآية 59 تكمل الحديث عن الاستئذان: {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}. فهذه الآية (58) تتحدث عن الأطفال قبل البلوغ، والآية التالية تتحدث عنهم بعد البلوغ. هذا تدرج تربوي رائع: تعليم الاستئذان يبدأ قبل البلوغ، ويستمر بعده.

خلاصة القول: بيت تحميه الآداب

هذه الآية تضع بين يديك منظومة أخلاقية لحماية البيت المسلم. إنها تخاطبك أنت، وتخاطب أطفالك، وتخاطب من في خدمتك. تقول لك: يا من آمنت، احترم خصوصيتك، وعلم من حولك احترامها.

ثلاثة أوقات حددها الله: قبل الفجر، وقت القيلولة، بعد العشاء. هذه أوقات عوراتكم. لا تسمح لأحد – حتى من هم في خدمتك، حتى أطفالك – بالدخول عليك فيها دون استئذان. وفي بقية الأوقات، فليكن التردد، وليكن التكامل، وليكن الطواف، فلا حرج عليكم ولا عليهم.

وأنت الآن.. هل تطبق هذا الأدب في بيتك؟

· هل علمت أبناءك أن يستأذنوا في هذه الأوقات؟

· هل دربتهم على الاستئذان منذ الصغر؟

· هل أنت قدوة لهم في ذلك؟

· هل تحترم خصوصية من حولك كما تحترم خصوصيتك؟

تذكر: هذا التشريع من عليم حكيم. هو يعلم حاجتك إلى الخصوصية، وهو يعلم حاجة أطفالك إلى التربية، وهو يعلم حاجة مجتمعك إلى الاستقرار. فالتزم به، وثق أن فيه الخير كله.

اللهم اجعل بيوتنا معمورة بطاعتك، محفوظة بآدابك. اللهم ارزقنا الحياء منك، ومن الناس. اللهم علمنا ما يصلحنا، وانفعنا بما علمتنا. إنك عليم حكيم.

ثانيا

{وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} (النور: 59)

المقدمة: عندما يكبر الطفل... تتغير الأحكام

هل تتذكر ذلك الطفل الصغير الذي كان يدخل عليك في أي وقت، يقرع الباب أو لا يقرعه، يلعب في البيت، يمر من غرفة إلى أخرى دون أن يشعر بأن هناك حدودًا؟ كان ذلك مقبولا ً في مرحلة الطفولة المبكرة، لأن الطفل لم يكن يعي بعد معنى العورة والخصوصية.

لكن ماذا يحدث عندما يكبر هذا الطفل؟ عندما تبدأ ملامح الرجولة أو الأنوثة تظهر عليه، عندما يبلغ سن الحلم، عندما يصبح قادرًا على رؤية ما كان لا يراه، وعى ما كان لا يعيه؟ هل يبقى الحكم كما هو؟ هل يظل له أن يدخل دون استئذان في أي وقت؟

هذه الآية تأتي لترسم مرحلة انتقالية في حياة الطفل. إنها تقول: عندما يبلغ الأطفال منكم الحلم، فعليهم أن يستأذنوا في كل وقت، كما يستأذن الكبار. لم يعد الأمر مقتصرًا على الأوقات الثلاثة فقط. لقد دخلوا في مرحلة جديدة، مرحلة المسؤولية الكاملة، مرحلة الوعي والحياء.

تأمل معي هذه الآية كأنها تخاطبك أنت في بيتك، مع أبنائك الذين كبروا. إنها تقول لك: ابنك الذي كان يدخل عليك دون استئذان في غير الأوقات الثلاثة، إذا بلغ الحلم، فقد تغير حكمه. يجب أن يستأذن في كل وقت، كما يستأذن الكبار من إخوته وأعمامه. هذا ليس انتقاصًا من حقه، بل هو تكريم له، ورفعة له إلى مصاف الرجال، وتدريب له على احترام الحرمات.

تعال نغوص في هذه الآية. سنعيش معها معنى الانتقال من الطفولة إلى الرشد، وكيف أن الإسلام يهيئ الإنسان لهذه المرحلة بآداب وتشريعات. سنتأمل كيف أن التربية الإسلامية تدرجية، تبدأ بالطفل فتعلمه الاستئذان في أوقات محددة، فإذا بلغ علمته الاستئذان في كل وقت.

أولا ً: تأمل الشرط {وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ}

1. {وَإِذَا بَلَغَ} – متى يحدث التغيير؟

"إذا" شرطية، تفيد أن هذا الحكم مرتبط بزمن محدد: وقت البلوغ. قبل هذا الوقت، كان الحكم مختلفًا (الاستئذان في الأ وقات الثلاثة فقط). بعد هذا الوقت، يتغير الحكم.

الرسالة التربوية العظيمة: التربية الإسلامية ليست جامدة. إنها تتغير بتغير أحوال الإنسان. الطفل له حكم، والبالغ له حكم

آخر. هذا من رحمة الله وحكمته.

2. {الأَطْفَالُ مِنْكُمْ} – أطفالكم هم المخاطبون

"الأطفال" هم الصغار الذين لم يبلغوا، والآن قد بلغوا. "منكم" أي من بينكم، من أفراد أسرتكم. إنهم أبناؤكم، أو إخوتكم الصغار، أو أقاربكم الذين نشأوا في بيوتكم.

اللمسة البيانية: التعبير بـ "الأطفال منكم" فيه عاطفة وقرب. إنهم ليسوا غرباء، بل هم منكم، من أسرتكم. ومع ذلك، فلهم حرماتهم، وعليهم احترام حرماتكم.

3. {الْحُلُمَ} – علامة البلوغ

"الحلم" هو الاحتلام، وهو علامة البلوغ عند الذكور. وفي الفقه، البلوغ يكون بالاحتلام، أو بلوغ سن الخامسة عشرة، أو الإ نبات. والآية جعلت الاحتلام علامة على الانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة الرشد.

الرسالة: البلوغ ليس مجرد تغير جسدي. إنه انتقال إلى مرحلة التكليف، حيث يصبح الإنسان مسؤولا ً عن أفعاله، وعليه أن يلتزم بآداب الكبار.

ثانيا: تأمل الحكم {فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

1. {فَلْيَسْتَأْذِنُوا} – الأمر بالاستئذان بعد البلوغ

الفاء في "فليستأذنوا" هي فاء السببية، تفيد أن البلوغ هو السبب في وجوب الاستئذان. اللام في "ليستأذنوا" هي لام الأمر، تفيد الوجوب.

معنى الوجوب: يجب على الأطفال بعد البلوغ أن يستأذنوا في كل وقت، وليس فقط في الأوقات الثلاثة. هذا هو الانتقال إلى مرحلة الكبار.

2. {كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} – التشبيه بالكبار

"الذين من قبلهم" هم الكبار من أهل البيت: الآباء، والأمهات، والإخوة الكبار، والأعمام. أي: يجب أن يستأذن هؤلاء الأطفال بعد البلوغ، كما يستأذن الكبار.

اللمسة البيانية: التشبيه بـ "كما استأذن الذين من قبلهم" فيه رفعة وتكريم للطفل بعد البلوغ. كأن الله يقول: أنت الآن لست طفلا ً، أنت في مصاف الكبار. فكما أن الكبار يستأذنون قبل الدخول، فاستأذن أنت أيضًا.

الرسالة للطفل البالغ: لقد كبرت، وصرت رجلا ً. هذا تكريم لك، ولكنه أيضًا تكليف. عليك أن تلتزم بآداب الكبار. لا تدخل على والديك دون استئذان. لا تدخل على إخوتك دون استئذان. احترم خصوصية الآخرين كما تحب أن يحترموا خصوصيتك.

3. الفرق بين الآية 58 والآية 59

الآية 58 (قبلها) كانت عن الأطفال الذين لم يبلغوا: يستأذنون في الأوقات الثلاثة فقط.

الآية 59 (هذه) عن الأطفال بعد أن بلغوا: يجب أن يستأذنوا في كل وقت، كما يستأذن الكبار.

هذا هو التدرج التربوي الرائع. لا يطلب من الطفل الصغير أن يستأذن في كل وقت، لأنه قد ينسى، وقد لا يعي. ولكن عندما يكبر ويبلغ، يصبح مكلفًا بهذا الأدب.

اسأل نفسك: هل طبق هذا التدرج في تربية أبنائك؟ هل تعلمت أن الطفل قبل البلوغ له حكم، وبعده له حكم آخر؟ أم أنك تعامل ابنك البالغ كما تعامل الطفـل الصغير، فلا تطلب منه استئذانًا؟

ثالثًا: تأمل الخاتمة {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

1. {كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ} – البيان الإلهي المتدرج

"كذلك" أي مثل هذا البيان الواضح، يبين الله لكم آياته. البيان هنا يشمل:

· بيان أحكام الاستئذان للأطفال.

· بيان الفرق بين مرحلة الطفولة ومرحلة البلوغ.

· بيان الحكمة من هذا التدرج.

2. {وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ} – العلم والحكمة وراء هذا التفصيل

"عليم" بأحوال عباده، يعلم أن الطفل قبل البلوغ يحتاج إلى تسهيل، وبعده يحتاج إلى تكليف.

"حكيم" في تشريعه، فوضع هذه الحدود بدقة، لتحقيق المصلحة في كل مرحلة.

الرسالة: لا تظن أن هذه التفاصيل الدقيقة عبث. إنها من علم الله وحكمته. هو يعلم ما يصلح لطفلك في كل مرحلة، فشرع له ما يناسب حاله.

رابعًا: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. التدرج بين الآيتين 58 و59

هذا التدرج من أعظم ما في البلاغة القرآنية. الآية 58 خاطبت الطفل قبل البلوغ، والآية 59 تخاطبه بعد البلوغ. وهذا يعطي إحساسًا بالانتقال التدريجي في التربية.

2. الشرط بـ {وَإِذَا بَلَغَ}

استخدام "إذا" الشرطية يفيد الربط الزمني بين البلوغ وتغير الحكم. فمجرد أن يبلغ، يتغير حكمه.

3. التشبيه بـ {كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ}

هذا التشبيه يرفع منزلة الطفل، ويضعه في مصاف الكبار. إنه أسلوب تربوي رائع: لا تأمره بالأمر مباشرة، بل تشبهه بالكبار، فيتشبه بهم.

4. التعبير بـ {الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ}

إضافة "منكم" إلى "الأطفال" فيها عاطفة وقرب. إنهم ليسوا غرباء، بل منكم، من أسرتكم. وهذا يجعل الحكم أسهل في التطبيق.

5. ختم الآية بـ {عَلِيمٌ حَكِيمٌ}

هذان الاسمان يريان الحكمة من هذا التدرج، والعلم بحاجات الإنسان في كل مرحلة.

6. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية:

· المد في "بلغ" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالوصول إلى مرحلة محددة.

· إدغام النون في الميم في "منكم" – إدغام يعطي إحساسًا بالاتصال، وكأن الأطفال جزء منكم.

· الوقف على "الحلم" – وقفة قصيرة، وكأن الله يريد أن تتأمل معنى البلوغ.

· المد في "فليستأذنوا" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بامتداد الحكم واستمراره.

· التنغيم في "من قبلهم" – نغمة فيها إشارة إلى الكبار الذين مضوا، وكأنه يقول: كما كانوا، فكونوا.

· الوقف على "آياته" – ثم الاستئناف بـ "والله عليم حكيم"، لترسخ في النفس أن هذا البيان من حكيم عليم.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بتدرج الحكم، وحكمة التشريع، ورفعة الطفل بعد البلوغ إلى مصاف الكبار.

خامسا: الأبعاد المختلفة للآية

أولا ً: البعد التربوي (محور الآية)

1. التدرج في التربية

الآية تقدم نموذجًا رائعًا لـ التدرج في التربية. الطفل:

· قبل البلوغ: يعلم الاستئذان في أوقات محددة (ثلاث مرات).

· بعد البلوغ: يعلم الاستئذان في كل وقت.

هذا التدرج يحقق:

· عدم إرهاق الطفل بتكاليف لا طاقة له بها في الصغر.

· تأهيله تدريجيًا لمرحلة التكليف الكامل.

· تعويده على الاحترام منذ الصغر، حتى يصبح عادة في الكبر.

كيف تطبق هذا في بيتك؟

· لا تطلب من طفلك الصغير أن يستأذن في كل وقت. علمه الأوقات الثلاثة أولا ً.

· عندما يقترب من سن البلوغ، ابدأ في تعليمه أن يستأذن في أوقات أكثر.

· عندما يبلغ، أخبره أن حكمه تغير، وأنه الآن مثل الكبار، يجب أن يستأذن في كل وقت.

2. الانتقال من الطفولة إلى الرشد

الآية تجعل البلوغ علامة فارقة في حياة الإنسان. هذا يعلم الطفل:

· أن البلوغ ليس مجرد تغير جسدي، بل هو انتقال إلى مرحلة المسؤولية.

· أن عليه أن يتغير سلوكه بعد البلوغ.

· أن الكبار لهم حرمات يجب احترامها.

كيف تطبق هذا؟

· احتفل ببلوغ ابنك، وأخبره أنه أصبح رجلا ً الآن.

· اشرح له أن هذا يعني تغيرًا في الواجبات والآداب.

· ذكره بأن الاستئذان في كل وقت هو من آداب الرجال.

3. غرس قيمة الاحترام في النفس

عندما يعتاد الطفل – منذ الصغر – على الاستئذان في الأوقات الثلاثة، ثم يكبر فيستأذن في كل وقت، تصبح قيمة الاحترام جزءًا من شخصيته. هذا الاحترام يشمل:

· احترام خصوصية الوالدين.

· احترام خصوصية الإخوة.

· احترام خصوصية الضيوف.

· ثم يمتد إلى احترام الناس في المجتمع.

4. تكريم الطفل بعد البلوغ

التشبيه بـ {كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ} فيه تكريم للطفل. كأن الله يقول له: أنت الآن لست طفلا ً، أنت في مصاف الكبار. هذا التكريم يدفع الطفل إلى أن يتصرف كالكبار، فيلتزم بآدابهم.

ثانيا: البعد النفسي

1. الشعور بالمسؤولية

عندما يعلم الطفل أن البلوغ يعني تغير الأحكام، يشعر بالمسؤولية. هذا الشعور يدفعه إلى النضج النفسي، والالتزام بالآداب.

2. الشعور بالكرامة

التشبيه بالكبار يمنح الطفل شعورًا بالكرامة والعزة. هو ليس صغيرًا بعد الآن، هو في مصاف الرجال. هذا الشعور إيجابي، يدفعه إلى السلوك الحسن.

3. الطمأنينة الأسرية

عندما يستأذن الأبناء الكبار قبل الدخول، يشعر الآباء بالطمأنينة. يعلمون أن خصوصيتهم محترمة، وأن أبناءهم تربوا على الأ دب.

ثالثا: البعد الاجتماعي

1. تنظيم العلاقات داخل الأسرة

الآية تنظم العلاقات الأسرية بدقة. الأبناء الكبار ليسوا كالأطفال الصغار. لهم آدابهم، وعليهم التزاماتهم. هذا التنظيم يمنع الفوضى، ويحافظ على حرمة البيت.

2. إعداد النشء للمجتمع

عندما يتعود الشاب على الاستئذان واحترام الخصوصية في بيته، فإنه يحمل هذه القيم إلى المجتمع. في عمله، في علاقاته، في زواجه، يكون إنسانًا محترمًا لحدود الآخرين.

3. تكامل الأدوار

الآية تعطي كل فرد دوره ومكانته. الطفل الصغير له حكمه، والكبير له حكمه. هذا التمايز في الأدوار يحقق التكامل الأسري، لا التنافس أو الصراع.

رابعاً: البعد الأخلاقي

1. غرس الحياء

الحياء من الإيمان. هذه الآية تغرس الحياء في نفس الشاب بعد البلوغ. أن يستحي أن يدخل على والديه دون استئذان، أن يستحي أن يرى ما لا يحل له رؤيته.

2. غرس العفة

حماية العورات واحترام الخصوصية تربي العفة في النفس. الشاب الذي يعتاد على الاستئذان، يعتاد أيضًا على غض البصر، و الابتعاد عن مواطن الفتنة.

3. غرس الاحترام

الاستئذان هو أعلى درجات الاحترام. عندما يستأذن الشاب قبل الدخول، فهو يعبر عن احترامه لمن يدخل عليه. وهذا الا حترام ينعكس على كل علاقاته.

خامسًا: البعد الفقهي (في حدود ما تحمله الآية)

1. حكم الاستئذان بعد البلوغ

الآية تدل على وجوب الاستئذان على الأطفال بعد البلوغ في كل وقت، وليس فقط في الأوقات الثلاثة. وهو حكم شرعي يجب الالتزام به.

2. سن البلوغ

الآية جعلت الاحتلام علامة للبلوغ. وفي الفقه، البلوغ يكون بالاحتلام، أو بلوغ سن الخامسة عشرة، أو الإنبات. فإذا تحقق أي من هذه العلامات، وجب الاستئذان.

3. استمرار الحكم

هذا الحكم يستمر مع الشاب ما دام في بيت أهله. حتى بعد البلوغ، يبقى ملزمًا بالاستئذان قبل الدخول على والديه أو إخوته.

سادسًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

1. في تربية أبنائك

قبل البلوغ:

· علم ابنك الأوقات الثلاثة التي يجب أن يستأذن فيها.

· دربه على الاستئذان في هذه الأوقات فقط.

· لا تطلب منه الاستئذان في كل وقت، حتى لا يشعر بالحرج.

عند البلوغ:

· احتفل ببلوغه، وأخبره أنه أصبح رجلا ً.

· اشرح له أن حكمه تغير: يجب أن يستأذن في كل وقت.

· أخبره أن هذا تكريم له، ورفعة إلى مصاف الكبار.

· كن قدوة له: استأذن أنت أيضًا قبل الدخول عليه.

بعد البلوغ:

· لا تسمح له بالدخول عليك دون استئذان في أي وقت.

· ذكره بلطف إذا نسي.

· اشكره إذا التزم.

2. في تعاملك مع الأبناء الكبار

· لا تدخل على ابنك البالغ دون استئذان: هو له خصوصيته أيضًا.

· علمه أن الاستئذان متبادل: كما تستأذن أنت عليه، فليستأذن هو عليك.

· لا تستهين بخصوصيته: هو رجل الآن، له حرمته.

3. في مجتمعك

· انشر هذه الثقافة: حدث الناس عن هذا التدرج التربوي الرائع.

· ذكر الآباء: لا يطلبوا من أطفالهم الصغار ما لا يطيقون، ولا يتركوا أبناءهم الكبار دون حدود.

· كن قدوة: في مجلسك، في عملك، في زياراتك، استأذن قبل الدخول.

سابعًا: دروس مستفادة من الآية

1. التربية تدرجية

أعظم درس في هذه الآية: التربية تبدأ من الصغر، وتتدرج مع العمر. لا تنتظر حتى يكبر ابنك لتعلمه الأدب، ولا تطلب منه ما لا يطيق في صغره.

2. البلوغ مرحلة تحول

البلوغ ليس مجرد تغير جسدي، بل هو مرحلة تحول في التكاليف والآداب. يجب أن يشعر الشاب بهذا التحول، وأن يتغير سلوكه وفقًا له.

3. التشبيه بالكبار يحفز

تشبيه الشاب بالكبار يحفزه على التصرف كالكبار. هذه وسيلة تربوية عظيمة: ارفع من قدره، يرفع من قدر نفسه.

4. الحكمة في التشريع

كل حكم شرعي له حكمته. في هذا الحكم: حماية للخصوصية، وتربية للأبناء، وتنظيم للأسرة، وغرس للحياء. فلا تستهن به.

5. الاستئذان ثقافة مجتمعية

الاستئذان ليس مجرد حكم فقهي، بل هو ثقافة مجتمعية تبدأ من البيت، وتمتد إلى المجتمع كله. عندما يتربى أبناءنا على الا ستئذان، نشئ مجتمعًا محترمًا للحدود والحرمات.

ثامنًا: العلاقة بين الآية 59 وما قبلها وما بعدها

1. مع الآية 58 (قبلها)

الآية 58 كانت عن الأطفال قبل البلوغ: يستأذنون في الأوقات الثلاثة فقط.

الآية 59 عن الأطفال بعد البلوغ: يستأذنون في كل وقت.

هذا تدرج تربوي رائع، يبين كيف ينمو الطفل في التربية مع نموه الجسدي.

2. مع الآية 60 (بعدها)

الآية 60 تبدأ بـ {وَالقوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ اللاَتِي لا يَرْجُونَ نِكاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنّ...}. هذه الآية تتحدث عن كبيرات السن من النساء، اللاتي لا يرجون نكاحًا. وهذا أيضًا نوع من التدرج في الأحكام: الطفل له حكم، والبالغ له حكم، وكبيرة السن لها حكم. وهذا يدل على أن الشريعة تراعي اختلاف الأحوال.

تاسعًا: مقارنة بين حكم الطفل قبل البلوغ وبعده

قبل البلوغ (الآية 58) بعد البلوغ (الآية 59)

يستأذن في الأوقات الثلاثة فقط يستأذن في كل وقت

لا جناح عليه ولا عليهم في غير هذه الأوقات يجب عليه الاستئذان في كل وقت

يعامل معاملة الأطفال يعامل معاملة الكبار

التربية بالتدريج التربية بالتكليف الكامل

خلاصة القول: من الطفولة إلى الرشد

هذه الآية تضع بين يديك منهجًا تربويًا متكاملًا. إنها تخاطبك أنت، وتخاطب أبناءك. تقول لك: عندما يكبر أطفالك ويبلغون، فغير تعاملك معهم. لم يعودوا أطفالا ً، هم رجال ونساء. لهم حرماتهم، وعليهم التزاماتهم. كما أنك تستأذن أنت قبل الدخول عليهم، فليستأذنوا هم قبل الدخول عليك.

وأنت الآن.. هل طبقت هذا التدرج في تربية أبنائك؟

· هل علمت طفلك الصغير الاستئذان في الأوقات الثلاثة؟

· هل أخبرت ابنك البالغ أن حكمه تغير، وأن عليه الاستئذان في كل وقت؟

· هل احتفلت ببلوغه، وشعرته بأنه أصبح رجلا ً؟

· هل أنت قدوة له في الاستئذان؟

تذكر: هذا التشريع من عليم حكيم. هو يعلم حاجة الطفل في كل مرحلة، فشرع له ما يناسبه. فالتزم به، وثق أن فيه الخير كله لأسرتك ولمجتمعك

ثالثا.

{وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنّ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} (النور: 60)

المقدمة: عندما تبلغ المرأة سنًا... رحمة تليق بها

هل تأملت يومًا حال المرأة المسنة في مجتمعنا؟ تلك التي قضت عمرها في خدمة الأهل والبيت، ربما تزوجت وربت الأبناء، أو ربما بقيت في رعاية من تعول. مرت بمراحل العمر المختلفة، ووصلت إلى مرحلة لا ترجو فيها زواجًا، ولا تتطلع إلى حياة جديدة مع رجل. جسمها تغير، وقواها ضعفت، وشغلها انصرف إلى ما تبقى من عمر.

في هذه المرحلة، قد تشعر المرأة بأنها أصبحت عبئًا، أو أن أحكام العبادة والستر قد تثقل عليها. لكن الإسلام – دين الرحمة – يأتي ليرفع عنها الحرج، ويخفف عنها التكاليف التي تناسب شبابها وقوتها. إنه لا يتركها في عزلة، بل يراعي حاجتها إلى التخفيف، ويحافظ في الوقت نفسه على كرامتها وعفتها.

هذه الآية نزلت لتراعي مرحلة العمر الثالثة، مرحلة القواعد من النساء. إنها تأتي بعد أن تحدثت الآيات السابقة عن الأطفال قبل البلوغ وبعده، عن أحكام الاستئذان، لتختم هذه السلسلة بحديث عن كبيرات السن. كأن الله يقول: كما راعيت مرحلة الطفولة والشباب، أراعي الآن مرحلة الشيخوخة. فلكل مرحلة أحكامها، ولكل حالة رخصتها.

تأمل معي هذه الآية كأنها تخاطبك أنت، أو تخاطب أمك الكبيرة، أو جدتك، أو أي امرأة كبيرة في مجتمعك. إنها تقول لها: لا حرج عليك أن تضعي ثيابك – خمارك وجلبابك – أمام من لا ترجين نكاحهم، بشرط أن لا تكوني متبرجة بزينة. لكن إن استعففتِ، أي بقيتِ على الستر الكامل، فهو خير لك. والله سميع لأقوالك، عليم بحالك.

تعال نغوص في هذه الآية. سنعيش معها معنى الرحمة الإلهية بالمرأة المسنة، وكيف أن الإسلام يخفف عنها التكاليف مع الحفاظ على كرامتها. سنتأمل كيف أن هذا التشريع ليس مجرد حكم فقهي، بل هو بناء للإنسان والمجتمع والحضارة على أسس من العدل والرحمة والمرونة.

أولا ً: تأمل المخاطبة {وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء اللاَّتِي لا يَرْجُونَ نِكاحًا}

1. {وَالقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاء} – من هن القواعد؟

"القواعد" جمع قاعد، وهي المرأة التي قعدت عن الحيض والولادة لكبر سنها. هي المرأة التي تجاوزت سن الإنجاب، ووصلت إلى مرحلة لم تعد ترجو فيها نكاحًا، ولا تتطلع إلى زواج جديد.

اللمسة البلاغية: التعبير بـ "القواعد" فيه معنى الوقار والثبات. هي امرأة قعدت عن الحركة التي كانت في شبابها، واستقرت في بيتها.

2. {اللَّاتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا} – لا يرجون ولا يردن

"لا يرجون" أي لا يأملون في الزواج، إما لانقطاع الأمل لكبر السن، أو لعدم الرغبة فيه. هذه المرأة ليست في مرحلة الشباب التي تتطلع إلى الزواج، بل انصرفت همتها إلى أمور أخرى.

الرسالة: هذه الآية ليست عن كل النساء، بل عن فئة معينة تجاوزت سن الزواج. هذا يدل على أن الشريعة تراعي الاختلاف بين الناس، فلا تعمم حكمًا واحدًا على الجميع.

اسأل نفسك: كم امرأة مسنة في مجتمعك؟ هل يراعي الناس أحكامها الخاصة؟ أم يعاملونها كالنساء الشابات في كل شيء؟

ثانيًا: تأمل الرخصة {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ}

1. {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ} – رفع الحرج

"ليس عليهن جناح" أي لا إثم ولا حرج عليهن. هذا رفع للتكليف الذي كان واجبًا عليهن في شبابهن. إنها رخصة إلهية لمرحلة الكبر.

اللمسة النفسية العظيمة: كم تشعر المرأة المسنة بالحرج إذا كان عليها أن تلتزم بكل أحكام الستر كما في شبابها؟ الله يرفع هذا الحرج. يقول لها: لا تضيق على نفسك، أنت في مرحلة رخصة.

2. {أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ} – وضع ثياب الزينة

"ثيابهن" هي ثياب الزينة التي كانت تلبسها في شبابها: الخمار، الجلباب، الرداء. ليس المقصود أن تخلع ثيابها كلها، بل أن تضع ثياب الزينة التي كانت تتجمل بها.

اللمسة البيانية: التعبير بـ "يضعن ثيابهن" فيه تخفيف ورفق. وكأنها تضع عنها ثقلًا كانت تحمله.

3. {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ} – بشرط عدم التبرج

هذا هو الضابط الذي يمنع الإباحة المطلقة. وضع الثياب مباح لهن، ولكن بشرط ألا يكن متبرجات بزينة. التبرج هو إظهار الزينة وإبداؤها أمام الرجال الأجانب بقصد الإغراء أو التفات النظر.

الرسالة: الرخصة ليست فوضى. المرأة المسنة لا تزال ملزمة بعدم التبرج. لا تظهر زينتها، ولا تتجمل بقصد الفتنة. الفرق أن ما كان زينة في الشباب قد لا يكون زينة في الكبر، لكن العبرة بالقصد.

اسأل نفسك: هل تفهم المرأة المسنة في مجتمعك هذا الضابط؟ هل تعرف أنها إذا وضعت ثيابها فلا تضعها بقصد التبرج؟

ثالثًا: تأمل التوجيه الأفضل {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ}

1. {وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ} – العفة خيار أفضل

"يستعففن" من العفة، أي يمتنعن عن وضع الثياب، ويلتزمن بالستر الكامل كما كن يفعلن في شبابهن. هذا ليس واجبًا، بل هو

خيار أفضل، وهو الأكمل والأعلى.

2. {خَيْرٌ لَهُنَّ} – خير في الدنيا والآخرة

"خير" تعني الأفضل والأكمل. الاستعفاف خير لهن:

· في الدنيا: يحفظ لهن مزيدًا من الاحترام والوقار.

· في الآخرة: يزيدهن أجرًا وثوابًا.

اللمسة التربوية: الآية لا تلزم المرأة المسنة بالاستعفاف، بل تترك لها الخيار. لكنها تقدم لها الأفضل، وتدعوها إلى اختيار الكمال. هذا أسلوب رائع: لا إجبار، بل ترغيب.

الرسالة لك: إذا كنت امرأة كبيرة، أو لديك أم كبيرة، فتذكري أن الاستعفاف – البقاء على الستر الكامل – هو خير. لا تتعجلي الأخذ بالرخصة إذا كنت قادرة على الأفضل.

رابعاً: تأمل الخاتمة {وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

1. {سَمِيعٌ} – يسمع ما تقول وما تشكو

"سميع" يسمع أقوال المرأة المسنة إذا شكت من حرج أو مشقة. يسمع دعاءها ورجاءها. وهو يعلم حاجتها إلى هذه الرخصة.

2. {عَلِيمٌ} – يعلم أحوالها ونياتها

"عليم" يعلم حالها، ويعلم نية قلبها. إن كانت تضع ثيابها للتبرج، أو للضرورة والحاجة. وهو يعلم ما هو خير لها.

اللمسة البلاغية: هذان الاسمان يريان العلم الكامل بحال المرأة المسنة، والسمع لشكواها. وهذا يطمئنها أن الله يعرف ما تمر به، وأن هذه الرخصة نزلت لعلمه بحالها.

خامساً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

1. التعبير بـ {القَوَاعِدُ}

هذا الاسم فيه وقار واحترام. ليس "العجائز" أو "الكبيرات"، بل "القواعد" التي استقرت.

2. نفي الجناح {فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ}

نفي الجناح مع "ليس" يفيد رفع الحرج تمامًا. إنها رخصة كاملة.

3. التعبير بـ {يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ}

وضع الثياب كناية عن التخفف من ثياب الزينة. هذا أسلوب لطيف، يراعي مشاعر المرأة.

4. القيد {غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ}

هذا القيد يحفظ الضوابط، فلا تتحول الرخصة إلى فوضى.

5. التفضيل بـ {خَيْرٌ لَهُنَّ}

"خير" صيغة تفضيل، تدل على أن الاستعفاف أفضل، لكنه ليس واجبًا.

6. الختم بـ {سَمِيعٌ عَلِيمٌ}

هذان الاسمان يريان الرحمة والعلم وراء التشريع.

7. اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية:

· المد في "القواعد" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالاستقرار والثبات.

· إدغام النون في الميم في "من النساء" – إدغام يعطي إحساسًا بالاتصال، وكأن هذه الفئة جزء من المجتمع.

· الوقف على "نكاحًا" – وقفة قصيرة، وكأن الله يريد أن تتأمل معنى انقطاع الأمل في الزواج.

· التنغيم في "فليس عليهن جناح" – نغمة فيها تخفيف ورفع للحرج.

· المد في "يضعن ثيابهن" – مد يعطي إحساسًا بالإذن والراحة.

· الوقف على "بزينة" – ثم الاستئناف بـ "وأن يستعففن خير لهن"، وكأنه يقول: هذا مباح، ولكن الأفضل كذا.

· الختم بـ "سميع عليم" – نغمة فيها علم ورحمة.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر برفع الحرج عن المرأة المسنة، ووضوح الضوابط، وأن الاستعفاف خير.

سادسًا: الأبعاد المختلفة للآية

أولا ً: البعد الإنساني (بناء الإنسان)

1. مراعاة مراحل العمر

الآية تعلمنا أن الإنسان ليس كله في مرحلة واحدة. للشاب أحكامه، وللشيخ أحكامه، وللطفل أحكامه. هذا التدرج في التشريع يصنع إنسانًا متوازنًا، يعرف أن لكل مرحلة خصائصها.

2. رفع الحرج عن المرأة المسنة

المرأة المسنة قد تشعر بالحرج إذا التزمت بكل أحكام الستر كما في شبابها. الآية ترفع هذا الحرج، وتمنحها الراحة النفسية. هذا يعزز كرامتها الإنسانية، ويجعلها تشعر أن الدين معها، لا عليها.

3. تكريم المرأة المسنة

الآية تكرم المرأة المسنة بأن تخاطبها مباشرة، وتراعي حاجتها. هي ليست منسية، ولا مهملة. لها حكمها الخاص، ورخصتها التي تناسبها.

4. غرس قيمة العفة

حتى في مرحلة الرخصة، تبقى العفة قيمة عليا. المرأة المسنة مدعوة إلى الاستعفاف لأنه خير لها. هذا يغرس في الإنسان أن العفة ليست مرتبطة بالشباب فقط، بل هي قيمة دائمة.

ثانياً: البعد الاجتماعي (بناء المجتمع)

1. احترام كبار السن

الآية تعلم المجتمع احترام كبار السن، وخاصة النساء. هن لسن عبئًا، بل لهن مكانتهن، وتُراعى أحوالهن. هذا يبني مجتمعًا رحيمًا متماسكًا.

2. منع الإحراج الاجتماعي

لو كان حكم المرأة المسنة كحكم الشابة، لتعرضت للإحراج. الآية تمنع هذا الإحراج، وتجعل المجتمع متسامحًا مع كبار السن.

3. تحقيق التوازن بين الأجيال

الآية تؤسس لعلاقة متوازنة بين الأجيال. الشاب له حكمه، والكبير له حكمه. هذا يمنع الصراع بين الأجيال، ويعزز التكامل.

4. رفع العبء عن الأسر

عندما يخفف الله عن المرأة المسنة، يخفف أيضًا عن أسرتها. لا يشعرون بالحرج من وضعها، ولا هي تشعر بالحرج من نفسها.

ثالثًا: البعد الثقافي (بناء الحضارة)

1. مرونة الشريعة

هذه الآية نموذج لـ مرونة الشريعة الإسلامية. ليست جامدة، بل تراعي تغير الأحوال (الشباب والكبر). هذه المرونة تجعل الحضارة الإسلامية قادرة على مواكبة الزمن مع الحفاظ على الثوابت.

2. العدل بين الفئات

العدل في الإسلام ليس عدلًا مطلقًا جامدًا، بل هو عدل يراعي الفروق. المرأة المسنة لها حكم يختلف عن الشابة. هذا هو العدل الحقيقي: إعطاء كل ذي حق حقه.

3. حفظ الكرامة الإنسانية

الآية تحافظ على كرامة المرأة المسنة. لا تذلها بتكاليف لا تطيقها، ولا تهملها في غفلة. هذا المبدأ أساس أي حضارة إنسانية راقية.

4. التوازن بين الثوابت والمتغيرات

الآية تجمع بين:

· ثابت: منع التبرج في كل الأحوال.

· متغير: تخفيف حكم الستر لكبيرات السن.

هذا التوازن هو سر بقاء الحضارة الإسلامية وقدرتها على التجدد.

رابعًا: البعد التنموي (التنمية البشرية والمستدامة)

1. التنمية البشرية: رعاية كبار السن

التنمية البشرية الحقيقية لا تقتصر على الشباب، بل تشمل كبار السن. الآية ترعى المرأة المسنة، وترفع عنها الحرج. هذا يدخل في التنمية الشاملة التي لا تهمل أحدًا.

2. التنمية المستدامة: الاستمرارية عبر الأجيال

المجتمع الذي يراعي كبار السن هو مجتمع مستدام. لأن كبار السن هم حاملو التجربة والحكمة. عندما يُحسن التعامل معهم، يستفيد المجتمع من خبراتهم، وتستمر الحضارة.

3. التنمية الاجتماعية: التكافل والرحمة

الآية تعزز قيم التكافل والرحمة في المجتمع. المرأة المسنة ليست عبئًا، بل هي فرد له حقوقه. هذا يبني مجتمعًا متماسكًا، قادرًا على التنمية.

4. التنمية الثقافية: نشر ثقافة احترام الكبير

الآية تساهم في نشر ثقافة احترام كبار السن. هذه الثقافة أساس أي تنمية ثقافية حقيقية. مجتمع لا يحترم كباره لا يمكن أن يبني مستقبلا ً.

5. التنمية النفسية: الصحة النفسية للمسنات

رفع الحرج عن المرأة المسنة يساهم في صحتها النفسية. تشعر بالراحة والطمأنينة، وهذا ينعكس على صحتها الجسدية و العقلية. الصحة النفسية للمسنين هي مؤشر على تقدم المجتمع.

سابعًا: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

1. في تعاملك مع والدتك أو جدتك

· لا تضيق عليها: إذا كانت في سن الكبر، فلا تلزمها بلبس الخمار والجلباب في البيت أمام المحارم إذا كان ذلك يشق عليها.

· علمها الرخصة: أخبرها أن الله خفف عنها، وأنه لا حرج عليها.

· شجعها على الأفضل: بلطف، ذكرها أن الاستعفاف خير لها، ولكن لا تلزمها.

· احترمها: هي أمك أو جدتك، تستحق كل احترام. لا تنظر إليها نظرة استحقار.

2. في مجتمعك

· انشر ثقافة هذه الآية: كثير من الناس لا يعرفون أن للمرأة المسنة حكمًا خاصًا. حدثهم عن هذه الرخصة.

· لا تنتقد: إذا رأيت امرأة مسنة لا تلتزم بالحجاب الكامل، فلا تتعجل في إنكارها. قد تكون ممن أخذت بالرخصة.

· احترم كبار السن: في المسجد، في الشارع، في المجالس. قدموهم، واسألوهم عن أحوالهم.

3. في تربية بناتك

· علمهن أن لكل مرحلة حكمًا: أخبر بناتك أن الشريعة تراعي مراحل العمر. الشباب له حكم، والكبر له حكم.

· علمهن احترام الكبير: دربهن على احترام النساء الكبيرات، وعدم الاستهانة بهن.

· علمهن العفة: العفة قيمة عليا في كل المراحل. حتى في مرحلة الكبر، العفة خير.

4. في نفسك إن كنت امرأة كبيرة

· اشكري الله على الرخصة: الله خفف عنك. لا تشعري بالحرج.

· لا تتبرجي: الرخصة لها ضابط: غير متبرجات بزينة. لا تستخدمي الرخصة لإظهار الزينة.

· استعففي إن استطعت: الاستعفاف خير لك. إن كنت قادرة على الستر الكامل، فافعلي، فهو أفضل لك في الدنيا والآخرة.

· ادعي الله: اسألي الله أن يحفظ كرامتك، وأن يرزقك العفة والوقار.

ثامنًا: دروس مستفادة من الآية

1. الدين يسر

هذه الآية من أعظم الأدلة على أن الإسلام دين اليسر، لا دين العسر. يخفف عن المرأة المسنة ما كان واجبًا عليها في شبابها.

2. مراعاة الفروق الفردية

الإسلام لا يعامل الناس ككتلة واحدة. يراعي الاختلافات: العمر، الحال، القدرة. هذا هو العدل الحقيقي.

3. العفة قيمة عليا

حتى في مرحلة الرخصة، تبقى العفة هي الهدف الأسمى. الاستعفاف خير، والتبرج ممنوع.

4. الحكمة في التشريع

كل حكم شرعي له حكمته. في هذا الحكم: رفع الحرج عن المرأة المسنة، وحفظ كرامتها، وتخفيف التكاليف بما يناسب حالها.

5. الإنسان محور التشريع

التشريع الإسلامي يخدم الإنسان، لا يعذبه. يرفع عنه الحرج، ويراعي ظروفه. هذه هي الإنسانية في التشريع.

تاسعًا: العلاقة المختصرة مع ما قبلها وما بعدها

· قبلها (الآية 59): تحدثت عن الأطفال بعد البلوغ، ووجوب استئذانهم في كل وقت.

· هذه الآية (60): تنتقل إلى الحديث عن المرأة المسنة، وترخص لها في وضع ثيابها.

· بعدها (الآية 61): تنتقل إلى الحديث عن آداب الطعام والضيافة.

هذا الانتقال يظهر شمولية الشريعة، فهي تراعي كل الفئات: الأطفال، الشباب، كبار السن، الرجال، النساء، وفي كل شؤون الحياة.

خلاصة القول: رحمة تمتد إلى آخر العمر

هذه الآية تضع بين يديك نموذجًا للرحمة الإلهية. إنها تخاطب المرأة المسنة، وتقول لها: لقد حملتِ تكاليف الشباب، وها أنت اليوم في مرحلة الكبر، فها أنا أخفف عنك. لا حرج عليك أن تضعي ثياب الزينة، بشرط ألا تتبرجي. وإن استعففتِ، فهو خير

لك.

وأنت الآن.. كيف ستتعامل مع هذه الآية؟

· إن كنت امرأة كبيرة، اشكري الله على هذه الرخصة، واستخدميها بما يرضيه.

· إن كنت رجلا ً، احترم المرأة المسنة، ولا تنتقدها إذا أخذت بالرخصة.

· إن كنت ابنًا أو حفيدًا، ارحم أمك أو جدتك، وخفف عنها.

· إن كنت داعية، بلغ الناس هذه الرخصة، ولا تشدد عليهم.

تذكر: هذا التشريع من سميع عليم. سمع شكوى المرأة المسنة، وعلم بحالها، فشرع لها ما يرفع الحرج. فكن أنت أيضًا رحيمًا بمن حولك، خاصة كبار السن

رابعا.

}لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) {النور:(61

المقدمة: عندما تزور بيتًا... أين تجد راحتك؟

تخيل نفسك في يوم من الأيام. ربما تكون أعمى، أو أعرج، أو مريضًا. أو ربما تكون صحيحًا معافى. تذهب إلى بيت أحد أقاربك، أو صديقك، أو ربما بيتك أنت. تقف على الباب، تتساءل: هل يحق لي أن آكل هنا؟ هل سأحرج صاحب البيت؟ هل أنا مدعو أم لا؟ هل أتناول الطعام وحدي أم مع الجماعة؟ ثم تدخل، فهل تسلم؟ وعلى من تسلم؟

هذه الأسئلة التي تدور في خاطرك، قد تبدو صغيرة، لكنها في حياة الناس اليومية تشكل عبئًا نفسيًا واجتماعيًا كبيرًا. قد يشعر الإنسان بالحرج، وقد يتردد في الدخول، وقد ينصرف عن الطعام وهو جائع. وهنا تأتي هذه الآية لترفع عنك كل هذا الحرج.

تأمل معي هذه الآية العظيمة. إنها ليست مجرد قائمة ببيوت يمكنك الأكل فيها، بل هي تحرير للإنسان من قيود الوهم و الحرج. إنها تفتح لك أبواب الألفة والمحبة، وتزيل الحواجز التي قد تمنعك من التواصل مع من تحب. إنها تخاطبك أنت شخصيًا: لا حرج عليك، لا في نفسك، ولا فيمن حولك. كل الأبواب مفتوحة لك. كل البيوت هي بيوتك في المعنى إذا جمعتك بها رابطة القرابة أو المودة.

تعال نغوص في هذه الآية. سنعيش معها معنى الإسلام الذي يرفع الحرج، ويفتح القلوب، ويبني المجتمع على أسس من الثقة والمحبة. سنتأمل كيف أن هذه الآية ليست مجرد حكم فقهي في الطعام، بل هي دستور للعلاقات الاجتماعية، ومنهج لبناء الإنسان والمجتمع والحضارة.

أولا ً: تأمل بداية الآية: رفع الحرج عن ذوي الأعذار {لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ}

} .1لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ {– الأعمى ليس عليه حرج

هذه الآية نزلت لسبب. كان بعض الناس يتورعون عن الأكل مع الأعمى، أو كان الأعمى يتحرج أن يأكل في بيوت الآخرين لأ نه لا يرى الطعام. فجاء الحكم: لا حرج على الأعمى. ليس عليه إثم ولا إحراج أن يأكل في بيوت الناس، وأن يشاركهم

طعامهم.

الرسالة: الله يرفع الحرج عن صاحب العذر. الأعمى ليس مسؤولا ً عما لا يرى. المجتمع لا يحاسبه، والدين لا يضيق عليه.

اسأل نفسك: كم شخصًا في مجتمعك يعاني من إعاقة؟ هل تتعامل معه برفق ومراعاة؟ هل ترفع عنه الحرج أم تزيده حرجًا؟

} .2وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ {– الأعرج ليس عليه حرج

الأعرج الذي يمشي بصعوبة، قد يتحرج من الأكل في بيوت الناس لأنه قد يحتاج إلى مساعدة، أو لأنه قد يتعثر. فجاء الحكم: لا حرج عليه. الله يعرف مشقته، ويرفع عنه الإحراج.

} .3وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ {– المريض ليس عليه حرج

المريض قد يحتاج إلى أطعمة خاصة، أو قد لا يستطيع الجلوس مع الناس، أو قد يتخلف عن الدعوات. الآية ترفع عنه الحرج: لا حرج عليك أيها المريض. صحتك أهم، ودينك يرفق بك.

اللمسة البيانية: تكرار "حرج" ثلاث مرات، كل مرة مع فئة مختلفة، فيه تأكيد وشمول. كل ذي عذر له رخصته. هذا من رحمة الله.

اللمسة التربوية العظيمة: هذه الآية تربي المجتمع على رحمة ذوي الأعذار. الأعمى والأعرج والمريض ليسوا أقل شأنًا، بل لهم أحكامهم الخاصة التي تراعي ظروفهم.

ثانيا: تأمل الرخصة الكبرى: الأكل في بيوت الأقارب والأصدقاء {وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ...}

} .1وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ {– لا حرج عليكم أنتم أيضًا

بعد أن رفع الحرج عن ذوي الأعذار، يأتي الدور ليرفع الحرج عن جميع الناس في الأكل من بيوت الأقارب والأصدقاء. "أنفسكم" تشمل كل المؤمنين.

.2سلسلة البيوت المذكورة: موسوعة العلاقات الأسرية

تأمل معي هذه القائمة الطويلة التي لا تترك قريبًا إلا وتذكره:

· بيوتكم – بيتك أنت .الأكل من بيتك لا حرج فيه.

· بيوت آبائكم – بيت أبيك .لا تستحي أن تأكل فيه.

· بيوت أمهاتكم – بيت أمك .هي أرق قلبًا، فلماذا تتحرج؟

· بيوت إخوانكم – بيت أخيك .الأخوة أقوى الروابط.

· بيوت أخواتكم – بيت أختك .هي أختك، فكيف تتحرج؟

· بيوت أعمامكم – بيت عمك .هو والدك الثاني.

· بيوت عماتكم – بيت عمتك .هي أمك الثانية.

· بيوت أخوالكم – بيت خالك.

· بيوت خالاتكم – بيت خالتك.

· أو ما ملكتم مفاتحه – ما تملكون مفتاحه من بيوت لكم، أو بيوت تكلون إليها.

· أو صديقكم – بيت صديقك .الصداقة الحقيقية تزيل الحرج.

اللمسة البلاغية العظيمة: هذه القائمة الطويلة ليست عشوائية. إنها تطواف في العلاقات الأسرية، تذكر كل قريب تلو الآخر، لتشعر الإنسان بأن دائرة الأمان الاجتماعي واسعة جدًا. ليس في الإسلام أن تأكل من بيوت الغرباء دون إذن، ولكن مع الأ قارب والأصدقاء، فالأمر أوسع.

الرسالة النفسية: كم إنسانًا يتحرج من الأكل عند قريبه أو صديقه، فيحرم نفسه من الطعام ومن اللحمة الاجتماعية. الآية تقول: لا تتحرج. هذه بيوت من تحب، فادخل، وكل، واشبع، ولا تشعر بالحرج.

اسأل نفسك: هل تتحرج من الأكل عند والديك؟ عند إخوتك؟ عند أصدقائك؟ هل تشعر بالغربة حتى في بيوت أقرب الناس إليك؟ الآية تحررك من هذا الشعور.

ثالثاً: تأمل الرخصة في الاجتماع أو التفرق {لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا}

} .1جَمِيعًا {– الاجتماع على الطعام

بعض الناس كانوا يتورعون عن الأكل مع الجماعة، ظنًا أن ذلك فيه إثم. والبعض الآخر كانوا يتحرجون من الأكل منفردين. ا لآية تقول: لا حرج عليكم أن تأكلوا معًا، ولا حرج أن تأكلوا متفرقين.

} .2أَوْ أَشْتَاتًا {– التفرق في الطعام

"أشتاتًا" جمع شت، أي متفرقين، كل واحد وحده، أو كل مجموعة على حدة .كلا الأمرين مباح، لا حرج فيه.

اللمسة البيانية: الجمع بين "جميعًا" و "أشتاتًا" يفيد الإباحة المطلقة. ليس هناك صورة مستحبة وأخرى مكروهة. الأمر واسع.

الرسالة النفسية: كم إنسانًا يشعر بالحرج إذا أراد أن يأكل وحده، أو إذا أراد أن يأكل مع الجماعة! الآية تريحه: كل كما تشاء، لا حرج عليك.

رابعاً: تأمل آداب الدخول {فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ}

} .1فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا {– عند الدخول

بعد أن فتحت الآية الأبواب للأكل، تنتقل إلى أدب الدخول إلى هذه البيوت. عند الدخول، هناك شيء يجب فعله.

} .2فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ {– سلموا على أنفسكم

"على أنفسكم" أي على أهل البيت، لأنهم بمنزلة أنفسكم .التسليم عند الدخول هو:

· تحية الإسلام: "السلام عليكم ورحمة الله وبركاته".

· استئذان ضمني: أن تدخل وأنت معلن عن نفسك.

} .3تَحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً {– وصف التحية

هذه التحية ليست من عند البشر فقط، بل هي تحية من عند الله. إنه شرعها، وأمر بها، وأثاب عليها.

· مبركة: فيها الخير والبركة.

· طيبة: طيبة في اللفظ، طيبة في المعنى، طيبة في الأثر.

اللمسة البلاغية: وصف التحية بأنها "من عند الله" يرفع من شأنها. إنها ليست مجرد كلمة عابرة، بل هي عبادة وطاعة.

الرسالة: عندما تدخل بيتًا، لا تدخل كالدخيل المتسلل. ادخل مسلمًا، محييًا، معلنًا نفسك، ناشرًا السلام. هذا السلام هو مفتاح الألفة بين القلوب.

خامسًا: تأمل الخاتمة {كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}

} .1كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ {– البيان الإلهي المتكرر

"كذلك" أي مثل هذا البيان الواضح، يبين الله لكم آياته .البيان هنا يشمل:

· رفع الحرج عن ذوي الأعذار.

· إباحة الأكل في بيوت الأقارب.

· إباحة الاجتماع أو التفرق.

· الأمر بالسلام عند الدخول.

} .2لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ {– الغاية من البيان: التعقل

"لعل" تفيد الرجاء، والمراد به التحقيق .أي يبين لكم الآيات لتعقلوا.

· تعقلوا حكمة التشريع.

· تعقلوا معنى رفع الحرج.

· تعقلوا قيمة الألفة والمحبة.

· تعقلوا أن هذا الدين يسر، لا عسر.

اللمسة البيانية: ختم الآية بـ "لعلكم تعقلون" يوجه الإنسان إلى استخدام عقله في فهم التشريع، وليس فقط الالتزام الأعمى.

سادسًا: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

.1التكرار في نفي الحرج

تكررت كلمة "حرج" سبع مرات في الآية (للأعمى، الأعرج، المريض، ثم لأنفسكم في الأكل من البيوت). هذا التكرار يؤكد المعنى، ويدفع عن النفس كل شعور بالحرج.

.2سلسلة البيوت المذكورة

هذه السلسلة الطويلة (أكثر من عشرة أنواع من البيوت) تعطي إحساسًا بالشمول. كل قريب، كل صديق، كل من تملك مفتاحه، هو في دائرة الإباحة.

.3التنويع بين} جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا{

هذا التنويع يفيد الإباحة المطلقة، ويزيل كل تصور بأن هناك صورة أفضل من أخرى.

.4التعبير ب} تحِيَّةً مِنْ عِنْدِ اللهِ{

هذا التعبير يرفع قيمة السلام، ويجعله عبادة وطاعة،

ليس مجرد عادة اجتماعية.

.5الختم ب} لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ{

هذه الخاتمة تدعو إلى استخدام العقل في فهم التشريع، مما يعطي الإنسان شعورًا بأن الدين يخاطب عقله، وليس فقط مشاعره.

.6اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية الطويلة:

· المد في "الأعمى" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالرفق بهذه الفئة.

· الوقف على "حرج" – تكرار الوقف على "حرج" يعطي إحساسًا بتأكيد نفي الحرج.

· التعداد في سلسلة البيوت – القراءة بتعداد بطيء تعطي إحساسًا بامتداد دائرة الأمان الاجتماعي.

· الوقف على "صديقكم" – ثم الاستئناف ب- "ليس عليكم جناح"، ليفصل بين الحديث عن البيوت والحديث عن الاجتماع و التفرق.

· التنغيم في "فإذا دخلتم بيوتًا فسلموا" – نغمة فيها نداء وأمر، وكأن الله يوجهك قبل أن تدخل أي بيت.

· المد في "مباركة طيبة" – مد يعطي إحساسًا بالبركة والطيب.

· الختم ب- "تعقلون" – نغمة فيها حث على التفكر والتعقل.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر برفع الحرج، واتساع دائرة الأمان الاجتماعي، وقيمة السلام، وأهمية التعقل في فهم الدين.

سابعًا: الأبعاد المختلفة للآية

أولا ً: البعد الإنساني (بناء الإنسان)

.1تحرير الإنسان من الحرج

الآية تحرر الإنسان من العبء النفسي الذي قد يشعر به عند الأكل في بيوت الآخرين. كم إنسانًا يحرم نفسه من الطعام و الصحبة بسبب حرج وهمي! الآية تقول: لا حرج.

.2مراعاة ذوي الأعذار

الإنسان الأعمى، الأعرج، المريض – هم جزء من المجتمع. الآية تراعيهم، وتؤكد أنهم ليسوا أقل شأنًا، ولا عليهم حرج فيما

يعجزون عنه.

3.غرس قيمة الثقة بالنفس

عندما يعلم الإنسان أن الدين لا يحرجه، وأن الأكل في بيوت الأقارب مباح، تشعر بالثقة في علاقاته، ولا تخاف من أن يُساء فهمه.

4.غرس قيمة السلام

السلام عند الدخول ليس مجرد كلمة، بل هو قيمة إنسانية تفتح القلوب، وتزيل الوحشة، وتخلق الألفة.

ثانيا: البعد الاجتماعي (بناء المجتمع)

1.توسيع دائرة الألفة

هذه الآية تفتح دائرة واسعة من العلاقات الاجتماعية: الآباء، الأمهات، الإخوة، الأخوات، الأعمام، العمات، الأخوال، الخالات، ا لأصدقاء. كل هؤلاء هم "أهل" في المعنى. هذا يبني مجتمعًا مترابطًا، لا غربة فيه.

2.إزالة الحواجز الطبقية

بعض الناس قد يشعرون بالحرج من الأكل في بيوت أغنياء أو فقراء. الآية لا تفرق بينهم. كل بيوت الأقارب مباحة. هذا يزيل الحواجز الطبقية، ويخلق مجتمعًا أكثر تكافؤًا.

3.تعزيز التكافل الإجتماعي

عندما يعلم الإنسان أن الأكل في بيوت أقاربه وأصدقائه مباح، فإن ذلك يعزز التكافل. لا يبقى جائع بين أقاربه، لأنه يستطيع أن يأكل معهم دون حرج.

4.نشر ثقافة السلام

الأمر بالسلام عند الدخول يبني مجتمعًا يتحاب بالسلام. كل دخول إلى بيت يبدأ بتحية، وهذه التحية تخلق مناخًا من الأمان والمحبة.

5.مراعاة الفئات الخاصة

المجتمع الذي يراعي الأعمى والأعرج والمريض هو مجتمع رحيم، لا يهمل أفراده، ولا يشعرهم بالنقص.

ثالثًا: البعد الثقافي (بناء الحضارة)

1.دين اليسر

هذه الآية نموذج لـ يسر الإسلام. ليس فيه حرج، ولا تضييق. هذا المبدأ هو أساس الحضارة الإسلامية التي استوعبت جميع الفئات.

2.مرونة التشريع

الإسلام يرفع الحرج عن ذوي الأعذار، ويوسع دائرة الإباحة للأقارب. هذه المرونة تجعل الحضارة الإسلامية قادرة على استيعاب جميع الناس، مهما كانت ظروفهم.

.3قيمة السلام كقيمة حضارية

السلام في الإسلام ليس مجرد تحية، بل هو قيمة حضارية تعلو على غيرها. هذه الآية تؤكد أن السلام "تحية من عند الله مباركة طيبة". هذا يرفع من شأنه في الثقافة الإسلامية.

.4التعقل أساس الثقافة

ختم الآية بـ {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يدعو إلى استخدام العقل في فهم الدين. هذا يبني ثقافة النقد البناء، وليس التقليد الأعمى.

رابعًا: البعد التنموي (التنمية البشرية والمستدامة)

.1التنمية البشرية: تمكين ذوي الأعذار

رفع الحرج عن الأعمى والأعرج والمريض هو تمكين لهم. عندما يشعرون أن المجتمع لا يحاسبهم على ما لا يستطيعون، يندمجون أكثر في الحياة الاجتماعية والاقتصادية. هذا هو التنمية البشرية الحقيقية.

.2التنمية الاجتماعية: بناء الثقة

عندما يزول الحرج بين الأقارب والأصدقاء، تزداد الثقة بين أفراد المجتمع. الثقة هي رأس مال اجتماعي لا يقدر بثمن، وهو أساس أي تنمية.

.3التنمية الاقتصادية: توزيع الثروة

عندما يأكل الأقارب والأصدقاء في بيوت بعضهم دون حرج، فإن ذلك يساهم في توزيع الثروة بشكل غير مباشر. الغني يطعم الفقير، والقريب يطعم قريبه، دون أن يشعر أحد بالحرج.

.4التنمية النفسية: الصحة النفسية

رفع الحرج يساهم في الصحة النفسية للأفراد. الإنسان الذي لا يشعر بالحرج في علاقاته الاجتماعية هو إنسان مطمئن نفسيًا ، قادر على العطاء والإنتاج.

.5التنمية المستدامة: الاستمرارية عبر الأجيال

هذه القيم – رفع الحرج، توسيع دائرة الألفة، نشر السلام – إذا ترسخت في مجتمع، فإنها تضمن استمرارية هذا المجتمع عبر الأجيال. لأنها تخلق تماسكًا اجتماعيًا لا يتآكل بسهولة.

ثامنًا: تطبيقات عملية في حياتك اليومية

.1في تعاملك مع ذوي الأعذار

· لا تتحرج من الأكل مع الأعمى: هو ليس عليه حرج، ولا عليك حرج.

· لا تستثقل الأعرج: ساعده إذا احتاج، ولا تجعله يشعر بالحرج.

· ارحم المريض: لا تلومه إذا تخلف عن دعوة، ولا تحرجه إذا احتاج إلى طعام خاص.

.2في علاقاتك الأسرية

· اذهب إلى بيوت أقاربك: لا تتحرج .هذه بيوت آبائك وأمهاتك وإخوانك وأخواتك.

· كل عندهم: إذا كنت جائعًا، فلا تتردد .الأكل عند الأقارب مباح، بل هو من صلة الرحم.

· أطعم أقاربك: لا تنتظر أن يطلبوا منك .ادعهم، وأطعمهم، ولا تجعلهم يتحرجون.

.3في علاقاتك الاجتماعية

· اذهب إلى بيت صديقك: الصداقة الحقيقية تزيل الحرج .إذا كنت صديقًا حقًا، فبيتك بيته، وبيته بيتك.

· لا تتحرج من الأكل عند صديقك: الصديق الصادق لا يضيق بهذا.

· أطعم صديقك: كن كريمًا، وافتح بيتك لأصدقائك.

.4في آداب الدخول

· إذا دخلت بيتًا، فسلم: لا تدخل كاللص .قل "السلام عليكم" بصوت مسموع.

· أعلن عن نفسك: لا تفاجئ أهل البيت .دعهم يعلمون أنك قادم.

· اجعل السلام عادة: في بيتك، في مسجدك، في عملك .السلام مفتاح القلوب.

.5في فهمك للدين

· تذكر أن الدين يسر: لا تشدد على نفسك، ولا على غيرك .الله رفع الحرج.

· استخدم عقلك: افهم حكمة التشريع، لا تلتزم أعمى.

· انشر هذه القيم: حدث الناس عن هذه الآية، وعن معانيها العظيمة.

تاسعًا: دروس مستفادة من الآية

.1الإسلام دين رفع الحرج

هذه الآية تذكرك بأن الإسلام جاء ليرفع الحرج، لا ليضيفه. كل حكم في الإسلام مقصوده التيسير، لا التعسير.

.2الأقارب والأصدقاء هم سندك

الآية تذكرك بأن دائرة الأمان الاجتماعي واسعة. آباؤك، أمهاتك، إخوتك، أخواتك، أعمامك، عماتك، أخوالك، خالاتك، أصدقاؤك – كلهم سند لك. فلا تبتعد عنهم.

.3السلام مفتاح القلوب

السلام ليس مجرد تحية. هو مفتاح القلوب، ومفتاح الألفة، ومفتاح البركة. إذا أردت أن تدخل بيتًا، فافتحه بالسلام.

.4الدين يخاطب عقلك

ختم الآية بـ {لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ} يذكرك بأن الدين يخاطب عقلك. لا تكن متبعًا أعمى. افهم، وتدبر، واعقل.

.5الحضارة تبدأ من العلاقات الصغيرة

هذه الآية تتحدث عن الطعام، عن الأكل في البيوت، عن السلام عند الدخول. قد تبدو تفاصيل صغيرة، لكنها لبنة الحضارة.

إذا صلحت هذه التفاصيل، صلح المجتمع كله.

عاشرًا: خلاصة القول – أنت مدعو إلى حياة بلا حرج

هذه الآية تضع بين يديك منهجًا للحياة بلا حرج. إنها تخاطبك أنت شخصيًا، وتقول لك:

· لا حرج على الأعمى: فلا تتحرج أنت إن كنت أعمى، ولا تحرج الأعمى إن كنت معه.

· لا حرج على الأعرج: فلا تتحرج إن كنت أعرج، ولا تحرج الأعرج إن كنت معه.

· لا حرج على المريض: فلا تتحرج إن كنت مريضًا، ولا تحرج المريض إن كنت معه.

· لا حرج عليك أن تأكل من بيوت آبائك وأمهاتك وإخوانك وأخواتك وأعمامك وعماتك وأخوالك وخالاتك وأصدقائك: فلا تحرم نفسك من الطعام ومن الصحبة.

· لا حرج أن تأكل جميعًا أو أشتاتًا: فكل كما تشاء، مع من تشاء، دون أن تشعر بالحرج.

· وإذا دخلت بيوتًا فسلم: اجعل السلام مفتاح دخولك، وتحية من عند الله مباركة طيبة.

وأنت الآن.. كيف ستتعامل مع هذه الآية؟

· هل ستتحرر من الحرج الذي يمنعك من الوصول إلى أقاربك وأصدقائك؟

· هل ستراعي ذوي الأعذار في مجتمعك؟

· هل ستجعل السلام عادة في دخولك وخروجك؟

· هل ستعقل ما يبينه الله لك من آيات؟

تذكر: هذا البيان من الله، وهذا التشريع من عليم حكيم. رفع عنك الحرج، وفتح لك الأبواب، ودعاك إلى الألفة والمحبة. فاستجب، وعش حياة بلا حرج.

اللهم اجعلنا من الذين لا حرج عليهم، ولا يحرجون غيرهم. اللهم افتح بيننا وبين أقاربنا وأصدقائنا أبواب الألفة والمحبة. اللهم اجعل السلام تحيتنا، والبركة شعارنا، والعقل دليلنا. إنك على كل شيء قدير

القسم الخامس.

مقدمة الآيات (62-64) من سورة النور – خاتمة السورة

من الانضباط مع القائد إلى المرجعية العليا.. رحلة الختام التي تضع كل شيء في نصابه

بعد أن استعرضت سورة النور منظومة متكاملة من التشريعات والآداب التي تبني الفرد والمجتمع على أسس من الإيمان و العفة والطهر والاحترام، بعد أن حددت معالم العلاقة بين الرجال والنساء، ووضعت حدودًا للخصوصية في البيوت، وأحكمت آداب الاستئذان للأطفال والخدم وكبار السن، وبعد أن فتحت أبواب الألفة بين الأقارب والأصدقاء في آداب الطعام والضيافة ، تأتي هذه الآيات الثلاث الختامية (62-64) لتضع التاج على هذه المنظومة، ولتذكر المؤمنين بالحقيقة الكبرى التي تضبط كل هذه التشريعات، ولتختم السورة بختام يليق بعظمتها.

إنها آيات تعيد الأمور إلى نصابها، وترفع البصر من تفاصيل الحياة اليومية إلى الآفاق العليا، لتذكر من أين جاءت هذه التشريعات، وإلى من ترجع الأعمال، ومن الذي يراقب ويحاسب. إنها ثلاث محطات متكاملة، تبدأ بالحديث عن الانضباط مع

القائد، وتنتقل إلى التحذير من التهاون مع أمر الرسول، وتختم بالتذكير بحقيقة الملك والعلم والمرجع.

تأمل معي هذه الآيات كأنها تختم السورة التي بين يديك، وتضع لك الخاتمة التي تبقى في قلبك بعد أن تطوي الصفحة الأ خيرة. إنها تريد منك أن تخرج من سورة النور وأنت تحمل في وجدانك ثلاث حقائق لا تتزعزع: حرمة أمر القائد، ووجوب تعظيم الرسول، ويقين الرجوع إلى الله.

١/الآية 62: الانضباط مع القائد.. صفة المؤمنين

تبدأ الآية الأولى (62) بتحديد معيار الإيمان الحقيقي في أبهى صوره: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ}. إنها تضع الانضباط في الاجتماعات المهمة، والتزام الأدب مع القائد، وعدم الا نصراف دون إذن، كعلامة فارقة بين المؤمن الصادق والمنافق المدعي.

لقد مرت السورة بكثير من آيات النفاق والمنافقين، وكشفت عن صفاتهم الذميمة: يقولون آمنا بألسنتهم وقلوبهم خالية، يتولون عن حكم الله، لا يأتون إليه مذعنين إلا إذا كان الحق لهم، يقسمون أغلظ الأيمان وهم كاذبون. وهنا تأتي هذه الآية لتقول: أما المؤمنون حقًا، فصفاتهم غير ذلك. هم إذا كانوا مع نبيهم – ومع كل قائد شرعي من بعده – على أمر جامع، أمر يجمع الناس للتشاور والتخطيط، لم يذهبوا حتى يستأذنوه.

ثم ترفع الآية من شأن المستأذنين، وتجعل استئذانهم علامة على إيمانهم: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ}. إنها تضع الاستئذان في مرتبة الإيمان، ليعلم المؤمن أن انضباطه مع قيادته ليس مجرد أدب اجتماعي، بل هو عبادة وطاعة وإيمان.

وتختتم الآية بتوجيه للقائد: {فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ}. على القائد أن يكون حكيمًا في الإذن، رحيمًا بالمستأذنين، يستغفر لهم ويدعو لهم. إنها قيادة بالرحمة، لا بالتسلط.

٢/الايه فيها تعظيم الرسول.. تحذير من التهاون

ثم تأتي الآية الثانية (63) لترتقي بالخطاب إلى مرتبة أعلى، مرتبة تعظيم النبي ﷺ. إنها تبدأ بتحذير شديد: {لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}. لا تتعاملوا مع دعوة النبي ﷺ لكم كما تتعاملون مع دعوة أحدكم لصاحبه. إن دعوته ليست كأي دعوة. إنها أمر إلهي، وطاعة واجبة، واستجابة سريعة مطلوبة.

ثم تكشف الآية عن سلوك خفي كان يفعله بعض المنافقين: {قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا}. كانوا يتسللون من مجالس النبي ﷺ خفية، يلوذ بعضهم ببعض، يظنون أنهم يخفون على الله. والآية تخبرهم أن الله يعلمهم، ويعلم تسللهم، ويعلم لواذهم.

ثم تأتي الخاتمة المرعبة: {فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}. من يخالف أمر النبي ﷺ ، فليخاف من عقابين: إما فتنة في القلب تضله عن الحق، وإما عذاب أليم في الدنيا أو الآخرة. إنها آية تزلزل القلوب، وتذكر بخطورة مخالفة أمر الرسول.

٣/الآية 64: خاتمة السورة.. المرجعية العليا

ثم تأتي الآية الثالثة (64) – خاتمة السورة – لتضع الحقيقة الكبرى التي تستند إليها كل تشريعات السورة، وكل آدابها، وكل حدودها. إنها تختم بختام يليق بعظمة ما سبق: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}. كل ما في الكون – السماوات والأرض وما بينهما – ملك لله. هو الخالق، هو المالك، هو المتصرف. فله أن يشرع ما يشاء، وله أن يأمر بما يشاء، وله أن ينهى عما يشاء.

ثم تذكر الآية بعلم الله المحيط: {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ}. الله يعلم أحوالكم كلها، ظاهرها وباطنها، سرها وعلنها. يعلم من

منكم مؤمن صادق، ومن منكم منافق مدع. يعلم من يستأذن ومن يتسلل. يعلم من يطيع ومن يعصي.

ثم تذكر بيوم الرجوع: {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا}. يوم القيامة، يوم يرجع الخلق كلهم إلى الله، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا. لا يخفى عليه شيء، ولا يغيب عن علمه عمل.

وتختم الآية – وتختم السورة – باسم من أسماء الله الحسنى: {وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ}. إنه الختام المناسب لسورة بدأت بتأكيد أن الله أنزل فيها آيات بينات، ومرت بآداب وتشريعات دقيقة، وختمت بتأكيد أن الله هو المالك، وهو العالم، وهو المرجع.

العلاقة بين الآيات (62-64) وخاتمة السورة

هذه الآيات الثلاث تشكل الختام المناسب لسورة النور، وتربط بين محاور السورة الرئيسية:

· الآية 62: تتحدث عن الانضباط مع القائد (النبي ﷺ)، وهو ما يربط بآداب الاستئذان والقيادة التي مرت في السورة.

· الآية 63: تتحدث عن تعظيم النبي ﷺ والتحذير من مخالفة أمره، وهو ما يربط بموضوع طاعة الرسول الذي تكرر في السورة.

· الآية 64: تتحدث عن ملكية الله وعلمه ويوم الرجوع، وهو ما يربط ببداية السورة التي أكدت أن هذه آيات من عند الله.

إنها خاتمة ثلاثية الأبعاد: بعد أن تعلمت آداب التعامل مع الناس (في البيوت والأسواق والمجالس)، تذكرك هذه الآيات بآداب التعامل مع القائد، ثم مع الرسول، ثم مع الله. إنها ترفع البصر من الأرض إلى السماء، ومن الناس إلى الله.

الأسلوب القرآني في الختام

لاحظ جمال النظم القرآني في ختام السورة:

· بداية السورة: {سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} – تأكيد أن هذه السورة من عند الله.

· خاتمة السورة: {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ... وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} – تأكيد أن الله هو المالك والعالم والمرجع.

إنها تناسق بديع: بدأت بتأكيد أن الأحكام من عند الله، وختمت بتأكيد أن الله هو المالك الذي له أن يشرع. بدأت بـ "سورة أنزلناها" – وهو فعل من الله، وختمت بـ "لله ما في السماوات والأرض" – وهو إقرار بملكيته. بدأت بآيات بينات، وختمت بعليم بكل شيء.

ما تحمله هذه المقدمة من معانٍ

هذه المقدمة تحمل في طياتها:

1. الربط العضوي بين الآيات الثلاث الختامية، وإبراز أنها تشكل وحدة متكاملة تضع الأسس الكبرى التي تستند إليها تشريعات السورة.

2. بيان التدرج في الختام: من الانضباط مع القائد (62) إلى تعظيم الرسول (63) إلى الإقرار بملكية الله وعلمه (64).

3. إبراز القيم الكبرى التي تختتم بها السورة: حرمة أمر القائد، وجوب تعظيم الرسول، ويقين الرجوع إلى الله، وشمول علم الله.

4. توجيه الخطاب إلى القارئ ليجعله يتفاعل مع هذه الآيات الختامية، ويشعر أن السورة تترك في قلبه أثرًا بعد أن يطويها،

وأنها تريد منه أن يخرج منها بحقيقة لا تنسى: أن الله هو المالك، وأن الرسول له حرمته، وأن المرجع إلى الله.

5. التمهيد للتفسير التفصيلي لكل آية على حدة، مع استحضار الأسلوب الذي يخاطب العقل والوجدان، ويجعل القارئ يشعر أن هذه الآيات الختامية تنزل عليه الآن، وتختتم بها رحلته في سورة النور، لتترك في قلبه بصمة لا تمحى.

وبهذا تكون المقدمة قد أعدت القارئ لرحلة ختامية عظيمة، تبدأ بالانضباط مع القائد، وتمر بتعظيم الرسول، وتنتهي بالإقرار بأن لله ما في السماوات والأرض، وأنه بكل شيء عليم. إنها رحلة تأخذ بيد القارئ من تفاصيل الحياة اليومية إلى الآفاق العليا، ليعلم أن كل هذه الآداب والتشريعات إنما هي من عند الله، وأن الله هو المالك الحقيقي، وأنه يعلم كل شيء، وأن إليه المرجع والمصير

اولا.

}إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ {)النور:(62

المقدمة: في رحاب القيادة... حين يكون الأمن والانضباط إيمانًا

تخيل نفسك في مشهد عظيم .النبي ﷺ جالس بين أصحابه .لقد جمعهم لأمر جامع – ربما للتشاور في غزوة، أو لتخطيط استراتيجي، أو لتدبير شأن من شؤون الأمة .الجو مليء بالجدية .الجميع منتبه .ثم تأتي لحظة تحتاج فيها إلى الانصراف لقضاء حاجة .ماذا تفعل؟ هل تنصرف دون إذن؟ أم تنتظر حتى تستأذن القائد؟

هذا المشهد الذي قد يبدو عاديًا، هو في الحقيقة مدرسة في الانضباط العسكري والحس الأمني والترتيب المجتمعي .إنه المشهد الذي تريد هذه الآية أن ترسخه في وجدان الأمة المسلمة .إنها تخاطب المؤمنين وتقول لهم: صفة الإيمان الحقيقي أن تكونوا إذا كنتم مع قائدكم على أمر جامع، لا تذهبوا حتى تستأذنوه.

تأمل معي هذه الآية كأنها تنزل عليك أنت اليوم .إنها تقول لك: أنت عضو في جماعة المؤمنين .لك قائد .له حق عليك .في ا لأوقات الجادة – أوقات الاجتماع للتشاور والتخطيط – لا تنصرف دون إذن .هذه ليست مجرد أدب اجتماعي، بل هي من صفات الإيمان، وهي أساس الأمن والانضباط في المجتمع والدولة.

ثم تنتقل الآية إلى الحديث عن الذين يستأذنون القائد .تقول: هؤلاء هم المؤمنون حقًا .لأنهم يدركون معنى القيادة والانتماء . ثم تأمر القائد – وهو النبي ﷺ في المقام الأول، وكل قائد من بعده – أن يأذن لمن شاء ممن يستأذن، ويستغفر لهم .إنه تكامل بين حقوق القائد وحقوق الأفراد، يصنع مجتمعًا منضبطًا، ودولة قوية، وأمة متماسكة.

تعال نغوص في هذه الآية .سنعيش معها معنى الانضباط العسكري في الإسلام، والحس الأمني الذي يربيه، وأهمية الترتيب والتنظيم في بناء الدولة والمجتمع .سنتأمل كيف أن هذه الآية ليست مجرد أدب مع النبي، بل هي دستور للقيادة والانضباط في كل زمان ومكان.

أولا ً: تأمل تعريف المؤمن الحقيقي} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ{

} .1إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ {– حصر الإيمان في صفة

"إنما" تفيد الحصر والقصر .أي أن المؤمن الحقيقي ليس من يقول آمنا فقط، بل من تتوفر فيه هذه الصفات .الآية تضع معيارًا جديدًا للإيمان: الانضباط في الجماعة، والاستئذان من القائد.

} .2الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ {– الإيمان بالله والرسول

هذه هي القاعدة الأساسية .الإيمان بالله والرسول هو الأصل .لكن الآية تنتقل من الأصل إلى الثمرة: كيف يظهر هذا الإيمان في السلوك.

اللمسة البيانية: الحصر في "إنما" ثم التفصيل في "الذين" يعطي إحساسًا بأن الإيمان الحقيقي له علامات، ومن أعظمها الا نضباط مع القائد.

ثانياً: تأمل الصفة الأساسية للمؤمن} وَإِذَا كانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ{

} .1وَإِذَا كانُوا مَعَهُ {– وجود المؤمنين مع القائد

"معه" أي مع النبي ﷺ، ومع كل قائد للمؤمنين من بعده .هذا الوجود المادي في مجلس القائد له آدابه.

} .2عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ {– ما هو الأمر الجامع؟

"أمر جامع" هو كل أمر يجمع المؤمنين للتشاور والتباحث في شأن من شؤون الأمة .قد يكون:

· غزوة: التخطيط للقتال.

· شورى: مناقشة أمر عام.

· اجتماع: لحل مشكلة.

· خطة: لوضع استراتيجية.

اللمسة البلاغية: "أمر جامع" صيغة مبالغة، تدل على أن الأمر قد جمع الناس، وجمع القلوب، وجمع العزائم .إنه ليس أمرًا عاديًا، بل هو أمر ذو أهمية كبرى.

} .3لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ {– الانضباط العسكري الأعلى

"لم يذهبوا" أي لا ينصرفون من المجلس.

"حتى يستأذنوه" أي لا يغادرون إلا بعد الاستئذان من القائد.

الرسالة العسكرية العظمى: هذه الآية تضع أساس الانضباط في الجيش والمجتمع .في أي تجمع ذي أهمية، لا يجوز لأحد أن ينصرف دون إذن القائد .هذا يمنع:

· الفوضى: لا يخرج أحد دون نظام.

· التسرب: لا يترك الجندي موقعه دون علم قائده.

· التخطيط: القائد يعرف من معه ومن غاب.

· الأمن: لا يدخل أحد أو يخرج دون رقابة.

اسأل نفسك: لو كنت في اجتماع مهم – في عملك، في جيشك، في مؤسستك – هل تنصرف دون إذن رئيسك؟ هل تدرك أن هذا ليس مجرد أدب، بل هو من صفات الإيمان؟

ثالثاً: تأمل الاستئذان كعلامة على الإيمان} إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ{

} .1إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ {– الذين يطلبون الإذن

هذه الآية تخاطب النبي ﷺ مباشرة: الذين يستأذنونك في الانصراف هم المؤمنون حقًا.

} .2أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ {– الاستئذان علامة الإيمان

"أولئك" إشارة إلى البعد والتمييز .وكأن الله يقول: انظر إلى هؤلاء، هم المؤمنون .ليس المؤمن من يترك المجلس دون إذن، بل المؤمن من يحترم القيادة و يطلب الإذن.

اللمسة التربوية: هذه الآية ترفع من شأن الاستئذان إلى مرتبة الإيمان .إنها ليست مجرد رخصة أو أدب، بل هي علامة على صدق الإيمان .من يستأذن، يؤمن .ومن لا يستأذن، إيمانه ناقص.

رابعاً: تأمل توجيه القائد} فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ{

} .1فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ {– حاجة مشروعة

"لبعض شأنهم" أي لحاجة من حوائجهم التي لا بد من قضائها .ليس الاستئذان لأمر تافه، بل لحاجة حقيقية.

} .2فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ {– سلطة القائد

"لمن شئت" أي للقائد سلطة تقديرية في الإذن .له أن يأذن لمن يراه، وله أن يمنع من يراه .هذا ليس تحكمًا، بل هو تنظيم وإدارة.

اللمسة السياسية: هذه الآية تمنح القائد صلاحية تقديرية في إدارة شؤون الجماعة .هو الأعلم بمصلحة المجلس، والأعلم بمن يمكنه الانصراف ومن لا يمكنه.

} .3وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللهَ {– دعاء القائد لأتباعه

بعد أن يأذن القائد لمن شاء، عليه أن يستغفر لهم .هذا الاستغفار هو:

· شكر لهم على التزامهم بالانضباط.

· دعاء لهم بالمغفرة والرحمة.

· تأكيد على أن القائد رحيم بأتباعه.

الرسالة للقائد: إذا أذنت لأحد بالانصراف، فاستغفر له .كن رحيمًا به، وادعُ له بالخير .القيادة في الإسلام ليست تسلطًا، بل هي رحمة وخدمة.

خامساً: تأمل الخاتمة} إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ{

} .1غَفُورٌ {– يغفر الذنوب

"غفور" يغفر للمؤمنين تقصيرهم، ويغفر لمن استأذنوا ما قد يكون في انصرافهم من نقص.

} .2رَحِيمٌ {– يرحم عباده

"رحيم" رحم المؤمنين حين شرع لهم الاستئذان، ورحم القادة حين أعطاهم هذه الصلاحية .كل التشريع رحمة من الله.

اللمسة النفسية: ختم الآية بـ "غفور رحيم" يطمئن القلوب .إذا أذنب أحد، فـالله غفور .إذا احتاج أحد إلى رحمة، فـالله رحيم .وهذا يمنح الأمن النفسي في ظل الانضباط.

سادساً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

.1الحصر في} إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ{

هذا الحصر يضع معيارًا صارمًا للإيمان: لا إيمان بلا انضباط.

.2التعبير بـ} أَمْرٍ جَامِعٍ{

هذه الصيغة تدل على عظمة الأمر وأهميته، مما يزيد من ضرورة الانضباط.

.3التعبير بـ} لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ{

"لم يذهبوا" نفي للمضي، "حتى" للغاية .أي لا يحدث الذهاب أصلا ً قبل الاستئذان.

.4الإشارة بـ} أُولَئِكَ {للمستأذنين

هذه الإشارة ترفع من شأنهم، وتجعلهم في مقام التميز.

.5التعبير بـ} فَأْذَنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ{

هذا يعطي القائد سلطة تقديرية، مع بقاء الأمور في إطار الرحمة.

.6الختم بـ} غَفُورٌ رَحِيمٌ{

هذان الاسمان يطمئنان القلوب، ويشعران بأن النظام ليس للعقاب، بل للرحمة.

.7اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية:

· المد في "المؤمنون" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بثقل هذه الصفة.

· الوقف على "رسوله" – وقفة قصيرة، ثم استئناف بالصفة الجديدة.

· التنغيم في "على أمر جامع" – نغمة فيها جدية، تشعر بعظمة الأمر.

· الوقف على "يستأذنوه" – وقفة طويلة، تترك في النفس أثر الانضباط.

· المد في "يستأذنونك" – مد يعطي إحساسًا بتكرار هذه الصفة الحسنة.

· التنغيم في "فأذن لمن شئت منهم" – نغمة فيها سلطة ورحمة معًا.

· الختم بـ "غفور رحيم" – نغمة فيها رحمة ومغفرة.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بجدية الانضباط، وعظمة القيادة، ورحمة التشريع.

سابعًا: الأبعاد المختلفة للآية

أولا ً: البعد العسكري والأمني) محور أساسي(

.1الانضباط العسكري

هذه الآية هي أساس الانضباط في الجيش الإسلامي .الجندي لا يغادر موقعه دون إذن قائده .لا ينصرف من المعسكر، ولا يتخلف عن الغزوة، ولا يترك المجلس الحربي .هذا هو روح الجيش المنضبط.

.2الحس الأمني

الآية تربي في المؤمن الحس الأمني .أن يدرك أن هناك أوقاتًا لا يجوز فيها الانصراف دون إذن .هذا الحس يمنع:

· تسرب المعلومات: من يخرج دون إذن قد يحمل معه أسرارًا.

· الاختراق: لا يدخل أحد أو يخرج دون علم القائد.

· الفوضى: كل فرد في موقعه حتى يؤذن له.

.3أهمية الترتيب والتنظيم

الآية تؤسس لـ نظام الإذن في المؤسسات .أي تجمع مهم، أي اجتماع استراتيجي، أي تخطيط، يجب أن يكون منظمًا .لا أحد ينصرف دون إذن .هذا هو أساس التنظيم الإداري والعسكري.

.4القيادة والطاعة

الآية ترسي مبدأ الطاعة للقائد في الأمور الجامعة .القائد هو الذي يعرف متى يمكن الانصراف ومتى لا يمكن .هذه الطاعة ليست عمياء، بل هي طاعة في إطار الشرع، وهي من صفات الإيمان.

.5التخطيط الاستراتيجي

عندما يكون الجميع منضبطًا، لا يخرج أحد دون إذن، يمكن للقائد أن يخطط بدقة .يعرف عدد من معه، ويعرف من غاب، ويعرف قدراته .هذا هو التخطيط الاستراتيجي الناجح.

ثانياً: البعد السياسي) بناء الدولة(

.1سلطة القائد في إدارة الجماعة

الآية تمنح القائد سلطة تقديرية في الإذن والمنع .هذه السلطة ضرورية لـ استقرار الدولة .القائد هو المسؤول عن الأمن، وعن سير الأمور، فلا بد أن تكون له صلاحيات.

.2المسؤولية المتبادلة

الآية تخلق مسؤولية متبادلة:

· الأفراد: مسؤولون عن الاستئذان والانضباط.

· القائد: مسؤول عن الإذن بحكمة، والاستغفار لأتباعه.

هذا التكامل يبني دولة قوية، قائمة على الثقة والانضباط.

.3الأمن الوطني

الانضباط في الاجتماعات العليا هو أساس الأمن الوطني .إذا تسربت المعلومات، أو انصرف أحد دون علم، أو حدثت فوضى، يهتز الأمن .الآية تحمي هذا الأمن.

.4المؤسسية والتنظيم

الآية تؤسس لـ العمل المؤسسي .ليس كل فرد يفعل ما يشاء .هناك نظام، هناك إذن، هناك قائد .هذا هو أساس الدولة الحديثة.

ثالثًا: البعد الاجتماعي) بناء المجتمع(

.1احترام القيادة

الآية تربي المجتمع على احترام القيادة .القائد ليس مجرد شخص، بل هو رمز للأمة .احترامه واحترام نظامه من صفات الإ يمان.

.2الانضباط الاجتماعي

الانضباط العسكري ينعكس على الانضباط الاجتماعي .إذا تعود المجتمع على الاستئذان في الأمور الجادة، تعود على النظام في كل شيء.

.3الثقة بين القائد والأتباع

عندما يستأذن الأفراد، ويأذن القائد، ويستغفر لهم، تنمو الثقة .القائد يثق في أتباعه أنهم لن ينصرفوا دون إذن، والأتباع يثقون في قائدهم أنه يراعيهم.

.4التماسك المجتمعي

المجتمع المنضبط هو مجتمع متماسك .لا فوضى، لا تفلت، لا تصرفات فردية تعطل المصلحة العامة.

رابعًا: البعد الإداري والتنظيمي) التنمية والبناء(

.1إدارة الاجتماعات

هذه الآية تقدم أساس إدارة الاجتماعات في الإسلام .الاجتماعات المهمة لها نظام: لا انصراف دون إذن .هذا يمنع:

· ضياع الوقت: لا ينصرف أحد في منتصف الاجتماع.

· تشتيت التركيز: الجميع منتبه حتى النهاية.

· فقدان المتابعة: القائد يعرف من غاب ومن بقي.

.2التنمية البشرية: تأهيل القادة

الآية تدرب القادة على كيفية إدارة الجماعة: الإذن بحكمة، والاستغفار للأتباع .هذا هو تأهيل القيادات التي تبني الدول.

.3التنمية المؤسسية

أي مؤسسة ناجحة تحتاج إلى نظام الإذن .لا موظف ينصرف دون إذن مديره في الأوقات الحرجة .الآية تؤسس لهذه الثقافة.

.4التنمية المستدامة

المجتمع المنضبط هو مجتمع قادر على الاستمرار .لا تنهار مؤسساته بالفوضى، بل تظل قوية .هذا هو أساس التنمية المستدامة.

خامسًا: البعد النفسي

.1الشعور بالمسؤولية

الآية تزرع في الفرد الشعور بالمسؤولية .أنا جزء من جماعة، لا أتصرف بمفردي .هذا يخفف الأنانية، ويقوي الانتماء.

.2الطمأنينة

عندما يعلم الفرد أن النظام قائم، وأن القائد يدير الأمور، يشعر بالطمأنينة .لا يقلق من الفوضى، ولا يخاف من التخبط.

.3احترام الذات

الاستئذان ليس ذلا ً، بل هو احترام للذات .أنا شخص منظم، أعرف مكاني، أحترم قائدي .هذا يعزز تقدير الذات.

.4الأمن النفسي

ختم الآية بـ "غفور رحيم" يمنح الأمن النفسي .إذا أخطأت، فالله غفور .إذا احتجت إلى رحمة، فالله رحيم .هذا يمنع القلق والخوف.

سادسًا: البعد الروحي والإيماني

.1الاستئذان علامة الإيمان

الآية ترفع الاستئذان إلى مرتبة الإيمان .من يستأذن، يؤمن .ومن لا يستأذن، إيمانه ناقص .هذا يربط بين السلوك الظاهر والإ يمان الباطن.

.2الانضباط عبادة

الانضباط ليس مجرد نظام، بل هو عبادة .عندما تستأذن امتثالا ً لأمر الله، فأنت تثاب على ذلك.

.3القيادة خدمة

القائد الذي يأذن ويستغفر هو قائد خادم .ليس متسلطًا، بل رحيمًا .هذا هو النموذج الإيماني للقيادة.

ثامنًا: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

.1في علاقتك بالقائد

· إذا كنت في اجتماع مهم: لا تنصرف دون إذن رئيسك .هذا من صفات الإيمان.

· إذا احتجت إلى الانصراف: استأذن بلطف .لا تغادر كأنك لست موجودًا.

· إذا كنت قائدًا: كن حكيمًا في الإذن .استغفر لمن تأذن لهم .كن رحيمًا.

.2في مؤسستك أو عملك

· طبّق نظام الاستئذان: في الاجتماعات المهمة، لا أحد ينصرف دون إذن.

· احترم القيادة: القائد له سلطة تقديرية .لا تخرج عن النظام.

· كن قدوة: إذا التزمت أنت، التزم الآخرون.

.3في مجتمعك

· انشر ثقافة الانضباط: حدث الناس عن هذه الآية، وعن أهمية النظام.

· حارب الفوضى: لا تسمح بأن ينصرف الناس من الاجتماعات دون نظام.

· احترم القيادة: في المسجد، في الجمعية، في المؤسسة.

.4في تربيتك لأولادك

· علمهم الاستئذان: إذا كانوا معك في مجلس مهم، علمهم أن يستأذنوا قبل الانصراف.

· ربهم على الانضباط: الانضباط ليس قيدًا، بل هو حرية في إطار النظام.

· كن قدوة: استأذن أنت أيضًا قبل الانصراف من مجالس أولادك المهمة.

تاسعًا: دروس مستفادة من الآية

.1الانضباط أساس القوة

لا قوة بلا انضباط .الآية تؤسس لأهم مبدأ عسكري وسياسي: الانضباط هو أساس نجاح أي جماعة.

.2القيادة رحمة

القائد ليس متسلطًا، بل هو رحيم .يأذن لمن شاء، ويستغفر لهم .هذه هي القيادة النبوية.

.3الإيمان يظهر في السلوك

الإيمان ليس مجرد شعور، بل هو سلوك منضبط .الاستئذان علامة على الإيمان.

.4النظام عبادة

النظام والترتيب ليسا مجرد إدارة، بل هما عبادة تؤجر عليها.

.5الأمن يبدأ من الانضباط

الأمن الوطني يبدأ من الانضباط الفردي .إذا انضبط الأفراد، أمن المجتمع.

عاشرًا: العلاقة المختصرة مع ما قبلها وما بعدها

· قبلها) الآية(61 : تحدثت عن آداب الطعام والضيافة والسلام.

· هذه الآية(62) : تنتقل إلى الحديث عن الانضباط مع القائد في الأمور الجامعة.

· بعدها) الآية(63 : ستتحدث عن عدم جعل دعوة الرسول كدعاء بعضكم بعضًا، وهو استكمال لآداب التعامل مع القيادة.

هذا الانتقال يظهر تكامل المنهج الإسلامي: من آداب الطعام والسلام إلى آداب القيادة والانضباط .كلها تصب في بناء مجتمع منظم.

خلاصة القول: أنت جندي في أمة منضبطة

هذه الآية تضع بين يديك مدرسة في الانضباط والقيادة .إنها تخاطبك أنت شخصيًا، وتقول لك:

إنما المؤمنون: الذين إذا كانوا مع قائدهم على أمر جامع، لم يذهبوا حتى يستأذنوه.

· فإن كنت من المستأذنين: فأنت من المؤمنين حقًا.

· وإن كنت قائدًا: فأذن لمن شئت، واستغفر لهم، واعلم أن الله غفور رحيم.

وأنت الآن ..كيف ستتعامل مع هذه الآية؟

· هل تدرك أن الانضباط مع القائد من صفات الإيمان؟

· هل تستأذن قبل الانصراف من الاجتماعات المهمة؟

· هل تحترم نظام القيادة في مؤسستك؟

· هل تربّي أبناءك على هذا الأدب؟

تذكر: هذه الآية ليست عن النبي فقط .إنها عن كل قائد وكل مؤمن في كل زمان .هي دستور الانضباط، وأساس الأمن و التنظيم، ومفتاح بناء الدولة والمجتمع.

ثانيا.

}لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) {النور:(63

المقدمة: حين تكون الدعوة ..ليست كأي دعوة

تخيل نفسك في زمن النبي ﷺ .أنت في مجلس من مجالس المسلمين .تسمع صوتًا ينادي: "يا فلان، أقبل" .تنظر، فإذا هو النبي ﷺ يدعو أحدكم .ماذا ستفعل؟ هل ستتثاقل؟ هل ستتلكأ؟ هل ستتظاهر بأنك لم تسمع؟ أم ستجيب مسرعًا، قلبك يخفق، ورجلاك تحملك إليه بسرعة؟

هذا المشهد الذي قد يبدو بسيطًا، هو في الحقيقة ميزان الإيمان الحقيقي .إنه المشهد الذي تريد هذه الآية أن ترسخه في وجدان الأمة المسلمة .إنها تخاطب المؤمنين وتقول لهم: لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا .ليس الأمر كما تظنون .دعوة النبي ليست كدعوة أحدكم .إنها دعوة تحمل في طياتها الأمر الإلهي، والطاعة الواجبة، والمسؤولية العظمى.

تأمل معي هذه الآية كأنها تنزل عليك اليوم .إنها تقول لك: عندما يدعوك رسول الله ﷺ – أو من يقوم مقامه في الأمر بـ المعروف والنهي عن المنكر – فلا تتعامل مع دعوته كأنها دعوة صديق عادي .لا تتثاقل، لا تتأخر، لا تتسلل .بل أسرع، وأجب،

واعلم أن الله يعلم من يتسلل منكم ليوادًا .واحذر أن تخالف أمره، فتصيبك فتنة أو عذاب أليم.

ثم تنتقل الآية إلى التحذير الأشد:} فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ .{إنها تختم بتحذير يزلزل القلوب: من يخالف أمر النبي، فليخاف من فتنة تضل قلبه، أو عذاب يهلك بدنه.

تعال نغوص في هذه الآية .سنعيش معها معنى تعظيم النبي ﷺ، وخطورة التخلف عن أمره، وعلم الله بالمتسللين، وعاقبة المخالفة .سنتأمل كيف أن هذه الآية ليست مجرد أدب مع النبي، بل هي حماية للأمة من الفتنة والعذاب.

أولا ً: تأمل النهي العظيم} لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا{

} .1لَا تَجْعَلُوا {– نهي عن سلوك خاطئ

النهي هنا يفيد التحريم والتوبيخ .لا تجعلوا – أيها المؤمنون – هذا الفعل عادة لكم .إنه سلوك خاطئ يجب أن يزول من مجتمعكم.

} .2دُعَاءَ الرَّسُولِ {– نداء النبي ﷺ

"دعاء الرسول" أي نداءه إياكم، أو دعوته لكم لأمر من الأمور .المقصود: إذا دعاكم النبي ﷺ لأمر من الأمور، سواء كان للجهاد ، أو للاجتماع، أو للتوجيه، أو للأمر بالمعروف.

} .3بَيْنَكُمْ {– في تعاملاتكم اليومية

"بينكم" أي في ما بينكم من تعامل .لا تجعلوا نداء النبي كنداء أحدكم لصاحبه .لا تتعاملوا معه بتلك العادية والاستخفاف.

} .4كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا {– لا تساووه بدعاء العادي

هذا هو المنهي عنه: أن تتعامل مع دعوة النبي كما تتعامل مع دعوة أي شخص عادي .فإذا ناداك صديقك، قد تتثاقل، أو تتأخر ، أو قد لا تجيب .أما النبي ﷺ، فدعوته أمر إلهي، يجب أن تجيب إليها مسرعًا.

اللمسة البيانية: التشبيه بـ "كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا" فيه تفظيع وتقبيح .وكأن الله يقول: كيف تسوون بين دعوة النبي ودعوة أحدكم؟ هذا لا يليق.

الرسالة العظمى: هذه الآية ترفع من مكانة النبي ﷺ، وتؤكد أن دعوته ليست كدعوة غيره .إنها دعوة يجب أن تجاب بكل إج لال واحترام .وكل من يدعو إلى الله ورسوله من العلماء والأمراء، له حرمته، ولكن حرمة النبي ﷺ أعظم.

اسأل نفسك: كيف تتعامل مع دعوة النبي ﷺ اليوم؟ إنها تأتيك عبر كتابه وسنته .إذا قال النبي: افعل كذا، أو لا تفعل كذا، فهل تتثاقل؟ أم تجيب مسرعًا؟ هل تتعامل مع أمره كأمر عادي، أم تعظمه وتجله؟

ثانيا: تأمل علم الله بالمتسللين} قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا{

} .1قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ {– علم محقق

"قد" هنا للتحقيق .أي أن الله يعلم علمًا محققًا من هم هؤلاء .ليس الأمر خافيًا عليه .إنه يعلم كل متسلل، وكل متخلف.

} .2الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ {– المتسللون الخفاة

"يتسللون" من التسلل، وهو الخروج خفية، كاللص الذي يخرج من المجلس دون أن يشعر به أحد .هؤلاء هم الذين كانوا في عهد النبي ﷺ يتخلفون عن الجهاد، أو عن الاجتماعات، فيخرجون من المجلس خفية، يظنون أن لا أحد يراهم.

اللمسة البلاغية: الفعل المضارع "يتسللون" يدل على التكرار والاستمرار .هذه صفة راسخة فيهم: كلما دعوا لأمر، تسللوا . وكأنهم يفعلونها بانتظام.

} .3لِوَاذًا {– يلوذ بعضهم ببعض

"لواذًا" من اللوذ، وهو الاختباء والتستر .يتسللون مختفين، يلوذ أحدهم بالآخر، كأنهم يظنون أن الله لا يراهم .وهذا من أشد أنواع النفاق والاستهانة.

الرسالة: الله يعلم كل متسلل، وكل متخلف، وكل من يخرج من المجلس خفية .لا يخفى عليه أمرهم .هذه طمأنة للمؤمنين بأن الله معهم، وتحذير للمنافقين بأن أعمالهم مكشوفة.

اسأل نفسك: هل تتسلل من مجالس الخير؟ هل تخرج من المسجد قبل انتهاء الصلاة؟ هل تتخلف عن الدعوات إلى الخير؟ هل تختفي عندما ينادى إلى طاعة؟ تذكر: الله يعلم.

ثالثاً: تأمل التحذير الأشد} فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ{

} .1فَلْيَحْذَرِ {– أمر بالحذر

"فليحذر" أمر، واللام لام الأمر .أي: على المخالفين أن يحذروا، أن يخافوا، أن يرتدعوا .هذا أمر شديد، فيه تهديد ووعيد.

} .2الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ {– من هم المخالفون؟

"يخالفون" أي يخرجون عن أمره، ويردونه، ولا يمتثلون له ."عن أمره" أي أمر النبي ﷺ، وهو أمر الله في الحقيقة.

اللمسة البلاغية: "عن أمره" وليس "أمره" .هذا يفيد المجاوزة والتجاوز .أي أنهم يتجاوزون أمره، ويخرجون عنه، ولا يكتفون بمجرد عدم الامتثال.

} .3أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ {– الفتنة: مرض القلوب

"فتنة" هي اختبار يضل به القلب .قد تصيبهم فتنة في دينهم، فيزيغون عن الحق .أو فتنة في دنياهم، فيبتلون بالشرك أو النفاق .أو فتنة في قلوبهم، فيمرضون ويموتون على الضلال.

} .4أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {– العذاب الأليم: عقاب البدن

"عذاب أليم" أي عذاب موجع في الدنيا أو الآخرة .في الدنيا: قتل، أو أسر، أو مصيبة .في الآخرة: نار جهنم.

اللمسة البيانية: الجمع بين "فتنة" و "عذاب أليم" يفيد التحذير المزدوج .إما فتنة تضل القلب، وإما عذاب يهلك البدن .أو كلا هما .وهذا أعظم ترهيب.

الرسالة العظمى: هذه الآية تحذر أشد التحذير من مخالفة أمر النبي ﷺ .من يتخلف عن دعوته، أو يتسلل من مجلسه، أو يخالف أمره، فليخاف من:

· فتنة في قلبه: تزيغ عن الحق، وتموت على الضلال.

· عذاب في بدنه: في الدنيا بالقتل أو الأسر، وفي الآخرة بالنار.

اسأل نفسك: هل تخاف من هذه الفتنة؟ هل تخاف من هذا العذاب؟ هل تتأكد أنك لست من المخالفين؟ هل تدرك أن مخالفة أمر النبي هي طريق الفتنة والعذاب؟

رابعاً: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

.1النهي المؤكد} لَا تَجْعَلُوا{

النهي بصيغة المضارع المجزوم يفيد التحريم القاطع .ليس الأمر خيارًا، بل هو واجب.

.2التشبيه ب} كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا{

هذا التشبيه فيه تفظيع وتقبيح .وكأنه يقول: هذا التشبيه خطأ، فلا تشبهوا دعوة النبي بدعوة أحدكم.

.3التعبير ب} قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ{

"قد" للتحقيق، و "يعلم" مضارع يفيد التجدد .أي أن علم الله بهم متجدد، في كل مرة يتسللون، يعلمهم.

.4التعبير ب} يَتَسَلَّلُونَ لِوَاذًا{

الفعل المضارع "يتسللون" والوصف "لواذًا" يعطيان صورة حسية للتخلف والنفاق .كأنك تراهم يتسللون مختفين.

.5الأمر بالحذر} فَلْيَحْذَرِ{

الأمر بالحذر مع اللام يفيد الوجوب .الحذر واجب على المخالفين.

.6الجمع بين الفتنة والعذاب

الجمع بين فتنة القلوب و عذاب الأبدان يفيد شمول العقوبة .لا ينجو أحد.

.7اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية:

· المد في "لا تجعلوا" – مد طبيعي يعطي إحساسًا بالنهي القاطع.

· الوقف على "بعضا" – وقفة قصيرة، وكأن الله يريد أن تتأمل هذا التشبيه القبيح.

· التنغيم في "قد يعلم الله" – نغمة فيها علم وإحاطة، تشعر بأن الله يعلم كل شيء.

· المد في "يتسللون" – مد يعطي إحساسًا باستمرارية هذا السلوك الذميم.

· الوقف على "لواذًا" – وقفة طويلة، تترك في النفس صورة التسلل والاختفاء.

· التنغيم في "فليحذر" – نغمة فيها تحذير شديد، تزلزل القلوب.

· المد في "عذاب أليم" – مد طويل، يعطي إحساسًا بشدة العذاب وامتداده.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بخطورة التخلف عن أمر النبي، وعلم الله بالمتسللين، ووجوب الحذر من الفتنة والعذاب.

خامسًا: الأبعاد المختلفة للآية

أولا ً: البعد العقدي والإيماني

.1تعظيم النبي ﷺ

الآية تؤسس لـ تعظيم النبي في قلوب المؤمنين .دعوته ليست كدعوة غيره .يجب أن تستجاب بكل إجلال واحترام .هذا التعظيم هو جزء من الإيمان.

.2الإيمان بالقدر والجزاء

الآية تؤكد أن الله يعلم كل متسلل، وسيجازيهم .هذا يرسخ الإيمان بالقدر، واليقين بأن الله لا يخفى عليه شيء.

.3الخوف من الله

الآية تزرع في القلب الخوف من الله، والخوف من الفتنة والعذاب .هذا الخوف هو أساس التقوى.

ثانياً: البعد التربوي

.1تربية المؤمن على الاستجابة السريعة

الآية تربي المؤمن على أن الاستجابة لدعوة النبي – وللأمر بالمعروف عمومًا – يجب أن تكون سريعة، لا تثاقل ولا تأخير.

.2تربية المؤمن على الإخلاص

التسلل والاختفاء دليل على عدم الإخلاص .المؤمن لا يختبئ، ولا يتسلل، بل يجهر بطاعته.

.3تربية المؤمن على مراقبة الله

عندما يعلم المؤمن أن الله يعلم المتسللين، يراقب الله في كل حركاته .لا يتسلل، ولا يختبئ، لأنه يعلم أن الله يراه.

ثالثًا: البعد السياسي) بناء الدولة(

.1حرمة أمر القائد

الآية تؤكد أن أمر النبي ﷺ – وكل قائد شرعي من بعده – له حرمة .لا يجوز التخلف عنه، ولا التسلل من مجالسه.

.2الانضباط السياسي

الآية تفرض الانضباط في الطاعة .من يتخلف عن أمر القائد في الأمور العامة، يعرض نفسه للفتنة والعذاب.

.3الأمن الوطني

التسلل والتخلف عن الاجتماعات العامة يهدد الأمن الوطني .الآية تحارب هذه الظاهرة، وتجعلها من الكبائر.

.4وحدة الصف

عندما يلتزم الجميع بالحضور وعدم التسلل، تتحقق وحدة الصف .وهذا أساس قوة الدولة.

رابعًا: البعد الاجتماعي

.1احترام القيادة

الآية تربي المجتمع على احترام القيادة .القائد – سواء كان نبيًا أو خليفة أو أميرًا – له مكانته، ودعوته لها حرمتها.

.2محاربة النفاق الاجتماعي

التسلل والاختفاء هو سلوك منافق .الآية تحاربه، وتكشفه، وتحذر منه.

.3التماسك الاجتماعي

عندما لا يتسلل أحد، ولا يتخلف، يتحقق التماسك الاجتماعي .الجميع حاضر، والجميع مع القائد.

خامسًا: البعد النفسي

.1الخوف من الفتنة

"فتنة" قد تكون فتنة في القلب .هذا يخوف المؤمن من أن يزيغ قلبه عن الحق .الخوف من الفتنة هو أعلى درجات الخوف.

.2الخوف من العذاب

"عذاب أليم" يخوف المؤمن من عقاب الدنيا والآخرة .هذا الخوف يدفعه إلى الطاعة.

.3الشعور بالمراقبة

عندما يعلم المؤمن أن الله يعلم المتسللين، يشعر بأنه مراقب في كل لحظة .هذا يعزز الرقابة الذاتية.

سادسًا: البعد العسكري) في حدود ما تحمله الآية(

.1الانضباط العسكري

الآية تدخل في الانضباط العسكري .الجندي لا يتسلل من المعسكر، ولا يتخلف عن النداء، ولا يغيب عن الاجتماعات العسكرية.

.2الطاعة للقائد

القائد العسكري له حرمة .أمره يجب أن يُطاع .من يخالف، يعرض نفسه للعقاب.

.3السرية والأمن

التسلل يهدد السرية العسكرية .من يخرج من الاجتماع دون إذن، قد يحمل معه أسرارًا .الآية تحارب هذه الظاهرة.

سادسًا: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

.1في تعاملك مع أمر الله ورسوله

· إذا دعاك الله إلى أمر: لا تتثاقل .أجب مسرعًا .الله يعلم المتخلفين.

· إذا دعاك الرسول ﷺ عبر سنته: إذا قال النبي "افعل كذا"، فافعله .لا تخالفه .خالف غيرك، ولا تخالف النبي.

· لا تتعامل مع أوامر الدين كأنها عادية: هي ليست كأوامر الناس .لها حرمتها.

.2في تعاملك مع القيادة

· إذا دعاك القائد الشرعي: لا تتسلل، ولا تتخلف .احضر، وأجب.

· لا تستهين بأمر القائد: دعوته ليست كدعوة أحد .لها حرمتها.

· احذر الفتنة: من يخالف القائد، قد تصيبه فتنة في قلبه.

.3في مجالس الخير

· إذا حضرت مجلس علم أو ذكر: لا تتسلل .لا تخرج خفية .إن احتجت للخروج، فاستأذن.

· لا تتثاقل عن الحضور: حضور مجالس الخير من الطاعة .التخلف عنها قد يكون من المخالفة.

.4في تربية أولادك

· علمهم الاستجابة السريعة: إذا دعوتهم، فليجيئوا مسرعين .لا يتعلموا التثاقل.

· علمهم احترام القيادة: المعلم، الوالد، الأمير – لهم حرمة.

· علمهم الخوف من الفتنة: حدثهم عن عاقبة المخالفة.

سابعًا: دروس مستفادة من الآية

.1تعظيم النبي ﷺ واجب

من أعظم واجبات المؤمن تعظيم النبي ﷺ .ودعوته جزء من هذا التعظيم .لا تساوها بدعوة أحد.

.2الله يعلم المتسللين

لا تظن أنك إذا تسللت واختبأت أن الله لا يراك .الله يعلم كل خافية.

.3مخالفة أمر النبي خطيرة

مخالفة أمر النبي ليست كأي معصية .إنها طريق إلى الفتنة والعذاب.

.4الفتنة أشد من العذاب

الفتنة في القلب أخطر من العذاب في البدن .لأنها تضل الإنسان عن الحق، وتميت قلبه.

.5الخوف من الله أساس التقوى

من يخالف أمر الله ورسوله، فليخاف .الخوف هو الذي يردع عن المعصية.

ثامنًا: العلاقة مع ما قبلها وما بعدها

· قبلها) الآية(62 : تحدثت عن الانضباط مع القائد، والاستئذان قبل الانصراف.

· هذه الآية(63) : تكمل الحديث عن آداب التعامل مع النبي، وتحذر من التعامل مع دعوته كدعوة عادية، ومن التخلف و التسلل.

· بعدها) الآية(64 : ستختم السورة بالتأكيد على أن لله ما في السماوات والأرض، وأن إليه المصير.

هذا الانتقال يظهر تكامل آداب التعامل مع النبي: من الاستئذان في الانصراف) آية(62 ، إلى عدم التساهل في دعوته) آية

(63، إلى التذكير بأن المرجع إلى الله) آية.(64

تاسعًا: الفرق بين "يخالفون عن أمره" و "يخالفون أمره"

اللمسة البيانية الدقيقة: قال الله} يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ {وليس "يخالفون أمره" ."عن" تفيد المجاوزة والتجاوز .أي أنهم لا يخالفونه فقط، بل يتجاوزونه، ويخرجون عنه، ويعرضون عنه .هذا أشد من مجرد المخالفة .إنه استكبار وتجاوز.

خلاصة القول: أنت أمام أمر عظيم

هذه الآية تضع بين يديك تحذيرًا إلهيًا عظيمًا .إنها تخاطبك أنت شخصيًا، وتقول لك:

· لا تجعل دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضًا .عظِّم دعوته، وأسرع إلى إجابتها.

· قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذًا .لا تظن أنك إذا تسللت واختبأت أن الله لا يراك .إنه يعلم.

· فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم .من يخالف أمر النبي، فليخاف من فتنة تضل قلبه، أو عذاب يهلك بدنه.

وأنت الآن ..كيف ستتعامل مع هذه الآية؟

· هل تعظم دعوة النبي ﷺ؟ هل تستجيب لها مسرعًا؟

· هل تتسلل من مجالس الخير؟ هل تتخلف عن الدعوات إلى الله؟

· هل تخاف من الفتنة التي تصيب القلب؟ هل تخاف من العذاب الأليم؟

تذكر: هذه الآية ليست عن الصحابة فقط .إنها عن كل من يسمع دعوة النبي ﷺ عبر كتابه وسنته .من يسمع "افعل" فيفعل، ومن يسمع "لا تفعل" فيترك، فهو المطيع .ومن يتثاقل، أو يتسلل، أو يخالف، فليخاف.

اللّهم اجعلنا من المستجيبين لدعوة رسولك، المعظمين لأمره .اللّهم لا تجعلنا من المتسللين المخالفين .اللّهم اهد قلوبنا، ولا تصبنا بفتنة، ولا تعذبنا عذابًا أليمًا .إنك على كل شيء قدير.

ثالثا

}أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ) {النور: 64)

المقدمة: بعد كل هذه الآداب... إلى أين المصير؟

تأمل معي رحلتك في سورة النور. لقد مررت بمشاهد عظيمة: رأيت وضوح المنهج الرباني في الآية (46)، ورأيت صفات المنافقين الذين يقولون آمنا ثم يتولون، ورأيت المؤمنين الذين إذا دُعوا إلى الله ورسوله قالوا سمعنا وأطعنا، ثم سمعت الوعد العظيم بالاستخلاف في الأرض لمن آمن وعمل صالحًا، ثم تعلمت آداب الاستئذان في بيوت الله، وآداب الدخول إلى البيوت، وآداب الاجتماع مع القائد، وحذرت من مخالفة أمر الرسول.

وبعد كل هذه التشريعات، هذه الآداب، هذه التكاليف، يأتي هذا السؤال الذي لا بد أن يطرق قلبك: لماذا كل هذا؟ لماذا هذه التفاصيل الدقيقة في حياتي؟ ومن الذي يراقبني؟ وإلى أين المصير بعد كل هذه الأعمال؟

هذه الآية – خاتمة السورة – تأتي لتجيب عن هذا السؤال. إنها ترفع رأسك إلى السماء، وتذكرك بالحقيقة الكبرى التي تضبط كل هذه التشريعات: لله ما في السماوات وما في الأرض. هو المالك، وهو الحاكم، وهو المشَرِّع. ثم تذكرك بأنه يعلم ما أنتم

عليه في كل لحظة، فلا يخفى عليه شيء من أحوالكم. ثم تذكرك بـ اليوم الذي ترجعون فيه إليه، فيخبركم بما عملتم. ثم تختم بأن الله بكل شيء عليم، فلا تخفى عليه خافية.

هذه الآية هي التاج الذي توجت به السورة. هي المرجع الذي تستند إليه كل الأحكام. هي الغاية التي تصب فيها كل الآداب. إنها تخاطبك أنت شخصيًا، وتقول لك: كل هذه الآداب التي تعلمتها – في الاستئذان، في الحجاب، في الأكل من بيوت الأقارب، في الانضباط مع القائد – لم تأت عبثًا. إنها من عند مالك السماوات والأرض. وهو الذي يراك، وهو الذي سيسألك عنها يوم ترجع إليه.

تعال نغوص في هذه الآية الختامية. سنعيش معها معنى الملكية المطلقة لله، والعلم المحيط، ويوم الرجوع، والجزاء على العمل. سنتأمل كيف أن هذه الآية تربط كل تفاصيل السورة بهذه الحقائق الكبرى، وتجعل من كل حكم فيها عبادة لله وطريقًا إلى رضوانه.

أولاً: تأمل الافتتاح {أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}

1. {أَلَا – استفتاح للتنبيه

"ألا" حرف استفتاح، يفيد التنبيه والاهتمام .كأن الله يقول: انتبهوا، أصغوا، هذا أمر عظيم .إنه يلفت انتباهك إلى ما سيقوله، ليكون حاضرًا في قلبك.

2. {إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ – الملكية المطلقة

هذه الجملة تؤكد حقيقة كونية كبرى: كل ما في السماوات والأرض ملك لله. هو الخالق، هو المالك، هو المتصرف. لا يملك أحد شيئًا إلا بإذنه. ولا يحق لأحد أن يشرع إلا بإذنه.

اللمسة البيانية: التعبير بـ "ما في السماوات والأرض" يشمل كل شيء: الذرات، الكواكب، الملائكة، الإنس، الجن، الحيوانات، النباتات، الجماد. كلها ملك لله.

الرسالة العظمى: هذه الجملة هي الأساس الذي تبنى عليه كل أحكام السورة. لماذا أمرك الله بالاستئذان؟ لأنه المالك. لماذا أمرك بالحجاب؟ لأنه المالك. لماذا أمرك بطاعة الرسول؟ لأنه المالك. كل هذه الأحكام تصب في هذه الحقيقة: لله ما في السماوات والأرض، فله أن يأمر، وله أن ينهى.

اسأل نفسك: هل تستحضر هذه الحقيقة عندما تتعامل مع أحكام الله؟ هل تذكر أن الله هو المالك الحقيقي لكل شيء، وأنك لا تملك من أمرك شيئًا؟ هل تدرك أن كل ما تملكه – بيتك، مالك، جسدك – هو ملك لله في الحقيقة؟

ثانياً: تأمل علم الله بالحال {قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ}

1. {قَدْ يَعْلَمُ – علم محقق متجدد

"قد" للتحقيق، و "يعلم" فعل مضارع يدل على التجدد والاستمرار .أي أن علم الله بأحوالكم مستمر ومتجدد في كل لحظة . ليس علمًا سابقًا فقط، بل هو علم لحظي بما أنتم عليه الآن.

2. {مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ – ما أنتم عليه من أحوال

"ما أنتم عليه" يشمل كل أحوالكم: ظاهرها وباطنها، سرها وعلنها، صغيرها وكبيرها .ما أنتم عليه من إيمان أو نفاق، من طاعة أو معصية، من استقامة أو انحراف، من خشية أو غفلة.

الرسالة: هذه الجملة تذكرك بأن الله يعلم حالك الآن. يعلم إن كنت ممن قالوا سمعنا وأطعنا، أم ممن يتولون ويعرضون. يعلم

إن كنت ممن يستأذنون في الأوقات الثلاثة، أم ممن يتسللون لواذًا. يعلم ما في قلبك، وما في سريرتك.

اسأل نفسك: لو تذكرت أن الله يعلم ما أنت عليه الآن، هل ستغير شيئًا في حالك؟ هل ستزيد في طاعتك؟ هل ستتوب من معصيتك؟ هل ستخشى الله أكثر؟

ثالثًا: تأمل يوم الرجوع {وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عملوا ۚ)

} .1وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ {– يوم القيامة

"يوم يرجعون إليه" هو يوم القيامة، يوم يرجع فيه الخلق كلهم إلى الله، لا يملك أحد أن يتأخر أو يتقدم .يوم لا تنفع نفس شيئًا، ولا يملك أحد شفاعة إلا بإذنه.

} .2فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلوا {– الإخبار بالأعمال

"ينبئهم" أي يخبرهم بما عملوا في الدنيا .سيخبرهم بأعمالهم كلها: صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، سرها وعلنها . سيخبرهم بما قدموا وما أخروا .سيخبرهم بما كانوا يظنون أنه خفي على الله.

اللمسة البيانية: التعبير بـ "بما عملوا" وليس "بما قالوا" أو "بما اعتقدوا". لأن العمل هو ما سيُحاسب عليه الإنسان. الأقوال و الاعتقادات ستُحاسب أيضًا، لكن العمل هو الشاهد الأكبر.

} .3وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ {– خاتمة مطمئنة ومخيفة

هذه الخاتمة تجمع بين الطمأنينة للمؤمن و الخوف للمذنب:

عليم بكل شيء: يعلم أعمال المؤمن فيجازيه عليها.

· عليم بكل شيء: يعلم أعمال الكافر والمنافق فيجازيهم عليها.

الرسالة: هذه الخاتمة تذكرك بأن العلم الإلهي شامل، لا يفوته شيء. فكن على يقين أن الله يعلم عملك، وسيجزيك عليه. إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر.

اسأل نفسك: هل تستعد لهذا اليوم؟ هل تعمل ليوم يرجعون فيه إلى الله فينبئهم بما عملوا؟ هل تتذكر أن كل عمل سيعرض عليك يوم القيامة؟

رابعًا: اللمسات البيانية والبلاغية والتجويدية

.1الاستفتاح بـ} ألَا{

هذا الاستفتاح يفيد التنبيه والاهتمام. كأن الله يقول: انتبهوا لما سأقوله، إنه عظيم.

.2الإخبار بـ} إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ{

هذه الجملة الاسمية المؤكدة بـ "إن" تفيد الثبات والدوام. ملكية الله ليست عارضة، بل هي ثابتة أبدًا.

.3المضارع في} يَعْلَمُ{

الفعل المضارع يفيد التجدد والاستمرار. علم الله ليس علمًا سابقًا فقط، بل هو علم متجدد بكل لحظة.

.4الإبهام في} مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ{

هذا الإبهام يفيد الشمول. كل ما أنتم عليه – من خير وشر – يعلمه الله.

.5التعبير ب{ يَوْمَ يُرْجَعُونَ{

"يرجعون" مبني للمجهول، يفيد أن الرجوع حتمي، لا يملكون لأنفسهم فيه شيئًا.

.6الفاء في{ فَيُنَبِّئُهُمْ{

الفاء للسببية والترتيب. أي أن الرجوع إلى الله سيتبعه الإخبار بالأعمال حتمًا.

.7الختم ب{ عَلِيمٌ{

اسم الفاعل "عليم" صيغة مبالغة، تفيد شمول العلم وكماله. الله عليم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

.8اللمسات التجويدية

عند تلاوة هذه الآية الخاتمة:

· المد في "ألا" – مد طبيعي يلفت الانتباه، كأنه يقول: اسمع.

· تفخيم لفظ الجلالة في "لله" – تفخيم يعطي إحساسًا بعظمة المالك.

· المد في "السماوات والأرض" – مد يعطي إحساسًا بسعة الملك.

· الوقف على "الأرض" – وقفة قصيرة، ثم استئناف.

· التنغيم في "قد يعلم" – نغمة فيها علم وإحاطة.

· الوقف على "عليه" – وقفة، وكأنه يريدك أن تتأمل حالك الذي يعلمه الله.

· المد في "يرجعون" – مد يعطي إحساسًا بيوم طويل عظيم.

· التنغيم في "فينبئهم" – نغمة فيها إخبار وجزاء.

· المد في "عليم" – مد طويل، يعطي إحساسًا بامتداد علم الله.

الدور في خدمة المعنى: هذه اللمسات تجعل القارئ يشعر بعظمة ملك الله، وشمول علمه، وحتمية الرجوع إليه، وكمال علمه بكل شيء.

خامسًا: الأبعاد المختلفة للآية (ما يتفق مع مضمونها)

أولا ً: البعد العقدي (محور الآية)

.1توحيد الربوبية

الآية تؤكد أن الله هو المالك الحقيقي لكل شيء. هذا هو توحيد الربوبية. من أقر بهذا، سلم لله في أمره ونهيه.

.2توحيد الألوهية

من أقر بأن لله ما في السماوات والأرض، أقر بأنه لا يستحق العبادة إلا هو. وهذا هو توحيد الألوهية الذي تدعو إليه السورة

كلها.

3.الإيمان باليوم الآخر

الآية تؤكد الإيمان باليوم الآخر، يوم يرجعون إلى الله فينبئهم بما عملوا. هذا اليوم هو الذي يجعل للعمل قيمة، ويمنح الحياة معنى.

4.الإيمان بعلم الله المحيط

الآية تؤكد أن الله عليم بكل شيء. هذا العلم يشمل أعمالنا، وأقوالنا، ونياتنا، وأسرارنا.

ثانياً: البعد التربوي

1.تربية المؤمن على استحضار مراقبة الله

الآية تربي المؤمن على أن يستحضر أن الله يعلم ما هو عليه في كل لحظة. هذا الاستحضار هو أساس التقوى.

2.تربية المؤمن على استحضار يوم القيامة

الآية تذكر المؤمن بـ يوم الرجوع إلى الله. هذا التذكير يدفعه إلى العمل الصالح، والاستعداد لذلك اليوم.

3.تربية المؤمن على تحمل المسؤولية

عندما يعلم المؤمن أن الله سينبئه بما عمل، يدرك أنه مسؤول عن كل فعل. هذه المسؤولية تمنعه من التفريط.

4.تربية المؤمن على الإخلاص

عندما يعلم المؤمن أن الله يعلم ما في نفسه، يخلص في عمله، ولا يرائي الناس.

ثالثاً: البعد النفسي

1.الطمأنينة للمؤمن

المؤمن يطمئن عندما يعلم أن الله يعلم ما هو عليه. يعلم تعبه، يعلم جهاده، يعلم صبره. هذا يطمئنه أن الله سيجزيه.

2.الخوف للمذنب

المذنب يخاف عندما يعلم أن الله يعلم ما هو عليه، وأنه سيرجع إليه فينبئه بما عمل. هذا الخوف قد يدفعه إلى التوبة.

3.الأمل في رحمة الله

الآية لم تذكر العذاب صراحة، بل ذكرت أن الله سينبئهم بما عملوا. هذا يترك باب الأمل مفتوحًا لمن تاب وأناب.

رابعًا: البعد الاجتماعي (ما يتفق مع مضمون الآية)

1.الأساس التشريعي للأحكام

الآية تذكر أن لله ما في السماوات والأرض. هذا يعني أن له وحده حق التشريع. فكل الأحكام التي جاءت في السورة – من استئذان، وحجاب، وآداب – هي من عند الله المالك. هذا يمنع الجدل في أحكام الله.

.2أساس المساءلة الاجتماعية

الآية تذكر أن الله سينبئهم بما عملوا. هذا يعني أن كل إنسان سيجازى بعمله. هذا يمنع الظلم الاجتماعي، ويدفع الناس إلى العدل.

.3توحيد المرجعية

عندما يعلم الناس أن لله ما في السماوات والأرض، وأنه يعلم ما هم عليه، وأنهم سيرجعون إليه، تصبح مرجعيتهم واحدة. هذا يوحد المجتمع، ويمنع التفرق.

خامسًا: دور الآية في ختام السورة (دلالة الاختتام)

.1تذكير بالمرجعية العليا

السورة كلها كانت في آداب وتشريعات: آداب الاستئذان، آداب الدخول إلى البيوت، أحكام الحجاب، آداب الاجتماع مع القائد. وهذه الآية تذكر أن مرجع هذه التشريعات هو الله. هو الذي شرعها، فوجب الامتثال.

.2ربط التفاصيل بالكليات

الآية تربط تفاصيل الأحكام (التي مرت في السورة) بـ كليات الإيمان (ملكية الله، علمه، يوم القيامة). لئلا يظن أحد أن هذه التفاصيل مجرد آداب اجتماعية، بل هي عبادات ترتبط بالإيمان بالله واليوم الآخر.

.3التحذير من المخالفة

بعد أن حذرت السورة من مخالفة أمر الرسول في الآية السابقة (63)، تختم بالتذكير بأن المخالفة ستحاسب عليها يوم ترجعون إلى الله. هذا تهديد شديد للمخالفين.

.4البشارة للمؤمنين

المؤمنون الذين امتثلوا لأحكام السورة – استأذنوا، تحجبوا، انضبطوا، أطاعوا – لهم البشارة بأن الله يعلم حالهم، وسيجزيهم عليه.

.5تحقيق الغاية من التشريع

الغاية من كل التشريعات هي عبادة الله والخضوع له. وهذه الآية تذكر بأن الله هو المالك، وهو العالم، وهو المرجع. فإذا استحضر المؤمن هذه المعاني، كانت عبادته خالصة.

سادسًا: تطبيقات عملية في حياتنا اليومية

.1في التزامك بأحكام الله

· تذكر أن لله ما في السماوات والأرض: كل ما حولك ملك لله .فالتزامك بأحكامه ليس خيارًا، بل هو واجب لأنك تعيش في ملكه.

· لا تجادل في أحكام الله: إذا أمرك الله بشيء، فامتثل .هو المالك، وله أن يأمر.

.2في مراقبتك لنفسك

· استحضر أن الله يعلم ما أنت عليه: في كل لحظة، تذكر أن الله يراك، ويعلم حالك .هذا يمنعك من المعصية.

· حاسب نفسك قبل أن تحاسب: الله سينبئك بما عملت يوم القيامة .فحاسب نفسك اليوم، قبل أن تحاسب غدًا.

.3في استعدادك للآخرة

· اعمل ليوم يرجعون إليه: كل عمل تعمله اليوم، ستراه غدًا .فاجعل عملك صالحًا.

· لا تغتر بالدنيا: الدنيا فانية، والرجوع إلى الله حق .فلا تنشغل بالدنيا عن الآخرة.

.4في تربيتك لأولادك

· علمهم أن الله يعلم ما هم عليه: ربهم على مراقبة الله في السر والعلن.

· علمهم أنهم سيرجعون إلى الله: ربهم على الاستعداد ليوم القيامة.

· علمهم أن الله عليم بكل شيء: هذا يعزز إيمانهم، ويردعهم عن المعصية.

سابعًا: دروس مستفادة من الآية

.1ملكية الله المطلقة

كل ما في الكون ملك لله. هذه الحقيقة توجب الخضوع الكامل له.

.2علم الله المحيط

الله يعلم كل شيء، صغيره وكبيره. هذا يوجب المراقبة الذاتية و الإخلاص.

.3الرجوع إلى الله حتمي

لا مفر من الرجوع إلى الله. هذا يوجب الاستعداد لذلك اليوم.

.4الجزاء على العمل

الله سينبئ كل إنسان بما عمل. هذا يوجب تحمل المسؤولية و الإحسان في العمل.

.5خاتمة السورة تربط التفاصيل بالكليات

الآية تذكرنا بأن كل تفصيل في السورة – من آداب الاستئذان إلى آداب القيادة – يرجع إلى هذه الكليات: ملكية الله، علمه، يوم الرجوع.

ثامنًا: العلاقة بين خاتمة السورة وبدايتها

· بداية السورة) آية(1 :} سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ .{بدأت بتأكيد أن هذه السورة من عند الله، مفروضة، فيها آيات بينات.

· خاتمة السورة) آية(64 :} أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ .{...تختم بتأكيد أن الله هو المالك، وهو العالم، وهو المرجع.

العلاقة: بدأت السورة بتأكيد أن الأحكام من عند الله، وختمت بتأكيد أن الله هو المالك الذي له أن يشرع. وهذا تناسق بديع، يجعل السورة وحدة متكاملة.

تاسعًا: خلاصة القول – خاتمة تضع كل شيء في نصابه

هذه الآية الخاتمة تضع بين يديك الحقيقة الكبرى التي تضبط كل ما في السورة. إنها تخاطبك أنت شخصيًا، وتقول لك:

· ألا إن لله ما في السماوات والأرض: كل ما حولك، كل ما تملك، كل ما أنت فيه – ملك لله .فلا تتصرف في ملكه إلا بإذنه.

· قد يعلم ما أنتم عليه: هو يعلم حالك الآن .يعلم إن كنت مطيعًا أم عاصيًا .فلا يخفى عليه شيء.

· ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا: سترجع إليه يوم القيامة، وسيخبرك بكل عمل عملته .فاستعد لذلك اليوم.

· والله بكل شيء عليم: علمه شامل لكل شيء .فاطمئن إن كنت مطيعًا، واخف إن كنت عاصيًا.

وأنت الآن.. بعد أن وصلت إلى خاتمة هذه السورة العظيمة، كيف ستخرج منها؟

· هل ستخرج وقد تذكرت أن لله ما في السماوات والأرض، فخضعت له؟

· هل ستخرج وقد تذكرت أن الله يعلم ما أنت عليه، فاستحضرت مراقبته؟

· هل ستخرج وقد تذكرت أنك سترجع إليه فينبئك بما عملت، فاستعدت لذلك اليوم؟

· هل ستخرج وقد تذكرت أن الله بكل شيء عليم، فآمنت بعلمه المحيط؟

تذكر: هذه السورة بدأت بـ "سورة أنزلناها وفرضناها"، وختمت بـ "ألا إن لله ما في السماوات والأرض". فلتكن خاتمة سورة النور في حياتك: استحضار ملكية الله، وعلمه، ويوم الرجوع إليه، ليكون عملك كله لله، ومرجعك في كل شيء إلى الله.

اللهم إن لك ما في السماوات وما في الأرض، فلك الحمد ولك الشكر. اللهم اعلم ما نحن عليه، واغفر لنا تقصيرنا. اللهم اجعل يوم رجوعنا إليك يوم فوز ونجاة، ولا تجعله يوم خزي وندامة. إنك بكل شيء عليم.

قائمة المصادر والمراجع الشاملة) سورة النور(
أولا ً: أمهات كتب التفسير وعلوم القرآن
تعد هذه المصادر الركيزة الأساسية التي استند إليها البحث في فهم النصوص واستنباط الدلالات.
١/ جامع البيان في تأويل القرآن تأليف الإمام الطبري المرجع الأم في التفسير بالمأثور، واستقصاء أقوال السلف، وترجيح الأقوال .
٢/ تفسير القرآن العظيم: الإمام ابن كثير هو العمدة في سرد القصص) كقصة الإفك(، وبيان أسباب النزول، والأحاديث النبوية .
٣/ الجامع لأحكام القرآن: الإمام القرطبي: المصدر الرئيسي في الجوانب الفقهية، وتحليل مسائل الحدود والقذف، والتوجيهات اللغوية .
٤/ التحرير والتنوير: الطاهر بن عاشور: المرجع الأساسي في اللطائف البلاغية، والمقاصد السورية، وتحليل دلالات التراكيب .
٥/ تيسير الكريم الرحمن : الشيخ عبد الرحمن السعدي: استخلاص الدروس التربوية والإيمانية وصياغة المفاهيم بأسلوب وعظي ميسر .
٦/ الكشاف: الإمام الزمخشري: الدقة البلاغية والتحليل اللغوي، وكشف دقائق الإعجاز البياني في نظم الآيات .
٧/ في ظلال القرآن: سيد قطب: التفسير الموضوعي، والجانب الشعوري والتربوي، وبناء الرقابة الذاتية في المجتمع .
٨/ روح المعاني: الإمام الآلوسي: تحليل الأبعاد الفلسفية واللغوية، والرد على الشبهات المتعلقة بالآيات .
٩/ أضواء البيان: الشنقيطي إ:تميز بتفسير القرآن بالقرآن، والعناية بالمسائل الأصولية والفقهيه .
١٠/ انوار التنزيل واسرار التاويل تفسير البيضاوي امتازا في دقه الصياغه والاجاز في بيان المعاني المقصوده
١١/معالم التنزيل للامام ابو محمد الحسين بن مسعود البغوي
١٢/ تفسير سوره النور للشيخ الاسلام احمد بن عبد الحليم بن تيميه
١٣/التفسير الوسيط محمد سيد طنطاوي
١٤/ مجمع البيان الطبرسي
١٥/ الجلالين
١٦/تفسير المنار محمد رشيد رضا في الجوانب الاجتماعيه والمقاصديه
١٧/ تفسير ابي السعود ارشاد العقل السليم
١٨/ مفاتيح الغيب التفسير الكبير فخر الدين الرازي
١٩/ محمد حسين فضل الله من وحي القران
٢٠ تفسير الميزان محمد حسين الطباطبي مؤسسه الاعلامي بيروت
٢١/التفسير الحديث محمد عزت دروز
٢٢/زهره التفاسير تفسير يجمع بين التفسير والفقه والمقاصد يمتاز بالوضوح والمنهجيه
٢٣/مقاصد السور محمد عبد الله دراز
٢٤/نظم الدرر في تناسب الايات والسور برهان الدين البقاعي
٢٥/التفسير الموضوعي القران الكريم مجموعه من الباحثين مجمع البحوث الاسلاميه
ثانياً: المصادر اللغوية ومعاجم الألفاظ
استخدمت لبيان الأصول الاشتقاقية للمفردات) كالإفك، البهتان، غض البصر.(
* لسان العرب: لابن منظور؛ لتفصيل المعاني اللغوية وتتبع استعمالاتها.
* مقاييس اللغة: لابن فارس؛ لمعرفة الأصل اللغوي وما يترتب عليه من معان.
* مفردات ألفاظ القرآن: للراغب الأصفهاني؛ لبيان الفروق الدقيقة بين الألفاظ القرآنية المتقاربة.
* الدر المصون: للسمين الحلبي؛ للتحليل النحوي والإعرابي الدقيق وصيغ الصرف
*دلال الاعجاز لعبد القاهر الجرجاني
*تاج العروس من جوهر القاموس السيد محمد مرتضى الزبيدي
*القاموس المحيط الفيروزابادى
*معاني القران الاخفش
*معاني القران واعرابه الزجاج.
الدرر المصون للسمين الحلبي
ثالثاً: المصادر الحديثية) تخريج الأحاديث وشرحها(
تم الاعتماد على الدواوين الأصلية لتوثيق الأحاديث المرتبطة بالأحكام) كحد الزنا واللعان.(
* صحيح البخاري وصحيح مسلم: المصدران الرئيسيان للأحاديث النبوية المسندة.
* السنن الأربعة) أبو داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه(: لتوثيق روايات أسباب النزول والأحكام التفصيلية.
* مسند الإمام أحمد: مرجع هام للروايات المطولة والمفسرة للحوادث الدقيقة.
* لباب النقول في أسباب النزول: للسيوطي؛ لموازنة الروايات وترجيح الأصح منها

*المنتقي من السنن المسنده ابن الجارود
*سبل السلام شرح بلوغ المرام محمد بن اسماعيل الصنعاني.
*الموطا للامام مالك
*المصنف عبد الرزاق الصنعاني
*المصنف ابن ابي شيبه
رابعا كتب الاعجاز البلاغي والعلمي
التصوير الفني في القران للسيد قطب
**مشاهد القيامه في القران للسيد قطب
***اعجاز القران الامام ابي بكر الباقلاني
*البرهان في علوم القران الامام بدر الدين الزركشي
*اسرار ترتيب القران جلال الدين السيوطي
بلاغه النور جمال النص القراني تفيد كرماني
معاني القران ابو زكريا الفرار
القران والعلوم العصريه مجموعه من الباحثين
الاعجاز العلمي في القران مجموعه من الباحثين هل هي العالميه للاعجاز العلمي
ا ابحاث الدكتور زغلول النجار
خامسا ً: المصادر الفقهية والأصولية
استُخدمت لعرض الخلافات الفقهية وأدلة المذاهب في مسائل الحدود والقذف.
* بداية المجتهد ونهاية المقتصد: لابن رشد؛ لعرض الخلاف الفقهي بشكل موضوعي.
* المغني: لابن قدامة؛ للتفصيل في المذهب الحنبلي والمناقشات الفقهية الدقيقة.
* مقاصد الشريعة الإسلامية: لابن عاشور والموافقات للشاطبي؛ لبناء الرؤية المقاصدية للتشريعات.
* إعلام الموقعين: لابن القيم؛ لبيان مناسبات الأحكام والرد على الشبهات حول التشريعات.
*بدايه الصنايع للكاساني في المذهب الحنفي
*المدوره الكبرى في المذهب المالكي
*الام للشافعي
*"شفاء العلي لابن القيم
المحلي ابن حزم الظاهري
المغني ابن قدامه المقدسي
سادسا المصادر التربوية والتنموية وبناء الذات
وهي المصادر التي صبغت البحث بصبغة معاصرة تدمج بين الأصالة والتطبيق الواقعي.
* مدارج السالكين وإغاثة اللّهفان: لابن القيم؛ في تزكية النفس وعلاج أمراض القلوب.
* إحياء علوم الدين: للغزالي؛ في بيان آفات اللسان كالغيبة والنميمة وعلاجها.
* جدد حياتك: لمحمد الغزالي؛ في بناء النفس وتطويرها من منظور إسلامي.
* أسوار النور: مرجع معاصر متخصص في الأبعاد التربوية لآيات سورة النور.
* المفاهيم القرآنية: لأحمد عبد الرزاق مربوش العامري؛ المرجع المنهجي في الروابط المفهومية و التربوية
"*زاد المعاد في هدى خير العباد ابن القيم الجوزي
*اغاثه الل هفان من مصائد الشيطان ابن القيم
*الاخلاق والسير في مداواه النفوس الامام ابي محمد علي بن حزم الاندلسي
*كتاب الزهد للامام احمد بن حنبل
*فقه النفوس وتسقيتها في ضوء القران والسنه جمال ماضي
**"استمتع بحياتك الدكتور محمد العريفي في فن التعامل مع الناس والمواقف
*لا تحزن الدكتور عايض القرني
*مفتاح النجاح سلمان العوده
التفسير التربوي للقران الكريم انور الباز
مقاصد القران حسن البنا
الاساس في التفسير سعيد حواء
طريق الهجرتين وباب السعادتين ابن القيم.
خواطر شاب المؤلف احمد الشيقري
قلوب تهوى العطاء
30يوم مع الله
عندما يشرق الصباح كتاب في التفاؤل من منظور الاسلامي
ازمات الشباب اسباب وحلول
نهضه الامه وبناء الحضاره محمد عماره
علم النفس القراني مجموعه من المؤلفين

تزكيه النفس في القران والسنه عمر الاشقر
اسوار النور
سادساً: مصادر التجويد والقراءات
لربط الأداء الصوتي بالدلالات التفسيرية والوقف والابتداء.
* النشر في القراءات العشر: لابن الجزري.
* المقدمة الجزرية: لابن الجزري، وشرحها المنح الفكرية لملا علي القاري.
* هداية القاري: للشيخ عبد الفتاح المرصفي؛ لضبط المخارج والصفات وربطها بالمعنى
*اتحاف فضلاء البشر الدمياطى
*المكتفي للداني
*المنح الفكريه شرح المقدمه الجزريه الشيخ ملا علي القارى
*التمهيد في علم التجويد الامام ابي القاسم عبد الوهاب بن محمد القرطبي.
المنار في علوم القران مجموعه من الباحثين
غايه المريد في علم التجويد عطيه قابل نصر
سابعاً: الدراسات المعاصرة والمواقع الموثوقة
* موسوعة التفسير) موقع الدرر السنية(: للتوثيق الحديثي وترتيب أقوال المفسرين.
* موقع جامعة الملك سعود) مصحف آية(: لتوفير النصوص المحققة للتفاسير الأساسية.
* الدراسات الأكاديمية الحديثة: مثل دراسة "الهدايات القرآنية في سورة النور".
موقع اسلام ويب وشبكه الالوكه